

بُلُغُ الأَرَبِ فِي مَعْرِفَةِ أَهْلِ الأَوطَانِ الْعَرَبِ

مُتَالِفٌ
السَّيِّدُ مُحَمَّدُ رَشِيدُ الأَرَبِي
الْبَغْدَادِيُّ

كُتِبَ بِقَرَارِهِ وَتَعْمِيدِهِ وَطَبْعَهُ
مُحَمَّدُ رَجَبُ الأَرَبِي

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

0091296



Biблиотеque Alexandria

بَابُ الْإِسْمِ
فِي مَعْرِفَةِ الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ

بُلُوغُ الْأَرْبَعِ فِي مَعْرِفَةِ الْأَمْوَالِ الْعَرَبِ

تَأَلَّفَ
السَّيِّدُ مُحَمَّدُ شَكْرِي الْأَلُومِي
الْبَغْدَادِيُّ

عُني بِشَرْحِهِ وَتَصْحِيحِهِ وَضَبَطَهُ
مُحَمَّدُ بَهجَةُ الْأَشْرَفِيُّ

الجزء الأول

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

سُبْحَانَكَ يَا عَزِيزَ الرَّحْمَنِ

الحمد لله العلي الشأن ، العظيم السلطان ، صرف الدهور بقدرته والأكوان ، وأظهرت حكمته المقول والأذهان ، يخلق ما يشاء كما يشاء ، من غير تريف ولا بيان . والصلاة والسلام على رسوله محمد الذي استخلصه من أفضل المادان منبتاً ، وأعزُّ الأرومات^(١) مفرساً ، فكان سيد ولد عدنان وقحطان ، وهو النبي الأمي ، العربي الهاشمي ، الذي أهدنا بنور وجوده من ظلمات جهل الجاهلين إلى ذروة الفضل والرفان ، وعلى آله وأصحابه هداة كل حيران ، المفضحين عن الحق المبين ، بأفصح لسان ، وأعذب بيان ، والمتفحصين عن أحوال الأمم الغابرين ، ليزدادوا إيماناً على إيمان ، وعلى من تبهم بإحسان ، ما تعاقب الملوان^(٢) ، وكرَّ الجديدان^(٣) .

(أما بعد) : فإن العبد الفقير ، إلى لطف مولاه العزيز ، محمود شكرى ابن عبد الله بن محمود الألويسى البغدادي ، كاتب الله تعالى له خير معين ، وأحسن هادى ، ووقفه سبحانه لشكر مزيد النعم والأيادى . يقول : لا يخفى على من عرف أحوال الأمم ، ووقف على ما كان عليه أجيال بنى آدم ، أنَّ أمة العرب على اختلافها ، وتفاوت أصولها وأصنافها ، كانت ممتازة على غيرها من الناس ، متقدمة في الفضائل والمآثر على سائر الأنواع والأجناس ، فإنَّ الله تعالى قد شرفها برسوله ، وفضلها بتزليه ، وخصها بالخطاب المعجز ،

(١) الأرومة بالفتح وتضم : الأصل

(٢) الملوان : الليل والنهار أو طرفاهما

(٣) الجديدان والاجدان : الليل والنهار

واللفظ البليغ الموجز^(١) ، والسؤال الشافي ، والجواب الكافي ، فالعرب أمراء الكلام ، ومعادف العلوم والأحكام ، وهم ليوث الحرب ، وغيوث الكرب والرغد^(٢) في التجذب ، وهم أهل الشسمة^(٣) والحياء ، والكرم والوفاء ، والمروءة والسخاء ، أحكمتهم التجارب ، وأدبتهم الحكمة قفصوا منها المآرب ، ذلت ألسنتهم بالوعد ، وانبسطت أيديهم بالإيجاز^(٤) ، فأحسنوا المقال ، وشغموه بحسن الفعال ، ولبسوا من المجد ثوباً سندسى الطراز^(٥) ، يفسلون من المار وجوهاً مسودة ، ويفتحون من الرأي أبواباً منسدة ، كأنّ الفهم منهم ذو أذنين ، والجواب ذو لسانين . يضربون هامات الأبطال ، ويعرفون حقوق الرجال ، إلى أنّ تلاعبت بهم أيدي الأقدار ، وتفرقوا في أقصى الأنحاء والأقطار ، وإنّ لم أزل أتشوق للوقوف على آثارهم ، والاطلاع على شريف سيرهم وأخبارهم ، وأتمنى أن أظفر بكتاب يشتمل على أحوالهم قبل الإسلام ، ويمتدّ على ما كانوا عليه في جاهليتهم من الموائد والأحكام ، فلم أر ذلك فيما بين الأيدي من الكتب والمجامع ، ولا أنه قد طرق باب سمع من السامع ، مع أنّ المتقدمين ، من علماء المسلمين ، لم يهتموا مثل هذا المهم ، ولم يتركوا قولاً لقائل في كل علم ، وهم الذين امتدّ باعهم في جميع الفنون ، وحسنت منّا بهم الظنون . غير أنّ مرور الأعصر والأعوام ، أدى بآثارهم إلى الضياع ، وأودى بها في سائر البقاع ، وكان كثيراً ما يحتج في القلب ،

(١) الموجز : القصير السريع الوصول الى الفهم ، يقال وجز اللفظ بالضم وجازة فهو وجيز ويتعدى بالحركة والهمزة فيقال وجزته من باب وعد وأوجزته وبعضهم يقول وجز في كلامه وأوجز فيه ايضاً (٢) الرغد بالكسر العطاء والصلة : والجذب : المحل (٣) الشسمة : الغريزة والطبيعة والجلبة وهى التى خلق الانسان عليها والمراد بها ههنا الاخلاق الحسنة (٤) يقال نجز الوعد نجوا : تعجل ويعدى بالهمزة والحرف فيقال انجزته ونجزت به اذا عجلته (٥) سندسى الطراز السندس بالضم رقيق الدجاج معرب والطراز بالكسر علم الثوب معرب .

وينظر بالبال ، أن أتطفل بجمع كتاب يستوعب أحوالهم على سبيل الإجمال ، غير أن قلة البضاعة تصدني عن الإقدام ، وتبطني^(١) عن طرق باب هذا المرام ، حتى اتفق بمض النواحي التي لم أر للتخلف عنها سيلا ، ولم أجد للإعراض عن هذا الغرض مقيلا ، فشرعت في المقصود ، وبذلت فيه غاية الجهود لما يترتب على ذلك من المصالح العمومية ، وما يستنتجه إن شاء الله تعالى من الفوائد الكلية ، وقد التزمتُ طريق الاختصار ، وتجنبت عن التطويل والإكثار ، ومع ذلك فإني معترف بالقصور والنقصان ، وإني لست من فرسان هذا الميدان ، والله تعالى درّ الأقدار ، فإنها تمسوق المرء إلى ما ليس له فيه اختيار .

إن المصادر إذا ساعدت ألحقت المأجز بالحازم

(وقد سميت) ما جمعته وكتبته في هذا الباب وحررته : « بلوغ الأرب ، في معرفة أحوال العرب » ومن الله تعالى أستمد الإعانة والتوفيق ، والهداية إلى أقوم طريق ، وما توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

مقدمة الطبعة الأولى سنة ١٣١٤

(١) تبطه عن الأمر عوقه وبطاً به عنه كتبته فيهما

تعريف العرب وبيان أنواعهم وأقسامهم

العرب جيل من الناس لم يزلوا موسومين^(١) بين الأمم بالبيان في الكلام ،
والفصاحة في النطق ، والدلالة^(٢) في اللسان ، ولذلك سمو بهذا الاسم فإنه
مشتق من الإبانة ، لقولهم أعرب الرجل عما في ضميره إذا أبان عنه ، ومنه قوله
صلى الله تعالى عليه وسلم : « الثيب تُعْرَبُ عن نفسها » والبيان سُمِّيت بين الأمم
وستمر بك قصة كسرى لما طلب من خليفته على العرب الثمان بن النذر أن
يوفد عليه من كبارهم وخطبائهم من رضى لذلك فاختار منهم وَقَدْأ أوفده
عليه ، وكان من خبره واستغراب ما جاؤا به من البيان ما هو معروف ، وهم أمة
قديمة فقد كانوا بعد الطوفان وعصر نوح عليه السلام في عاد الأولى وعمود والمالحة
وطسم وجديس وأميم وجرم وحضرموت ومن ينتمى إليهم من العرب المارية
من أبناء سام بن نوح ، ثم لما انقرضت تلك العصور وذهب أولئك الأمم وأبادهم^(٣)
الله تعالى بما شاء من قدرته وصار هذا الجيل في آخرين ممن قرب نسبهم
من حمير وكهلان وأعقابهم من التباينة ومن إليهم من العرب المستعربة من أبناء
عابر بن شالخ بن أرغشذ بن سام ، ثم لما تطلعت تلك العصور وتماقت وكان
بنو شالخ بن عابر أعلم من بين ولده واختص الله تعالى بالنبوة منهم إبراهيم بن
تارخ وهو آزر بن ناحور بن ساروخ بن أرغو بن فالغ وكان من شأنه مع نمرود
ما قصه القرآن ثم كان من هجرته إلى الحجاز ما هو مذكور وتخلف ابنه إسماعيل مع
أمه هاجر بالحجر قُرْبَانًا^(٤) لله تعالى ومرت بها رقعة من جرم في تلك المغازة
فخالطوها ونشأ إسماعيل بينهم وربى في أحيائهم وتعلم لغتهم العربية بعد أن كان

(١) موسومين السمة العلامة (٢) الدلالة : البلاغة في النطق (٣) إبادهم :
أهلكهم (٤) قُرْبَانًا بالضم ما يتقرب به الى الله تعالى من ذبح وغيره وهو فعلان
من القرية .

أبوه أعجميا ، ثم كان بناء البيت كما قصه القرآن ثم بعثه الله تعالى إلى جرم والمالقة الذين كانوا بالحجاز فأمن كثير منهم واتبعوه ثم عظم نسله وكثر وصار أباً لجيل آخر من ديمية ومضر ومن إليهم من إيزاد وعكّ وشعوب زرار وعدنان وسائر ولد إسماعيل وهم العرب التابعة للعرب ، ثم انقرض أولئك الشعوب في أحقاب طويلة وانقرض ما كان لهم من الدولة في الإسلام وخالفوا المعجم بما كان لهم من التغلب عليهم ففسدت لغة أعقابهم في آحاد^(١) متطاولة وبقي خلفهم أحياء بادين^(٢) في القفار والرمال والخللاء من الأرض تارة والعمران تارة وقبائل للشرق والمغرب والحجاز واليمن وبلاد الصعيد والنوبة^(٣) والحبشة وبلاد الشام والعراق والبحرين وبلاد فارس والسند وكرمان وخراسان أم لا يأخذها الحصر والضبط قد كثروا أم الأرض .

وقد حصر ابن خلدون في كتاب « العبر » أجيال العرب من مبدأ الخليقة إلى عهده في أربع طبقات متعاقبة ، وذكر ما كان في كل طبقة منها من عصور وأجيال ودول وأحياء وبدأ أولاً بذكر :

الطبقة الأولى

وهم العرب العاربة وذكر أنسابهم ومواطنهم وما كان لهم من الملك والدولة وسعى أهل هذا الجيل العرب العاربة إما بمعنى الراسخة في العروبية كما يقال : ليل أليل وصوم صائم . أو بمعنى الفاعلة للعروبية والبتدعة لها بما كانت أول أجيالها وقد تسمى البائدة أيضاً بمعنى المالكة لأنه لم يبق على وجه الأرض أحد من نسلهم ، ثم :

(١) آماد جمع امد محركة ، قال الراغب في المفردات : يقال باعتبار الغاية والزمان عام في الغاية والمبدأ ويميز به مجازاً عن سائر المدة : والآمد المنتهى من الاعمار .

(٢) يدا القوم بداء خرجوا إلى البادية .

(٣) النوبة بالضم بلاد واسعة السودان بجنوب الصعيد منها بلال الحبشي .

الطبقة الثانية

وهم العرب المستعربة من بنى حيدر بن سبأ وذكر أنسابهم وما كان لهم من الملك والدولة باليمن في التباينة وأعقابهم وإنما سمي أهل هذه الطبقة بهذا الاسم لأن السمات والشعار العربية لما انتقلت إليهم ممن قبلهم اعتبرت فيها الصيرورة بمعنى أنهم صاروا إلى حال لم يكن عليها أهل نسبهم وهي اللغة العربية التي تكلموا بها فهو من استفعل بمعنى الصيرورة من قولهم : استنوق الجمل واستحجر الطين . وأهل الطبقة الأولى لما كانوا أقدم الأمم فيما يعلم جيلا كانت اللغة العربية لهم بالأصالة وقيل العاربة ، ثم ذكر :

الطبقة الثالثة

وهم العرب التابعة للعرب من قضاة وخطان وعدنان وشعبيها العظيمين ربيعة ومضر وبدأ بقضاة وأنسابهم وما كان لهم من الملك البدوي في آل النعمان بالحيرة والعراق ومن زاحهم فيها من ملوك كنفدة بن حجر آكل المرار^(١) ، ثم ما كان لهم أيضاً من الملك البدوي بالشام في بنى جفنة بالبقاء والأوس والخزرج بالمدينة النبوية ، ثم عدنان وأنسابهم وما كان لهم من الملك بمكة في قريش ، ثم ما شرفهم الله تعالى به وجيل الآدميين أجمع من النبوة وذكر الهجرة والسيرة النبوية وغير ذلك ، ووجه تسمية هذا الجيل بذلك الاسم ظاهر ، ثم ذكر :

الطبقة الرابعة

وهم العرب المستعجمة ومن له ملك بدوي بالغرب والشرق ، وسموا بذلك لاستعجم لغتهم على اللسان المضرى الذي نزل به القرآن وهو لسان سلفهم وقد أطلب رحمه الله تعالى الكلام في ذكر هذه الطبقات الأربع حيث كانت موضوع

(١) المرار بالضم شجر مر من أفضل العنكب واضخمه اذا أكلتها الإبل قلصت مشافرها فبذت أسنانها ولذلك قيل لجعد امرئ القيس آكل المرار لكسر كان به والناس يقرؤنه بالكسر وهو غلط فننه .

كتاباه ومدار بحثه وهذا الكتاب مما تداوله الأيدي فلا حاجة في إتمام البنان
بنقل ما ذكره .

تعريف من يطلق عليه لفظ العرب

إن لفظ العرب في الأصل اسم لقوم جموا عدة أو صاف : أحدها أن لسانهم
كان اللغة العربية . الثاني أنهم كانوا من أولاد العرب . الثالث أن مساكنهم
كانت أرض العرب وهي جزيرة العرب التي هي من بحر القلزم إلى بحر البصرة
ومن أقصى حجر البين إلى أوائل الشام بحيث كانت تدخل البين في دارهم
ولا تدخل فيها الشام ، وفي هذه الأرض كانت العرب حين المبعث وقبله فلما جاء
الإسلام وفتحت الأمصار سكنوا سائر البلاد ومن أقصى الشرق إلى أقصى
المغرب وإلى سواحل الشام وأرمينية وهذه كانت مساكن فارس والروم والبربر
 وغيرهم ، ثم انقسمت هذه البلاد قسمين منها ما غلب على أهله لسان العرب حتى
لا تعرف عامتهم غيره أو يعرفونه وغيره مع ما دخل في لسان العرب من اللحن
وهذه غالب مساكن الشام وعراق ومصر والأندلس ونحو ذلك وأرض فارس
وخراسان كانت هكذا قديماً ومنها ما المعجمة كثيرة فيهم وغالبة عليهم كبلاد
الترك وخراسان وإرمينية وأذربيجان ونحو ذلك فهذه البقاع انقسمت إلى ما هو
عربي ابتداءً ، وإلى ما هو عربي انتقالاً وإلى ما هو عجمي ، وكذلك الأنساب ثلاثة
أقسام : قوم من نسل العرب وهم باقون على العربية لساناً وداراً أو لساناً لا داراً
أو داراً لا لساناً ، وقوم من نسل العرب بل من نسل بني هاشم ثم صارت العربية
لسانهم ودارهم أو أحدهما ، وقوم مجهولو الأصل لا يدرون أمن نسل العرب هم
أم من نسل المعجم وهم أكثر الناس اليوم سواء كانوا عرب الدار واللسان
أو في أحدهما ، وكذلك انقسموا في اللسان ثلاثة أقسام : قوم يتكلمون بالعربية لفظاً
ونعمةً وقوم يتكلمون لفظاً لا نعمةً وهم المتعربون الذين لم يتعلموا اللغة ابتداءً

من العرب وإنما اعتادوا غيرها ثم تعلموها كغالب أهل العلم ممن تعلم العربية وقوم لا يتكلمون بها إلا قليلا وهذان القسمان منهم من تغلب عليه العربية ومنهم من تغلب عليه المجمة ومنهم من قد يتكافأ في حقه الأمران إما قدرة وإما عادة .

الفرو بين العرب والأعراب في المعنى

ذهب بعض أهل اللغة إلى الترادف بين اللفظين وأنها بمعنى واحد ، قال الجوهري في كتاب الصحاح : العرب جيل من الناس وهم أهل الأمصار والنسبة إلى العرب عربى وإلى الأعراب أعرابى والذى عليه العرف العام إطلاق لفظ العرب على الجميع ومثل ذلك فى القاموس وغيره من كتب اللغة المعتبرة ، وذكر أبو العباس أحمد بن عبد الله الشهير بابن أبي غدة فى كتابه نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب : أن العرب هم أهل الأمصار والأعراب سكان البادية وفى العرف يطلق لفظ العرب على الجميع وقال شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية فى كتاب (الاقتضاء) : إن لفظ الأعراب هو فى الأصل اسم لبادية العرب فإن كل أمة لها حاضرة وبادية فبادية العرب الأعراب ، وقد يقال : إن بادية الروم الأرمن ونحوهم ، وبادية الفرس الأكراد ونحوهم ، وبادية الترك التتر ونحوهم ، قال : وهذا والله أعلم هو الأصل وإن كان قد يقع فيه زيادة وتقصان ، وقال أهل التفسير : الأعراب صيغة جمع وليست بجمع للعرب على ما روى عن سيبويه لثلاث يازم كون الجمع أخص من الواحد فإن العرب هذا الجيل المعروف مطلقا والأعراب سكان البادية منهم ولذا نسب إلى الأعراب على لفظه قليل أعرابى وقال فريق منهم : العرب سكان المدن والقرى والأعراب سكان البادية من هذا الجيل أو موالهم فملى هذا القول ما متباينان ويفرق بين الجمع والواحد بإلياء فيهما ، فيقال للواحد عربى وأعرابى والجماعة عرب وأعراب وكذا أغارب وذلك كما يقال للواحد

مجومى ويهودى ثم تحذف الياء فى الجمع فيقال المجوس واليهود واستعمالُ البلغاء يوافق قولَ المفسرين فى الكتاب الكريم عند بيان أحوال منافقِ العربِ إثر بيان منافقِ أهل المدينة من سورة التوبة (وجاء المُنذَرُونَ^(١) من الأعراب ليؤذَنَ لهم) وفى آية أخرى (ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق^(٢)) لاتعلمهم ، نحن نعلمهم ، سنمضيهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم) وفى أخرى (الأعراب أشد كُفْراً ونفاقاً وأجدر أن لا يملأوا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم ، ومن الأعراب من يتخذ ما يفتق مغرمًا ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم ، ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما يفتق قريبات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله فى رحمته إن الله غفور رحيم) .

والمؤرخون على القول بأن الأعراب قسم من العرب ، فى كتاب «العرب» عند القول فى أجيال العرب وأوليتها واختلاف طبقاتهم : اعلم أن العرب منهم الأمة الراحلة الناجمة أهل الخيام لسكنائهم والخيل لركوبهم والأنعام لكسبهم يقومون عليها ويقتاتون من ألبانها ويتخذون الدفء^(٣) والأثاث^(٤) مع أوبارها وأشمارها

(١) المندرون بتشديد الدال المكسورة : المعتدرون الذين لهم عذر وبه قرأ سائر قراء الأمصار ومعنى المعتدرون الذين يعتزلون كان لهم عذر أو لم يكن وهو هنا شبيهه بأن يكون لهم عذر ، وقال أبو الهيثم فى تفسير هذه الآية : معناه المعتدرون يقال عذر يعذر عذاراً فى معنى اعتذر ويجوز عذر الرجل يعذر فهو معذور واللفظة الأولى أجودهما قال ومثله هدى يهدى إذا اعتدى ، قال الله عز وجل : آمن لا يهدى إلا أن يهدى ، قال الأزهري : وقد يكون المعذر بالتشديد غير محقق وهم الذين يعتدرون بلا عذر فالمعنى المقصرون بغير عذر فهو على جهة المفعول لأنه الممرض والمقصر يعتذر بغير عذر ، وقراها ابن عباس (رض) بالتخفيف من اعذر وكان يقول : والله لهكذا أنزلت . وكان يقول : لمن الله المعذرين بالتشديد كان المعذر عنده إنما هو غير المحقق وبالتخفيف من له عذر (٢) مردوا على النفاق ، قال الفراء : يريد مرتوا عليه كقولك تمردوا . وقال ابن الأعرابى المرد التطاول بالكبر والمعاصى . وفى المفردات للراغب : هو من قولهم شجرة مرداء أى لا ورق عليها ، أى أنهم خلوا من الخير ، وليس يشىء .

(٣) الدفء : ما استلقى به من الأكسية والاختبية وغير ذلك .

(٤) الأثاث : متاع البيت واحداً أثاثه .

ويعملون أنقاهم على ظهورها يتنازلون حللا متفرقة ويتننون الرزق في غالب أحوالهم من القنص ويتقانون دائماً في الجبال فراراً من حمارة القيظ^(١) تارة وصبارة البرد أخرى وانتجاعاً^(٢) لرأى غنمهم ، وارتباداً^(٣) لمصالح إبائهم الكفيلة بمماشيتهم وحمل أنقاهم ودقهم ومنافعهم فاخصوا لذلك بسكنى الإقليم الثالث ما بين البحر المحيط من الغرب إلى أقصى اليمن وحدود الهند من المشرق فعمروا اليمن والحجاز ونجداً وتهامة وما وراء ذلك مما دخلوا إليه في المائة الخامسة كما ذكره من مصر وسجاري بركة وتلونها وقُسطنطينية وإفريقية وزانا والمغرب الأقصى والسوس لاختصاص هذه البلاد بالمال والنفار المحيطة بالأرياف^(٤) والتلول والأرياف الآهلة بمن سوام من الأمم في فصل الربيع وزخرف الأرض لرعى السكالا^(٥) والشب في منابها والتثقل في نواحيها إلى فصل الصيف لمدة الأقوات في سنتهم من حيوها ، وربما يلحق أهل العمران أثناء ذلك معرات من أضرارهم بإفساد السابلة^(٦) ورعى الزرع غرضاً وانتهابه قائماً وحصيداً إلا ما حاطته الدولة وذاذت عنه الحامية في الملك التي للسلطين عليهم فيها ، ثم ينحدرون في فصل الخريف إلى القفار لرعى شجرها وتناج إبائهم في رملها وما أحاط به علمهم من مصالحها وفراراً بأنفسهم وظمائهم من أذى البرد إلى دفء ماشيتها فلا يزالون في كل عام مترددين بين الريف والصحراء ما بين الإقليم الثالث والرابع ساعدين ومنحدرين على ممر الأيام شمارهم لبس المحيط في التالب وليس الماشم تيجاناً على ردوسهم يرسلون من أطرافها عذبت يتلم قوم منهم بفضائها وهم عرب المشرق

(١) حمارة التقيظ شدة وصبارة البرد حدة أيضاً .

(٢) انتجاعاً : طلباً للكلأ في موضعه .

(٣) ارتباداً أي طلباً .

(٤) الأرياف : جمع ريف بالكسر أرض فيها زرع وخصب .

(٥) أكلأ مهموز : العشب رطباً كان أو يابساً والجمع الكلا مثل سبب واسباب وموضع كالأء ومكلىء فيه الكلاء .

(٦) السابلة من الطرق المسلوكة والقوم المختلفة واسبلت الطريق كثرت سابلتها .

وقوم يلقون منها الليث^(١) والأخدع^(٢) قبل لبسها ثم يتلثمون بما تحت أذقانهم من فضائها وهم عرب المغرب . . حاكروا بها عمائم زناتة^(٣) من أمم البربر قبلهم وكذلك لقنوا منهم في عمل السلاح اعتقال الرماح الخطية^(٤) وهجروا تنكب القسي^(٥) وكان المبروف لأولهم ومن بالمشرق لهذا المهد منهم استعمال الأعرين . انتهى المقصود من نقله وهذا هو المشهور ، وعليه من أهل اللغة الجمهور .

معنى الجاهلية وما تطلق عليه

الجاهلية الزمان الذي كثر فيه الجهال وهي ما قبل الإسلام وقيل : أيام الفترة وهي الزمن بين الرسولين ، وقد تطلق على زمن الكفر مطلقاً وعلى ما قبل الفتح وعلى ما كان بين مولد النبي والمبعث « وعن ابن خالويه » أن هذا اللفظ اسم حدث في الإسلام للزمن الذي كان قبل البعثة « قال المسقلاني » في شرحه على البخاري : وهذا هو النال ومنه (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) ثم قال : وأما جزم النووي في عدة مواضع في شرح مسلم أن هذا هو الراد حيث أتى . ففيه نظر فإن هذا اللفظ وهو الجاهلية يطلق على ما مضى والراد ما قبل إسلامه وضابط آخره فتح مكة انتهى . وتفصيل الكلام أن لفظ الجاهلية قد يكون اسماً للحال وهو النال في الكتاب والسنة وقد يكون اسماً للذي الحال فن الأول قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لأبي ذرّ « إنك امرؤ فيك جاهلية » وقول عمر رضي الله تعالى عنه : إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة ، وقول عائشة رضي الله تعالى عنها : كان النكاح في الجاهلية على أربعة أنحاء . وقولهم : يارسول الله كننا

(١) الليث بالكسر : صفيحة العنق (٢) الأخدع عرق في المحجمتين وهو شعبة من الأوريد (٣) زناتة بالكسر : قبيلة بالمغرب منها الزناتى المنجم (٤) الرماح الخطية : منسوبة الى خط اسم أرض ، قال الأصمعي : لا أعلم الام نسبة الخط وهي جزيرة بالبحرين إليها تنسب الرماح الا ان يقال ان سفن الرماح تراف الى هذا الموضع فتقيل الرماح خطية (٥) تنكب القسي بكسر القاف : جمع قوس وهو يذكر ويؤنث ، وتنكبها القفاها على منكبيه .

في جاهلية وشر ، أى في حال جاهلية أو طريقة جاهلية أو عادة جاهلية ونحو ذلك فإن الجاهلية وإن كانت في الأصل سفة ولكن غاب عليه الاستعمال حتى صار اسماً ومعناه قريب من معنى المصدر . وأما الثانى فتقول : طائفة جاهلية وشاعر جاهلى وذلك نسبة إلى الجهل الذى هو عدم العلم أو عدم اتباع العلم ، فأما من لم يعلم الحق فهو جاهل جهلاً بسيطاً فإن اعتقد خلافه فهو جاهل جهلاً مركباً فإن قال خلاف الحق عالماً بالحق أو غير عالم فهو جاهل أيضاً كما قال تعالى (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً) وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : « إذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل » . ومن هذا قول عمرو بن كلثوم في قصيدته :

ألا لا يجهلنَّ أحدٌ علينا فنجهلَ فوقَ جهلِ الجاهلينا

أى لا يسفه أحد علينا فنسفه عليهم فوق سفهم أى نجارهم بسفهم جزاء رُبِّو عليه ، استعمال هذا اللفظ بهذا المعنى كثير وكذلك من عمل بخلاف الحق فهو جاهل وإن علم أنه مخالف للحق ، كما قال سبحانه (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب) قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم : كل من عمل سوءاً فهو جاهل وإن علم أنه مخالف للحق ، وسبب ذلك أن العلم الحقيقى الراسخ فى القلب يمتنع أن يصدر منه ما يخالفه من قول أو فعل فتنى صدر خلافه فلا بد من غفلة القلب عنه أو ضعفه فى القلب بمقاومة ما يمارضه وتلك أحوال تناقض حقيقة العلم فتصير جهلاً بهذا الاعتبار ومن هنا تعرف دخول الأعمال فى معنى الإيمان حقيقة لا مجازاً وإن لم يكن كل من ترك شيئاً من الأعمال كافراً ولا خارجاً عن أصل معنى الإيمان وكذلك اسم العقل ونحو ذلك من الأسماء ولهذا يسمى الله تعالى أصحاب هذه الأحوال موتى ومُتَمِّياً ومُتَمِّكاً ومُتَمِّين ومُتَمِّينين وأولى الألباب وجاهلين وَيَصِفُهُمْ بأنهم لا يعقلون ولا يسمعون وَيَصِفُ الْمُؤْمِنِينَ بأولى الألباب وأولى النهى وأنهم مهتدون وأن لهم نوراً وأنهم يسمعون ويعقلون . فإذا تبين ذلك فالتاس قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فى حال جاهلية جهلاً منسوباً إلى الجاهل

فإن ما كانوا عليه من الأقوال والأعمال إنما أحدثه لهم جاهل وإنما يفعله جاهل . وكذلك كل ما يخالف ما جاءت به الرسائل من يهودية أو نصرانية فهي جاهلية وتلك كانت الجاهلية العامة فأما بعد مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم فالجاهلية المطلقة قد تكون في مصر دون مصر كما هي في دار غير الإسلام وقد تكون في شخص دون شخص كالرجل قبل أن يسلم فإنه في جاهلية وإن كان في دار الإسلام فأما في زمان مطلقاً فلا جاهلية بعد مبعث محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فإنه لا تزال من أمته طائفة ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة والجاهلية القليلة قد تقوم في بعض ديار المسلمين وفي كثير من الأشخاص المسلمين كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم : أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر بالأحساب والطمع في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة . وقال لأبي ذرٍّ لما عير رجلاً بأمة « انك امرؤ فيك جاهلية » فهذه كلها جاهلية وإن كان لفظ الجاهلية لا يقال غالباً إلا على حال العرب التي كانوا عليها قبل الإسلام ، لما كانوا عليه من مزيد الجهل في كثير من الأعمال والأحكام ، روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال : إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرا ما فوق الثلاثين ومائة في سورة الأنعام « قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم وحرّموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلّوا وما كانوا مهتدين » وقد اختلف المفسرون في المراد من الجاهلية الأولى في قوله تعالى « وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجاهلية الأولى » فقيل : كانت في الزمن الذي ولد فيه إبراهيم عليه السلام فقد كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشي في وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال . وقال الحكم بن عتيبة^(١) : كانت بين آدم ونوح وهي ثمانمائة سنة وحكيت لهم سيرة ذميمة . وقال ابن عباس : ما بين نوح وإدريس . وقال الكلبي : ما بين نوح وإبراهيم قيل إن المرأة كانت تلبس الدرع من اللؤلؤ غير محيط الجانبين

(١) كذا في الاصل ولعله عتيبة وهو الامام الحكم بن عتيبة الكندي .

وتلبس الثياب الرقاق ولا توارى بدنهما وقالت فرقة : ما بين موسى وعيسى . وقال الثعلبي : ما بين عيسى ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم . وقال أبو المألية هي زمان داود وسليان عليهما السلام كان المرأة تقيص من الدر غير غيظ الجانيين . وكان النساء يُظهِرن ما يبيع إظهاره حتى كانت المرأة تجلس مع زوجها وخلقها فينفرد خلقها بما فوق الإزار وينفرد زوجها بما دون الإزار إلى أسفل وربما سأل أحدهما صاحبه البذل . وقال مجاهد : كانت النساء يمشين بين الرجال فذلك التبرج . قال ابن عطية : والذي يظهر عندي أنه تعالى أشار للجاهلية التي أدركنها فأمرن بالنقلة عن سيرتهن فيها وهي ما كان قبل الشرع من سيرة الكفار لأنهم كانوا لا غيرة عندهم فكان أمر النساء دون حجة وجعلها أولى بالنسبة إلى ما كنَّ عليه . وليس المعنى أن تمَّ جاهلية أخرى وقد أوقع لفظ الجاهلية على تلك المدة التي قبل الإسلام كما لا يخفى .

بيانه فضل جنس العرب وما امتازوا به

اعلم أن كمال كل نوع إنما هو بحصول صفاته الخاصة به ومدود آثاره المقصودة منه وبحسب زيادة ذلك ونقصانه يفضل بعض أفرادها بعضاً ، إلى أن يُعدَّ أحدهما سماء والآخر أرضاً ، والإنسان مشارك لسائر الأجسام في الحصول في الحيز . والفضاء ، وللنباتات في الاغتذاء والنشو والنماء ، وللحيوانات العجم في حيويته بأنفاسه ، وحركته بإرادته وإحساسه ، وإنما يتميز بما أعطى من القوة النطقية ، وما يتبعها من العقل والعلوم الضرورية ، والأعمال الصالحة الرضية ، وأهليته للنظر والاستدلال ، وترقيته بذلك في مدارج الكمال ، وعلمه بما أمكن واستحاله ، فإذا كماله إنما هو بتقوى العقول ، واكتساب المجهولات ، وبالأخلاق الحسنة النابعة للأعمال الصالحات ، فالإنسان فضل على سائر الحيوانات كلها في نفسه وجسمه ، « أما فضله في نفسه » فبالقوة المفكرة التي بها العقل والملم والحكمة

والتيدير والرأى فإن البهائم وإن كان كلها يحس وبعضها يتخيل فليس لها فكرة ولا روية ولا استنباط المجهول بالمعلوم ولا تعرف علل الأشياء ولا أسبابها وليست في قوتها تعلم الصناعات الفكرية وإنما يتعلم بعضها بعض الصناعات المتخيلة فأقواها في ذلك الفيل والقرود ، « وأما فضله في جسمه » فيأيد العاملة واللسان الناطق وانتصاب القامة الدال على استيلائه على كل ما أوجد في هذا العالم ، وقد نبه الله تعالى على ذلك بقوله « لقد خالقنا الإنسان في أحسن تقويم » وقوله « وصوركم فأحسن صوركم » ولم يمتن الصورة التخطيطية فقط بل عناها والصورة المعقولة ولتشریفه تعالى إياه بذلك قال « ولقد كرمتا بى آدم وحملنا فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » ومن زعم أن الإنسان خَلَقَ خلقاً ناقصة عن الوحشيات من حيث إنه لم يكف اللبس كما كفيته ولم ينفذ سلاحاً في ذاته كما أعطى كثير منها فظفره ناقص ، إذ قد أعطى الإنسان بدل ذلك التمييز الذى يمكنه أن يتخذ به كل مابس وكل سلاح حسب ما يريد فيتناوله متى أراد ويضعه متى أحب ثم لو أعطى الإنسان بعض الأسلحة التى أعطيته لم يمكنه أن يستعمل غيره كالوحشيات وأيضاً فلو أعطى ذلك لكان من الحق أن لا يعطى التمييز لأنه حينئذ كان يستغنى عنه فتبطل فائدته وفعل الله تعالى منزه عن ذلك ، إن قيل كيف قال تعالى « خلق الإنسان ضيقاً » فاستضعفه قيل ضمعه بالإضافة إلى الملأ الأعلى لما فيه من الحاجات البدنية التى كفيها ، فإذا كان مناط الضمنية ما ذكرناه ففضل جنس العرب على غيرهم بسبب ما اختصوا به في عقولهم وألسنتهم وأخلاقهم وأعمالهم ؛ وذلك أن الفضل إما بالعلم النافع وإما بالعمل الصالح والعلم له مبدأ وهو قوة العقل الذى هو الحفظ والفهم وتمام وهو قوة المنطق الذى هو البيان والعبارة والعرب هم أفهم من غيرهم وأحفظ وأقدر على البيان .

(أما كلهم في الفهم) فلائهم كانوا لا يبارون قوة ذكاء وإصابة حدس وحدة ألمعية وصدق فراسة يجربون عن النائب بقوة ذكائهم كأن قد شاهدوه ،

ويصف لهم الحارس الصائب حال الورد قبل أن يردوه ، ويثبتون أبعد شيء
بجدة ألميتهم كأن ليس ببعيد . وينظم لهم المجهول صدق فراستهم في سلك المروف
منذ زمان مديد ، وقد كان منهم في الأزمنة المتأخرة من هو دون السابقين بمراتب
كثيرة ومع ذلك يتفطنون للرمة والدقيقة ويتنبهون من اللحظة الخفية والإشارة
اللطيفة كما يحكي أن سليمان بن عبد الملك آتى بأسارى وكان الفرزدق حاضراً فأمره
سليمان بضرب واحد منهم فاستعفى فاعفى وقد أشير إلى سيف غير صالح للضرب
ليستعمله فقال الفرزدق : بل أضرب بسيف أبي رَغْوَان^(١) سيف مجاشع يعنى
نفسه وكأنه قال : لا يستعمل ذلك السيف إلا ظالم أو ابن ظالم ، ثم ضرب بسيفه
الأسير وافق أن نبا السيف فضحك سليمان من حوله .

فقال الفرزدق :

أيمحب الناس أن أضحكك سيدهم خليفة الله يُسْتَسْقَى به الطر
لم ينب^(٢) سبني من رعب ولا دَهَش عن الأسير ولكن أخر القدر
ولن يقدم نفساً قبل ميتها جمع اليدين ولا الصمصامة^(٣) الذكر
ثم أحمده سيفه وهو يقول :

ما إن يما ب سيدٍ إذا صبا^(٤) ولا يما ب . صارمٌ إذا نبا
ولا يما ب شاعر إذا كبا^(٥)

ثم جلس يقول : كأتى بآبن المرافة قد هجانى فقال :

بسيف أبي رَغْوَان سيف مجاشع ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

(١) رَغْوَان لقب مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد
مناة بن تميم ، لقب به لفصاحته ولجهارته صوته ، ويقال وقالت امرأة سمعته :
ما هذا الأبرغو ، فلقب رَغْوَان (٢) لم ينب: أى لم يكل عن الضربة ، قال الشاعر
أنا السيف إلا أن للسيف نبوة ومثلى لا تنبو عليك مضاربته
(٣) الصمصامة: السيف لا ينثنى كالصمصام والذكر أبيض الحديد وأجوده
وأشده كالذكر كأمير وهو خلاف الأنثى وبذلك يسمى السيف مذكراً (٤) صبا
إلى المرأة صبوة وصبوا حن ، وأصبته وتصبته شاقته ودعته إلى
الصبا فحن إليها (٥) كبا : اتكب على وجهه

وقام وانصرف وحضر جرير فغير الخبر ولم ينشد الشعر

فأنشأ يقول :

بسیف أبی رَقَوَانٍ سیفٍ مُجَاشِعٍ ضربتَ ولم تضرب بسیف ابن ظالم
فأعجب سليمان ما شاهد ثم قال : يا أمير المؤمنين كآبى بن القين قد أجابني فقال :
ولا تقتل الأسرى ولكن نفكهم إذا أثقل الأعناق حلُّ الماردم
ثم أخبر الفرزدق بالمجودون ما عدها فقال عجيباً :

كذلك سيف الهند تنبو طبائها^(١) وتقطع أحياناً مناط التائم
ولا تقتل الأسرى ولكن نفكهم إذا أثقل الأعناق حلُّ الماردم
وهل ضربة الروى جاعلة لكم أبا عن كليب أو أختاً مثل دادم
وما يحكى أن ذا الرثمة استرفد^(٢) جريراً في قصيدته التي مستهلها :
نبت هيناك عن طلل^(٣) بحزوى^(٤) عفته الريحُ وامتنع القطارا
عدة أبيات فقالها له وهي هذه :

يمد الناسبون إلى تميم ييوت المجد أربعة كبارا
يمدون الرباب^(٥) وآل بكر وعمرأ ثم حنظلة^(٦) الخيلار

(١) جمع غلبة وظلبة السيف حده (٢) الاسترفاد والمرافدة : اخذ الشعر هبة (٣) طلل محركة الشاخص من آثار الدار والجمع اطلال وربما طلول (٤) حزوى كقصوى اسم موضع قال ذو الرمة :

ادارا بحزوى هجت للعين عبرة فماء الهوى يرفض أو يتورق
وعفته الريح : درستته ومحتته ، وامتنع اخذ العطاء ، وامتنع مالا رزقه ،
والقطار المطر قال الهمخشري : ومن المجاز منحت الأرض القطار ثم انشد
البيت (٥) الرباب بالكسر خمس قبائل تجمعوا فصاروا يدا واحدة وهم
ضبة وثور وعكل وتيم وعدى ، وانما سموا بذلك لانهم غمسوا أيديهم في
رب وتحالفوا عليه ، وقيل سموا به لانهم تريبوا أي تجمعوا والنسبة اليهم
ربى بالضم لأن الواحد منهم ربة لأنك اذا نسبته الشيء الى الجمع رددته
الى الواحد الا أن تكون سميت به رجلا فلا ترده الى الواحد كما يقال في انمار
انمارى وفي كلاب كلابى (٦) حنظلة اكبر قبيلة من تميم يقال لهم حنظلة
الأكرمون وابوهم حنظلة بن مالك بن عمرو بن تميم ينسب اليه الغنبر
والهجميم والحرث الحبث ومالك وغيرهم ، وآل بكر بطن من ربعة من
العدنانية وفيهم العدد والشهرة .

ويذهب فيها الرّوى لثوّاً كما ألفت في الدية الحوار^(١)

فضمناها القصيدة وهي اثنان وخمسون قافية . ثم مر به الفرزدق فاستنشده
إياها فأخذ ينشدها والفرزدق يستمع لا يزيد على الاستماع حتى بلغ هذه الأبيات
الثلاثة استعادها منه الفرزدق مرتين ثم قال : والله لقد علكهن من هو أشد منك
لحين . وما يحكى أن عمر بن لُأ^(٢) أنشد جريراً شعراً فقال : ما هذا شعرك هذا
شعر حنظلي . ولا تسأل عن فطائهم المنتهية على الرزمة الطليفة ، وحدة نظرم
الداركة للحة الضعيفة ، كما يترجم عن ذلك الروايات عنهم المشهورة ، يروى أن
فزاريّاً ونميرياً تسايّاً قال الفزاري للنميري : غصّ لجام فرسك . فقال : إنها
مكتوبة . وإنما أراد الفزاري ما قيل في بني نمير :

(١) الحوار بالضم وقد يكسر : ولد الناقة سامة تضعه أو الى أن يفصل
عن أمه والمرى المنسوب الى بنى مرة ، والدية بالكسر حق القنيل والهاموض
من الواو (٢) عمر بن لُأ قال المجد لُأ جد عمر بن الأشعث لا والده ووههم
الجوهري ، قال الزبيدي : وهذا الذي ذكره الجوهري هو الذي اطبق عليه
أئمة الانساب . واللغة ، قال البلاذري في معاجم الاشراف مائنه : وولد
ذهل بن تيم بن عبد مناة بن اد بن طابخة سعد بن ذهل فولد سعد ثعلبة
ابن سعد وجشم بن سعد وبكر بن سعد فولد ثعلبة امرا القيس بن ثعلبة
فولد امرؤ القيس جلهم ، منهم عمر بن لُأ بن حدير بن مصاد بن ذهل بن
تيم بن عبد مناة بن اد الناصر ، وكان يهاجى جرير بن عطية بن الخطفي
وكان سبب تهاجيهما أن ابن لُأ أنشد جريراً باليمانية :

تجر بالاهون في ادنائها جر العجوز جانبى خبايها

فقال له جرير : هلا قلت : جر العروس طرفى رداثها ، فقال بن لُأ فانت
الذي تقول :

لقومى احمى للحقيقة منكم واضرب للجبار والنقع ساطع
واوثق عند المردفات عشية لحاقا اذا ماجرد السيف مائع

ارابت اذا اخذن غدوة ولم تلحقهن الا عشية وقد تكهن فما غناؤهم فتحا
كما الى عبيد بن غاضرة العنبرى فقضى على جرير فهجاه بشعر مذكور في
الكتاب المذكور وكذا جواب ابن لُأ . ومات عمر بن لُأ بالاهاوز وبينهما
مفاخرات ومعارضات حسنة ليس هذا محل ذكرها . وقد عرفت من كلام
البلاذري ان لُأ والده لاجده وعلى التسليم فان مثل ذلك لا يعترض به لانه
كثيرا ما ينسب الرجل الى جده لكونه اشهر او افخر او غير ذلك من الاغراض ،
الا ترى الى قول النبي صلى الله عليه وسلم « انا النبي لا كذب انا ابن عبد
المطلب » وامثلة ذلك لاتحصى والله اعلم . وانظر الاغانى (ج ٧ ص ٤٢٠ و ٤٢١)

ففض الطرف^(١) إنك من نُمَيْرٍ فلا كُعباً بلغت ولا كلاباً
ولأمانى النُمَيْرِ ما قيل في بنى فزارة :

لا تأمن^(٢) فزارة حَلَوَتْ به على قَلوصِك واكتُبها بأسيار^(٣)

وأن واحداً من نمير هو شريك النُمَيْرِ لقي رجلاً من تميم فقال له التميمي
يمعيني من الجوارح البازي : قال شريك : وخاصة ما يصيد القطا أراد التميمي بقوله
البازي :

أنا البازي^(٤) المثل على نمير أتيح من السماء له انصباباً

(١) قال ابن رشيق : وممن وضعه ما قيل فيه من الشعر حتى اتكسر نسبه
وسقط من رتبته وعيب بفضيلته بنو نمير وكانوا جمرة من جمرات العرب
إذا سئل أحدهم ممن الرجل فخم لفظه ومد صوته وقال من بنى نمير إلى
أن صنع جرير قصيدته التي هجا بها عبيد بن حصين الراعي ففسر لها
وطالت ليلته إلى أن قال : ففض الطرف الخ فاطفاً سراجة ونام وقال : قد
والله أخربتهم آخر الدهر ، فلم يرفموا رأساً بعدها إلا تكس بهذا البيت حتى
أن مولى لباهلة كان يرد سوق البصرة ممتمراً فيصبح به بنو نمير باجوداب
باهلة فقص الخبر على مواليه وقد ضجر من ذلك فقالوا له إذا نبزوك فقل
أهم ففض الطرف الخ . . . ومم بهم بعد ذلك فنبروه وأراد البيت فنسيه فقال
شمس والأجاصك ما تكره فكفوا عنه ولم يعرضوا له بعدها .

ومرت امرأة ببعض مجالس بنى نمير فأرادوا النظر إليها فقالت : تحكم
الله يا بنى نمير ما قبلتم قول الله عز وجل (قل المؤمنين يفضوا من أبصارهم)
ولا قول الشاعر ففض الطرف الخ . .

وهذه القصيدة تسميها العرب الفاضحة وقيل سماها جرير الدامغة
تركته بنى نمير يشتحبون بالبصرة إلى عامر بن صعصعة ويتجاوزون إباهم
نميراً إلى أبيه هرباً من ذكر من نمير وفراراً مما وسم من الفضيحة والوسمة
(٢) البيت لابن دارة يعبر به بنى فزارة بغشيان الإبل والقُلوص من الإبل
الشابة أو الباقية على السير أو أول ما يركب من أناتها إلى أن تثنى ثم هي
ناقة والناقة الطويلة القوائم خاص بالباحث والجمع قلائص وقلص (٣) أكتبها
بأسيار : أي شد حياها أي أختتمه بأسيار جمع سير

(٤) البازي بالياء مخفَّف ضرب من الصقور وهو أفصح لفته ثم البازي بالياء
مشددة كما حكاه ابن سيده ويكنى بأبي الأشعث وأبى البهلول وأبى لاحق
وهو من أشد الحيوانات تبكراً وأضيقها خلقاً وفي عجائب المخلوقات
للقرطبي أنه لا يكون إلا أنثى وذكرها من نوع آخر من الحدأة والشواهين
ولهذا اختلفت أشكاله انتهى ويضرب به المثل في نهاية الشرف كما في قوله :

إذا ما اعتسز ذو علم بمال فعلم الفقه أولى باعتزاز

وكم طيب يفوح ولا كمسك ولا طير يطير ولا كبازي

وقوله المثل يقال أطل عليه إذا أشرف وأتيح له الشيء قدر أو هيء له
والانصباب الانحدار

وعنى شريك بذكر القطا قول الطرماح :

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ولوسلكت سُبُلَ المكارم ضلت

وأن معاوية قال للأحنف : ما الشيء الملفف في البجاد ؟ فقال : السخينة ،

وإنما أراد معاوية قول القائل :

إذا ما ملت ميت من تميم فسرك أن يعيش لحي ؛ زاد

بخبز أو بتمر أو بسمن أو الشيء الملفف في البجاد

تراه يطوف في الآفاق حرصاً ليأكل رأس لقمان بن عاد

وكان الأحنف من تميم وإنما أراد الأحنف بالسخينة وهي حساء يؤكل عند

غلاء السعر وكان قوم معاوية يقتصرون عليه ، رميهم بالبخل . وأن رجلاً من

بنى محارب دخل على عبد الله بن يزيد الحلالي فقال عبد الله ما ذا لقينا البارحة من

شيوخ محارب ما تركونا ننام وأراد قول الأخطل :

تكش^(١) بلا شيء شيوخ محارب وما خلطها كانت تريش ولا تبرى

ضفادع في ظلماء ليل مجاوبت فدل على صوته حياة البحر

فقال : أصلحك الله تعالى أضلوا البارحة برقماً فكانوا في طلبه أراد قول القائل :

لكل هلال من اللؤم برقع ولابن يزيد برقع وجلال

(١) يقال كش الضب والضفدع بكش كشيشا صوت وخال ظن وفلان لا يريش ولا يبرى أى لا يفر ولا ينفذ والضفدع حيوان نهري وفي الأمثال قالوا :

انق من ضفدع ، قال عبد القاهر : والثعبان يستدل بصياحه الضفدع عليه

فيأتى على صياحه فيأكله وأنشد في ذلك :

يجمل في الأسدق ماء ينصفه حتى ينق والتقيق يتلفه

ينصفه بضم الباء وليس المراد هنا العدل بل المراد حتى يبلغ نصف فكه

الأعلى ، وقوله والتقيق يتلفه أراد به الضفادع إذا صاحبت بتبعها الثعبان

فيجىء فيأكلها كما قال القائل : ضفادع في ظلماء البيت وحياة البحر الأفعى

التي تكون في البر وهي تعيش في البر والبحر ومحارب فيها ضعة وخمول ،

وعليه قول اسمعيل بن عمار الأسدي :

بكت دار بشر شجوها إذ تبدلت هلال بن مرزوق يبشر بن غالب

وهل هي إلا مثل عرس تبدلت على رغمها من هاشم في محارب

يقول ماهي في استبدالها الأكمروس زوجت في بني هاشم ثم انتقلت في

محارب حتى قال بعض الشعراء وهو يحلف فصرني ربي إذا من محارب

وأن رجلا وقف على الحسن بن أبي الحسين^(١) البصري رحمة الله عليه فقال
أعتمر أخرج أبادر . فقال : كذبوا عليك ما كان ذلك إن السائل أراد عثمان
أخرج أبادر . وأن الحسن بن وهب نهض ذات ليلة من مجلس ابن الزيات . فقال
سحير أى بت بخير فقال له ابن الزيات : بنيه ، أى بت به . وما ظنك بكياسة جيل
قد بلغت من الذكاء نساؤم إلى حد قدغن الكلام ما يحكى أنشدت واحدة
وكانت الخنساء^(٢) .

(١) كذا في الأصل وفي المفتاح : بن الحسن

(٢) أقول : أن المصنف نقل هذه القصة عن (مفتاح العلوم) للامام السكاكي
والصحيح أنها وقعت للنايفة الديباني مع حسان بن ثابت (رض) على ما نقل
كثير من أئمة الأدب . منهم أبو أبوعبد الله المرزباني في (الموشع) وابن أبي الأصبع
في باب (الإفراط في الصنعة) من كتاب (تحرير التحيز) وأبو الفرج
الأصبهاني في (الأغاني) والرضي في (الكافية) والشيخ عبد القادر البغدادي
في (خزانة الأدب) والامام سيويه في (الكتاب) وغيرهم . . . قال المرزباني في
(الموشع) : كتب إلى أحمد بن عبد العزيز أخبرنا عمر بن شبة حدثني أبو
بكر العليني حدثنا عبد الملك بن قريب قال : كان النايفة الديباني تضرب له
قبة حمراء من آدم بسوق (عكاظ) فتأبيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها ،
قال : فأول من أنشده حسان بن ثابت الأنصاري :

لنا الجففات الفر يلعمن في الضحى وأسيافنا يقطن من نجدة دما
ولدا بني المنقاء وابن محرق فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما
فقال له النايفة : أنت شاعر ولكنك أقللت جفناك وأسيافك وفخرت بمن
ولدت ولم تفخر بمن ولدك . . . وحدثني علي بن يحيى حدثنا أحمد بن
سعيد حدثنا الزبير بن بكار حدثني عمي مصعب بن عبد الله قال أنشد
حسان ، نايفة بنى ذبيان « قصيدته التي يقول فيها لنا الجففات الفر فقال له :
ما صنعت شيئا قللت أمركم قللت جفناك وأسياف . . . وأخبرني الصولي
قال حدثني محمد بن سعيد ومحمد بن العباس الرياشي عن الأصمعي عن أبي
عمرو بن الملاء قال : كان النايفة الديباني تضرب له قبة بسسوق عكاظ من
آدم فتأبيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها فاتاه الأعشى فكان أول من أنشده
ثم أنشده حسان بن ثابت قصيدته التي منها : لنا الجففات الفر وذكر
البيتين فقال له النايفة : أنت شاعر ولكنك أقللت جفناك وأسيافك وفخرت
بمن ولدت ولم تفتخر بمن ولدك . . . قال الصولي فانظر إلى هذا النقد الطويل
الذي يدل عليه نقاء كلام النايفة ودباجة شعره لأنه قال وأسيافنا ، وأسياف
جمع لأدنى العدد والكثير سيوف والجففات لأدنى العدد والكثير جفان وترك
الفخر بابائيه وفخر بمن ولد نساؤه ، قال : ويروى أن النايفة قال له أقللت
أسيافك ولمت أجفناك يريد قوله لنا الجففات الفر والفره لغة بياض في
الجفنة فكان النايفة عاب هذه الجفان وذهب إلى أنه لو قال لنا الجففات
البياض فجعلها بياضا كان أحسن فلمعمر أنه حسن في الجفان إلا أن الفر أجل =

لنا الجفائنُ التي يلعن بالضحى وأسيفنا يقطرن من نَجْدَةٍ دما
 قالت أى نفر يكون فى أن له ولمشيرة ولنى ينضوى إليهم من الجفان ما نهايتها
 فى المدد عشرة وكذا من السيوف ألا استعمل جمع الكثرة الجفان والسيوف . وأى
 نفر فى أن تكون جفنة وقت الضحوة - وهو وقت تناول الطعام - غراء لامة
 كجفان البائع أما يشبه أن قد جبل نفسه وعشيرته بأى عدة جففات ، ثم أنى يصلح
 للبالغة فى التمدح بالتمجاعة وأنه فى مقامها يقطرن أما كان يجب أن يتركها إلى يسائر
 أو يفرض أو ما شاكل ذلك . وقد اجتمع راوية جرير وراوية كثير وراوية جميل
 وراوية نصيب وأخذ يتمصب كل واحد لصاحبه ويجمع له فى البلاغة قصب الرهان
 فحكّموا واحدة وكانت سَكِينَةُ . قالت راوية جرير : أليس صاحبك القائل :

طرقك سائدة القلوب وليس ذا حين الزيارة فارجمى بسلام
 وأى ساعة أولى بالزيارة من الطروق^(١) قبح الله صاحبك وقبح شعره . ثم
 قالت راوية كثير : أليس صاحبك الذى يقول :

يقرّ بعينى ما يقرّ بعينها وأحسن شئ ما به العين قرّت
 وليس شئ أفرّ لعيونهن من النكاح أفيحبّ صاحبك أن ينكح قبح الله
 صاحبك وقبح شعره . ثم قالت راوية جميل : أليس صاحبك الذى يقول :

= لفظاً من البيض . . قال ابو عبد الله المازني ، وقال قوم ممن انكر هذا
 البيت فى قوله يلعن بالضحى ولم يقل بالضحى وفى قوله وأسيفنا يقطرن
 ولم يقل يجرين لأن الجرى أكثر من القطر وقد رد هذا القول واحتج فيه قوم
 لحسان بما لا وجه للذكره فى هذا الموضع فأما قوله فخرت بمن وأدت ولم
 تفخر بمن ولذلك فلا عذر عندى لحسان فيه على مذهب نقاد الشعر ، وقد
 احتسرس من مثل هذا الزلل رجل من كلب فقال يذكر ولادتهم لمصعب بن
 الزبير وغيره ممن ولده نسأؤهم :

وعبد العزيز قد ولدنا ومصعبا وكلب أب للصالحين ولود
 فانه لما فخر بمن ولده نسأؤهم فضل رجالهم وأخبر أنهم بلدون الغاضلين
 وجمع ذلك فى بيت واحد وأجاد ، انتهى والتفصيل فى خزائن الأدب ولب
 لباب لسان العرب للإمام عبد القادر البغدادي (٣ - ٤٣٠) .

(١) الزيارة ليلا قال الشاعر :
 ألا طرقننا مية ابنة منفر فما ارق النيام الا سلامها

فلو تركت عقلى معى ما طلبتها وإن طلابها لما فات من عقلى
فما أرى لصاحبك هوى إنما طلب عقله قبح الله صاحبك وقبح شعره . ثم قالت
لراوية نصيب : أليس صاحبك الذى يقول :

أهيم بدعغى ما حييتُ فإن أمت فيا ويح نفسى من يهيم بها بعدى
أما كان لصاحبك هم إلا هم من يهيم بها قبح الله صاحبك وقبح شعره ،
ألا قال :

أهيم بدعغى ما حييتُ فإن أمت فلا صلحتُ دعد لى خلة بعدى
بل قد وصل العرب فى الفطنة والذكاء وحسن الفهم إلى ما كاد أن يصل إلى
حد الإعجاز . وفى الأغاني لأبى فرج الأصبهاني بسنده إلى عبد الملك بن عمير .
قال قدم علينا عمرو بن هبيرة الكوفة فأرسل إلى عشرة أنا أحدهم من وجوه
الكوفة فسمروا عنده ، ثم قال : ليحدثنى كل رجل منكم أحدثه وأبدأ أنت
يا أبا عمرو ، فقلت : أصلى الله الأمير أحدث الحق أم حديث الباطل . قال :
بل حديث الحق . قلت : إن امرأ القيس آلى^(١) بأليّة أن لا يتزوج امرأة حتى
يسألها من ثمانية وأربعة وثنتين فجعل يخطبُ النساء فإذا سألهن عن هذا قان
أربعة عشر فبينما هو يسير فى جوف الليل إذا هو برجل يحمل ابنة له صغيرة
كأنها البدر ليلة تمامه فأعجبته ، فقال لها يا جارية : ما ثمانية وأربعة واثنان .
فقلت : أما ثمانية فأطباء الكلبة^(٢) وأما أربعة فأخلاق^(٣) الناقة ، وأما اثنان .
فتدبرا المرأة . فخطبها إلى أبيها فزوجه إياها ، وشرطت هى عليه أن تسأله ليلة بنائها
عن ثلاث خصال فجعل لها ذلك وعلى أن يسوق إليها مائة من الإبل وعشرة أعتيد
وعشر وصانف وثلاثة أفراس ففعل ذلك . ثم إنه بعث عبداً له إلى المرأة وأهدى

(١) آلى : أى أقسم ، وفى الأغاني انظر (ج ٨ ص ٧١ و ٧٢ من طبعة الساسي)
(٢) الأطباء : جمع طبيى للذات الخف والظلف كالذى للمرأة ويطلق قلباً
للذات الحافر والسباع (٣) الاخلاف : جمع خلف من ذوات الخف كالذى
للانسان وقيل الخلف طرف الضرع

إليها نحيماً^(١) من سمن ونحياً من عسل وحلة^(٢) من عصب^(٣) فنزل العبد ببعض المياه فنشر الحلة ولبسها فتماقت بشعره فانثقت وفتح النحيين فطمم أهل الماء منهما فنقصا ثم قدم على حى المرأة وهم خُلوفاً^(٤) فسألها عن أبيها وأُمها وأخيها ودفع إليها هديتها . وقالت له : اعلم أى أخبر مولاك أن أبى ذهب يقرب بعيداً ويبعد قريباً ، وأن أُمى ذهبت تشق النفس نفسين وأن أخى يراعى الشمس وأن سماءكم انثقت وإن وعاءيكم نصبا^(٥) فقدم الغلام على مولاة فأخبره . فقال أما قولها : إن أبى ذهب يقرب بعيداً ويبعد قريباً فإن أباهما ذهب يحالف قوماً على قومه . وأما قولها : ذهبت أى تشق النفس نفسين فإن أمها ذهبت تقبل امرأة^(٦) نساء . وأما قولها : إن أخى يراعى الشمس فإن أخاها فى سرح^(٧) له يرعاه فهو ينتظر وجوب الشمس^(٨) ليروح^(٩) به . وأما قولها : إن سماءكم انثقت فإن الشُّرد الذى يمُت به انثقت . وأما قولها : إن وعاءيكم نصبا ، فإن النحيين اللذين يمُت بهما نقصا ، فأصدقنى ، فقال : يا مولاي إني نزلت بماء من مياه العرب فسألونى عن نسي فأخبرتهم إني ابن عمك ونشرت الحلة فانثقت وفحصت النحيين فأطمعت منها أهل الماء فقال : أولى لك^(١٠) . ثم ساق مائة من الإبل وخرج

(١) النحى بالكسر الزق أو ما كان للسمن خاصة (٢) الحلة بالضم لا تكون الأنوبيين من جنس واحد (٣) العصب مثل فلس برد يصيغ غزله ثم ينسج ، ولا يثنى ولا يجمع وإنما يثنى ويجمع ما يضاف إليه فيقال بردا عصب وبرود عصب والاضافة للتخصيص ويجوز أن يجعل وصفا فيقال شريت ثوبا عسبا (٤) وهم خُلوفا بالضم وهم اللذين ذهبوا من الحى (٥) يقلل نصب المال ينضب وينضب نضوبا ذهب فى الأرض المراد هنا نقصا (٦) قبلت القابلة الولد تلفته عند خروجه قبالة بالكسر والجمع قوابل وامرأة قابلة وقبيل أيضا (٧) السرح المال السائم (٨) وجوب الشمس : أى غروبها (٩) أى ليرجع يقال راح يروح رواحا وتروح مثله يكون بمعنى الغدو وبمعنى الرجوع وقد طابق بينهما فى قوله تعالى : غدوها شهر ورواحها شهر أى ذهابها ورجوعها وقد يتوهم بعض الناس أن الرواح لا يكون إلا فى آخر النهار وليس كذلك بل الرواح والغدو عند العرب يستعملان فى المسير أى وقت كان من ليل أو نهار ، قاله الأزهري وغيره (١٠) أولى لك تهديد ووعيد ، قال الأصمعى : أى قاربه ما يهلكه أى نزل به ، ومنه قوله تعالى أولى لك فأولى ، معناه التوعد والتهديد أى الشر أقرب إليك .

نحوها ومعه النلام فنزلا منزلا فخرج النلام يسقى الإبل فحجز فأعانه امرؤ القيس فرى به النلام في البئر . وخرج حتى أتى المرأة بالإبل وأخبرهم أنه زوجها قليل لها : قد جاء زوجك فقالت : والله ما أدري أزوجي هو أم لا ولكن انحروا له جزورا^(١) وأطعموه من كرشها وذنبها . ففعلوا فقالت : اسقوه لبناً حازراً . وهو الحامض فسقوه فشرب ، فقالت : افرشوا له عند الفرت^(٢) والدم . ففرشوا له فنام فلما أصبحت أرسلت إليه إني أريد أن أسألك ، قال : سئلي عما شئت . فقالت : مم^(٣) تختلج^(٤) شفتاك ؟ قال : لتقبلي إياك . قالت : فم يختلج كشحاك^(٥) ؟ قال : لا تترى إياك . قالت : فم يختلج نغذاك ؟ قال : لتوركي إياك . قالت عليكم العبد فشدوا أيديكم به . ففعلوا . قال : ومم^(٦) قوم فاستخرجوه امرؤ القيس من البئر فرجع إلى حيه فاستاق مائة من الإبل وأقبل إلى امرأته . قليل لها : قد جاء زوجك . فقالت : والله ما أدري أهو زوجي أم لا ولكن انحروا له جزوراً فأطعموه من كرشها وذنبها ففعلوا . فلما أتوه بذلك قال : وأين الكبد والسنام واللحاء^(٧) . فأبى أن يأكل . فقالت : اسقوه لبناً حازراً . فأبى أن يشربه وقال فأين الصريف^(٨) والرثية^(٩) . فقالت : افرشوا له عند الفرت والدم . فأبى أن ينام وقال : افرشوا لي فوق التلعة^(١٠) الجراء واضربوا عليها خباء . ثم أرسلت إليه : هلم شريطي عليك في المسائل الثلاث . فأرسل إليها أن سئلي عما شئت . فقالت : مم^(١١) تختلج شفتاك ؟ قال : لشربي المشعمات^(١٢) . قالت : فم^(١٣) يختلج كشحاك ؟ قال للبي الحبرات^(١٤)

(١) الجزور من الإبل خاصة يقع على الذكر والأنثى والجمع جزر مثل رسول ورسول ويجمع أيضا على جزرات ثم على جزائر ولفظ الجزور أنثى يقال رعت الجزور قاله ابن الأنباري وزاد الصافاني وقيل الجزور الناقة التي تنحر وجزرت الجزور وغيرها من باب قتل ونحرها
(٢) الفرت : السرجين (٣) تختلج : تضرب وتتحرك (٤) الكشح ما بين الخصرة إلى الضلع الخلف (٥) اللحاء : لحم في الصلب من الكاهل إلى المعز (٦) الصريف : اللبن ساعة . جلب (٧) الرثية : اللبن الحامض يطبع عليه فيخثر (٨) التلعة : ما ارتفع من الأرض وما انهبط منها ضد والمراد هنا الأول (٩) المشعمشع : الشراب المزوج ، قال عمر بن كلثوم
(١٠) مشعمشة كان الحصن فيها إذا ما الماء خالطها سخينا

(١١) الحبرات جمع حبرة وزان عنية نوب بمالي من قطن أو كنان مخطط ، يقال برد حبرة على الوصف وبرد حبرة قال الأزهرى ليس حبرة

قالت . فم يخلج فخذاك ؟ قال . لكفى الطهات^(١) . قالت . هذا زوجي
لمرى فياكم به واقتلوا العبد . فقتلوه ودخل امرؤ القيس بالجارية . فقال ابن
هيرة : حسبكم فلا خير في الحديث في سائر الليلة بعد حديثك يا أبا عمرو ولن
تأتينا بأعجب منه . قمنا وانصرفنا وأمرلى بجارّة . وقال البرد في كتابه الموسوم
(بالروضة) . كانت العرب تستدل بالاحظة واللفظة ، فمن ذلك ما روى أن جيلا
قال لكثير : لو صرت إلى بثية فأخذت لي عنها موعداً . فقال : إن غاشية عنها
كثير . فقال : إن الحيلة تأتي من وراء ذلك . فاطرق كثير إطراقة . ثم قال : متى
كان آخر عهدك بها ؟ قال : يوم كذا . قال : في أي موضع ؟ قال : في وادي قال
له « وادي الوم » فأصاب ثوبها شيء ففسلته قال : فأتى الحى فجعل يتحدث إليهم حتى
أتى عمها فحاده وقال : أسمك أياتاً في عزة حضرتي قال : هايتها فأعلن إنشاده
لتسمع بثينة وقال :

أقول لها ياعمر : أرسل صاحبي على نأى دار^(٢) والرسول موكل
بأن يحمل بيني وبينك موعداً وأن تأمريني بالذى فيه أفل
أما تذكرين العهد يوم لقيتكم بأسفل وادي الوم والثوب يغسل
فعلت أنه إياها يقصد بالعلامة فصاحت : اخساً^(٣) فصاح بها معها ما خسأت ؟
قالت : كلباً يعترينا ليلاً ثم رأيت الساعة . فرجع كثير إلى جميل فقال : انّها الليلة
فإنها ذكرت الليل . وقال ابن الأعرابي : أسرت طيء رجلاً شاباً من العرب فقدم
عليه أبوه وعمه ليفدياه فاشتطوا^(٤) عليهما في الفداء فأعطيا به عطية فلم يرضوا بها
فقال أبوه : لا والذي جعل الفرقدين^(٥) يُصبحان ويمسيان على جبل طيء لا أزيدكم

موضعا أو شيئا معلوما انما هو وشي معلوم اضيف الثوب اليه كما قبل
ثوب قرمز بالإضافة والقرمز صبغة فاضيف الثوب الى الوشي والصبغ
للتوضيح (١) الطهات : الخيل النامة الحسن (٢) النأى : البعد (٣) اخساً :
أى ابعد والخاسي من الكلاب المبعد لا يترك أن يدنو من الناس (٤) اشتطوا :
أى جاروا عليه في الطلب (٥) الفرقدان : نجمان في السماء لا يهربان ولكنهما
يطوفان بالجدى ، وقيل هما كوكبان قريبان من القطب ، وقيل هما كوكبان
في بنات نعش الصغرى

على ما أعطيتكم . ثم انصرفا ، فقال الأب للمم : لقد أقيت إلى ابني كلمة لأن كان فيه خير لينجون بها . فإبنت أن نجا واطرد قطعة من إبلهم فذهب بها كأنه قال : الزم الفرقدين على جبل طيء فإتبعهما طالعان عليه وهما لا ينيان عنه . وفي كتاب الملاحن^(١) : روى عن ابن دريد في أسير بكر بن وائل حيث سألهم رسولاً إلى قومه فقالوا : لا ترسل إلا بمحضرتنا ، اشفاقاً منه أن يُنذروهم فقد كانوا هموا بنزو قومه فجاء بهبأ أسود فقال له : أتقل ؟ قال : نعم إلى لماقل . قال : ما أراك ماقلًا . ثم قال : ما هذا ؟ وأشار بيده إلى الليل فقال : هذا الليل فقال : أراك ماقلًا . ثم ملأ كفيه من الرمل فقال : كم هذا ؟ قال : لا أدري وإنه لكثير . قال : أبلغ قومي التحية وقل لهم : أكرموا فلاناً — يعنى أسيراً كان في أيديهم — فأنهم لم يكرهوا وقل لهم : إن الرفيع قد أذنب وقد شكت النساء ومُرهم أن يبروا ناقة الحراء فقد أطالوا ركوبها وأن يركبوا جملي الأصهب بآية ما أكلت معكم حبساً وسلوا الحارث من خبري . فلما أدى العبد إليهم الرسالة قالوا : قد جن الأمور . والله ما نعرف له ناقة حمراء ولا جلاً أصهب . ثم سرحوا العبد ودعوا الحارث وقصوا عليه القصة فقال : قد أنذركم . أما قوله قد أذنب الرفيع أي الرجال قد استلأموا ولبسوا السلاح . وقوله شكت النساء أي اتخذوا الشكاء للسفر والشكوة القربة الصغيرة . وقوله : امرؤ ناقة الحراء . أي ارتحلوا عن الدهناء واركبوا الصبان وهو الجمل الأصهب . وقوله : أكلت معكم حبساً يريد أخلاقاً من الناس قد غزوكم لأن الحليس يجمع السمن والتمر والأقط . فامتلأوا ذلك وعرفوا ما قال . فأخذ هذا المني رجل كان أسيراً في بني تميم فكتب إلى قومه ملفزاً في الشعر يُنذروهم .

(١) هو لابن دريد والملاحن الألفاظ وهي المحاجاة لأنها تظهر الحجي والمعاية والرمز والمعنى ، قال الخفاجي : والمتأخرون من الأدباء اصطلاحوا على التفريق بينهما وهو ليس بأمر لغوي وقد تطلق على كتاباتهم كقولهم للخمر أشقر والماء أشهب إلى غير ذلك مما ذكر في كتاب الكناية لابن الكرم

خلوا عن الناقة الحراء واقتمدوا ١١ مود الذي في جنباني ظهره وقع
 إن الذئاب قد اخضرت برائتها والناس كلهم بكر إذا شبعوا
 قال أبو عثمان الاشناداني في أبيات الماني : أراد بالناقة الحراء الدهناء وهي
 أرض لبنى تميم تشبهاً بالناقة لتأنيها وسهولة ركوبها لأنها أرض فلاة سهلة واقتمدوا
 المود أى اسكنوا الصبان وهو بلد لبنى تميم أرض غليظة صلبة . وإنما شبهه بالمود
 لتذكير اسمه والمود المسن من الإبل وجعل في ظهره وقماً وهو آثار الدبر في ظهر
 البعير تشبيهاً للصبان بما قد وطئ . وكثرت آثار الناس فله بظهر بئر موقع . يقول
 امتنعوا بركوب الصبان لأنه وعر صلب يشق على الخليل أن تطأه ، والدهناء ممكنة .
 وأراد بالذئاب القوم الذين يغيرون عليهم ، شبههم بالذئاب لخفتهم وحرصهم على
 القارة . وقوله قد اخضرت برائتها : يريد قد اخضرت الأرض وكثر المشب
 فيها وأمكن النزول والأقدام مخضرة من السكك . فجعل الأقدام برائن . وقوله والناس
 كلهم بكر إذا شبعوا : يريد أن بكر بن وائل أشد الناس عداوة لبني تميم يقول :
 إذا شبعوا وأخصبوا فعداوتهم كعداوة بكر . ومن النريب في هذا الباب ماروى
 المرزبان أن رجلاً كثير المال سحب عبيدين في سفر فلما توسط الطريق هما بقتله
 فلما صبح ذلك عنده . قال أقسم عليك إذا كانا لا بد لكنا من قتل أن تمضيا إلى
 دارى وتشدنا ابنتى هذا البيت . قال : وما هو قال :

من مبلغ بنفى أن أباهما لله دركاً^(١) ودر أيسكا
 فقال أحدهما للآخر : لا زرى به بأساً فلما قتلاه جاء إلى داره وقال لابنته الكبرى :
 إن أبك لحقه ما ياحق الناس وآلى علينا أن نخبرك بهذا البيت فقالت الكبرى :
 ما أرى فيه شيئاً نخبرانى به ولكن اصبر حتى أستدعى أختى الصغرى . فاستدعتها
 فأنشدتها البيت فخرجت حاسرة^(٢) وقالت : هذان قتلا أبى يامعشر العرب ما أتم
 (١) لله درد : أى عمله ولا دردوه لازكا عمله (٢) حاسرة : أى كاشفة .
 يقال حسرت المرأة ذراعها وخمارها من باب ضرب كشفتها

فصحاء قالوا : وما الدليل عليه ؟ قالت : الصراع الثانى يحتاج إلى أول والأول يحتاج إلى ثان لا يلىق أحدهما بالآخر ؟ قالوا : فما ينبى أن يكون ؟ قالت : ينبى أن يكون :

من مخبر^(١) بنى أن أباهما أمسى قتيلاً بالفلاة مجندلاً^(٢)

لله دركيا ودر أيسكا لن يريح العبدان حتى يقتلا

قال : فاستخبروها فوجدوا الأمر على ما ذكرت . وما يدل على غزارة فهم العرب ودقيق نظرهم ما اختصوا به من قرع المعاص وهو أشد أنواع الرموز استخراجاً وأصعبها استنباطاً تخلوه من النطق واللاقتصار فيه على مجرد الفعل فإنه شارة بالفعل دون القول . وقد ادعى بنو قيس بن ثعلبة أن أول من قرع المعاص سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة قرعها لأخيه عمرو بن مالك وذلك حين لقي الثمان سعداً ومعه خيل بمضها يقاد وبمضها أعراء مهمل . فلما انتهى إلى الثمان سأله عنها فقال سعد^(٣) : إني لم أقد هذه لأمنعها . ولم أعز هذه لأضيمها^(٤) فسأله الثمان عن أرضه هل أصابها غيث محمد أثره . وروى شجرة . فقال سعد : أما الطرف فزير . وأما الورق فشكير . وأما النافذة فساهرة . وأما الحازرة فشبي نائمة . وأما البرشاء فقد امتلأت مساربها . واجلت جنباتها وروى جنباتها . وأما الجوف فمُدّر لا تطلع . وأما الحذف فمزاف لا ينكح . يفر إذا يرتع^(٥) . فقال الثمان وحسده على ما رأى من ذرب لسانه : وأبيك إنك لمؤفة فإن شئت أتيتك بما أتينا عن جوابه . فقال : شئت إن لم يكن منك إفراط ولا إبعاد . فأمر الثمان وسيفاً فلطمه . وإنما أراد أن يتمدى في القول فيقتله . فقال : ما جواب هذه ؟ فقال سعد : « سفيه مأمور » فأرسلها مثلاً . قال الثمان للوصيف : أطمه أخرى فلطمه . قال ما جواب هذه ؟ قال : لو نهى عن الأولى لم يعد للأخرى فأرسلها

(١) مجندلاً : أى مصروعاً على الجدالة كسحابة وهى الأرض

(٢) لاهيها

(٣) سيأتى شرح هذه الكلمات فى الأصل

مثلاً . فقال النعمان : أطلمه أخرى ففعل فقال : ما جواب هذه . فقال : ربُّ يؤدِّبُ عبده . فقال : أطلمه أخرى ، ففعل . فقال : ما جواب هذه . فقال : « ملكت فأُسجِح^(١) » فأرسلها مثلاً . فقال النعمان أصبت فأقعد فتكت عنده ما مكث ، ثم بدا للنعمان أن يبعث رائداً يرئد له الكلاء فبعث عمرو بن مالك أخا سعد فأبطأ عليه فأغضبه ذلك . فأقسم لأن جاء حامداً للكلأ أو ذاماً ليقتلنَّه ، فلما قدم عمرو دخل على النعمان وعنده الناس وسعد قاعد لديه مع الناس ، وكان قد عرف ما أقسم به النعمان من عينه ، فقال سعد : أتأذن لي فأكله ؟ قال : إن كلفته قطعت لسانك . قال : فأشير إليهِ ؟ قال : إن أشرت إليهِ قطعت يدك . قال فأومى إليهِ ؟ قال : إذن ازرع حدقتيك . قال فأقرع له المصا ؟ قال : أقرع . فتناول عصا من بمض جلسائه فوضعها بين يديه وأخذ عصاه التي كانت معه وأخوه قائم قَرع بمصا المصا الأخرى قرعة واحدة فنظر إليهِ أخوه ثم أوماً بالمصا نحوه ففرف أنه يقول مكانك ثم قرع المصا قرعة واحدة ثم رفها إلى السماء ثم مسح عصاه بالأخرى ففرف أنه يقول قل له لم أجيد جدباً ثم قرع المصا مراراً بطرف عصاه ثم رفها شيئاً ففرف أنه يقول ولا نباتاً ثم قرع المصا قرعة وأقبل بها نحو النعمان ففرف أنه يقول كله . فأقبل عمرو بن مالك حتى وقف بين يدي النعمان فقال له النعمان هل حَدِّثْ خصباً . أو ذممت جدباً . فقال عمرو لم أذم جدباً . ولم أحمد بقالا . الأرض مُشكلة لا خِصبها يُعرف . ولا جدبها يوصف . رائدها واقف . ومنكرها عارف . وآنها خائف . فقال النعمان : أولى لك^(٢) بذلك نجوت فنجوا وهو أول من قرعت له المصا . فقال سعد بن مالك لقرعة المصا :

قرعت المصا حتى تبين صاحبي ولم نك نولا ذاك للقوم تفرع
فقال: رأيت الأرض ليست بمُحْتَل ولا سارح منها على الرعى يشبع

(١) الاسجاح حسن العفو ، أى ملكت الأمر على فأحسن العفو عنى وأصله السهولة والرفق يقال مشية سجع أى سهلة . يضرب في العفو عند المقدرة
(٢) سيأتي شرحها في الأصل

سواء فلا جذب فيعرف جذبها ولا صابها غيث غزير فتعمر^(١)
 فنجى بها حواء^(٢) نفس كريمة وقد كاد لولا ذلك فيهم يقطع
 قول سعد : « أما الورق فشكير » يعنى أنه صغير لم يكبر . « وأما النافذة
 فساخرة » يعنى التي قد نفذت من الهزال فلم يبق فيها قوة فهي ساخرة لأنها لم
 تشيع بعد فسهرها لفقد الشيع . والحازرة يجب أن تكون من قولهم حزرة المال
 خياره أى هي تقتدر بقوتها على الرعى فتشيع فتنام . والبرشاء أرض فيها رمت^(٣) .
 والساارب جمع مسرب وهي المواضع التي تسرب فيها المال أى الإبل . وقوله
 ابتلت جنباتها فعى مثل الجناوب . وإذا قيل جنباتها فيجوز أن يكون مثل الجناوب
 وهي جمع جنبنة . والجنبنة المكان للرفع فأبدلت التاء من الذال كما قالوا جث وجذ .
 ومن روى الرهاء فيجوز أن يكون من الأرض التي قد أصابها الرهام .^(٤) والجوف
 البطن من الأرض . والتد جمع غدير . يعنى أن الوادى لم يكثر المطر فيسيل فيه
 فيرتفع سيله إلى جوانبه فيجاوز حد الندران . والحذف ضرب من الشاء صغار ،
 وعزاز يعنى أنها تمزق نفوسها عن الماء لكثرة ولا ينكح : أى لا يقطع شربها .
 يقال نكح . وأنكح . إذا قطع . قال الشاعر :

بني ثمل لا تنكحوا^(٥) العز شربها بني ثمل من ينكح المنز ظالم
 وتقرر تكشف أسنانها إذا رفعت رهوسها من الرعى ، وأولى لك كلمة فقال

(١) مرع الوادى وامرع : اكلا واخصب ، وقيل لم يات مرع ، وقال ابن
 الأعرابي امرع المكان لا غير (٢) سياتى شرحها فى الأصل (٣) رمت بالكسر
 مرعى الإبل من الحمض وشجر يشبه الفضى (٤) الرهام كجبال جمع رهمة
 بالكسر المطر الضعيف الدائم الصغير القطر (٥) نكحه عن الأمر أعجله عنه
 أو رده ومنعه ورفعه وقيل نكحه نفسه بالأعجال كنكحه تنكحها وقال الليث
 نكحه وكسعه ضرب يظهر قدمه على دبره وكذلك بكحه بالوحدة ، وأنشد :
 بني ثمل لا تنكح المنز شربها الخ ، قال الزبيدي وأنشد سيبويه هكذا وفسره
 فقال ونكحه الورد ومنه . ومنعه أباه انتهى ، وبنو ثمل كصرد ابن عمرو بن
 العوث حى من طيء ، قال امرؤ القيس :

رب رام من بني ثمل مثلج كفيه فى قسره
 وفى الأساس : وإن دعوت على أبناء رجل اسمه عمر أو زفر فقل : أبيع
 لكم بابنى فعل ، رام من بني ثمل .

للرجل إذا نجا من شر بمد ما كاد يصيبه . وقوله حواء نفس كريمة فيه وجوه يقال أن الحواء النفس فإذا أخذ بها فأما أضيفت الحواء إلى النفس في شعر سمد لاختلاف اللفظين . وربما قالوا الحواء خالص النفس . وقال بعضهم الحواء روح القلب . وأهل اليمن يقولون إن أول من قرعت له المصا عمرو بن سُحمة الدوسي . روى ذلك الشعبي عن ابن عباس وأنه المراد بذى الحلم في قول الحارث ابن ولة .

لا تأمن قوما ظلمتهم وبدأتهم بالشتم والرم
أن يأبروا^(١) نخلا لنيرم والشيء تحقره وقد ينمى
وزعم أن لاحتوم لنا إن المصا قرعت لدى الحلم

يريد أن الأمر والشأن لاحتوم لنا فإن كان الأمر كما زعم فنبهونا أنتم فإن الدوسي كان يقرع له المصا فينبه لما كان يزيغ في الحكم لكبر سنه . وهذا تهكم منهم أى مرضتم في قولكم بأننا سفهاء فاكثفينا بالتمريض عن التصريح كاكثفاء ذى الحلم بقرع المصا . ومضر تدعى أن ذا الحلم عامر بن الظرب المدوائى وإياه عنى ذو الأصبع في قوله .

ومنهم حكم يقضى فلا يُنقَضُ ما يقضى

وتدعيه ربيعة فتقول قيس بن خالد الشيباني وهو جد بسطام بن قيس بن مسعود ابن خالد . فأما ما يدعى لعمرو بن سُحمة فالتبر فيه وفي عامر بن الظرب واحد . وهو أن كل واحد منهما كان حكا للرب يتحاكون إليه في كل مُعضلة . وهو لعمرو بن سُحمة في هذا الحديث أشهر . وذلك أن الرب أقره يتحاكون إليه فنلظ في حكومته وكان قد أسن قتالت له ابنته إنك قد ميرت بهم في حكلك أى تنلط فقال : إذا رأيت ذلك منى فاقرمى المصا . فكان إذا قرعت له المصا فتناب إليه حله فأصاب في حكمه .

(١) أبرت النخل أبراً من باب ضرب وقتل لقحته وأبرته تابيراً مباغلة وتكنير والابور وزان رسول ما يؤبر به

ومن الرموز بالفعل دون القول التي اختصت العرب بفهم المراد منها ما يروى في الأمثال عن أبي فيد المسدوسي . قال : حدث أبو خالد السكابي أن الأحوص بن جعفر أتى قبيلاً له أتاناً رجل لا نمره فلما دنا من القوم حيث يرونه نزل عن راحلته وأتى شجرة فعلق عليها وطباً^(١) من لبن ووضع في بعض أغصانها حنظلة ووضع صرة من تراب وصرة من شوك في بعضها ثم أتى راحلته فاستوى عليها فنظر الأحوص والقوم في أمره فمى به . فقال الأحوص أرسلوا إلى قيس بن زهير فأتوا قيساً فجاءوا به إليه فقال له الأحوص : ألم تكن تخبرني أنه لا يرد عليك أمر إلا عرفت مأناه ما لم تر نواصي الخليل . قال وما الخبر ؟ فأعلموه فقال : قد بين الصبح لذي عينين^(٢) « فصار مثلاً يضرب به في وضوح الشيء . قال أما صرة التراب فإنه زعم أنه أتانكم عدد كثير . وأما الحنظلة فإنه يخبركم أن حنظلة قد أتنكم . وأما الشوك فإنه يخبركم أن لها شوكة . وأما اللبن فهو دليل لكم على قرب القوم وبعدم . فإن كان حلواً حليياً فقد أتنكم الخليل . وإن كان لا حلو ولا حليماً فلي قدر ذلك . وإن كان قارصاً^(٣) فلي قدره . وإن كان خائراً فلكم سهلة من الرأي . وإنما ترك الرجل كلامكم لأنه قد أخذت عليه اليهود وقد أنذركم . ونظائر هذه الحكايات التي رواها النفاة كثيرة ، وسيأتى عند الكلام على علوم العرب ما يزيد المقام وضوحاً .

ولما كانت العرب في قوة الفهم وحدة الذهن إلى غاية النايات كان معجزهم القرآن فإن المعجز في كل قوم بحسب أفهامهم وعلى قدر عقولهم وأذهانهم وكان في بني إسرائيل بلادة وغباوة لأنه لم ينقل عنهم ما تدون من كلام مستحسن أو يستفاد من معنى مبتكر . وقالوا لنبيهم حين مروا يقوم يكفون على أصنام لهم اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة . فخصوا من الإعجاز بما يصيرون إليه بداية حواسهم . والعرب أصح الناس أفهاماً . وأحدثهم أذهاناً . قد ابتكروا من الفصاحة أبلغها .

(١) الوطب : سقاء اللبن وهو جلد الجذع فما فوقه والجمع اوطب ووطاب
واوطاب (٢) بين هنا بمعنى تبين ، بضرب للأمر يظهر كل الظهور (٣) القارص : اللبن الحامض

ومن الماعى أغربها . ومن الآداب أحسنها . نخصوا من معجزة القرآن بما تجول فيه أفهامهم . وتصل إليه أذهانهم . فيذكرونه بالفتنة دون البديهة . وبالروية دون البادرة .^(١) لتكون كل أمة مخصوصة بما يشا كل طبعها . ويوافق فهمها . والله ولى التوفيق .



وأما كونه العرب أمفظ من غيرهم

فلأن النال منهم أُمَيُّون . لا يقرمون ولا يكتبون . بل إن جميع عرب البوادي كذلك ومع هذا حفظوا على سبيل التفصيل أيامهم وحروبهم ووقائعهم وما قيل فيها من شعر وخطب . وما جرى من المفاخرات والمنافات^(٢) بين قبائلهم . وضبطوا أنسابهم وأسماء فرسانهم الذين زلوا في ميادين حروبهم وأنهم من أى قبيلة وإلى أى أب ينتمون من الآباء الأولين . وأسلافهم السابقين . وكان أحدهم يقول الشعر بلفت أبياته ما بلفت فاهم إلا أن سموه فانتفش في صحائف خواطرهم وتمثل في خيالهم . وهذا مما تساوى فيه العامة والخاصة منهم والصغير والكبير والذكر والأنثى من أحيائهم . وذلك مما لا يستريب فيه أحد ولا يشك ذو نظر . وكانوا إذا جرت بينهم حادثة غريبة أو اتفقت لهم نكتة غريبة ضربوا بها الأمثال . وسارت بين القبائل تلك الأقوال . فلا تنيب هاتيك الوقائع عن أنسكارهم . ولا تزول مدى الليالى والأيام من خزائن خواطرهم . وقد دون المتأخرون ما تلقوه من الثقة . وما سمعوه من أفواه الرواة . من أيامهم وأخبارهم . وأمثالهم وأشعارهم . فبلغ ذلك ما بلغ من المجمع والأسفار . حتى تجاوزت دوائر المد والآنحصار . هذا مع أن ذلك بالنسبة إلى ما لم يصل إليهم كقطرة من

(١) البادرة : ما يبدى من حدثك في الغضب من قول أو فعل

(٢) نافر : معناه حاكم في النسب وسميت منافرة لانهم كانوا يقولون عند المفاخرة : أنا اعز نفرا

بحار . وفزة من جبال وقفار . وأما الناب من شعرهم ولنتهم وأياهم الأول .
 فقد ذهب بذهابهم وبقي في الصدور ولم ينقل . وأخذوا في أكفانهم^(١) كثيراً
 من العلوم والفنون . حيث لم يجدوا من يحفظ حقوقها ويصون . وكان لكل
 شاعر منهم رواية يحفظُ عنه ما يقول . وما يُنشد في المواقع والجامع حين يصول
 ويحول . وكل رواية من رُؤايتهم كان يحفظ من الأراجيز والتقصيد وسائر فنون
 الشعر ما يفوت الإحصاء والحصص . هذا الأصمى من متأخريهم قال : ما بلغت
 الثُّلُثَ حتى رويت اثني عشر ألف أرجوزة للأعراب ، وكان خَلْفُ الأحمر أروى
 الناس للشعر وأعلمهم بجيده . وبالجملة العرب أحفظ الناس . ولا يكاد يتحرى في ذلك
 إلا من عدم الإحساس ، حتى إن في كتاب الوثنى المرقوم : أن الممداني ادعى
 أنه لم يصل إلى أحد من أخبار العرب والمجم إلا بالعرب وبين ذلك على أتم وجه
 وأثبتة ثم قال : والعرب أصحاب حفظ ورواية .

وفي مقدمة أقوم المسالك قلاعاً عن تاريخ دردي وزير المعارف العمومية بفرنسا :
 أن الآداب كانت قبل انتشار العرب من جزيرتهم متصلة فيهم مؤداة بلنيتين :
 الجيرية في اليمن ، والقرشية في الحجاز ، وبالأخرة جاء القرآن ، ولا يخفى عليك
 أن الذي يقابل الجيرية هو المضرية ، وإن وقع الإجماع في القراءة على خصوص
 القرشية ، ولذلك اشتهرت واستمر خلوصها إلى وقتنا هذا باستمرار كتب العلم
 والديانة وما دخلت المعجمة في اللسان إلا بدخول الأم في الإسلام ، وتطاول السنين ،
 واللغة المذكورة من الاتساع وتسمية المجال مالا يخفى على مُثاقفها^(٢) لاسياً في الأشياء

(١) قلت : احفظ في هذا المعنى ايضاً لبعض الاجلة من العراقيين وهي :

استفى على فضلى ولم اك	ابصرت عارف حقه فيبين
ومن العلوم الغامضات ورمزها	املى قضيت وللغفسون ديون
واخذت في كفتي علوما لم اجد	من يحفظن حقوقها ويصون
ورقيق اسرار جعلت لها الحشى	مستودعا هي في الدفين دفين

(٢) نأفنه : جالسه وقيل لازمه وكلمه فهو مثافن ومثفن كمحدث وثفن
 الشيء يثفنه ثفننا لزمه وثفن ثفننا فلانا صاحبه حتى لاخفى عليه شيء من أمره
 ورجل مثفن لخصمه اى ملازم له . والمثافنة : المباطنة .

التي بها قوام الأيشة في البادية أو تتكرر رؤيتهم لها أو تكثر حاجتهم إليها فقد يكون للشيء الواحد عدة أسماء باعتبار تعدد صفاته وأحواله ، وبكثرة الترداف عند من اتسعت لهم دوائر الآداب الشعرية . إذ يقال إن للسمل عندهم ثمانين اسماً ، وللتبنا مائتين وللأسد خمسمائة ، وللجمل ألفاً ، وكذا السيف ، وللداهية نحو أربعة آلاف اسم ولا جرم^(١) . أن استيعاب مثل هذه الأسماء يستدعي حافظة قوية ، وللعرب من قوة الحافظة ، وحدة الفكر مالا يسمع أحداً إنكاره . فمن مشاهيرم حماد الراوية الذي ذكر يوماً للخليفة الوليد أنه ينشد له في الحال مائة قصيدة والقصيدة من عشرين إلى مائة بيت فتعب المستمع قبل النشد . انتهى نقل ما هو المقصود مما اعترف به هذا الفاضل مع كونه من صميم أهل أوربا مما للعرب من قوة الحافظة التي لم تكن لنعيرم من الأمم . وإنما يعرف ذا الفضل ذووه . والحق يملو ولا يعل عليه . فلذلك اكتفينا في هذا الباب بهذا القدر .

* * *

وأما كون العرب أقدر على البيان من غيرهم

فلأن لسانهم أتم الألسنة بياناً وتميزاً للمعاني جمّاً ورفقاً يجمع المعاني الكثيرة في اللفظ القليل إذا شاء المتكلم الجمع ، ثم يميز بين كل شيئين بلفظ آخر يميز مختصر ، كما نجد من لغتهم في جنس الحيوان ، فإنهم مثلاً يبرون عن القدر المشترك بين أنواعه في أسماء كل أمر من أموره من الأصوات والأولاد والمساكن والأظفار إلى غير ذلك من خصائص اللسان العربي التي لا تستراب فيها . وقد أفردنا أئمة اللغة بكتب معتبرة ، مطولة ومختصرة . مع ما اشتملت عليه هذه اللغة الجليلية من المزايا التي لم توجد في غيرها من لغات الأمم . انظر إلى المفرد والجمع وأسباب اختلاف الملامات الدالة على الجمع واختصاص كل محل بعلامته

(١) قال في القاموس : لا جرم ولا ذا جرم ولا إن ذا جرم ولا عن ذا جرم ولا جر ولا جرم ككرم ولا جرم بالضم أي لا بد أو حقاً أو لا محالة أو هذا أصله ثم كثر حتى تحول إلى معنى القسم فلذلك يجاب عنه باللام فبقال لا ينك .

ووقع المفرد موقع الجمع وعكسه . وأين يحسن مراعاة الأصل وأين يحسن المدول عنه . وهذا فصل نافع جداً يُطْلَمَك على سر هذه اللغة العظيمة القدر المفضلة على سائر لغات الأمم ، وذلك أن الأصل هو للمنى المفرد وأن يكون اللفظ الدال عليه مفرداً لأن اللفظ قالبُ المنى ولباسه يحتذى حذوه والمناسبة الحقيقية ثابتة بين اللفظ والمنى طولاً وقصراً وخفة وثقلاً وكثرة وقلة وحركة وسكوناً وشدة وليناً ، فإن كان المنى مفرداً أفردوا لفظه ، وإن كان مركباً ركبوا اللفظ ، وإن كان طويلاً طولوه كَأَلْتَنْطَنَطَ والمَشْنَقُ للطويل . فانظر إلى طول هذا اللفظ لطول معناه . وانظر إلى لفظ بُحْتَر وما فيه من الضم والاجتماع لما كان مسماه القصير المجتمع الخلق . وكذلك لفظ الحديد والحجر والشدة والقوة ونحوها تحيدُ في ألفاظها ما يناسب مسمياتها ، وكذلك لفظى الحركة والسكون مناسبتهما لمسمييهما معلومة بالحس ، وكذلك لفظ الثوران والثَّوران والنبليان وبابه في لفظهما من تتابع الحركة ما يدل على تتابع حركة مسماها . وكذلك الدخَالُ والخَرَّاجُ والضَّرَابُ والأَفَّاكُ في تكرر الحرف المضاعف منها ما يدل على تكرر المنى . وكذلك الفُضبان والظَّمان والحيران وبابه مما صيغ على هذا البناء الذى يتسع النطق به ويمتلئ الفم بلفظه لامتلاء حامله من هذه المائى فكان الفُضبان هو الممتلئ غضباً الذى قد اتسع غضبه حتى ملأ قلبه وجوارحه . وكذلك بقيتها ولا يتسع المقام لبسط هذا فإنه بطول ويدق حتى يكسع عنه أكثر الأفهام وتنبو عنه لطافته . لأنه ينشأ من جوهر الحرف تارة ومن صفته ومن اقترانه بما يناسبه ومن تكرره ومن حركته وسكونه ومن تقديمه وتأخيريه ومن إثباته وحذفه ومن قلبه وإعلاله . إلى غير ذلك من الموازنة بين الحركات وتعديل الحروف وتوخي المشاكلة والخالفية والخلفة والثقل والفصل والوصل . وهذا باب يقوم من يتبعه بسفر ضخم . ولندكر منه مسألة واحدة وهى اللفظ فى إفراده وتثنيه عند زيادة معناه بالتثنية والجمع دون سائر تغيراته . فنقول لما كان المفرد هو الأصل والتثنية والجمع تابعا له جعل لهما

في الاسم علامة تدل عليهما وجعلت آخره قضاء لحق الأصول فيه والتبعية فيهما والفرعية فالترمو هذا في التثنية ولم ينخرم عليهم . وأما الجمع فإنهم ذهبوا به كل مذهب وصرفوه كل مصرف فمرة جملوه على حد التثنية وهو قياس الباب كالتثنية والنسب والتأنيث وغيرها . وتارة اجتلبوا له علامة في وسطه كالآلف في جعفر والياء في عبيد والواو في فلوس . وتارة جملوا اختصار بعض حروفه وإسقاطها علامة عليه نحو عنكبوت وعناكب فإنه لما ثقل عليهم المفرد وطالت حروفه وازداد ثقلها بالجمع خففوه بحذف بعض حروفه لثلا يجمعوا بين ثقلين . ولا يناقض هذا ما أسأوه من طول اللفظ لطول المني وقصره لقصره فإن هذا باب آخر من المبادلة والموازنة عارض ذلك الأصل ومنع من طرده . ومنه جهمهم فميل وفول وفعل على فعل كرهيف وعمود وقذال على رغف وعمد وقذل لثقل المفرد بالدة . فإن كان في واحدة تاء التأنيث فإنها تحذف في الجمع فكروها أن يحذفوا اللة فيجمعوا عليه بين تقصين قبلوا اللة . ولم يحذفوها كرسالة ورسائل ومحيفة وصحائف فجبروا للنقص بالفرق لا إنهم تناقضوا وتارة يقتصرون على تغيير بعض حركاته فيجعلونها علامة لجمه كفلك وفلك وهبد وعبد . وتارة يحتلبون له لفظاً مستقلاً من غير لفظ واحد نكيل وأنام وقوم ورهط ونحوه . وتارة يجمعون العلامة في التقدير والنية لا في اللفظ كفلك للواحد والجمع فإن ضمة الواحد في النية كضمة قفل وضمة الجمع كضمة رسل وكذلك هجان ودلاص وأسماح وأعشار مع أن غالب هذا الباب إنما يأتي في الصفات لحصول التميز والعلامة بوصفاتها فلا يقع لبس ولا يكاد يجيء في غير الصفات إلا نادراً جداً . ومع هذا فلا بد أن يكون لمفرد لفظ بغير جمه ويكون فيه لثتان لأنهم عدلوا أنه يثقل عليهم ، أما في الجر والنصب فَلَقَوَالِي الكسرات ، وأما في الرفع فَلِثَقْلُ الخروج من الكسرة إلى الضمة فعدلوا إلى جمع تكسيه . ولا يرد هذا عليهم في راحين وراحمون لفصل الآلف الساكنة ومنمها من توالي الحركات فهو كسليين وقائميين . وكذلك عدلوا عن جمع فعل المضاعف من صفات المقلاء كفظّ وبرّ فلم يجمعوه

جمع سلامة . ولم يقولوا بَرُّونَ وفُظُونٌ لثلاثي بـ كـ لوب وسفود لأنه بزته فكسروه
وقالوا أبرار فلما جاءوا إلى غير المضاعف كصب جموه جمع تصحيح ولم يخافوا التباساً
إذ ليس في الكلام فملول ، وصمفوق^(١) نادر ، فتأمل هذا التفریق ، وهذا التصور
الدال على أن أذهان العرب قد فاقت أذهان الأمم كما فاقت لغتهم لغاتهم . والكلام
في هذا المقام واسع جداً فأين لغير لغة العرب من هذه الأسرار ، والفرق واضح بين
الليل والنهار .

وأما ما اشتمل عليه كلام العرب وترأكيهم ، وما حازته من فنون البراعة
أساليهم ، فقد تكفل يسطه كتب الماني والبيان . وما ألف في بيان إعجاز
القرآن . وقد سأل أبو إسحق المتفلسف الكندي أبا العباس المبرد ، فقال : إنى
أجد في كلام العرب حشواً يقولون عبد الله قائم . ثم يقولون إن عبد الله قائم .
ثم يقولون إن عبد الله قائم ، والمعنى واحد ، فأجابه أبو العباس : إن الماني مختلفة
فقولهم عبد الله قائم إخبار عن قيامه . وقولهم إن عبد الله قائم جواب عن سؤال
سائل . وقولهم إن عبد الله قائم ، جواب عن إنكار منكر قيامه . فانظر إلى
تفاوت هذه الماني مع تغيير يسير في اللفظ . وأما ما فصح من لغاتهم ، وما ملح
من بلاغاتهم ، وما سمع من الأعراب في بواديها ، ومن خطباء الحلل في نواديها^(٢) ،
ومن قراضبة^(٣) نجد في أكلاثها ومرالها ، ومن سمسرة^(٤) تهامة في أسواقها

(١) الصمفوق : الثليم ، قال في القاموس : ليس في الكلام فعلول سواء ،
وأما آخر نوب فضعيف وأما التصحيح فيضم خاؤه أو يشدد راؤه (٢) جمع
ناد وهو المجلس ، وقد ادعى بعض المصريين أن هذا الجمع وإن كان هو
القياس إلا أنه غير مستعمل وإنما يقال في جمعه الأندية وهو في الأصل
جمع ندى بمعنى النادي استغنوا به عن جمع النادي كما استغنوا بالأحاديث
الذي هو جمع الأحادثة عن جمع الحديث ، ولا يخفى بطلان هذا القول على من
له أقل مسكة من العلم (٣) القراضبة : اللصوص من الفقراء والواحد
قرضوب وقرضاب (٤) سمسرة جمع سمسار بالكسر . المتوسط بين البائع
والمشتري ومالك الشيء وقيمة السفير بين المحبين وسمسار الأرض العالم
بها وهي بهاء والمصدر السمسرة .

وبجامعها ، وما تراجزت به السقاة على أفواه قُلُوبها^(١) وتساجت به الرعاة على شفاة عُلُوبها^(٢) ، وما تقارضته شعراء قيس وتميم في ساعات المائدة^(٣) ، وتزاملت^(٤) به سفراء ثقيف وهذيل في أيام المفاتنة ، فذاك الذى تنفد عند ذكره المحارب ، ولا تستوعب محاسنه صحائف الدفاتر ، وم الأحرىاء بذلك ، والأحقاء بما هنالك ، أليس قرى الأضياف سجيّتهم ، ونحر المشار للناس دأبهم وهجّيرام^(٥) ، لا مزقت أبدى الأدوار لهم أديما . ولا أباحت لهم حريما . أقترام يحسنون قرى الأشباح فيخالفون فيه بين لون ولون وطعم وطعم ولا يحسنون قرى الأرواح فلا يخالفون فيه بين أسلوب وأسلوب وإيراد وإيراد . فإن الكلام المفيد عند الإنسان بالمعنى لا بالصورة أشهى غذا . لروحه . وأطيب قرى لما غبوقه وصَبُوحه^(٦) .

وقد سمعت بعض من لا خلاق له من الناس أنه ادعى إن لغات الإفرنج اليوم أوسع من لغة العرب بناء على ما حدث فيها من ألفاظ وضموها لمعان لم تكن في القرون الخالية . والأزمنة الماضية . فضلا عن أن تعرفه العرب فتفوه به . أو تتخيله فتنتطق به . ولا يخفى عليك أن هذا كلام يشمر بدم وقوف قائله على منشأ السمّة وأنه لم يخض بحار فنون اللغة حتى يعلم أن الزية من أين حصلت . وأما ما ذكر من أن مفردات العربية غير تامة بالنظر إلى ما استحدث بعد العرب من الفنون والصنائع مما لم يكن يخطر ببال الأولين فهو غير شين على العربية . إذ لا يسوغ لواضع اللغة أن يضع أسماء لمسميات غير موجودة وإنما الشين علينا الآن في أن نستدير هذه الأسماء من اللغات الأجنبية مع قدرتنا على صوغها من لغتنا . على أن

(١) قلبها جمع قلب وهو البئر (٢) عليها جمع علبة بالضم قدح ضخّم من جلود الإبل أو من خشب يحلب فيها قال جرير .

لم تتلفح بفصل مئزرها دعد ولم تسق دعد في العاب

(٣) المعاتنة . المعاطلة والمباعدة في الغاية (٤) تزاملت : تراجزت .

(٥) يقال هذا هجيراء وهجيراء وهجيراء وهجيراء وهجيراء وهجيراء . أى دابه وشانه ، قال الشاعر :

رمى فاقظا والاقطار غالية فاتصعن والويل هجيراء والحرب

(٦) الغبوق كصبور ما يشرب بالعشى ، والصبوح ما يشرب بالفداة .

أكثر هذه الأسماء هو من قبيل اسم المكان أو الآلة وصوغ اسم المكان والآلة في العربية مطرد من كل فعل ثلاثي فإما الحاجة إلى أن نقول : فبرقة أو كَرَخانة ، ولا نقول مُعْمَل أو مصنع أو أن نقول بيمارستان^(١) ولا نقول مستشفى . أو نقول ديوان ولا نقول مأمر ، أو نقول أسطرلاب^(٢) ، ولا نقول منظر ، والعرب اليوم يخسوا اللثة حقها فإنهم حملوا عنها إلى اللغات المعجمة من غير سبب موجب ، فإن من يستعير ثوباً من آخر وهو مستغنى عنه يحكم عليه بالزنج والبطر^(٣) . وإذا اعترض أحد بأن دخول الألفاظ المعجمة في العربية غير منكر ، وأن كل لغة من اللغات لابد أن يكون فيها دخيل ، فاللغة هي بمنزلة المتكلمين بها فلا يمكن لأمة أن تمشي وحدها من دون أن تختلط بأمة أخرى ، فإن الإنسان مدني بالطبع أى محتاج في تمدنه إلى الاختلاط مع أبناء جنسه . والجواب أن هذا الدخيل إنما يُفْقَى عنه إذا لم يوجد في أصل اللغة ما يرادفه ، أو لم يمكن صوغ مثله فأما مع وجود هذا الإمكان فالإفضاء عنه بخس لحق اللغة لا محالة ، وإلا لزم المستعيرين أن ينطقوا بالباء أو الكاف الفارسييتين ، أو أن يقدموا المضاف إليه على المضاف . وهناك وجه آخر في العربية لصوغ ألفاظ تمدد مسد الألفاظ المعجمة التي اضطرونا إليها وهو باب النحت . قال ابن فارس في قه اللغة : العرب تَنْحَتُ من كلتين كلمة واحدة وهو جنس من الاختصار ، وذلك كقولهم : « رجل عُبْشَمِي » منسوب إلى اسمين ، وهما عبد شمس .

وأنشد الخليل

أقول لها ودمع العين جاري ألم تحزنُك حَيْعَلَةُ النادى؟

(١) بيمارستان . قال الخفاجي . لفظة فارسية استعملها العرب ومعناها مجمع المرضى لأن بيمار معناه المريض وستان هو الموضع وأول من صنعه بقراط وسماه اخشتدوكين .

(٢) اسطرلاب قال الخفاجي الآلات التي يصرف بها الوقت اسطرلاب والطرجهارة وهي آلة مائية ، وبنكاهم وهي رملية وكلها ألفاظ غير عربية ذكرها في نهاية العرب .

(٣) البطر : مجاوزة الحد .

من قولهم : « حَىَّ على كذا » وهذا مذهبنا في أن الأشياء الرائدة على ثلاثة أحرف أكثرها منحوت مثل قول العرب للرجل الشديد « ضَبَطَر » من « ضَبَطَ » و « ضَبَر » . وفي قولهم « صَهْصَلِيْ »^(١) إنه من « صَهَل » و « صَلَقَ » وفي « الصِلْدِم » إنه من « الصلد » و « الصدم » إلى آخر ما قال مما يدل على أن اللغة العربية أحسن اللغات صيغاً وأساليب وأعمها وأكملها نسقاً وتالياً مع تسويغ استعمال النحت عند اقتضاء الضرورة . ولو أن العرب الأولين شاهدوا البواخر وسكك الحديد وأسلاك التلغراف والغاز والبوستة ونحو ذلك مما اخترعه الأفرنج لوضعوا له أسماء خاصة ناسبة فهم على هذا غير ملومين : وإنما اللوم علينا حالة كوننا قد ورثنا لفهم وشاهدنا هذه الأمور بأعيننا ولم نتنبه لوضع أسماء لها على النسق الذي ألفته العرب وهو الاختصار والإيجاز . « وأما العمل » فإن مبناه على الأخلاق وهي الفرائض المخلوقة في النفس وغرائز الرب أطوع للخير من غيرهم فهم أقرب للسخاء والحلم والشجاعة والوفاء والتيرة وغير ذلك من الأخلاق الحمودة .

* * *

أما كونه العرب أقرب للسخاء من غيرهم

فذلك الذي لا يحتاج إلى بيان ، ولا يعموز إلى إقامة دليل ولا برهان . قد شهد لهم به الأوداء والأعداء ، واعترف لهم الأقربون والبعداء ، إذا ألم بهم ضيف حكمهم على أنفسهم ، واستهانوا له ما وجدوه من نفيسهم ، وهذا شعرهم ينطق بما جُبلوا عليه ويُرب عما ألفوه وجنحوا إليه ، وهو مما لا يمكن استيعابه في هذا المقام ، ومن أين لنا الإحاطة بالبحر المحيط وقد ضاقت عنه دوائر الأفهام ؟ غير أن المسور . لا يسقط باليسور . فلا بد من تحلية طائل جيد هذا الكتاب ، يعض من عقود نظام در ذلك الباب^(٢) .

(١) صهلوق : المجوز الصخابة كالصهلوق (٢١) الصلدم : كزبرج الاسد والصلب والشديد الحافر كالصلدم فيهما والصلدم بالكسر وهي صلدمة (٢) الصباب كغراب معظم السيل وارتفاعه وكثرته او موجه .

قال عتيبة بن بجير المازني من بني الحارث بن كعب :

ومستنجع بات الصدى يستنجه^(١) إلى كل صوت فهو في الرجل جانح^(٢)
فقلت لأهلي : ما يُنام مطية^(٣) وسار أضافته الكلاب النواج^(٤)
فقالوا : غريب طارق طوحت^(٥) به متون الفيافي والخطوب الطوارح^(٦)
فقت^(٧) ولم أجنم مكاني ولم تهم مع النفس علات البخيل الفواض^(٨)
وناديت شبلًا فاستجاب وربما ضمنا قرى عشر لمن لا نصاب^(٩)
فقام أبو ضيف كريم^(١٠) كأنه وقد جد من فرط الفكاهة مازح^(١١)

(١) المستنجع : من يطلب نباح الكلب ليستهدي بذلك في طريقه ، والصدى : الطائر الذي يصيح بالليل وأكثر ما يقولون فيه انه ذكر البوم وجمعه أصداة وقد يوقعون الصدى على ضرب من الجنادب يصيح بالليل والنهار ، — ويستنجه — هو يستفهم من تاه يتيه اذا ضل والجائح : المائل (٢) البغام : قطع مد الصوت بالحنين ، وإضافته : جاوبته ، والمعنى : فقلت ما هذا البغام الذي اسمع ومن هذا الساري الذي أضافته الكلاب (٣) قال التبريزي : كان يجب ان يقول والخطوب المطوحات في الجمع بالالف والتاء لان اسم الفاعل من طوح مطوح ولكنه اخرج الطوائع على حذف الزيادة من الفعل ومثله قوله عز وجل : « وارسلنا الرياح لواقح لان اصله ان يجيء ملاقح او ملقحات كونها ملقحة للأشجار والفعل منه القح فاخرجه على حذف الزوائد فصار لقح ولواقح وكذلك الطوائع قياسه ان يكون اذا عدل عن الجمع بالتاء مطارح وأرتفع غريب على انه خبر مبتدأ محذوف كأنه قال هو غريب طارق ومعنى طوحت به حملته على الملأ لك والطائح الهالك . اهـ
وكتب بالهامش قوله كان يجب اللح فبعد ان القافية الطوائع بدل الطوارح ولعلهما روايتان والمتن الصلب من الأرض والفيافي جمع فيفاة وهي المكان المستوى او المفازة لا ماء فيها .

(٤) الجنوم اصله الصاق الصدر بالأرض ولزومها ويستعمل كثيرا في الطير والسياع والجنمان الشخص من اشتق ، وقوله لم تكن منع النفس علات البخيل يريد ان نفسي لما تهيات للاضافة لم تهم معها العلات التي تغضخ اربابها (٥) يريد بشبل ابنه ، قال أبو العلاء : اشبه ما روى في هذا البيت قرى عشر ان لا نصابح بفتح العين أى عشر ليال لمن ليس له بيننا وبينه مصادقة توجب مصافحة وبعض الناس يضم العين وله وجه أى ربما ضمنا قرى عشر اموالنا لمن لا تعرف وقد يمكن ان يكون عشر جمع عشر وهو الذي يماشره من الغريب او يكون من عشرته مثل ما يقال صديق وصدق وكريم وقوله لمن لا نصابح يجوز ان يكون من المصافحة المعروفة ويجوز ان يكون من صفحت الناس أى نظرت في أحوالهم .

(٦) عنى بابي الضيف نفسه وارتفع مازح على انه خبر كان وموضع وقد جد موضع الحال كأنه قال يشابه المازح من فرط الصبابة وهو جاد ويقال فأكفته بملح الكلام وهي الفكاهة .

إلى جذم مال قد سَوَّكْنَا سَوَامَهُ وأمرأنا فيه بواقٍ صَحَّاحٌ^(١)
جعلناه دون النِّمِّ حتى كأنه إذا عُدَّ مال الكثيرين للنَّاسِ^(٢)
لنا سَعْدُ أرباب الثَّيْنِ ولا يُرى إلى يَتَنَا مالٌ مع الليل رَاغٌ^(٣)
وقال مُرَّةُ بن عَمَّان التيمي السعدي^(٤) :

يَارِبَةَ الْبَيْتِ قَوِي غَيْرِ صَاغِرَةٍ ضَمْنِي إِلَيْكَ رَحَالُ الْقَوْمِ وَالْقُرْبَا^(٥)
فِي لَيْلَةٍ مِنْ جَمَادَى ذَاتِ أُنْدِيَةِ لَا يُبْصِرُ الْكَلْبُ مِنْ ظُلُمَانِهَا الطُّبْيَا^(٦)
لَا يَنْبِيعُ الْكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ حَتَّى يَلْفَ عَلَى خَيْشُومِهِ الذَّنْبَا^(٧)
مَاذَا تَرَيْنَ أَتُذَرِّنَهُمْ لِأَرْحُلِنَا فِي جَانِبِ الْبَيْتِ أَمْ نَبْنِي لَهُمْ قُبَا
لِمُرْمِلٍ أَزَادَ مَعْنَى بِمُجَاجَسِهِ مِنْ كَانَ يَكْرَهُ ذِمًّا أَوْ يَتَّقِي حِسْبَا^(٨)
وَقْتُ مَسْتَبْطَنًا سَفِي فَاَعْرَضَ لِي مِثْلَ الْمَجَادِلِ كَوْمٌ بَرَّكَتْ عُصْبَا^(٩)

- (١) الجذم : الأصل ، ونهكنا سوامه : أي ابرنا في السالمة من المال بما عودناها من النحر من قولهم نهكه المرض إذا أضر به ، والسوام : الأبل الراعية وجعله إلى جذم مرتبط بـ (قام) في البيت قبله والمعنى ففقت إلى الأبل التي انفدنا السوام منها في الضيافة وحمل الديارات مع لقاء عرشنا .
(٢) المتاح جمع منيحة وهي الناقة أو الشاة تدفع إلى الجار لينتفع بلبنها ما دام بها لبن فإذا انقطع لبنها ردت ، وقوله جعلناه دون النِّمِّ يريد صيرناه دون الدم (٣) ، يعني أنها على قلتها باركة بالغناء الحقوق لا تبلغ أن تصير سارحة ورائحة ولكن لنا حمد أرباب الأبل الكثيرة لجودنا وكرمنا .
(٤) معكان علم مرتجل فعلان من م ح ك ، ومرة هذا من بطن يقال لهم بنو ربيع بن سعد بن زيد مناة بن تميم وهو شاعر إسلامي مقل من شعراء الدولة الأموية ، عاصر جريرا والفرزدق فاخملا ذكره وكان شريفا جوادا ولا عقب له ، وهو أحد من حبس في القرى والإطعام ، قتله مصعب بن الزبير في ولايته لأم كان بينهما حبسه ثم دس إليه من قتله .
(٥) القرب جمع قراب السيف وهو كالجراب بوضع السيف فيه بفعله وغير السيف وإنما أمرها بضم الرجال والقرب لأنهم لما نزلوا عنده فقد آمنوا لا يحتاجون إلى حضور السلاح عنده .
(٦) قوله لا يبصر الكلب مبالغة من شدة الظلمة والكلب قوى البصر بالليل فإذا بلغ أمره إلى ما وصف فهو نهاية الظلم والطنب حبل البيت .
(٧) قوله حتى بلغني انتصب الفعل باضمارة ان وحتى بمعنى إلى كأنه قال إلى ان بلغ الذنب على خرطوميه إلا نبتة واحدة .
(٨) المرملة : الذي قد انقطع زاده .
(٩) يقال استنبطت فلانا دونك أي خامسته وتبظنت كلها دخلت فيه حتى عرفت باطنه وقوله فاعرض لي أي أبدت لي عرضها نوق كانهن قصور ، والكوم جمع أكوام وكوماء وهي العظام الاستمة ، وعصب جمع عصبية .

فصادف السيفُ منها ساقَ مثليةٍ جلسَ فصادف منه ساقها المَطْبَا^(١)
 زِيَافَةً بنتَ زِيَافٍ مذكَرَةً لَمَّا نَعَوْهَا لِرَاعِي مَرَحِنَا اِتَّجَبَا^(٢)
 اُمْطِيتُ جَزِيرَنَا اُطَى سَنَاسِنَهَا فصارَ جَازِرُنَا من فوقها قَتْبَا^(٣)
 يُنْشَلْشُ اللحمَ عنها وهى باركةٌ كما تَنْشَلْشُ كُفَا قَاتِلٍ سَلِيَا^(٤)
 وَقُلْتُ لَمَّا غَدَوَا اَوْسَى قَعِيدَتَنَا غَدَى بَنِيكَ فَلَنْ تَلْقِيَهُمْ حَقْبَا^(٥)
 ادعى اَبَاهُم ولم اُفَرِّقْ بِأَتَمِهِمْ وقد عَمِرْتُ ولم اُعرفْ لهم نسبَا
 اَنَا ابنُ عَمَّكَ اُخُوَالِي بنو مَطَرٍ اُنْمَى إِلَيْهِمْ وَكَانُوا مَعْشَرًا نَجْبَا^(٦)

« وقال آخر »

ومستبج قال الصدى مثل قوله حضأتُ له نارا لها حطبٌ جزلٌ^(٧)
 فقتت إليه مُسْرَمًا فننمتُهُ خَافَةُ قَوَى أَنْ يَفُوزُوا بِهِ قَبْلَ
 فَأَوْسَمَنِي حَمْدًا وَأَوْسَمَتِهِ قَرَى وَأَرْخِصْ بِمَحْمَدٍ كَانَ كَاسِبَهُ الْأَكْلَ

« وقال آخر »

رَكَتُ ضَائِي تَوَدُّ الذَّئْبَ رَاعِيَهَا وَأَمَّا لَا تَرَانِي آخِرَ الْأَيِّدِ^(٨)

(١) اراد انه عرقب ناقة منها ، والمثلية هي التي لها ولد يتلواها وقيل هي الحامل ، والجلس : الصلبة المشرفة وقيل هي الواسعة الاخلا من الارض والجلس المكان المرتفع (٢) الزيافة : التي تزيى في مشيها وتبتخر ، والمذكرة المتشبهة بالجمل ، ونعوها : اخبروا بنحورها ، والسرْح : المال الراعى ، والانتحاب رفع الصوت بالبكاء ، وانما بكى عليها لانها من خيار المال وامره عنده . (٣) يقال اُمطيت البعير اذا ركبت مطاه وهو الظهر وامطيته غيره وانما يصف اشراف ناقته التي نحرها فيقول ركبها جازرنا لما نحرها اذ كان اعلى سناسنهم لم تصل يده اليه فصار منها لما علاها بمكان القتب ، والسناسن اعلى السنانم والخارج من تقار الظهر واحدها سنسنة . (٤) ينشَلْشُ : اى يكشف ويفرق وقيل النشَلْشَةُ مباشرة الشيء حتى تأخذه كما تريد . (٥) الحَقْب : السنون واحدها حَقْبَةٌ . (٦) بنو مطر بن شيبان رهط ممن بن زائدة . (٧) حضأت له نارا : فتحت عينها لتلتهب وقد اوقدت بفلاظ الحطب وكرارها وحضأت له نارا جواب رب . (٨) الضان : ذوات الصوف من الغنم الواحدة ضائنة والذكر ضائن ، قال ابن الانبارى : الضان مؤنثة والجمع اَضُون مثل فلس وفلس وجمع الكثرة ضنين مثل كريم .

الذئبُ يَطْرُقُها في الدهر واحدةً وكلُّ يومٍ تراني مُدْبِئَةً بِيَدِي^(١)
« وقال آخر »

ما أنا بالساعي إلى أمٍ حاصمٍ لأضربها إن إذا لَحْجُولُ^(٢)
لكِ البيتُ إلا فَيَنَّةٌ تُحْسِنُها إذا حلَّ من ضيفٍ على زولِ^(٣)
« وقال بعض بني أسد »

وسوداء لا تُنْكِسِي الرِّقَاعَ نَبِيلَةً لها عند قرأتِ المشياتِ أزمَلُ^(٤)
إذا ما قرئناها قراها تَضَمَّنَتْ قِرَى من عرانا أو زُيْدُ قُفْضُلُ
« وقال آخر وهو عروة بن الورد »

سلى الطارقَ للمترِّ يا أم مالك إذا ما أتاني بين قَدْرِي ومَجْزَرِي^(٥)
أُسْفِرُ وجهي أنه أولُ القَرَى وأبْدُلُ معروفٍ له دون مُنْكَرِي^(٦)
« وقال آخر »

وإنا لَمَشَاوُونَ بين رحالنا إلى الضيف منا لَحِيفٌ ومُبِينُ^(٧)
فدو الحلم منا جاهلٌ دون ضيفه وذو الجمل منا عن أذاهُ حلِيمُ
« وقال ابن هرمة »

أُعَشَى الطريقَ بَقْبَتِي وِرْوَاقِها وأَحْلُ في نَشْرِ الرُّبَى فَأَقِيمُ^(٨)
إنَّ امرأً جعل الطريقَ لبيتِه طُنْبًا وأَنْكَرَ حقَه لِلثِّيمِ^(٩)

(١) المدية : الشفرة والجمع مدى ومديات .

(٢) قوله وما أنا بالساعي كأنه رأى انساناً يضرب امرأته ويحول بينها وبين تدبيرها دارها فنفي عن نفسه مثل ذلك بفعله المتناهي في الجهل .

(٣) الفينة : الوقت . (٤) القرة الشعر بعينه، والأزمَل : الصوت الشديد، والسوداء بمعنى قدرا والرقاع يعني الثياب ، ونبيلة : عظيمة الشأن وخص

قرات العتبات لانها وقت الأضياف . (٥) الطارق : الآني ليلا ، والمتر

المنعروض ولا يسأل ، وقوله : بين قَدْرِي ومَجْزَرِي يريد إذا أتاني في موضع الضيافة أعطينه أما لحما نيساً وذلك من الجزر وأما مطبوخاً وذلك من القدر .

(٦) قوله أنه أول القري يريد أن اظهار البشاشة للضيف من أوائل قراه والمتكر ههنا أن يساله عن اسمه ونسبه وبلده ومقصده وكل هذا مما

يجلب عليه حياء . (٧) أى يلبسه اللحف ونميم يحدثه حتى ينام . (٨) بمعنى أنه يضرب قبة على الطريق ، ويروي في قتل الربي .

(٩) بمعنى حق الطريق ولم يرض بالحلول على الطريق حتى وصله بالاقامة، وقوله جعل الطريق لبيته طنباً أراد جعل الطريق موضع طنب بيته فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه .

« وقال آخر »

- (١) ويستنبح تَشْكُشَطُ الرِّيحُ ثوبَهُ لِيَسْقُطَ عَنْهُ وَهُوَ بِالثَّوْبِ مُعْصِمٌ (١)
 موى فى سواد الليل بعد اعتسافه لينبجَ كلبٌ أو ليفزعَ نومٌ (٢)
 فجأوه مستمعُ الصوت للقرى له عند إتيان المهينَ مطعمٌ (٣)
 يكاد إذا ما أبصر الضيفَ مقبلاً يكلمه من حبه وهو أعجمٌ (٤)

« وقال سالم بن قُضْبان المنبرى »

- لا تمذلينى فى المطاء ويسرى لكل بمرّ جاء طالبه حبلًا (٥)
 فإنى لا تبسكى على إفاها إذا شبت من روض أوطانها بقلا (٦)
 فلم أر مثل الإبل مالا لثقتن ولا مثل أيام الحقوق لها سبلا (٧)
 « ومن خبر هذه الأبيات » أن سالم بن قُضْبان أتاه أخو امرأته فأعطاه بمرّاً من إبله وقال لامرأته هاى حبلًا يقرن به ما أعطيتاه إلى بمره . ثم أعطاه بمرّاً آخر وقال هاى حبلًا ثم أعطاه ثالثاً فقال هاى حبلًا فقالت ما بقى عندى حبل . فقال على الجبال . وعليك الجبال . فرمت إليه بنحارها وقالت اجمله حبلًا ليمضها فأنشأ يقول لا تمذلينى فى المطاء ، الأبيات . فأجابته امرأته .

حلفتُ يميناً يا ابنَ قُضْبان بالذى تكفل بالأرزاق فى السهل والجبل

- (١) كشط واستكشط بمعنى وهو كمعجب واستعجب والكشط والقشط يتقاربان وأصل الكشط البعير وإن استعمل فى غيره والجلد يقال له الكشاط والمعصم والمستعصم واحد وهو المستمسك بالشئ .
 (٢) الاعتساف : الأخذ فى الطريق على غير هداية وإنما يقال ليفزع نوم لانهم إذا انتبهوا لصوته أجابوه وتلقوه أو رفعوا النار له .
 (٣) قوله له عند إتيان المهين مطعم ، معنى سعة عيش الكلب فيما ينحر للضيف والمهين الضيف يقال هب من نومك واهبيه .
 (٤) أى يكاد الكلب يكلم الضيف حبا له إذا أقبل على عجمته .
 (٥) يسرى أى هبى وأهدى .
 (٦) إفاها : صفارها الواحد إفيل وفى معناه قولان أحدهما أن الإبل بهائم لا تهتم لى إذا مت بل ترتع وتشبع فموتى عندها وموت من لا ينحرها سواء ، والآخر أن ابلى لا تبكى بعد موتى بل تفرح بموتى لانى أنحرها فإذا مت فلعله يأخذها من لا ينحرها .
 (٧) المقتنى الذى يقتنى المال ونفس المال المدخر قنوة .

تَزَالُ حَيَالُ مَحْصَدَاتٍ أُعِدُّهَا لَهَا مَا مَشَى مِنْهَا عَلَى خَفِّهِ جَلٍّ^(١)
فَأَعْطِ وَلَا تَبْخُلْ لِمَنْ جَاءَ طَالِبًا فَمَنْدَى لَهَا حُطْمٌ وَقَدْ زَاغَتْ الْمُلَى^(٢)
« وَقَالَ آخِرُ »

أَلَا تَرَيْنَ وَقَدْ قَطَعْتَنِي عَدَلًا مَاذَا مِنْ الْيَمْدِ بَيْنَ الْبُخْلِ وَالْجُودِ
إِلَّا يَكُنْ وَرَقٌ غَضًا أَرَاهُ بِهِ لِلْمُتَغَيِّبِينَ فِإِنِّي لَبِنُ الْمَوَدِ^(٣)
« وَقَالَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ لِلنَّقْرِى »

إِنِّي أَمْرٌ لَا يَمْتَرِي خُسْفَى دَنَسٌ يَفْتَنُهُ وَلَا أَفْنُ^(١)
مِنْ مِثْقَلٍ فِي بَيْتٍ مَكْرُومَةٍ وَالنَّصْنُ يَنْبُتُ حَوْلَهُ النَّصْنُ
خَطْبَاءُ حِينَ يَقُولُ قَائِلُهُمْ بِيضُ الْوَجْهِ مَسَامِعُ لُسْنِ^(٢)
لَا يَفْطَنُونَ لِمِيبٍ جَارِمٍ وَهُمْ لِحَفْظِ جَوَارِهِ فُطْنُ^(٣)
« وَقَالَ ابْنُ عَقَّافٍ الْقَزَارَى »

رَأَى عَلَى مَابِي عُصْبَةً فَاشْتَكَى إِلَى مَا لِهَ حَالِي أَسْرًا كَمَا جَهَرَ^(١)
دَعَانِي فَاسْتَأْنَى وَلَوْ ضَنْ لَمْ أَلْمُ عَلَى حِينٍ لَا يَدْوُ رَجِي وَلَا حَصَرَ^(٢)
غَلَامٌ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْخَيْرِ يَأْفَمَا لَهُ سِيَمَاءٌ لَا تَشُقُّ عَلَى الْبَصَرِ^(٣)

(١) أى ما تزال وجاز حذفها للدلالة اليمين عليها . (٢) زاحت بمعنى زالت
وازحتها أزلتها . (٣) الورق المال من الأبل والوراق الرجل الكثير الورق ،
يقال رحل له أراح أى ارتحت وقيل الأريحي أفعلى من هذا وذكر الورق
كناية عن المسال كثير فى كلامهم « قال زهير :

وليس مانع ذى قربى ولا رحم يوما ولا معدم من خابط ورقا
لما استعار الورق للمال وصله بالخابط تحسينا لكلامه وكذلك هذا لما كنى
من معروفه بالورق وصله بالعود وإذا لأن العود اهتز وعن الاهتزاز الخير
بحصل الندى . (٤) يفنده : يفحشه والفند الفحش ويقال افند الرجل إذا
أتى بالفحش والافن اصله استخراج اللبن من الضرع حتى يخلو منه ثم
قيل افن الرجل فهو مأفون إذا زال عقله .

(٥) الصائغ جمع مصقع واصل الصقع الضرب وهو هنا رفع الصوت ،
اللسن جمع لسن يقال لسن يلسن لسنًا إذا تنهى فى البلاغة والفصاحة .

(٦) يقول هم يلابسون الجار على ظاهر أمره ولا يتحسسون عليه وان
اتفق له ما يوجب عليهم حفظه بعقد الجوار فطنوا له ، والفطن جمع فطن .

(٧) اشتكى إلى ما له مجاز جعل رجوعه إلى ما له فى اصلاح أمره شكاية
منه إليه ، وقوله أسر كما جهر أى لم يوافق يعنى انه أسر الاهتمام بأمري
كما أظهره . (٨) قوله . فاستأنى أى جعلنى أسوة له بأن أعطانى من ماله

وأو ضن أى بخل لم أله لضيق الزمان . (٩) السيماء الحسن والبهجة
أى قد وسعه الله تعالى بسببى حسنة مقبولة يلتذ الناظر إليها .

كان الثريا علقت في جبينه وفي خده الشعري وفي وجهه القمر
إذا قيلت الموراء أغضى كأنه ذليل بلا ذل ولو شاء لاتصمر^(١)
ولما رأى المجد استعيرت ثيابه تردى رداء واسع الذيل وانثر
قلقت له خيراً وأمنت فسله وأوفاك ما أسديت من ذم أو شكر^(٢)

قال أبو رياش : مر عميلة القزاري على ابن عنقاء القزاري وهو يحتش^(٣) لضمه .
وقيل يحفر عن البقل ويأكله ، فقال : يا ابن عنقاء ما أشارك إلى هذه الحال ؟ فقال له
ابن عنقاء : تغير الزمان ، وتمذر الأخوان ، وضن^(٤) أمثالك بما معهم فقال عميلة
لاجرم والله لاتطلع الشمس غداً إلا وأنت كأحدنا ثم انصرف كل واحد منهما إلى
أهله . وكان عميلة غلاماً حين بقل وجهه^(٥) فبات ابن عنقاء يتململ على فراشه
لا يأخذ النوم اشتغالا بما قال له عميلة فقالت له امرأته ما شأنك ؟ فاخبرها الخبر
فقالت : قد خرفت وذهب عقلك حتى تملق نفسك بكلام غلام حديث السن لا يحفل
بما يجري على لسانه . ويحكى أنه لما أصبح قالت له ابنته لو أتيت عميلة فقد وعدك
أن يقاسمك ماله فقال . يا بنية إن الفتى كان سكران ولا أدري لعله لم يقبل ما قاله فبينما
هي تراجع الكلام إذ أقبل عليهم كالليل من إبل وغنم وخيل ، وإذا عميلة قد وقف
عليه فقال : يا ابن عنقاء أخرج إلى نفرج إليه . فقال : هذا مالي أجمع هلم نقسمه
فقاسمه إياه بمرأ وبمرأ وفرساً وفرساً وشاةً وشاةً وجاريةً وجاريةً وغلاماً وغلاماً .
ثم انصرف فقال ابن عنقاء الأبيات .

« وقال آخر »

سأشكر مرراً إن تراخت منيبي أيدي لم تمن وإن هي جلت
ففي غير محجوب النني عن سديقه ولا مظهر الشكوى إذا النمل زلت

(١) الموراء الكلمة القبيحة ، واغضى طبق أجفانه .
(٢) أسدى من سدى البعير إذا قدم يديه في السير ومن أسداك خيراً فكانته
يسط به اليك يده مقبلاً .
(٣) يقطع الحشيش بعد جفافه .
(٤) ضن : أي بخل .
(٥) بقل وجهه أي خرج شعره .

رأى ختني من حيث يخفى مكانها فكانت قدى عينيه حتى تجلّت^(١)
« وقال رجل من بهرّاه واسمه فدكي »

إن أجز علقمة بن سيف سعية لا أجز يلاء يوم واحد
لأحبي حب الصبي ورمي رم الهدى إلى النقي الواجد^(٢)
وأجاني يوم الصراخ بهجمة مائتة تشق على عصي الدائد
ولقد نضحت مليتي فتميت من آل عتاب بماء بارد^(٣)

« ومن خبر فدكي » أنه كان مجاورا في بني تغلب لبني عتاب بن سعد ابن زهير
ابن جثم بن بكر بن حبيب بن مرو بن غنم بن تغلب فأقام فيهم مدة ثم إن علقمة
ابن سيف المتأبى غزا في بعض منازبه فأغار حنش بن معبد أحد بني ثعلبة بن بكر
ابن حبيب فأخذ إبل البهراني فكان إذا ورد بنو عتاب نعمهم حوض حوضا واستقى
فيه حتى يملأه ثم ينمز فيه ذكره ويقول : اشرب فإلى مال غيرك وإذا حضر
بجالسهم أنشأ يقول :

هل أنا إلا معزب لياليا لياليا من رجب ثانيا

ثم نجيء جبرتي بماليا

فلما قدم علقمة بن سيف أخبروه شأن البهراني ، فقال إن حنش بن معبد
لي صديق وإن وفدت عليه رد على الإبل ، فوفد عليه في جماعة من بني تغلب ،
فيهم رجل من بني الأوس بن تغلب ، وهم أشأم حتى في العرب بسبب رجل منهم
وقعت حرب البسوس وبسبب رجل آخر منهم وقعت حرب ابني بغيض ذبيان
وعبس . فلما قدموا على حنش بن معبد فرح بهم وبني عليهم قبة وأكرمهم

(١) الخلة : الفقر هنا ، وقوله فكانت قدى عينيه أي لم يصبر عليها كما
لا يصبر الرجل على قدى عينيه حتى يخرجه .
(٢) رمي : أصلح حاله « رم الهدى : الهدى العروس إذا زفت العروس
إلى الغني تكلف أهلها في حسن تجهيزها ثلثا يعيرها أهل زوجها خلا وقع في
أمرها ولا يعير زوجها أباه .
(٣) المليلة : شدة العطش والحرارة ، وتميت : بردت وذابت من مات
الدواء إذا أذابه .

ووعدهم أن يرد على حلقة بن سيف الإبل إذا أصبحوا فلما كان الليل استسمع عليهم
حنش بن معبد وهم يتحدثون ويذكرون ما صنع بهم حنش ووعده إياهم بـرد الإبل
وسمع الأوسى وهو يقول ألم أحدثكم أنها كالعصبة أزدردتها^(١) اللبوة إن لا تقنّها
تخرها فأغضب ذلك حنشاً وحلف أن لا يردّها منها بغيراً فلما رجعوا أخرج حلقة
بن سيف من ماله مائة بغير فأعطاها البهراني وقال هذا بدل ما أخذ منك ، فقال
البهراني : سأشكرهمراً الأبيات .

وقال الحسين بن مطير الأسدي في بعض العرب

له يوم يؤس فيه للناس أبؤس ويوم نيم فيه للناس أنم^(٢)
فيمطر يوم الجود من كفه الندى ويمطر يوم البأس من كفه الدم
ولو أن يوم البأس خلى عقابه على الناس لم يصبح على الأرض مجرم
ولو أن يوم الجود خلّى يمينه على الناس لم يصبح على الأرض معدم
وقال أبو الطمّاحان القتيبي واسمه حنظلة بن الشرق^(٣)

إذا قيل أى الناس خيرٌ قبيلةٌ وأصبرُ يوماً لا توارى كواكبه^(٤)
فأنتَ بى لام بن عمرو أرومةٌ سميت فوق صعبٍ لاتنال مراقبه^(٥)

(١) زرد اللقمة وازدردها : بلعها ، واللبوة كمنوة ، ويكسر وكسجرة وكقناة
الأسدة ، قال في المصباح : الهاء فيها لتأكيد التانيث كما في ناقة ونمجة لانه
ليس لها ملوك من لفظها حتى تكون فارقة ، ويقال : أجرى من اللبوة .
(٢) يقول إياهم هذا المدح مقسمة بين انعام وانتقام يوم يؤس تشقى به
اهدأؤه ويوم نعيم تحيا به وتسعد اوليأؤه ثم جاء بما عنده من الابيات مشروحا
فقال : فيمطر يوم الجود الخ .
(٣) ترجمته في الخزنة (٤٢٦٤٣) .

(٤) قبيلة منصوب على التمييز والمراد باليوم يوم الحرب والقتال، وتوارى
أصله تتوارى فحذف إحدى التاءين ، وأراد بكواكبه شدة ذلك اليوم ، قال
التبريزي : والأصل في هذا ان يوم طيمة لشدة القتال صعد الفبار في ذلك
اليوم وانعقد في الجو حتى ستر الشمس فرؤيت الكواكب ظهرا — والمعنى ان
سال سائل من خير قبيلة واصبرها يوم القتال الشديد قيل له بنو لام .
(٥) الرقاب : جمع مرقبة وهى المكان المشرف العالي يقف عليه الحارس ،
اى سميت فوق صعب يشق الارتقاء اليه ، الارومة : الاصل .

أضأت لهم أحسابهم ووجوههم دُجى الليل حتى نَظَمَ الجزءُ ثاقبه^(١)
وقال آخر

يا أيها التمنى أن يكون فتى مثل ابن زيد لقد خلى لك السبيل^(٢)
اعددْ نظائر أخلاق عُدَدَنَ له هل سبَّ من أحد أو سبَّ إداً بخلاً ؟
إن تنفق المال أو تكلف مساعيهُ يَصُصُّ عليك وتُفعل دون ما فعلا
لو يُبَيِّتُ الناس أديانهم وأبدم في ساحة الأرض حتى يحرقوا الإبل^(٣)
كي يطلبو فوق ظهر الأرض لم يجدوا مثل الذى غيبوا في بطنه رجلا
وقال شقران مولى سلمان من قضاة

لو كنت مولى قيس عيلان لم تجد على لإنسان من الناس درهما
ولكننى مولى قضاة كلها فلتسُ أبالي أن أدينَ وتقرما
أولئك قوى بارك الله فيهم على كل حال ما أعفَ وأكرما^(٤)
تقالُ الجفان والحلوم رَحَامُهم رعى الماء يكتالون كيلا غَدَمُنا^(٥)
جفاة الحُرُّ لا يصيبون مَفَصَلا ولا يأكلون اللحم إلا مُخَذَمًا^(٦)
وقالت لى الاخيلية ويقال بل قالها أبوها

نحن الأخيل لا يزال غلامنا حتى يدب على المصا مذكوراً^(٧)

(١) الجزء بالفتح ، فيه بياض وسواد ، الواحد جزعة مثل ثمر وثمره ،
والثقب الأضامة ، يقال نار ثاقبة وكوكب ثاقب وحسب ثاقب وقد ثقب
أى اشتد ضوؤه وتلاؤه . (٢) أراد بابن زيد عروة بن زيد الخيل أى
لقد خلى لك الطرق فى اكتساب مناقب الفتوة .

(٣) قوله حتى يحرقوا الإبل أى يهزلوها ويضعفوها بالأسفار ، وقوله لم
يجدوا جواب لو ، ومعنى البيتين : لو طاف الناس بالأرض حتى تتعب إبلهم
لكن يصادفوا عليها مثل هذا المدح الذى أودعوه بطنها لم يجدوا له نظيراً .
(٤) قوله على كل حال متعلق بقوله بارك الله فيهم أى بارك الله فيهم فى
سائر أحوالهم ، ثم قال مستأنفاً ما أعف وأكرما أى أعفهم وأكرمهم - والمعنى
أنه يدعو بالبركة ويتمتع من عافهم وكرمهم . (٥) القلدم كسفرجل الجزام
(٦) الخدم : سرعة القطع وفى الخدم زيادة تكلف ، يقول إذا أكلوا اللحم
على موائدهم لم يتناولوه إلا قطعاً بالسكاكين لا نهشاً بالأسنان « وقيل المراد
بالاختدام هو طيب النفس يقال رجل خدم أى طيب النفس والخدم السمع
(٧) الأخيل : جمع وهى قبيلة ، ويقال للشاهين الأخيل والجمع الأخيل
ومراد الشاعر نحن المعروفون المشهورون ، وقوله لا يزال غلامنا أى الغلام
من رفيع الذكر من صباه إلى أن يهرم .

تَبْكِي السِّيفُ إِذَا قَدَرْنَا أَكْفَنَّا جِزْعًا وَتَمَلَّنَا الرِّفَاقُ بِجُورًا
وَلَنَحْنُ أَوْثَقُ فِي صَدُورِ نَسَائِكُمْ مِنْكُمْ إِذَا بَكَرَ الصَّرَاخُ بِكُورًا^(١)
وَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْأَطْنَابَةِ أَحَدُ بَنِي الْخَزْرَجِ^(٢)

إِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ إِذَا انْتَدَوْا بِدَاوَا بِحَقِّ اللَّهِ ثُمَّ النَّائِلُ^(٣)
الْمَانِعِينَ مِنْ الْخَلْفَاءِ جَارَاتِهِمْ وَالْحَاشِدِينَ عَلَى طَمَامِ النَّازِلِ^(٤)
وَالْمُتَالِفِينَ قَصِيرَمَ بَنِيهِمْ وَالْبَاذِلِينَ عَطَاءَهُمْ لِلْسَائِلِ
الضَّارِبِينَ السَّكْبَشِ يَرِقُّ بِيضُهُ ضَرْبَ الْمَجْجِ عَنْ حِيَاضِ الْآبِلِ^(٥)
وَالْقَاتِلِينَ لَدَى الْوُغَى أَقْرَانَهُمْ إِنْ لُئِيَةً مِنْ وَرَاءِ الْوَائِلِ^(٦)
وَالْقَاتِلُونَ فَلَا يَمَابُ كَلَامُهُمْ يَوْمَ الْقَامَةِ بِالْقَضَاءِ الْفَاصِلِ^(٧)
خُزْرٌ هَيَّوْهُمْ إِلَى أَعْدَائِهِمْ يَمْشُونَ مَشَى الْأَسَدِ تَحْتَ الْوَابِلِ^(٨)
لَيْسُوا بِأَسْكَاسٍ وَلَا مِيلٍ إِذَا مَا الْحَرْبُ شَبَّتْ أَشْعَلُوا بِالشَّاعِلِ^(٩)

(١) إنما خص الصراخ بالكور لأن الفارة تقع صباحا (٢) الاطنابة . سير
الحزام يكون عونا لسيده إذا قلق ، قال سلامة : (يركضن قد قلت عند
الاطناب) والاطنابة سير يشد في وتر القوس العربية والاطنابة المظلة ، واسم
أم عمرو هنا وهو أحد من ملك الحجاز في الجاهلية وكان شاعرا مجيدا
وهو القائل :

أقول لها وقد جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي
تمثل به معاوية (رضى الله عنه) في إحدى وقعاته مع علي (رضى الله عنه)
وكاد يهزم فما لبث أن ثبت مكانه ، وأما الخزرج فالريح الجنوب (٣) انتدوا
تصدروا في النادى وهو المجلس ، وقوله بدأوا بحق الله يعنى الواجبات ،
النائل : يعنى العطاء للسائل (٤) قوله الحاشدين أى الذين لا يفترون عن
القيام بذلك ، والخنا : الفحش ، والنازل أراد به الضيف (٥) المهجع الذى
يطرد الأبل من الحوض إذا رويت فيقول لها جوه أو جاه وعندهم أن جوه
من زجر الأناث وجاه من زجر الذكور ، والأبل صاحب الأبل كالشاجر والأبلان ،
والكيش سيد القوم والبيضة بيضة الحديد التى تلبس للحرب (٦) يقول أن
النية من وراء الهارب أى تلحقه على كل حال لا منجى منه ، والوغى : الحرب
(٧) القامسة : المجلس (٨) الخزر ضيق المين كأنه ينظرس بمؤخرها ،
والوابل : المطر الشديد - معناه أنهم ينظرون إلى أعدائهم نظر استزراء ولا
يكتفون بهم ولا يزعجون من شيء لشدة ثباتهم (٩) الانكاس جمع تكس وهو
الذى لاخير فيه ، والميل جمع أميل وهو الذى لا يثبت على الفرس ، والمعنى
أنهم ليسوا بالضعفاء بل هم فرسان اذا أوقدت نار الحرب أشعلوها بمن
يشعلها

وقال حَجْر بن خالد يمدح النعمان بن المنذر

سَمِعْتُ بفعل الفاعلين فلم أجد كمثل أبي قابوس حزما ونائلا^(١)
فساق إلهي النيث من كل بلدة إليك فأضحي حول بيتك نازلا
فأصبح منه كل وادٍ حلقته من الأرض مسفوح المذائب سائلا^(٢)
متى تُنزع يُنزع الجود والبأس والتقى وتُصيح قلوب الحرب جرباء حائلا^(٣)
فلا ملكٌ يُدركنك سعيه ولا سوقةٌ ما يمدحك باطلا^(٤)

وقال آخر

ومستنجع بعد الهدوء دعوته بشقراء مثل الفجر ذاك وقودها^(٥)
قلت له : أهلاً وسهلاً ومرحباً بموقد ناري محمد من يودها
نصبنا له جوفاء ذات ضبابية من الدم مبطناً طويلاً رُكودها^(٦)
فإن شئت أنويناك في الحى مكرما وإن شئت بلغناك أرضاً زريدها^(٧)

وقال آخر

ومستنجع نهوى مساقط رأسه إلى كل شخص فهو للسمع أنور^(٨)

(١) أبو قابوس كنية النعمان والكاف من كمثل زائدة ومثله (لواحق الأقراب فيها كالمق) أراد فيها الملقب كما أن هذا يريد لم أر مثل أبي قابوس
(٢) فأصبح منه أى من النيث وانتصب مسفوح المذائب على أنه خبر أصبح
والمذائب المسائل (٣) ليس للحرب قلوب إنما هو مجاز استعمله لضعف الحرب بعده لأن القلوب إذا جريت لم تتركب وإذا حالت لم تحلب (٤) السوقة سموا سوقة لأن الملك يسوقهم على حكمه الواحد والجمع في اللفظ سواء ، وقوله ما يمدحك باطلا أى مدحا باطلا وانتصب باطلا على أنه صفة لمصدر محذوف (٥) بعد الهدوء أى بعد قطعة من الليل يهدأ فيها الناس ، وشقراء نار شبهها بالفجر لارتفاعها وانتشارها وقوله ذاك وقودها أى متقد إيقادها وهذا من باب جنونك مجنون وشعرك شاعر ومعنى دعائه إلى النار الهابة إياها ليبرض ضوءها فيجىء إليها (٦) جوفاء : أى قدرا واسعة الجوف كثير الأخذ ، والضبابية : ما يتعقب المطر من الظلمة الرقيقة والسحاب الرقيق وذكر ههنا مثلاً والدم السود « وركودها لينها على النار لعلظها وكثرة اللحم فيها (٧) يقول أن أردت الإقامة اقمتم مكرما معظما وإن أردت التوجه في مقصدك بلغناك مقرك (٨) المساقط جمع مسقط ويريد به المصدر أى يعيل رأسه إلى كل شخص يقدره انسانا ليلتجىء إليه لأنه ضل الطريق

يُصَفِّقُهُ أَنْفٌ مِنَ الرِّيحِ بَارِدٌ وَنَكْبَاهُ لَيْلٌ مِنْ مُجَادَى وَصَرَصٌ^(١)
 حَبِيبٌ إِلَى كَلْبِ الْكَرِيمِ مُنَاخَهُ بَنِيضٌ إِلَى الْكُومَاءِ وَالْكَلْبُ أَبْصَرُ^(٢)
 حَضَاتٌ لَهُ نَارِي فَأَبْصَرَ ضَوْعَهَا وَمَا كَادَ لَوْلَا حَضَاةُ النَّارِ يُبْصِرُ^(٣)
 دَعَتْهُ بِتِيرِ اسْمِ هَلَمْ إِلَى الْقَرَى فَأَمْرَى يَبُوعُ الْأَرْضِ وَالتَّارِ تَزْهَرُ^(٤)
 فَلَمَّا أَضَاءَتْ شَخْصَهُ قُلْتُ مُرْحَبًا هَلَمْ وَلِلصَّالِينَ بِالنَّارِ أَبْشَرُوا^(٥)
 جَاءَ وَمَعْمُودُ الْقَرَى يَسْتَفْرِهُ إِلَهَا وَدَاعَى اللَّيْلِ بِالصَّبْحِ يَصْغُرُ^(٦)
 تَأَخَّرَتْ حَتَّى لَمْ تَكُنْ تَصْطَفِي الْقَرَى عَلَى أَهْلِهِ وَالْحَقُّ لَا يَتَأَخَّرُ^(٧)
 وَقْتُ بِنَصْلِ السِّيفِ وَالْبَرْكَ هَاجِدٌ بِهَازِرُهُ وَالْمَوْتُ بِالسِّيفِ يَنْظُرُ^(٨)
 فَأَعْضَضَتْهُ الطُّوْلُ سَنَامًا وَخَيْرَهَا بَلَاءٌ وَخَيْرُ الْخَيْرِ مَا يَتَحَيَّرُ^(٩)
 فَأَوْفَضَنْ عَنْهَا وَهِيَ تَرْغُو حُشَاشَةً بَنَى نَفْسَهَا وَالسِّيفُ عُرْيَانٌ أَحْمَرُ^(١٠)

والأصور . المائل (١) يصفقه . يضربه ، والأنف من الريح أولها ، والنكباء . كل ريح تهب بين ريحين من الرياح الأربع ، والصرصر : الريح الباردة (٢) الكوماء الناقة العظيمة السنام ، وأبصر بمعنى أعلم من بصر القلب لأبصر العين ، معناه أن كلب الرجل الكريم يحب الضيف ليأكل من طعامه وأن ناقتة تكره الضيف لأنه ينحرها له (٣) حضات له ناري رفعتها له ليستدل بها ولولا رفعها له ما كان يبصر الطريق ولا يهتدى (٤) يبيع الأرض . أى يقطعها بخطو واسع وحركة سريعة ويقال يبتع أبوع بوعا من هذا وفرس بيع واسع الخطو والنار تزهو الواو واو الحال وتزهو تضيء في صعود (٥) أى لما دنا منى وترأى لى شخصه بضوء النار تلقينه بالترحيب وقلت لمن حول النار من المصطلين ومن الأهل والخول استبشروا بالضيف ، وقوله مرحبا تسليم عليه ، وهلم أمر بالدنو له فكانه استأنف بعد التسليم بهذا الكلام ولم يجمعهما اللفظ به في حالة واحدة (٦) يستفزه : أى يستحثه ، وداعى الليل . ما يصوت بالسحر مثل الديك وغيره ، والصغير : كل صوت يمتد مع رقة (٧) أى قلت للضيف تأخرت حتى كاد غيرك يسبق إلى القرى فينال صفوة القرى أى خياره دونك ولكن حق الضيف لا يؤخر منه بتأخر حضوره (٨) البرك : الأبل ، والهاجد : النائم ، والههاز جمع بهزة وهى الناقة العظيمة (٩) فاعضضته الطولى أى جعلت السيف بعضها والطولى مؤنثة الأطول وخيرها بلاء أى واحسنها نعمة ومن نعمة الناقة أن تكون كريمة الأولاد غزيرة اللبن سريعة السير وغير ذلك من الصفات الحمودة فيها ، ومعناه أنه نحر من الأبل أطولها سناما وأطيبها لحما وأكرمها عنده منزلة (١٠) أوفضن أى تفرقن بسرعة وأصل الانفاض الإسراع وتفرغو من الرغاء أى تصوت ، والحشاشة بقية الروح، وبنى نفسها أى بخالصة نفسها ، وعريان أحمر أى مجرد من غمده متلطف بدم الناقة

فبات رُحْبُ جَوْنَةٍ من لحامها وفوها بما في جوفها يتفرغر^(١)

وقال آخر

وما يكُ في من عيبٍ فاني جبان الكلب مهزول الفصيل^(٢)

وقال آخر

سأدحُ من قدرى نصيباً لجارتى وإن كان ما فيها كفافاً على أهلى^(٣)

إذا أنت لم تشرك رفيقك فى الذى يكون قليلاً لم تشاركه فى الفضل^(٤)

وقال عمرو بن الأَتم

ذرى فإن الشحَّ يأم هيثم لصالح أخلاق الرجال سروق^(٥)

ذرى وحطى فى هواى فإنى على الحسب الزاكى الرفيع شفيق^(٦)

ذرى فإنى ذو فصال تهمنى نوابٍ ينشى رزؤها وحقوق^(٧)

وكلُّ كريم يتقى التم بالقرى وللحق بين الصالحين طريق^(٨)

لمرك ما ضاقت بلادٌ بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق^(٩)

(١) الرحاب الواسعة وأراد بها القدر ، والجونة السوداء ومن لحامها خبر باتت تقولك أنت منى ، وفوها أى فمها ، ويتفرغر أى يصوت من شدة قلبانها ويسيل بما فيها على النار (٢) جبان الكلب أى كلبى جبان وفصيل مهزول إنما قال جبان الكلب لأنه تعود أن يسالم الطراق لثلا تنأذى به الضيوف إذا وردوا وقال مهزول الفصيل لأنه يؤثر بلبن أمه غيره أو تنحر عنه ، (٣) الأدح : الغرف ، والكفاف : ما يكف الإنسان عن السؤال ويكون على قدر حاجته لا يزيد عنها ولا ينقص (٤) الفضل ما يدا من الحاجة ومثل هذا البيت قول الآخر

ليس العطاء من الفضول سماعة حتى تجود وما لديك قليل

(٥) يقول ذرىنى أجر على كرمى فان الشح يزين للإنسان العذر الكاذب والعلل الباطلة فكانه يسرق كل أخلاقه الحميدة (٦) حطى فى هواى أى ساعدنى على الجود ، والزاكى : الزائد ، وشفيق ومشفق والشفقة عطف مع خوف وإهدا لا يوصف الله تعالى بالشفقة (٧) ينشى رزؤها أى يغشائى رزؤها فحذف المفعول ومعنى الرزء هنا إصابة الناس من ماله وانتفاعهم به ويقال منه وهو يرزأ إذا كان سخياً ينال الناس أفضاله (٨) القرى طعام الضيافة معناه أن كل كريم يبذل ماله دون عرضه ويتبع سبيل الحق ويسلك طريقه ليستوجب المدح والشكر (٩) تضيق : أى تضيق ذلك لأن ما تقدمه يدل عليه ، معناه أن أرض الله واسعة لم تضق على امرئ وإنما تضيق أخلاق الرجال وصودرهم

وقال آخر

أجلك نوم حين صرت إلى الننى وكل غنى في القلوب جليل^(١)
وليس الننى إلا غنى زين الفنى عشية يقرى أو غداة يُنيل
وقال النظم بن رباح المرى^(٢)

بكر المواصل بالسواد يلبنى جهلا بقلن ألا ترى ما يصنع^(٣)
أفئيت مالك في السفاه وإنما أمر السفاهة ما أمرتك أجمع^(٤)
وقتود ناجية وضعت بقفرة والطير غاشية المواقى وقّع^(٥)
بمهند ذى حلية جردته يبرى الأصم من المظالم ويقطع^(٦)
لتنوب نائبة فسلم أنى ممن يفر على الثناء فيضدع
إلى مقسم ماملكت ففاض أجراً لآخرة ودنيا تنفع
وقال أرطاة بن سبية المرى

فلو أن ما نعطى من المال نبغى به الحمد يعطى مثله زاهر البحر^(٧)
أظلت قراقير صيماً بظاهري من الضحل كانت قبل بلج خضر^(٨)
ولا نكسر المظلم الصحيح تمرزاً ونفنى عن المولى ونجبر ذا الكسر

(١) يقول لما استغفنت عظمى في عيون الناس فاجلوا قدرك وليس الفنى إلا ما يضاف به القوم عشية إذا نزلوا ويصلهم بالفداة إذا ارتحلوا (٢) هو شاعر جاهلى وهو الذى التجأ بالحصين بن الحمام المرى لما قتل حباشة الذى كان في جوار الحرث بن ظالم فأجاره الحصين وفرغ منه دية القتل ، هذا وقال دهميل ان هذه الأبيات لشبيب بن البرصاء (٣) إنما قال بكر المواصل لأن العرب تشرب ليلاً وتسكر وتهب فإذا أصبحت لامها من أراد لومها على ذلك بالسواد قبل الأسفار وقوله ألا ترى أى شئ تصنع (٤) السفاه والسفاهة الخفة والطيش معناه قالت لى المواصل ضيعت مالك في السفاهة وليس بى سفاهة وإنما السفاهة ماقلته من عدلى ولومى (٥) وقتود مجرور برب بمقدرة والقتود جمع قند وهو خشب الرجل ، والتاجية . الناقة القوية السريعة ، والمواقى : الطير جمع عافية وهو من قولهم عفاه واعتناه إذا طلب معروفه (٦) ومهند تعلق بقوله وضعت بقفرة لأنه في معنى عرقبت والمراد بالحلية دم الناقة الذى تلتطخ به السيف جعله كالحلية له . ويبرى يقطع ، والأصم : ما ليس بأجوف فإذا قطع الأصم فهو للمجوف أقطع معناه أنه عرقبت الناقة بسيف ماض (٧) زاهر البحر أى طافى البحر (٨) أى لظلت سفن راكدة وواحد القراقير قرقرور وهى السفن ، والضحل : الماء القليل يترقق على وجه الأرض ، واللاجج جمع لجة ، وهى معظم البحر ، والخضر : الأسود والبحر الأخضر الأسود

غلبنا بنى حواء مجداً وسودداً ولكننا لم نستطع غلب الدهر^(١)
وقال جُزُرُ بن حبة النُبسى
ولا أدومُ قدرى بعد ما نضجتُ بَحْلاً لنمغ ما فيها أثافها^(٢)
حتى تقسم شتى بين ما وسمتُ ولا يؤنب تحت الليل عافها^(٣)
لأحرم الجارة الدنيا إذا اقتربت ولا أقوم بها وى الحى أخزها^(٤)
ولا أكلها إلا علانيةً ولا أخبرها إلا أئادها^(٥)
وقال المساور هند بن قيس بن زهير

فدى لبنى هند غداة دعوتهم بجوى وبلى النفس والأب^(٦) إن
إذا جارة شلت لسمد بن مالك لها إبل شلت لها إبن^(٧)
إذا عقدت أفناء سمد بن مالك لهاضة عزت بكل مكان
إذا سئلوا ما ليس بالحق فيهم أبى كل مجنى عليه وجانى
ودار حفاظ قد حلتم مهانة بها نيبكم والضيف غير مهان^(٨)
وقال آخر

جزى الله خيراً غالباً من مشيرة إذا حدثان الدهر ثابت نوابه^(٩)
فكم دفعوا من كربة قد تلاحت على وموج قد علتى فواربه^(١٠)
إذا قلت عودوا عاد كل شمر دل أشم من القتيان جزل مواهبه^(١١)

(١) المراد بنى حواء جميع الناس (٢) أى لا أطيل ادامة قدرى بعد ادراكها على الاتافى بخلا بما فيها وجعل المنع للاتافى لأنها لم تعرف مادامت عليها منصوبة ، والاتافى جمع اتفية وهى الحجارة التى توضع عليها القدر (٣) ولا يؤنب أى لا يلام . والعافى طالب المعروف (٤) الدنيا : أى القربى ولا أقوم بها تقول العرب قام بى فلان وقعد اذا تشنا عنك قبيحا . وأخزها أى أهينها (٥) العلانية ضد السر (٦) وبلى . اسنم ماء لبنى عبس أضيف إليه الجو والجو ما اطمان من الأرض (٧) شلت : طردت (٨) دار الحفاظ : هى التى يقيم بها أهلها فى الجذب والخصب يحافظ على صيانتها مهانة . والنيب جمع ناب وهى الناقة المسنة (٩) الحدثان . نواب الدهر وشدائده مصدر حدث (١٠) الكربة اسم لما يأخذ بالنفس من الهم والحزن . وتلاحت ، اشتدت ولزمت . والفوارب جمع غارب وهو أعلى الموج وأعلى الظهر (١١) إذا قلت عودوا أى الى الحرب . والشمر دل : الطويل ، والأشم . من

إذا أخذت بُزْلُ الخاض سلاحها تجرد فيها متلف المال كاسبه^(١)
وقال آخر

وليس فتي الفتيان من جُلِّ هم صبيوح وإن أسمى فضل غبوق^(٢)
ولكن فتي الفتيان من راح أو غدا لضرر عدو أو لنفع صديق
وقال خراز بن عمرو من بني عبد مناف

لنا إبلٌ لم سُنْ ربّها كرامتها والفتى ذاهب
هجانٌ يكافأ منها الصديقٌ ويدرك فيها المني الراغب^(٣)
ونظمن عنها نحور السدى وشربٌ منا بها الشارب^(٤)
ونؤلفها في السنين السكول إذا لم يجد مكسباً كاسب^(٥)
ولم تك يوماً إذا رَوحت على الحى يلقى لها جادب^(٦)
حبانا بها جدنا والإله وضرب لنا خِذْم صائب^(٧)

وقال مضر بن رابى

وإني لأدعو الضيف بالضيء بعد ما كسى الأرض نضاح الجليد وجامده^(٨)
لأكرمه إن الكرامة حقّه ومثلان عندى قُريّه وتباعده
أيت أشييه السديف وإننى بما نال حتى يترك الحى حامده^(٩)

الشمم كناية من الكرم وأصله ارتفاع الأنف (١) البزل جمع بازل وهو التناهى
قوة وشباباً . والخاض . التوق الحوامل والمراد بسلاحها محاسنها وإمارات
عتقها وكرمها . ومتلف المال كاسبه هو كقولهم مخلف متلف ومخلاف متلاف
(٢) من جل همه أى اكبر همه وقصده والصبيوح الشرب فى اول النهار ،
والغبوق : الشرب فى آخره (٣) الهجان الإبل الأبيض ويقع على الواحد والجمع ،
ويكافأ من الكفاة وهى المجازاة والمراد بالصديق جنسه ، والمراد بالراغب
طلب الخير والمعروف (٤) معناه ندفع عنها القارات ونحمى دونها والمراد
بالشارب هنا شارب الخمر (٥) اراد بالكلول الضعفاء الواحد كل . وقوله
إذا لم يجد مكسباً كاسب بدل من قوله فى السنين أى إذا اشتد الزمان جعلنا
إبلنا بألفها كلول الناس فينالون منها (٦) الجادب العائب (٧) حبانا من الحباء
وهو العطاء بلا جزاء ولا من . والخدم . القاطع أى بضرب قاطع صائب
(٨) دموة المارة وباتوها فيضيفوهم ويكرمهم . والنضاح الرشاش . والجليد
ما سقط على الأرض من الندى فيجهد لبرد الهواء (٩) السديف شحم السنام
وقوله وإننى بما نال الذى يريد أن أقترح على شيئاً أعدّه نعمة يستوجب منى

وقال حماس بن ثامل

ومستنجح في لُج ليلر دعوة^(١) بمشوبة في رأس صمد مقابل^(٢)
وقلت له : أقبل فإنك راشد^(٣) وإن على النار أئندى وإن ثامل^(٤)

وقال النمرى ويقال إنها لرجل من باهلة

وداع دما بمد الهدوء كأنما يقاتل أهوال السرى وهاتله^(٥)
دما بأئسا شبه الجنون وما به جنون ولكن كيد أمر يحاوله^(٦)
فلما سميت الصوت ناديت نحوه بصوت كريم الجدر حلو شأله^(٧)
فأبرزت ناري ثم أقميت ضوءها وأخرجت كلي وهو في البيت داخله^(٨)
فلما رآني كبر الله وحسده وبشر قلبا كان جمّا بلبله^(٩)
قلت له : أهلاً وسهلاً ومرحباً رشدت ولم أقمد إليه أسأله^(١٠)
وقت إلى برك هجان أمده لوجبة حق نازل أنا فاعله^(١١)
بأبيض خطت نعله حيث أدركت من الأرض لم تخط على حائله^(١٢)
جال قليلاً واتحاني بخبره سناماً وأملاه من النى كاهله^(١٣)

حمدا وشكرا عليها وذلك له طول مقامه الى أن يفارقنى . وقال النمرى هو منصور بن الزبرقان أحد بنى نمر بن قاسط من شعراء الدولة العباسية وكان مع الرشيد ومقدما عنده كما في مختصر شرح الحماسة (١) المستنبح من يطلب نباح الكلب ليهندي بذلك في طريقه ولج الليل معظم ظلمته وأصله لمعظم الماء ، والمشوبة : النار المضرة ، والصمد : الجبل أو الأرض المرتفعة (٢) راشد مهتد ، والندى : الجود (٣) الهدوء السكون ، والسرى السير ليلاً ، وقوله كأنما يقاتل النخ يريد أن الحال بلغ به حدا رأى فيه أن أهوال السرى تغالبه عن نفسه ويصارعها عنها ويدفعها (٤) البائس . هو الذى نزلت به شدة ، والمراد به الكلب ، والكيد الحيلة . ويحاوله يطلب دفعه والخللاص منه (٥) حلو شأله أى أخلاقه كريمة (٦) أقميت ضوءها أزهته ، والانقاب الانارة وهو في البيت مبتدأ وخبر وداخله خبر ثان (٧) جمّا بلا بله أى همومه كثيرة (٨) أى وجدت أهلاً وسهلاً وسعة ، ورشدت اعتدلت (٩) البرك اسم جمع لما يبرك من الإبل ، والهجان كرائم الإبل . ووجبة الحق نزوله (١٠) بأبيض متعلق بقوله قمت في البيت قبله . والأبيض السيف ونسل السيف ماتكون في أسفل غمده من حديد أو غيره من المعادن . ولم تخط أى لم تضطرب ولم تظل . وحائل السيف علاقته (١١) فاعل جال عائد على البرك المتقدم ذكره . والنى : الشحم ، والكاهل ما بين الكتفين

بقوم هجان مصعب كان غلها طويل القرى لم يعد إن شق بازله (١)
فخرٌ وظيفُ القرم في نصفِ ساقه وذلك عقالٌ لا يُنشطُ عاقله (٢)
بذلك أوصاني أبي ومثله كذلك أوصاه قديماً أواثله

وقال النابغة الذبياني

له بفناء البيت سوداء فحمة تلقم أوصال الجزور الرماح (٣)
بقية قدر من قدور فورئت لآل الجلاج كبراً بمد كابر
نظف الإمام يتدنن قديمها كما ابتدرت بسعد مياة قرأت (٤)

وقال الفرزدق

وداع بلخن الكلب يدعو ودونه من الليل سحفا ظلمة وغيومها (٥)
دما وهو يرجو أن يُنبه إذ دما فتي كبن ثيل حين غارت نجومها (٦)
بعثت له دماء ليست بلفحة تدر إذا ما هب نحساً عقيماً (٧)
كأن المحال الثرى في حصراتها مذارى بدت لا أصيب حميمها (٨)

(١) القرم : الحمل الشاب وهو بدل من خبره في البيت قبله ، والمصعب
الفحل الكريم الذي لا يتبدل في العوارض بل يقصر على الضراب والضمير
في فحلها راجع الى البركة فيما تقدم . والقرى الظهر ، وشق بازله طلع سنه
وذلك سن يطلع للجمال في السنة التاسعة من اعمارها (٢) فخر اى فسقط ،
والوظيف : مستندق البراع ، والعقال ما يعقل ويربط به من جبل ونحوه ،
ولا ينشط اى لا ينحل (٣) فناء البيت : هو ما امتد من جوانبه ، ويعنى بالسوداء
القدر ، والفخمة العظيمة ، والأوصال المفاصل ، والجزور الناقة ، والعرار
العظيم الخلق وجعل اشتمالها على الاوصال كتلقمها اياها (٤) القديح فعل
بمعنى مفعول وهو المرق المقدوح ، وقرقر واد بالدهناء وشبه تبادر الاماء
نحو القدر بتبادر بطون سعد الى تلك المياه (٥) يعنى مستتبحا تكلف نبح
الكلب في صورته وفعل ذلك اذ حال بينه وبين المناظر من الليل ستران من
الظلم والتباس الفيوم (٦) غارت نجومها : اى غابت وذبحت (٧) الدهماء :
السوداء وأراد بها القدر ، والعقيم الريح التى ليس معها مطر لانها لاتنفع
الأشجار ، وقوله ليست باللفحة اى ليست هى بناقاة وانما هى قدر تدر بمرقها
اذا ذهب عقيم الريح بالنحس (٨) المحال : فقر الظهر واحده محالة ، والفر :
البيش ، والحجرات : الجوانب ، والمذارى : الابتكار ، والحميم : القريب
الذى يهتم لأمره وشبه المحال وفقر الظهر في نواحي القدر وجوانبها وهى
بيضاء سمينة مع تضمن القدر السوداء لها بالمذارى الابتكار وقد لبس ثياب
السواد لما أصبى بمن يعر عليهن .

غضوباً كحزوم النمامة أجمت بأجواز خُشبٍ زال عنها هشيمها^(١)
مُحصرة لا يُجملُ السُترُ دونها إذا المرُضع الموجه حال برئيمها^(٢)
وقال شُريح بن الأُحوص

ومستنبح يبغي البيت ودونه من الليل سجنًا ظلمة وستورُها
رفعت له ناري فلما اهتدى بها زجرت كلابي أن يهرَّ عَقورُها^(٣)
فبات وإن أُسرى من الليل عتبةً بليلةً صدق ظب عنها شُورُها^(٤)
وقال مسكين الدارمي

كلُّ قدورٍ قوى كلَّ يوم قبابُ الترك مليسةً الجلال^(٥)
كلُّ الموفدين بها رجالٌ طلاها الزفت والقِطران طالي^(٦)
بأيديهم منارفٌ من حديدٍ أشبهها مقبرة الدوالى^(٧)
وقال السكُّلي

أماذل بكيفي لأضيافٍ ليلة زور القرى أُمست بليلاً شامها^(٨)
أماز مهلا لا تلمى ولا تكن خفيًا إذا الخيرات عدت رجلاها
أرى إلى تجزى مجازي هَجَمَةٍ كثير وإن كانت قليلًا إفاها^(٩)
مناكيلٌ ما تفكَّ أرحلُ حِمَّةٍ تُردُّ عليهم نوقها وجالها^(١٠)

(١) غضوباً صفة لدهماء وجعل غليانها بمنزلة الغضب ، وحيلوم النمامة : صدرها واحمشت أى اشبعت وقوداً تحتها ، والأجواز : الأوساط ، والهشيم : الياابس المتكسر من النبات . (٢) محصورة أى لا يمنع منها أحد ، والموجه : التى أعوجت هزلاً وجوعاً ، والبريم : خيط أو سير ينظم فيه خرز فتشده النساء فى أوساطهن وإنما يجول البريم إذا أثر الهزال فيها .

(٣) أراد أن لا يهرهر الكلب إذا صوت وموضع قوله أن يهر نصب على البدل من كلابي . (٤) انتصب عتبة على الظرف وأصلها أن يتعاقب الثنان على بصر فإذا ركب أحدهما مشى الآخر ثم كثر استعماله فاجبرى مجرى النوبة والغرصة . (٥) المعنى أنه يشبه قدور قومه فى عظمتها واتساعها واسوداد ظواهرها بقباب الترك التى البست اغطية سودا .

(٦) يريد بالموفدين المزاويلين لها فى نصبها وإنزالها وطبخها وأصل الموفد المشرف على الشيء العالى عليه . (٧) المقبرة : المطيلة بالقار وهو الزفت ، والدوالى جمع دالية وهى دلو يستقى بها . (٨) أماذل منادى مرخم عاذلة ونزور القرى أى قليل القرى : البليل الريح الباردة مع المطر .

(٩) الهجمة : القطعة من الإبل من الأربعين إلى المائة والأفال جمع أفيصل

وقال جابر بن حيان

فإن يقتسم مالى بئى وإخوتى فلن يقتصوا خلقى الكريم ولا فى (١)
أهين لهم مالى وأعلم أنى سأورثه الأحياء سيرة من قبلى
وما وجد الأضياف فيما ينوبهم لهم عند هلات الزمان أباً مثلى (٢)
وقال عتبة بن بجير

لحافى لحاف الضيف والبيت يته ولم يلهى عنه غزال مقنع (٣)
أحدثه إن الحديث من القرى وتعلم نفسى أنه سوف يهجع
وقال المرار القمصى

آليت لأخفى إذا الليل جنى سنا النار عن سائر ولا متنور (٤)
فيأوقدى نارى أرفماها لملها تضى لسائر آخر الليل مقتر (٥)
وماذا علينا أن يواجه نارنا كريم الحيا شاحب المتحسر (٦)
إذا قال : من أنتم ليمرف أهلها رقت له بأسمى ولم أنسك
فبتنا بجير من كرامة ضيفنا وبنا نهي طعمه غير ميسر (٧)
وقال يزيد بن الطثرية

إذا أرساوى عند تقدير حاجة أمارس فيها كنت نعم المارس (٨)
ونفى تقع اللوسرين وإما سواى سوام المقترين المالس (٩)

اعتادت أن تشكل ولدها أى تفقده بحر أو موت أو نحوه ، الجمة الجماعة ترد
فى الصلح بين الناس والارحل جمع رحل وهو المئوى والمنزل .

(١) يقول ان اقتسم مالى أولادى فلن يقتصوا ما تفردت به من خلق كريم
ولعل جميل اعدهما لزوارى . (٢) هلات الزمان : مكارهه وشدائده وجعل
نفسه أباً للأضياف لأنه يحنو عليهم حتى الأب وهذا على عادتهم فى تسمية
المضيف أباً المئوى . (٣) كنى بالفرال المتنع عن ذى الوجه الجميل وبهجع بنام
ومعنى البيتين كل ما املكه فهو ملك للضيف وليس يلهى عنه ما يلهى الناس
وانى لا اقتصر على اطعامه بل لا ازال أحده وأسامره وأونسه حتى تطيب
نفسه فاذا رأته يميل الى النوم خليته . (٤) آليت : حلفت ، وجنة الليل
سره ، والسنا : الضوء ، والسراى : المسافر ليلاً . (٥) المقتر : البائس المفتقر
(٦) شاحب المتحسر أى متغير ما يبدو منه كالوجه واليد والرجل وانما
شحب لتعب السفر . (٧) الطم : الطعام والميسر : القمار .

(٨) أمارس : أهانى وجملة أمارس صفة لحاجة يصف نفسه بحسن التانى
فى الامور يرسل فيها . (٩) السوام : الانعام الراعية ، والمقتر : الفقير ،

وقال عروة بن الورد المبس

أرى أم حسانَ الغداة تلوئى
تُخَوِّفُني الأعداء والنفسُ أخوفُ^(١)
لعل الذى خَوَّفَتنا من أماننا
يُصادفه فى أهله المتخلف
إذا قلت قد جاء النفى حال دونه
أبو صَبِيَّة يشكو المفاقر أعجفُ^(٢)
له خَلَّةٌ لا يَدْخُلُ الحقُّ دونها
كريمُ أصابته حوادثُ تَجْرُفُ^(٣)

وقال الاقرع بن معاذ

إنَّ لنا صِرْمَةً تُلْقَى مُخَيَّسَةً
فيها معاذٌ وفى أربابها كرمُ^(٤)
تُسَلِّفُ الجارَ شِرْباً وهى حائِمةٌ
ولا يبيت على أعناقها قَسَمُ^(٥)
ولا تُسَفِّهُ عند الخوض عطشُها
أحلامنا وشريب السوء يحْتَدِمُ^(٦)

وقال يزيد بن الجهم الهلالي ويروى لَحْمِيذ بن ثور

لقد أُمِرْتُ بالبخلِ أمَّ عميدٍ
قفلت لها حُثْيً على البخلِ أحمداً
فإني امرؤٌ عودتُ نفسى عادةً
وكلُّ امرئٍ جارٍ على مائتوداً
أحينَ بدا فى الرأسِ شيبٌ وأقبلت
إلى بنو عَيْلان مثنى ومَوْحداً^(٧)
رَجَوْتُ سِقَاطِي واعتلالِي ونَبَوِي
وراءك هنى طالقاً وأرحلى غداً^(٨)

صار صاحب فلوس بعد أن كان صاحب أموال وتفليس الحاكم معروف وهو من هذا كانه ينسبه الى ذلك فهذا كالتعديل والتفسيق يقول عطائي كثير ومالي قليل لاني غنى النفس .

(١) (المعنى أن أم حسان تعدلني وتخوفني الخروج الى أعدائي والنفس أخوف من أن تحذر ولكن الموت لا بد منه والذي تخوفني منه أهله يصادف المتخلف في أهله . (٢) المفاقر الحاجات جمع فقر على غير قياس ، وأعجف هزيل من الضر . (٣) الخلَّة : الحاجة ، والحق : القرابة هنا وتجرف أى تذهب بالمال كما تذهب الجرفه بما يجرف بها . (٤) الصرمة : من الإبل نحر الأربعين والمخيسة التي لم تسرح ولكنها حبست للنحر أو القسم وقوله فيها معاذ أى يعود فيها الغفاة يصيبون منها مرة بعد أخرى .

(٥) تسلف أى تقدم والجار نصب على نزع الخافض أى تقدم الى الجار والشرب الماء وأراد به هنا اللبن والحائم العطشان الذى يحوم حول الماء ولا يبيت على أعناقها قسم يريد لانتقسم عليها ان لا تنحر أو توهب .

(٦) يقول إذا أوردناها الماء وبها عطش لا نوابث الموردين ولا نجفوهم فيكون عطشها سقه أحلامنا أى عقولنا وأصل الاحتدام . الاحتراق .

(٧) مثنى معدول عن اثنين اثنين وموحد معدول عن واحد واحد .

(٨) السقاط ان لا يفعل الانسان فعل الكرام وان لا يذهب مذهبهم فيسلك

وقال آخر

إني لم ينلْ مالي مَدَى خُلُقِي فَيَاضُ مَا مَلَكَتْ كَفَايَ مِنْ مَالٍ
لَا أَحْيِسُ الْمَالَ إِلَّا رَيْثَ أَتْلِفُهُ وَلَا تُفْعِرُنِي حَالٌ إِلَى حَالٍ ^(١)
وقال سوادهُ اليربوعي

أَلَا بَكَرَتْ مَيَّ عَلَى تَلَوْمِي تَقُولُ أَلَا أَهْلَكَتَ مِنْ أَنْتَ عَائِلَهُ
ذَرَبِي فَإِنَّ الْبُخْلَ لَا يُخْلِدُ الْفَتَى وَلَا يُهْلِكُ الْمَرْوْفُ مَنْ هُوَ فَاعِلُهُ
وقال المصنِّع الكِنْدِيُّ

زَلَّ الشَّيْبُ فَأَيَّ تَذَهَبُ بَدَهُ وَقَدْ ارْغَوَيْتَ وَحَانَ مِنْكَ رَجِيلُ ^(٢)
كَانَ الشَّبَابُ خَفِيفَةً أَيَّامُهُ وَالشَّيْبُ مَحْمَلُهُ عَلَى تَقِيلُ ^(٣)
ليس المطاء من الفضول سماعة حتي تجودَ وما لديك قليلُ ^(٤)

إلى غير ذلك من الشعر الذي هو على هذا المسلك وكله يدل على ما كان متنافساً فيه بين العرب من الصفات المحمودة . وعلى ما كانوا عليه من الكرم والسخاء والساحة . وقد أرف بعض المتقدمين من أئمة أهل اللغة والأدب كتاباً فيما ورد من أخبار ضيوف العرب . وما اتفق في ذلك من النوادر والقصص الغريبة والشعر المنتخب . والذي كتبت من الشعر كان من رواية أبي تمام في حماسه . ولذلك أعرضت عن شرحه فإن شروح الكتاب كثيرة مشهورة فن أشكل عليه شيء فليراجعها .

ومما يدل على مزيد سخاء العرب أنه كانت لهم نار تسمى نار القرى وهي نار الضيافة توقد لاستدلال الأضياف بها على المنزل . وكانوا يوقدونها على

طريقهم . والاعتلال التعلل وإراد بالنبوة البعد وقوله وراعه عنى أى أبعد عنى وطالما انتصب على الحال من قوله وراعه عنى ولم يقل طاعة لأنه أخرج مخرج النسب .

(١) الريث البعد . (٢) ارغوى عن الشيء انصرف عنه ، وحان : قرب (٣) محمله أى حملة . (٤) الفضول ما فضل عنك بعد حوائجك والمعنى إن المطاء من الفضول لا يقال له جود وسماحة وإنما الجود والسماحة أن يجود الإنسان بكل شيء له فلا يبقى قليله أيضاً .

الأماكن المرتفعة لتكون أشهر . وربما أوقدوها بالنخل الرطب وهو عطر ينسب إلى مندل وهي بلدة من بلاد الهند ونحوه مما يتبخّر به ليهتدى إليها العميان . وهذه النار عندم أجل سائر نيرانهم التي سنفصلها على أتم وجه إن شاء الله تعالى ولم تزل مذكورة على ألسنة شعرائهم . قال أبو زياد الأعرجي الكلابي يصف بعض أجواد العرب :

له نار تُنْسَبُ على يَفَاعٍ إذا النيران ألبست القِناصا ^(١)
ولم يكْ أكثرَ الفتيان مالا ولكن كان أرحمهم ذراعا ^(٢)

وقال آخر

إني إذا خَفَيْتُ نارَ المُرْملةِ أُلْفَى بأرفع تلّ رافعا ناري ^(٣)
ذاك وإنى على جارى للودحذب أحنو عليه كما يُحْنى على الجار
وأهم كانوا يقتنون الكلاب لأموال منها أنها تدل الأضياف على منازلهم
بنباحها وكانو يمدحونها على ذلك ، قال قائل منهم في كلب له .

أوصيك خيرا به فإن له خلاصا لا أزال أحمدها
يدل ضيفي على في غسق الليل إذا النار نام موقدها ^(٤)

وكان يسميهم باليسر منبعا عن السخاء وكرم الطبع فإن أهل الثروة والأجواد منهم في شدة البرد وكتب الزمان ^(٥) يسرون أي يتقامرون بالقِداح وهي عشرة على جزور يميزونها ثمانية وعشرين جزءا وسيجيء إن شاء الله تعالى كيفية علمهم في ذلك عند الكلام على أعمالهم التي جهاها الإسلام فإذا قرأ أحدهم جملا أجزاء الجزور لذوى الحاجة وأهل المسكنة واستراش الناس وعاشوا . وكانت العرب تمدح بأخذ القِداح وتسميه البرم .

(١) تشب أي توقد ، واليفاع المكان المرتفع . والبست القنطرة كناية عن إخمادها . (٢) اللراع والروع يراد به النفس . (٣) المرملة : الجماعة التي نفذ زادها واقتطعت والتل ما ارتفع من الأرض وإيقاد النار في الأماكن المرتفعة من أخلاق الكرام حتى يهتدى الضيف إليه في الليل المظلم ويأتى . (٤) فسق الليل : ظلمته . (٥) كلب الزمان : شدته .

قال متم بن نويرة يرى أخاه مالكا
ولا يرما تهدي النساء لمرسه إذا القشع من برد الشتاء تفعما^(١)
وقال الرندس في قوم من العرب^(٢)
هينون لينون أيسار ذوو كرم
إن يسألوا الحق يمطوه وإن خبروا
وإن توددتهم لآوا وإن شهموا
فيهم ومنهم يمدد الجدد متلدا
لا ينطقون عن الفحشاء إن نطقوا
ولا يمارون إن ماروا بإكثار^(٣)
من تلق منهم قل لا قيت سيدهم
مثل النجوم التي يسرى بها السارى
وقال لبيد بن مالك في مملته

وجزور أيسار دعوت ليحتفيا بمنالقي متشابه أجسامها^(٤)
أدعو بهن لعاقر أو مطفل
فالنبيف والجار الحنيب كأنما
هبطا تباله مخصبا أهضامها^(٥)

(١) هذا البيت من قصيدة له فريدة في بابها يرى بها أخاه مالكا وكان
خرج مع خالد بن الوليد مرجعه من اليمامة يظهر الاسلام فظن به خالد غير
ذلك فأمر ضرار بن الازور الاسدي فقتله وكان مالك من اردان الملوك ومن
متقدمي فرسان يربوع ، وقوله ولا يرما البرم الذي لا ينزل مع الناس ولا
ياخذ في الميسر ولا ينزع الا تكدا ، قال النابغة :

هلا سألت بنى ذبيان ما حسبي إذا الدخان تفشى الاشمط البرما
والقشع الجلد اليابس ويقال لكناسة الحمام القشع ، قال ابو هريرة
وكذبت حتى رميت بالقشع . (٢) الرندس هو احد بنى بكر بن كلاب وبعده
بهذا الشعر بنى عمرو الغنويين وكان ابو عبيدة اذا انشدها يقول هذا والله
محال كلابي يمدح غنويا . (٣) الايسار جمع يسر وهم الذين يجولون القداح ،
وقوله سواس مكرمة أى يروضون المكارم ويلون امرها . (٤) الجهد :
الشدة ، والحق هنا ما اوجبه على انفسهم من مالهم ، وخبروا يريدوا اختبروا
(٥) توددتهم : أى طلبت مودتهم وشهموا مبنى المجهول من شهمه اذا
افزع ، والاذمار جمع ثمر وهو الشجاع والشر الحرب وقوله غير اشرار جمع
شرير على غير قياس . (٦) المتلد : القديم . والنثما ما يخبر به عن الرجل
من حسن او سوء أى تناسو ليل صاحبه اذا ذكر به . (٧) يمارون أى
لا يجادلون . (٨) الفالقي : سهام الميسر سميت بها لان بها يلقى الخطر من
قولهم غلق الرهن يلقى غلقا اذا لم يوجد له تخلص وفكك .
(٩) العاقر : التي لا تلد ، والمطفل التى معها ولدها ، والهام جمع لحم .
(١٠) الحنيب : القريب وتباله واد مخصب من اودية اليمن والهضم
المطمئن من الأرض والجمع الاهضام والهضوم .

تأوى إلى الاطناب كل رذية مثل البلية قالصو أقداسها^(١)
ويكفلون إذا الرياح تناوحت خلجاً تمد شوارعاً أيتامها^(٢)
والشعر في ذلك كثير . ثم إن السخاء لا يتوقف على بذل المال فإنه هيئة للإنسان
داعية إلى بذل القنيات حصل معه البذل أو لم يحصل . ويقابله الشح والجود بذل
المتنى . ويقابله البخل . هذا هو الأصل . وإن كان كل واحد منهما قد يستعمل
في موضع الآخر . وبذلك على هذا الفرق أنهم جعلوا الفاعل من السخاء والشح على
بناء الأفعال الفرزية . فقالوا شحيح وسخى وقالوا جواد وباخل . وأما قولهم بخيل
فصروف عن لفظ الفاعل للمبالغة كقولهم راحم ورحيم . ولكون السخاء غريزة
لم يوصف البارئ تعالى به .

من اشتهر بالجود والسخاء وضرب بهم المثل في الكرم من عرب الجاهلية ، منهم :

حاتم الطائي

قالوا في المثل : أجود من حاتم ، يريدون به حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج
ابن امرئ القيس بن عدى بن أحزم الطائي الجواد المشهور وأحد شعراء الجاهلية
ويكنى أبا عدى وأبا سقانة « بفتح السين وتشديد الفاء » . وابنه أدرك الإسلام
وأسلم . أخرج أحمد في مسنده عن ابنه عدي قال قلت يا رسول الله إن أبي كان يصل
الرحم ويفعل كذا وكذا قال إن أباك أراد أمراً فأذكره بمعنى الذكر . وكانت
سقانة بنته أتت بها إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فقالت يا محمد هلك
الوالد . وغاب الرافد . فإن رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب فإن

(١) الاطناب : حبال البيت واحدا طنّب والبرذبة الناقة التي تبرز في
السفر أي تخلف لفرط هزالها وكلالها والجمع الرذايا استعمارها للفقيرة ،
والبلية : الناقة التي تشد على قبر صاحبها حتى تموت والجمع البليات
والإهدام الإخلاق من الثياب واحدا هدم . وقلوصها : قصرها .
(٢) تناوحت : تقابلت ومنه قولهم الجبلان متناوحيان أي متقابلان ومنه
التناوحت لتقابلهن والخلج جمع خليج وهو نهر صغير يخلج من نهر كبير أو من
نهر كبير أو من بحر والخلج الجلب وتمد : تراد وشرع في الماء خاضه .

أبي سيد قومه كان يفك الماني ويحكي النمار^(١) . ويخرج عن السكروب . ويطلع
الطعام ويقتي السلام . ولم يطلب إليه طالب قط حاجة فردّه أنا ابنة حاتم طيء قال
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يا جارية هذه صفة المؤمن لو كان أبوك إسلامياً لترحنا
عليه خلوا عنها فإن أباهما كان يحب مكارم الأخلاق .

قال ابن الأعرابي : كان حاتم من شعراء الجاهلية ، وكان جواداً يشبه جوده
شعره . ويصدق قوله فعله ، وكان حينما نزل عرف منزله ، وكان مظفراً إذا
قاتل غلب ، وإذا غنم أنهب ، وإذا ضرب بالقداح فاز ، وإذا سابق سبق ، وإذا
أسر أطلق ، وكان أقسم بالله لا يقتل واحداً أمته ، وكان إذا أهل رجب نحر في كل
يوم عشرة من الإبل وأطعم الناس واجتمعوا عليه ، وكان أول ما ظهر من جوده
أن أباه خلفه في إبله وهو غلام فر به جماعة من الشعراء ، فيهم عبيد بن الأبرص
ويشرب بن أبي حازم ، والنايلة الذبياني ، يريدون النعمان بن النضر ، فقالوا له :
هل من قرى ولم يفهمهم ، قال : أتسألوني القرى وقد رأيتم الإبل والنعم ، انزلوا
فنزّلوا فنحر لكل واحد منهم وسألهم عن أسمائهم فأخبروه ففرق فيهم الإبل
والنعم وجاء أبوه ، فقال : ما فعلت ؟ قال : طوّقتك بعد الدهر طوق الحمامة
وعرفه القضية فقال أبوه : إذا لا أسألك بدمها أبداً ولا آويك . فقال حاتم
إذاً لا أبالي .

« ومن حديثه » . أنه خرج في الشهر الحرام يطلب حاجة فلما كان بأرض
عَنْزَةَ ناداه أسير لهم يا أبا سَفانة أكلني الأسار والقمل . فقال : ويحك ما أنا
في بلاد قومي وما ميسر شيء وقد أسأت بي إذ نوهت باسمي وما لك مترك . ثم
ساوم به العزيرين واشتراه منهم بخيلاء وأقام مكانه في قيده حتى أتى بفدائه
فأداه إليهم .

« ومن حديثه » أن ماوية امرأة حاتم حدثت أن الناس أسأبتهم سنة^(٢)

(١) اللمار بالكسر : ما يلزمك حفظه وحمايته (٢) سنة أى أخطأوا

فأذهبت الخلف والظلف فبقينا ذات ليلة بأشد الجوع فأخذ حاتم عتيقاً وأخذت سفانة فملأناها حتى ناما ثم أخذ يملأني بالحديث لأنام فرقت لما به من الجهد فأمسكت عن كلامه لينام ويظن أني نائمة فقال لي أنمت مراراً فلم أجبه فسكت ونظر من وراء الخيباء فإذا شيء قد أقبل فرفع رأسه فإذا امرأة تقول يا أبا سفانة قد أتيتك من عند صبية جياع فقال احضري صبيانك فوالله لأشبعنهم قالت فقمتم سرماً فقلت بماذا يا حاتم فوالله ما نام صبيانك من الجوع إلا بالتمليل فقام إلى فرسه فذبحه . ثم أجاج نادراً ورفع إليها شفرة وقال اشتوى وكلى واطمى ولدك . وقال لي أيقظي صبيتيك فأيقظتهما ثم قال : والله إن هذا للؤم أن تأكلوا وأهل الحرم^(١) حاتم كالكلم فجعل يأتي الصرم بيتاً بيتاً ويقول عليكم النار فاجتمعوا وأكلوا وتفتح بكسائه وقعد ناحية حتى لم يوجد من الفرس على الأرض قليل ولا كثير ولم يبق منه شيئاً . وقد روى هذه القصة الفاضل شهاب الدين في المقد على غير هذا الوجه فلتراجع^(٢) والتي ذكرناها رواية الميداني في مجمع الأمثال . وأخبار كرم حاتم كثيرة وشهيرة . ونذكر قضية قراه بعد موته وهي من المعجائب . روى محرز مولى أبي هريرة قال مررت من عبد القيس بقبر حاتم فزلوا قريباً منه فقام إليه رجل يقال له أبو الخيرى وجعل يركض برجله^(٣) قبره ويقول : اقربنا فقال له بعضهم : ويلك ما يدعوك أن تمرض لرجل قد مات قال أن طياً ترعهم أنه ما نزل به أحد إلا قراه ثم أجنتهم الليل فناموا فقام أبو الخيرى فزعاً وهو يقول : وادخلتها فقالوا له مالك قال أتاني حاتم في النوم وعقر ناقى بالسيف وأنا أنظر إليها ثم أنشدني شعراً حَيَّظْتُهُ يقول فيه :

أبا الخيرى وأنت امرؤٌ ظلومٌ المشيرة شقامها
أتيت بصحبك تبني القرى لى حفرة قد صدت هامها

(١) الصرم بالكسر أليات من الناس مجتمعة والجمع اصرام واصارم
(٢) ج ١ ص ١٤٥ من طبعة الجمالية ١٣١٠ ركض الرجل ركضا من باب قتل ضرب برجله .

أُتْبِنِي لِي اللَّيْلُ عِنْدَ الْمَيْتِ وَحَوْلَكَ عَلَى وَأَنْصَابِهَا
فَإِنَّا لَنَشْبَحُ أَضْيَافَنَا وَتَأْتِي لِلطَّلِي فَنَمُتُهَا^(١)

فَقَامُوا وَإِذَا نَاقَةُ الرَّجُلِ تَكُوسُ^(٢) عَقِيْرًا فَاتَصَحَّرُوْهَا وَبَاتُوا بِأَكْلُونِ وَقَالُوا
قَرَانَا حَاتِمٌ حَيًّا وَمَيِّتًا وَأَرْدَفُوا صَاحِبَهُمْ وَانْطَلَقُوا سَائِرِينَ وَإِذَا بِرَجُلٍ رَاكِبٍ بِمِيزَا
وَيَقُودٍ آخِرٍ قَدْ لَحِقَهُ وَهُوَ يَقُولُ أَيُّكُمْ أَبُو الْخَيْبِرِيِّ قَالَ الرَّجُلُ أَنَا ، قَالَ نَغْذِ هَذَا
الْبَعِيرَ أَنَا عَدِيٌّ بَنُ حَاتِمٍ جَاءَ فِي حَاتِمٍ فِي النَّوْمِ ، وَزَعَمَ أَنَّهُ قَرَأَ كَمَا بَنَاقَتَكَ ، وَأَمَرَنِي
أَنْ أَهْلِكَ فَشَأْنُكَ وَالْبَعِيرُ وَدَفَعَهُ إِلَيْهِمْ وَانْصَرَفَ . وَإِلَى هَذِهِ الْقَضِيَّةِ أَشَارَ ابْنُ دَاوُدَ
الْمُطَّلَعَانِي فِي قَوْلِهِ بِمَدْحِ عَدِيٍّ بَنِ حَاتِمٍ :

أَبُوكَ أَبُو سَفَّانَةَ الْخَيْرِ لَمْ يَزَلْ لَدُنْ شَبٍّ حَتَّى مَاتَ فِي الْخَيْرِ رَاغِبًا
بِهِ تَضْرِبُ الْأَمْثَالَ فِي الشَّرِّ مَيِّتًا وَكَانَ لَهُ إِذْ ذَاكَ حَيًّا مُصَاحِبًا
قَرَى قَبْرُهُ الْأَضْيَافَ إِذْ نَزَلُوا بِهِ وَلَمْ يَقِرَّ قَبْرُ قَبْلَهُ الدَّهْرُ رَاكِبًا

وَلِحَاتِمِ الطَّلَاطِي شَمْرٌ كَثِيرٌ وَهُوَ مِنَ الْبَلَاغَةِ بِمَكَانٍ وَالذِّكُورُ فِي دِيْوَانِهِ بَعْضُ مَنْهَ ،
وَمِنْ شِعْرِهِ يُخَاطَبُ امْرَأَتَهُ مَآوِيَةَ بِنْتَ عَبْدِ اللَّهِ :

أَيَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَةَ مَالِكٍ وَيَا ابْنَةَ ذِي الْبُرْدَيْنِ وَالْقِرْسِ الْوَرْدِ^(٣)
إِذَا مَا صَنَعْتَ الْوَادَ فَالْتَمَسِي لَهُ أَكِيلًا فَإِنِّي لَسْتُ أَكَلُهُ وَحْدِي^(٤)
أَخَا طَارِقًا أَوْ جَارَ بَيْتٍ فَإِنِّي أَخَافُ مَذْمَاتِ الْأَحَادِيثِ مِنْ بَعْدِي^(٥)
وَإِنِّي لَمَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ ثَاوِيًا وَمَا فِيَّ إِلَّا تِلْكَ مِنْ شِيْمَةِ الْعَبْدِ^(٦)

(١) عَمِتَتِ الْإِبِلَ وَاعْتَمَتِ وَاسْتَعْتَمَتِ إِذَا حَلَبْتَ عِشَاءً وَهُوَ مِنَ الْإِبْطَاءِ
وَالْتَاخُرِ قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَدَّادِيُّ :

فِيهَا ضَوْيٌ قَدْ رَدَّ مِنْ اعْتَامِهَا

(٢) كَاسُ الْبَعِيرِ : مَشَى عَلَى ثَلَاثِ قَوَائِمٍ وَهُوَ مَعْرَقَبٌ .
(٣) ابْنَةُ مَالِكٍ هِيَ مَآوِيَةُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ زَوْجَةُ حَاتِمِ الطَّلَاطِي وَالْمُرَادُ بِذِي
الْبُرْدَيْنِ عَامِرُ بْنُ أَحْمَرَ بْنِ بَهْدَلَةَ أَمْعَاةُ الْمُنْدَلِرِ بْنِ مَاءِ السَّمَاءِ بَرْدَيْنِ حِينَ
سَأَلَهُ عَنْ حَقِيقَتِهِ فَوَجَدَهُ مِنْ أَشْرَفِ الْعَرَبِ وَاشْجَعَهُمْ كَمَا فَصَّلَ فِي الْأَصْلِ
وَالْوَرْدُ مِنَ الْخَيْلِ بَيْنَ الْكَمِيْتِ وَالْأَشْقَرِ . (٤) الْأَكِيلُ مِنْ يَوَاكِلِكَ .
(٥) الطَّارِقُ : الَّذِي يَأْتِي لَيْلًا . (٦) ثَاوِيًا : مُقِيمًا .

عنى بذى البردين عامر بن أُحيمر بن بهدلة . وكان من حديث البردين حين لقب به أن الوفود اجتمعت عند المنذر بن ماء السماء . وهو المنذر ابن امرئ القيس وماء السماء ، قيل : أمه نسب إليها لشرافها ، وقيل لقب بماء السماء لصفاء نسبها ويقال لقاء لونها ، ويراد أنها كماء السماء لم يحتمل كدورة ، وأخرج المنذر بردين يوماً يلو الوفود . وقال ليقم أعز العرب قبيلةً فليأخذها فقام عامر بن أُحيمر فأخذها وانتز بأحدها وارتدى بالآخر ، فقال له المنذر أنت أعز العرب قبيلة ؟ قال : المر والمدد في معد ، ثم في زار ، ثم في مُصَر ، ثم في خِنْدِف ، ثم في تميم ، ثم في سعد ، ثم في كعب ، ثم في عوف ، ثم في بهدلة ، فمن أنكر هذا فليتنافرني فسكت الناس ، فقال المنذر : هذه عشيرتك كما تزعم فكيف أنت في أهل بيتك وفي نفسك ؟ فقال : أنا أبو عشرة وأخو عشرة وخال عشرة وعم عشرة ، وأما أنا في نفسي فشاهد المر شاهدي ، ثم وضع قدمه على الأرض فقال من أزالها عن مكانها فله مائة من الإبل فلم يبق إليه أحد من الحاضرين فغاز بالبردين . ومن شمر حاتم أيضاً قوله :

وعاذلة قامت على تلومنى كأتى إذا أعطيت مالى أضيئها
أأافل إن الجود ليس يهلكى ولا تخلي النفس الشحيحة لؤمها^(١)
وتذكر أخلاق الفتى وعظاؤه مغبية في اللحد بال رميمها^(٢)
ومن يتدع ما ليس من رميم نفسه يدعُه ويقلبُه على النفس رميمها^(٣)

ومن ذلك قوله أيضاً :

أ كف يدي عن أن ينال التأمها أ كف صحابي حين حاجتنا معا^(٤)
أيت هضم الكشح مضطمر الحشا من الجوع أخشى الدم أن أنضما^(٥)

(١) أعاذل مرخم عاذلة . (٢) الرميم : العظم البالى . (٣) الخيم : الطبيعة والخلق . (٤) كف يدي أى أقبضها ، وقوله حاجتنا معا أى كلنا جائع فحاجته إلى الطعام كحاجة صاحبه . (٥) الهضم : الضامر ، والكشح : ما بين الخاصرة إلى الضلع ، والمضطمر المهزول ، وتضلع الرجل إذا امتلأ من الزاد

وإني لأستحي رفيقاً أن يرى مكان يدي من جانب الزاد أفرماً^(١)
وإنك مهما تَمَطَّ بطنك سؤله^(٢) وفرجك نالا منتهي التَمَّ أجماً^(٣)

وقال أيضاً

أما والذي لا يعلم السرَّ غيره^(٤) ويحيي المظالم البيضَ وهي رميم
فدكنت أختار القري طاوَى الحشا عاقلةً من أن يقال : لئيم^(٥)
وإني لأستحي عيبي وبينها وبين في داجي الظلام بهيم^(٦)

وقال أيضاً

ولما رأيتُ الناسَ هَرَّتْ كلابهم ضربتُ بسيفي ساقَ أفي نقرتِ
وقلتُ لأسياءِ منار ونسوةٍ شهباءِ من ليل التمانين قرَّت :
عليكم من الشطين كل وريّة^(٧) إذا النار مست جانبيها ارمعلتِ^(٨)
ولا ينزل المرء الكريمُ مياله وأضيافه ماساق مالا بضر

وقال أيضاً

لا تمرى قدرى إذا ما طبختها طي^(٩) إذا ما طبخين حرام
ولكن بهذاك اليفاع فأوقدى يجزلى إذا أوقدت لا يضرام^(١٠)

وقال أيضاً

وقائلةً أهلكت بالجوّد مالنا ونفسك حتى ضرّ نفسك جوّدها
قلت : دمعي إنما تلك عاذق لكل كريم عادةً يستميدها
وهو القاتل لنلامه يسار ، وكان إذا اشتد البرد وكَلَب الشتاء^(١١) أمر غلامه

(١) أراد بالاقرع الخالي من الطعام والمعنى انى لاستحيى ممن بجالسنى على الطعام ان يرى مايلينى من المائدة خاليا . (٢) السؤل المسؤل واراد به ما يشتهي والمعنى ان الشخص اذا اعطى بطنه وفرجه ما يشتهى واتبع هواه بقضاء ما تزينه له نفسه من شهواتها اصابه من الناس منتهى الدم والشتم ولقد صدق . (٣) بهيم اى شديد الظلمة لا وضع فيه . (٤) الشط جانب السنام او نصفه . (٥) الوريّة القطعة من الشحم السمين وارمعل الشواء سال دسمه . (٦) اليفاع ما ارتفع من الارض ، والجزل الحطب اليابس او القليظ العظيم منه والضرام ككتاب دقاق الحطب او ما ضعف ولان او ما لا جمر له او ما اشتعل من الحطب . (٧) كلب الشتاء : اى اشتد .

فأوقد ناراً في بفاع من الأرض لينظر إليها من أضلّ الطريق ليلا فيصمد نحوه^(١) :

أوقد فإن الليل ليلٌ قرٌ والريح يا وَاقدُ ربح صير^(٢)
علّ برى فارك من يمرُّ إن جلبت ضيقاً فانت حر^(٣)
وقال أيضاً

أماوى قد طال التجنبُ والمجر وقد عندتنا في طلابكم المنذر^(٤)
أماوى إن المالَ غايٌ وراغٌ ويبقى من المالِ الأحاديثُ والذكرُ
أماوى إما مانع فبين وإما عطاء لا يُتنهى الزجر^(٥)
أماوى إني لا أقولُ لسائلٍ إذا جاء يوماً حل في مالى النزر^(٦)
أماوى لا ينبي التراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر^(٧)
أماوى إن يُصبح صدأى بقفرةٍ من الأرض لا ماء لدى ولا حجر^(٨)
ترى أن ما أنقث لم يكُ ضررٌ وإن يدي مما بحت به صفر^(٩)
إذا أنا دلّأتى الدين يلونى بمظلمة لجر جوانبها غير
وراحوا سراها ينفثون أكفهم يقولون قد أدى أظافرتنا الحفرُ
أماوى إن المال مالٌ بذله فأوكه شكرٌ وآخره ذكرُ
وقد يعلم الأفوام لو أن حاتمًا أراد ثراء المال كان له وفرُ
فإني وجدى ربّ واحد أمة أخذت فلا قتل عليه ولا أسرُ

(١) الصمد : القصد . (٢) ليل قر : بارد ، وريح صر وصر صر : شديدة الصوت أو البرد . (٣) حل بلام مشددة مفتوحة أو مكسورة لغة في لعل وهي أصلها عند من زعم زيادة اللام ، قال الشاعر :

لا تهين الفقير عليك أن تركع يوماً والدهر قد رفعه
وهما بمنزلة عسى في المعنى وبمنزلة ان المشددة في العمل .

(٤) الهزمة للنداء وماوى منادى مرخم ماوية وهي زوجته ، وقوله وقد عندتنا الخ عنذته فيما صنع رفعت عنه اللوم فهو معذور أى غير ملوم .
(٥) نهته : كفه ومنعه . (٦) حل في مائنا النزر : أى القلة .

(٧) الحشرجة أو له حاء مهملة وآخره جيم الفرغ فرغ من الموت وتردد النفس (٨) الصدى ما يبقى من الميت في قبره ، والقفرة الأرض الخالية من السكان والنساء . . (٩) صفر وزان حمل أى خال من المتاع وهو صفر الولدين لبس

ولا أظلم ابنَ العمّ إن كان إخوتي شهوياً وقد أودى بإخوتي الدهرُ
غنيبنا زماناً بالتقصّد والنفي وكل سقانا وهو كاسبنا الدهر^(١)
فنا زادنا مأوى على ذى قرابة عنانا ولا أزرى بأحلامنا الفقرُ
وله قصيدة طويلة تتملق بالكرم ومكارم الأخلاق وهي مسطورة في (الجمانة البصرية) وهي هذه :

وعاذلتين هبتا بعد هجمة	تولمان متلافا مفيداً ماوياً ^(٢)
تولمان لما غور النجم ضلة	ففي لا يرى الإنفاق في الحمد مغماً ^(٣)
قتلت وقد طال العتابُ عليهما	وأوعدتان أن تئينا وتصرىما
ألا لا تولمانى على ما قدما	كفى بصروف الدهر للمرء حكماً
فإنكما لا ما مضى تُدركانه	ولستُ على ما فاتنى متقدماً
فنفسك أكرمها فإنك إن تهن	عليك قلن تلقى مدى الدهر مكرماً
أهن للذى تهوى التلاد فإنه	إنما مت كان المال سهياً مضمناً
ولا تشقين فيه فيسمع وارث	به حين تغشى أغبر الجوف مظلاً ^(٤)
يقسمه غناً ويشرى كرامة	وقدمرت في خطمين الأرض أعظماً
قليلا به ما يحضدك وارث	إنما نال مما كنت تجمع مغنماً
تحلم عن الأدين واستبق ودم	ولن تستطيع الحلم حتى تحلماً ^(٥)
وعوراء قد أعرضت عنها فلم تضر	وذى أود قومه فقوماً ^(٦)
وأغفر عوراء الكريم ادخاره	وأعرض عن شتم اللئيم تكرماً
ولا أخذل المولى وإن كان خاذلاً	ولا أستم ابن العم إن كان مفحماً

(١) غنى كفرح عاش وغنى بالمكان : اقام به . (٢) هبتا أى استيقظتا : وهذا البيت من شواهد معنى اللبيب . (٣) غور النجم أى غابت الثريا : وقوله ضلة هو قيد فى اللوم لانه ضلة اذا لم يوفق للرشاد فى لومه ، والمغرم بالفتح الغرامة . (٤) أغبر الجوف : القبر ومثله خط من الارض . (٥) تحلماً أى تحلم أى تنكلف . (٦) قوله فلم تضر من ضار يضير ضد

ولا زادني عنه منأى تباعدا وإن كان ذا قص من المال مصرما
 وليل بهمهم فد تهربلت هوله إذا الليل بالينكس الذي تجمعا (١)
 ولن يكسب الصلوكُ حمداً ولا غنى إذا هو لم يركب من الأمر معظما (٢)
 لحا الله صلوكا مناه وهه من العيش أن يلقى كبوسا ومنمنا (٣)
 بنام الضحى حتى إذا نومه استوى ثبته مثلوج الفؤاد مورما (٤)
 مقياً مع المثرين ليس ببارح إذا نال جدوى من طعام وعجما (٥)
 والله صلوك يساور هه ويمضى على الأحداث والدمر مقدما (٦)
 فى طلبات لا يرى الخمص ترحة ولا شبة إن نالها عد منما (٧)
 يرى الخمص تعذياً ولم يلق شبة يبيت قلبه من قلة المم مهبما
 إذا ما رأى يوما مكارم أعرضت نعيم كبراهن تمت صمما (٨)
 ويمشى إذا ما كان يوم كرهته صدور العوالى فهو محتضب دما
 يرى دمه ونيله وعينه وذا شطب غضب الضربة تحذما
 وأثناء سرج قار ولجانه عتادفى هيجا وطرفا مسوما

- (١) النكس بكسر النون الرديء وأصله السهم الذى كسر فوقه ، وتجهم :
 كلع وجهه . (٢) الصلوك بالضم الفقير . (٣) لحا الله : قبح الله .
 (٤) مثلوج الفؤاد من المجاز : تلج قلبه : بلد وذهب والمثلوج الفؤاد البليد ،
 قال أبو خراش الهدلى :
 ولم يك مثلوج الفؤاد مهيجا اضاع الشباب فى الريلة والخفض
 (٥) الجشم بفتح الميم وكسر المثناة مكان الجنوم وهو برك الطائر .
 (٦) قوله والله صلوك تعجب ومدح يقال عند استغراب الشيء واستعظامه
 أى هو صنع الله ومختاره اذ له القدرة على خلق مثله ، ويساور : يواكب ،
 وهه أى عزمه مفعول ، وقوله : ويمضى على الأحداث أى لا يشغله الدهر
 وحوادثه فى حالة اقدمه على ما يريد . (٧) قوله فتى طلبات اشارة الى علو
 همته ، والخمص بالفتح الجوع . والترحة ضد الفرحة ، والشبة المرة من
 السبع . (٨) تمت حرف بعلف الجمل ورمحه وما عطف عليه مفعول
 اول ليرى . (٩) وعناد هو المفعول الثانى وذا شطب هو السيف جمع شطبة
 وهى الطريقة فى متن السيف والجن بالكسر الترس والدرقة والغضب القاطع
 والضربة موضع الضرب والمخزم بكسر اوله وبالمجتمين السيف القاطع
 وباعجام الثانى فقط من الحزم وهو القطع السريع .

فذلك إن يهلكَ فَحَسَنَى ثَنَاؤُهُ وإن عاش لم يَقْدُ ضَمِيحًا مُذَمِّمًا^(١)
وقد أعرضت عن شرح ما أوردته من شعره فإن الغالب منه مشروح في شواهد
كتب العلم ، ومنهم :

كعب بن ماعة الهذلي

وكان ممن يضرب بهم المثل أيضاً في الجود ، ومن حديثه أنه خرج في ركب
فيهم رجل من النمر بن قاسط في شهر ناجر^(٢) فضلوا فقصافوا ماءم وهو أن يطرح
في القعب^(٣) حصاة ، ثم يصب فيه من الماء بقدر ما يغمر الحصاة وتلك الحصاة هي
القلعة^(٤) فيشرب كل إنسان بقدر واحد فقمعدوا للشرب فلما دار القعب فالتقى إلى
كعب أبصر النمرى يحدد النظر إليه فأثره بمائه ، وقال للساق : اسق أخاك النمرى
فشرب النمرى نصيب كعب ذلك اليوم من الماء ، ثم زلوا من غدم للزل الآخر
فقصافوا بقية ما معهم فنظر إليه النمرى كنظرة أسه . فقال كعب كقولهِ أس وارتحل
اقوم . وقالوا يا كعب ارتحل فلم تكن به قوة للنهوض . وكانوا قد غربوا من
الماء فقيل له رد كعب إنك وژاد ، فمجز عن الجواب فلما يكسوا منه
خيولوا عليه بثوب يمتنه من السبع أن يأكله وتركوه مكانه ففاض . فقال أبوه
ماعة يرثيه :

= الإحناء جمع حنو بالكسر يطلق على ما فيه اعوجاج من القتب والسرغ
وغيرهما ، والقنار بالقاف وبالمنشأة القوقية الواقي والحافظ لا يعقر ظهر الفرس ،
وعتاد بالفتح ائدة ، وطرفا معطوف على رمحه الذي هو أول مفحول يرى
وهو التكرير من الخيل ، والمسوم الملم نشهر لعفته ولكرمه من السومة وهي
العلامة أو المسيب في الرعى ولا يركب الا في الحروب .

(١) الحسنى مصدر كالشرى وقيل اسم للإحسان والمعنى سرت بإيسل
فقير يواب همته ويمضي مقدما على الدهر والحال انه فتى طلبات بتجدد
طلبه كل ساعة والدهر يسعف بمطلوبه بجده ورشده ولا يرى الجوع شدة
ولا الشبع غنمة لعلو همته فان يهلك فإنه تناء حسن وان يعيش يعش بمدحا
ممززا . ٢٠ . هو رجب أو صفر وكل شهر من شهور الصيف ، كذا في القاموس
(٢) ائاء فسخم كالتقصعة والجمع فعبب واقعب . (٣) القلعة بفتح الميم
ويقال مقلها اذا القاه في الإثناء وسب عليها الماء .

ما كان من سوقة اسقى على ظمأ خراً بماء إذا ناجودها برداً^(١)
 من ابن مامة كعب ثم عى به زو النية إلا حرة وقدنا
 أوفى على الماء كعب ثم قيل له رد كعب إنك وراد فما وردا
 زو النية قدرها . وعى به أى ميت الأحداث إلا أن قتله عطشاً . وقال الأصمى :
 زو النية ما يحدث من هلاك النية . ويقال ازو القدر . ويقال قضى علينا وقدر وحـ
 وزى . وهذا أكثر من كل ما أننى لغيره . وله يقول حبيب :

يمجد بالنفس إذ ضنّ البخيلُ بها والجودُ بالنفس أقصى غاية الجود
 وله ولحاتم الطائي يقول القائل :

كعب وحاتم اللذان تقسّبا خُطَطَ الثلى من طارفٍ وتليد^(٢)
 هذا الذى خلفَ السحابَ ومات ذا فى الجهدِ ميّة خضرم سينديد^(٣)
 إن لا يكن فيها الشهيد فقومه لا يسمعون به بالف شهيد
 ومنهم :

أوس بن عازرة بن روم الطائي

كان أوس هذا ممن يضرب به المثل فى الكرم والجود يقال له ابن سعدى .
 قال جرير :

وما كعب بن مامة وابن سعدى بأجود منك يا عمر الجواد^(٤)

(١) الناجود أول ما يخرج من الخمر إذا بزل عنها السدن ، قاله الأصمى
 واحتج يقول الأخطل :

كانما المسك نهى بين أرجلنا مما تضوع من ناجودها الجارى
 وقيل الخمر الجيد وهو مذكر والناجود أيضاً أنؤها وعن الليث الناجود
 هو الراوق نفسه . وفى حديث النعمى : وبين أيديهم ناجود خمر أى
 راوق واحتج على الأصمى يقول عاقمة :

ظلت ترقرق فى الناجود يصفقها وليد امجم بالكتبان ملثوم
 يصفقها يحولها من أناء الى أناء لتصفو . (٢) الطارف : المال المستحدث
 وهو خلاف التليد . (٣) الخضرم : الكثير من كل شيء والواسع والجواد
 المعطاء والسبد الحمول ، والصنديد : السيد الشجاع أو الحليم أو الجواد أو
 الشريف . (٤) هذا البيت من قصيدته له مدح فيها عمر ابن عبدالعزيز وأولها :
 أبت عينك بالحسن الرقادا واتكرت . الأصاديق والبلادا
 الحسن ثقا فى بلاد بنى ضبة سعى بالحسن لحسن شجره .

وكان بشر بن أبي خازم الأسدي أولاً يهجو أوساً وكان أوس نذر لئن ظفر به ليخرفنه فلما تمكن أطلقه وأحسن إليه فدحه بمدة قصائد ، وسبب هجاء بشر لأوس ، هو ما حكاه أبو العباس البرد في الكامل قال : أوس بن حارثة ابن لام الطائي ، كان سيداً مقدماً وفد هو وحاتم بن عبد الله الطائي على عمرو بن هند وأبوه النذر بن النذر بن ماء السماء فدعا أوساً فقال : له أنت أفضل أم حاتم فقال أبيات اللعن^(١) لو ملكني حاتم وولدي ولحقي لوهبنا في غداة واحدة ثم دعا حاتماً أنت أفضل أم أوس فقال : أبيات اللعن إنما ذكرت بأوس ولأحد ولده أفضل مني . وكان النعمان بن النضر دعا بحلّة وعنده وفود العرب من كل حى فقال : احضروا في غد فإني مئس هذه الحلّة أكرمكم فخر القوم جميعاً إلا أوساً فقيل له : لم تتخلف ؟ قال : إن كان المراد غيري فأجل الأشياء أن لا أكون حاضراً وإن كنت المراد فسأطلب ويعرف مكاني ، فلما جلس النعمان لم ير أوساً فقال : اذهبوا إلى أوس ققولوا له : احضر آمنّا مما خفت فخر فألبسه الحلّة فغسده قوم من أهله فقالوا للحطيئة : اهبه لك ثلاثمائة ناقة فقال الحطيئة كيف أهبو رجلا لا أرى في بيتي أثاماً ولا مالا إلا من عنده ، ثم قال :

كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لام بظهر النيب تأتيني

فقال لهم ابن أبي خازم أحد بني أسد بن خزيمه أنا أهبوه لكم فأخذ الإبل وفعل فأغار أوس عليها فاكسحها فجعل لا يستجير حياً إلا قال قد أجزتكم إلا من أوس . وكان في جهائه قد ذكر أمه فأتى به فدخل أوس على أمه فقال : قد أتينا ببشر الهاجي لك ولي . قالت : أو تطيعني ؟ قال نعم . قالت : أرى أن ترد عليه

لمررك ان نفع سعاد عني لمصرف ونفعي عن سعادا

وهي طويلة لا يسعنا إيرادها في هذا المقام .

وهذا البيت من شواهد النحو يستشهد به على جواز نصب النسائي الموصوف بغير ابن عند الكوفيين وأوله الماتمون بالقطع أي أنه مفعول لفعل محذوف . (١) كان العرب في الجاهلية يخصون ملوكهم عند التحية بقولهم أبيت اللعن أي أبيت أن تأتي من الأخلاق المذمومة ما تلمن عليه وكانت هذه تحية ملوك لخم وجذام .

ماله وتمغو عنه وتجبوه وافعل مثل ذلك فإنه لا ينسل هباء إلا مدحه فخرج فقال :
إن أوى سمدي التي كنت تهجوها قد أمرت فيك بكذا وكذا فقال لا جرم والله
الامدحت حتى أموت أحداً غيرك ففيه يقول :

إلى أوس بن حارثة بن لام ليقضى حاجتي فيمن قضاها
فأوطىء الثرى مثل ابن سمدي ولا ليس النعال ولا احتذاها

هذا ما أورده المبرد ولم يذكر كيف تمكن منه أوس . وقد حكاه معمر بن
النضي في شرحه قال : إن بشر بن أبي خازم غزا طيئاً ثم بنى نهان فجرح فأثقل
جراحه وهو يومئذ بجحى أحد أصحابه وإنما كان في بني والبة فأمرته بنو نهان
نخبوه كراهية أن يبلغ أوساً فسمع أوس أنه عندهم فقال : والله لا يكون بيني
وبينهم خيراً أبداً أو يدفعوه ثم أعطاهم ما أتى بهير وأخذ منهم ، فجاء به وأود له
ناراً ليحرقه ، وقال بعض بني أسد لم تكن نار ولكنه أدخله في جلد بهير حين
سلخه ويقال جلد كبش ثم تركه حتى جف عليه فصار فيه كأنه المصفور . فبلغ
ذلك سمدي بنت حصين الطائية وهي سيدة فخرجت إليه فقالت : ما تريد أن تصنع ؟
فقال أحرق هذا الذي شتمنا فقالت : قبح الله قوما يسودونك أو يقتبسون من
رأبك . والله لكأنما أخذت به أما تعلم منزلته في قومه ؟ خل سييله وأكرمه فإنه
لا ينسل عنك ما صنع غيره فحبسه عنده وداوى جرحه وكتبه ما يريد أن يصنع
به . وقال ابث إلى قومك فبدونك فإني قد اشتريتك بهير فأرسل بشر إلى
قومه فهيئوا له الغداء وبادروا أوس فأحسن كسوته وحمله على نجييه الذي كان
يركبه وسار معه حتى إذا بلغ أدنى أرض غطفان جعل بشر يمدح أوساً وأهل بيته
بمكان كل قصيدة هجاء بها قصيدة ، فهجاء بنخمس ، ومدحهم بنخمس ، ومنهم .

هرم بن سنان

وكان من أشهر أجداد زمانه وأرفعهم في الإحسان والمعروف وهو ممن يضرب
به المثل في ذلك . وهو صاحب زهير الذي يقول فيه :

مَتَى تَلَّاقَ عَلَى عِلَاتِهِ هَرَمًا تَلَقَّ السَّاحَةُ فِي خَلْقٍ وَفَى خَلْقٍ
وَكَانَ سَنَانُ أَبُو هَرَمٍ سَيِّدَ غَطَفَانَ وَمَاتَتْ أُمُّهُ وَهِيَ حَامِلَةٌ بِهِ ، وَقَالَتْ : إِذَا
أَنَا مِتُّ فَشَقُّوا بَطْنِي ، فَإِنْ سَيِّدَ غَطَفَانَ فِيهِ فَلَا مَاتَ شَقُّوا بَطْنَهَا فَاسْتَخْرَجُوا مِنْهُ
سَنَانًا ، وَفَى بَنَى سَنَانٌ يَقُولُ زَهِيرٌ :

قَوْمَ أَبُو هَرَمٍ سَنَانٌ حِينَ تَنْسَبُهُمْ طَابُوا وَطَابَ مِنَ الْأَوْلَادِ مَا وَلَدُوا
لَوْ كَانَ يَقْعُدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ قَوْمٌ بِأَوْلَهِمْ أَوْ بِمَجْدِهِمْ قَعْدُوا
جَنًّا إِذَا فَزَعُوا إِنْسَ إِذَا أَمْتُوا مَرْزُونٌ بِهَالِيلٍ إِذَا قَصَدُوا^(١)
مَحْسُودُونَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ نَمٍ لَا يَنْزِعُ اللَّهُ مِنْهُمْ مَالَهُ حَسَدُوا
وَقَالَ زَهِيرٌ فِي هَرَمِ بْنِ سَنَانَ

وَأَبْيَضَ قَيْطَاضِي يَدَاهُ غَمَامَةٌ عَلَى مُتَنَفِّيهَ مَا تُنِيبُ فَوَاضِلُهُ^(٢)
تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مَهْلَلًا كَأَنَّكَ تَعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ^(٣)
أَخُو نَفَقَةٍ لَا تَتَلَفُ الْخَرُّ مَالَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يَتَلَفُ الْمَالُ نَائِلُهُ^(٤)
وَقَالَ زَهِيرٌ أَيْضًا فِي هَرَمِ بْنِ سَنَانَ وَأَهْلٍ بَيْتِهِ :

إِلَيْكَ أَعْمَلْتُهَا فَتَلَا مَرَاتِقَهَا شَهْرَيْنَ يَجْهَضُ مِنْ أَرْحَامِهَا اللَّعْلُ^(٥)
حَتَّى دَفَنْتَ إِلَى حُلُوِّ شِمَائِلِهِ كَالنِّبْتِ تَنْبَتُ فِي آثَارِهِ الْوَرْدُ
مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ يَرَى ذُو الْعَرْشِ فَضْلَهُمْ يُبْقِي لَهُمْ فِي جَنَّاتِ الْخُلْدِ مَرْتَقَى^(٦)

(١) بهاليل جمع بهلول كسر الضحاك والسيد الجامع لكل خير .
(٢) قوله وأبيض قيطاضي يريده رجلاً ثقيلاً ، والقياض : الكثير العطاء وأصله من
الفيض ، وقوله يده غمامة أي تمطر يدها بالعطاء كما تمطر الغمامة ،
والمعنفون : المطالبون ما عنده ، وقوله ما تنيب فواضله أي هي دائمة لا تنقطع
ولا تأتي في الغيب ويقال غبه وأغبه إذا نراه غيباً ، وفواضله : عطايها لأنها تفضل
كل عطاء . (٣) المتهال : الطلق الوجه المستبشر يقول هو مسرور بمن سألته
مستبشر به كما يستبشر الإنسان بأن يوصل ويعطى ولم يرد أنه حريص على
الآخذ مستبشر به ولكنه قال هذا على ما جرت به العادة من محبة النفس
لأخذ وكراهيتها للإعطاء . (٤) قوله أخو نفقة أي يوثق بما عنده من الخير
لما علم من جوده وكرمه ، والنائل : العطاء ، يقول لا يتلف ماله بشرب الخمر
ولكن يتلفه بالعطاء . (٥) أعملتها أي الناقة يقال عملت الناقة إذا حشنتها
وسقتها ، وأفتل بالتحريك اندماج في مرفق الناقة ، والنعت مرفق افتل بين
الفتل وهي فتلاء وقوم فنل الأيدي ، وأجهضت الناقة ولدها اسقطته ناقص
الخلق ، والعلق جمع عاقة الدم الجامد . (٦) المرتقى : المتكافؤ .

الطمعين إذا ما أُرْزِمَتْ أُرْزِمَتْ والطيبين ثياباً كلها عرقوا^(١)
 كأن آخرهم في الجود أولهم إن الثمائل والأخلاق تتفق
 إن قاسروا أقروا أو فاخروا فخروا أو ناضلوا ناضلوا أو سابقوا سبقوا^(٢)
 تنافس الأرض موتاهم إذا دفنوا كما تنفس عند الباعة الورق
 قال الميداني في مجمع أمثاله عند قولهم « أجود من هَرَم » : هو هَرَم بن سنان
 ابن أبي حازمة المَرِّي وقد سار بذكر جوده للثل ، قال زهير بن أبي سلمى فيه :
 إن البخيل مَكُومٌ حيث كان ولكنَّ الجواد على عِلَّاته هَرِمٌ^(٣)
 هو الجوادُ الذي يعطيك نائله عفواً ويظلم أحياناً فيظلم^(٤)
 ووفيت ابنة هرم على مُهرٍ ، قال لها : ما الذي أعطى أبوك زهيراً حتى
 قابله من المديح بما قد سار فيه ؟ فقالت : أعطاه خيلاً تنضى^(٥) ، وإبلاً تنوى^(٦)
 وثياباً تبلى ، ومالا ينفى . قال عمر : لكن ما أعطاكم زهير لا يلبس الدهر ،
 ولا ينفى العصر ؟ وروى أنها قالت : ما أعطى هَرِمٌ زهيراً قد نسى . قال لكن
 ما أعطاكم زهيراً لا ينسى . ومنهم :

عبد القم بن هبيب العبدي

وكان يُضرب به المثل في الجود . فيقولون أفرى من آكل الخبز وهو أحد

(١) ازم الزمان : اشتد بالحقط ، والأزمة اسم منه (٢) ناضلت عنه :
 حاميت ، وناضلته راميته فضلته نضلاً غلبته في الرمي (٣) قوله على علاته
 أي على ما ينوبه من قلة ذات يد وعوز (٤) الجواد : الكريم الكثير في العطاء ،
 والثلال العطية ، وعفوا أي من غير طلب بتقديمه أو سهلاً بلا مظل ولا تعب
 وهذا البيت من شواهد الصرف يستشهد به على أن أصل الظلم يظلم ثم يندغم ومنهم
 التاء طاء لحاورتها الطاء فإذا ادغم فمنهم من يقلب الطاء ظاء ثم يندغم ومنهم
 من يندغم الظاء في الطاء على القياس فيصير يظلم وقد روى البيت بالوجهين
 وروى بالظاهر أيضاً قال ابن قتيبة في (الشعر والشعراء) : قد سبق زهير
 إلى هذا المعنى ، لا ينزعه فيه أحد غير كثير فإنه قال يمدح عبد العزيز بن
 مروان :

رايت ابن مالى يمتري صلب ماله مسائل شتى من غنى ومصرم
 مسائل ان توجد لديه تجد بها يداه وان يظلم بها يتظلم
 والمصرم القليل المال (٥) أي تبلى (٦) تهلك

بني سمره سمي آكل الخبز . لأنه كان لا يأكل التمر ولا يَرَقَبُ في اللبن . وكان سيد بني العنبر في زمانه وهم إذا افتخروا قالوا منا آكل الخبز ، ومنا يُجِير الطير . فأما مجير الطير ، فهو ثور بن شحمة العنبري . وأما السبب في تلقيهم عبد الله ابن حبيب بآكل الخبز فلأن الخبز نفسه عندهم ممدوح ، وذكر أبو عبيدة أن هُوَذَةَ بْنَ عَلِيٍّ الحنفي دخل على كِسْرَى ابْرَوَيْزَ ، فقال له : أئى أولادك أحب إليك ؟ قال : الصغير حتى يكبر والنائب حتى يقدم والمرضى حتى يبرأ . قال : ما غذاؤك يبلدك ؟ قال : الخبز . فقال كسرى : هذا عقل الخبز لعقل اللبن والتمر . فصار الخبز عندهم ممدوحا كما صار ما يناسبه بعض المناسبة ممدوحا وهو الفالوذج لأنه أشرف طعام وقع إليهم ولم يعطهم الناس هذا الطعام أحد من العرب إلا عبد الله ابن جُدعان فدحه أمية بن الصلت بذلك فقال :

إلى رُدْحٍ من الشيزى مِلَاءَ لُبَابِ الْبُرِّ* يلبك بالشهاد^(١)

ولهم الثريد وهو في أشرفهم عام ، وغلب عليه هاشم حين هشم الخبز لقومه فمدح به في قول الشاعر :

عمرو الملا هشم الثريد لقومه ورجالُ مكة مُسْتِنُونَ عِجَافُ^(٢)

قال حمزة : فهذا المثل مع ما يتلوه حكام عمرو بن بحر الجاحظ في كتابه الموسوم بكتاب (أطعمة العرب) . ومنهم :

عبد الله بن جبراهة التميمي

وقد كان من مشاهير الأجواد . وعمن سارت بجوده الأمثال في الأنصار والبلاد ، وكان يسمى بحاسي الذهب لأنه كان يشرب في إناء من الذهب ، وقالوا في المثل : « أقرى من حاسي الذهب » وكان من قريش . وفيه قال أبو الصلت الثقفي :

له داعم بِمَكَّةَ مُشْمَلٌ* وَآخِرُ فَوْقَ دَارَتِهِ يُنَادِي

(١) يأتي شرحه في الأصل (٢) عمرو والملا اسم هاشم بن عبد مناف ، والمستنون الذين أصابتهم السنة المجدة الشديدة ، والعجاف جمع أمجف وهو الذي ذهب سمته والبيت لابن الزبير

إلى رُدُح من الشيزى مِلّاه لُبَابُ الرُّبُّ يُنْكَ بِالشهاد
الزدة ستره تكون في مؤخر البيت أو قطعة تراد فيه والرداح الخفيفة العظيمة .
وروى الجوهري البيت هكذا إلى رُدُح من الشيزى عليها ففيه عليها بدل ملاء
والشيز والشيزى خشب أسود يتخذ منه القمصاع ، وقوله لُبَابُ البر : أى من
لباب البر . وأخبارُ عبد الله بن جعدان في السخاء والكرم كثيرة ، وقد ذكر
طريقاً منها الزبير بن بكار في كتابه الذى ألفه في فضائل قریش . ومن خبره
أنه كان في ابتداء أمره مملوكاً^(١) تَرَبَّ اليَدَيْنِ وكان مع ذلك شريفاً فأتى
لا يزال يجنى الجنائيات فيمقل^(٢) عنه أبوه وقومه حتى أبغضه عشيرته ونفاه أبوه
وحلف لا يُؤْوِيهِ أبداً فخرج في شِعَابٍ مَكَّةَ حائراً ثائراً يتمنى الموت أن ينزل به
فراى شقاً في جبل فظن أن به حية فتمرض للشق يريد أن يكون فيه ما يقتله
فيستريح فلم يرَ شيئاً فدخل فإذا به ثعبان عظيم له عينان تَقْدَانِ كالسراجين
فحمل عليه الثعبان فأفرج له فأنساب^(٣) عنه مستديراً بدارة عند بيت ثم خطا
خطوة أخرى ففسر به الثعبان فأقبل إليه كالسهم فأفرج له فأنساب عنه فوقف
ينظر إليه يفكر في أمره فوقف في نفسه أنه مصنوع فأمسكه بيديه فإذا هو مصنوع
من ذهب وعيناه ياقوتتان فكسره وأخذ عينيه ودخل البيت فإذا جث طولاً
على سُرُرٍ لم يرَ مثلهم طولاً وعظماً وعند رءوسهم لوح من فضة فيه تاريخهم وإذا هم
رجال من ملوك جرم وآخرهم موتاً الحارث بن مُضاض صاحب المذبة الطويلة
وإذا عليهم ثياب من وصى لا يمَسُّ منها شيء إلا اقتتر كالهباء^(٤) من طول الزمان
مكتوب في اللوح عظمت . قال ابن هشام كان اللوح من رخام^(٥) وكان فيه أنا
نفيلة بن عبد اللذان بن خشرم بن عبد ياليل بن جرم بن قحطان ابن نبي الله
هود عليه السلام عشت من العمر خمسمائة عام وقطعت غَوَرَ الأرض ظاهرها

١١ الصلوك بالضم الفقير ، والترب الذى لا مال له (٢) عقل عنه ادى
جنايته (٣) فأنساب أى مشى مسرعاً (٤) الهباء بالمد دقائق التراب والندى
المنيب الذى يرى في ضوء الشمس وليس له مس ولا يرى في الظل (٥) حجر
معروف الواحدة رخامة

وباطنها في طلب الثروة والمجد والملك فلم يكن ذلك ينجيني من الموت . وتحتة
مكتوب :

قد قطعت البلاد في طلب الرِّوة والمجد قالص الأتواب^(١)
وسريت البلاد قفراً لقفر بقناة وقوة واكتساب
فأصاب الرِّدى بنات فؤادى بسهام من الناياب صياب
فانقضت مدنى واقصر جهلى واستراحت عواذلى من عتابى
ودفعت السفاه بالحلم لما نزل الشيب في عمل الشباب
صاح هل ريت أو سميت براجم ردى الصرع ماقرى في الحلاب^(٢)

وإذا في وسط البيت كوم عظيم من الياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة
والزبرجد فأخذ منه مأخذ ثم علم على الشق بعلامة وأغلق بابه بالحجارة وأرسل
إلى أبيه بالمال الذى خرج به منه يسترضيه ويستعطفه ووصل عشيرته كلهم فسادهم
وجعل ينفق من ذلك الكنز : ويطمع الناس ويقبل المروق . وفي القاموس
وربما كان يحضر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم طعامه . وكانت له جفنة يأكل
منها القائم والراكب لمظمها ، بل كانت جفنته يأكل منها الراكب على البعير ،
وسقط فيها صبي ففرق ومات . وفي غريب الحديث لابن قتيبة : أن رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال : كنت أستظل بظل جفنة عبد الله بن جدعان مكة
محمى يبنى في الهاجرة وسميت الهاجرة مكة عمى لخبر ذكره أبو حنيفة في الأنواء
وهو أن عماراً رجلاً من عدوان ، وقيل : من إباد ، وكان قتيه العرب في الجاهلية
قد قدم في قومه ممتراً أو حاجباً فلما كان على مرحلتين من مكة قال لقومه وم
في وسط الظهيرة من أتى مكة غداً في مثل هذا الوقت كان له أجر عمرتين فصكوا

(١) قوله قالص الأتواب أى قصر الثياب يقال قالص الثوب بعد الغسل
أى انزوى (٢) قوله ريت أصله رأيت فخفضت بحذف الهجمة ، والحلاب
بالكسر إناء يحاب فيه ، ويروى في الملاب جمع علبه والعلبة محاب من جلد ،
والضرع للذات الظلف كاللدى للمرأة والجمع ضروع كفلس وفلوس ، وقرى :
اجتمع

الإبل صكة شديدة حتى أتوا مكة من الغداة وعى تصغير أعمى على الترخيم فسميت الظهيرة صكة عى .

وعبد الله بن جعدان تيمى يكنى أبا زهير ، وهو ابن عم عائشة رضى الله تعالى عنها ، ولذلك قالت : يا رسول الله . إن ابن جُعدان كان يطعم الطعام ويقرى الضيف ويفعل المعروف فهل ينفعه ذلك يوم القيامة ؟ قال صلى الله تعالى عليه وسلم : لا . إنه لم يقل يوماً رب اغفرلى خطيئتي يوم الدين كذا قاله السهيلي فى الروض الأنف^(١) . وفى كتاب رى الماطش وأنس الواحش لأحمد بن عمار : إن ابن جُعدان ممن حرم الخمر فى الجاهلية بمد أن كان بها مغرى . وذلك أنه سكر ليلة فصار يمد يديه ويقبض على ضوء القمر ليأخذه فضحك منه جلساؤه فأخبر بذلك حين صبحا فغلف أن لا يشربها أبداً . فلما كبر وهرم أراد بنوتيم أن يمنعه من تبذير ماله ولاموه فى المطاء فكان يدعو الرجل فإذا دنا منه لطمه لطمعة خفيفة ثم يقول له قم فأئسد لطمتك واطلب دينها فإذا فعل ذلك أعطته بنوتيم من مال ابن جُعدان . ومنهم :

قبس بن سعد

وهو من أسخياء العرب وأجوادهم المذكورين . قيل له يوماً هل رأيت قط أسخى منك ؟ قال : نعم زلنا بالبادية على امرأة فحضرها زوجها فقالت أنه نزلت بك ضيفان فجاء بناقة فنحراها ، وقال شأنكم فلما جاء النداء بأخرى ونحرها ، وقال شأنكم قلت ما أكلنا من التى نحرت البارحة إلا اليسير ، فقال : إني لا أطعم

(١) هذا الكتاب شرح على السيرة الهاشمية وقد طبع بمصر سنة ١٣٣٢ ، وروضةائف كمنق لم ترع ، قال الشاعر :

أروضةائف تضمن نبتها فيث قليل الدمن ليس بمعلم
وكذلك كاسائف لم تشرب

أضيافى الناب^(١) فأقنا عنده أياماً والسماء كُطِر وهو يفعل كذلك . فلما أردنا الرحيل وضعنا فى بيته مائة دينار ، وقلنا للمرأة : اعتنرى لنا منه ومضينا فلما مَتَّعَ النهار^(٢) ، إذا رجل يصيح خلقنا قفوا أيها الركب اللثام أعطيتمونا ثمن القيرى^(٣) . ثم إنه لحقنا وقال لتأخذنَّهْ وإلا طعنكم برمحى فأخذناها وانصرف . ومنهم :

عبدة الكلية

وهى امرأة من العرب كانت مذكورة بالسخاء . فقد روى أبو بكر بن دريد بسنده إلى أبى عبيدة . قال مرَّ رجل من أهل الشام بامرأة من كلب . فقال هل من لبن يباع فقالت : إنك للثيم أو قريب عهد بقوم لثام ، هل يبيع الرسل^(٤) كريم ، أو يمنه إلا لثيم . إنا لنَدْعُ الكوم^(٥) لأضيافنا تكوس^(٦) . إذا مكف الدهر الضروس . ونظى اللحم غريضا^(٧) . ونهينه نضيجا^(٨) . ومنهم :

قتادة بن سلمة الخنفي

كان هذا أيضاً من أسخياء العرب ومشاهيرهم فى الكرم وبه يضرب المثل فى الجود ، وكان يسمى غيث الضريك . وقالوا : هو « أفرى من غيث الضريك » وهو الفقير . ومنهم :

مطاعم السرج

زم ابن الأعرابي أنهم أربعة أحدهم عم أبى محجن الثقفى ولم يسم الباقين .

(١) يقال غب الطعام والتمر يغب غبا وغبا وغبوبا وغبوبة فهو غاب : بات ليلة فسد أو لم يفسد وخص بمضهم اللحم ، وقيل غب الطعام تغيرت رائحته ، قال جرير يهجو الأخطل :

والتغلبية حين غب غبيها تهوى مشاقرها بشر مشافر
أراد بقوله غب غبيها ما انتن من لحوم ميتتها وخنازيرها (٢) أى ارتفع
(٣) الضيافة (٤) اللبن (٥) القطعة من الأبل (٦) يقال كأس البعير إذا مشى على ثلاث قوائم وهو معرّقب (٧) أى طريا (٨) نضج اللحم كسميح نضجا ونضجا أدري ، فهو نضيج وناضج

قال أبو الندى هم كِنَانُهُ بنُ عبدِ ياليلِ الثقفيِّ عمِ أبي مِخْجَنٍ . ولَبِيدُ بنِ ربيعةِ وبوأمِ كانوا إذا هبتِ العُصْبَا أطمعوا الناسَ وخصُوا العُصْبَا لأنَّها لا تهبُّ إلا في جَدْبٍ . قالت بنتُ لبَيدِ بنِ ربيعةِ العامريِّ :

إذا هَبَّتْ رِيحُ أَبِي عَقِيلٍ ذَكَرْنَا عِنْدَ هَبَّتِهَا الْوَلِيدَا

أَشْمَ الْأَنْفِ أَيْضَ عِشْمِيًّا أَعَانَ عَلَى مَرْوَةِ لَبِيدَا^(١)

وكانت العرب تضرب بهم الأمثال . لما جئوا عليه من سخاء الطبع وكريم الخصال . وخلدوا لهم الذكر الجليل . والثناء الجزيل . وهو أحسن ما يدخر . وأجل ما يفتنى ويؤثر . ومنهم :

أزواد الركب

قال ابن بكار في أنساب قريش : كان أزوادُ الركب من قريش ثلاثة ، مسافر ابن أبي عمرو بن أُمَيَّةَ بن عبد شمس . الثاني زَمْعَةُ بن الأسود بن المطلب بن أَسَدِ بن عبد المزى . الثالث أبو أمية بن المنيرة بن عبد الله بن عمر بن غزوم . وإنما قيل لهم أزواد الركب لأنهم كانوا إذا سافروا لم يتزود معهم أحد ولم يسم بذلك غير هؤلاء الثلاثة . وكان عند أبي أمية بن المنيرة أربع هواتك عاتكة بنت عبد المطلب وهي أم زهير ، وعبد الله وهو الذي قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم : لن تؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً . وعاتكة بنت جدل الطعان^(٢) ، وهي أم سلمة والمهاجر . وعاتكة بنت عتبة بن ربيعة . وعاتكة بنت قيس من بني نُهْشَلِ بن دارم التميمية انتهى . وبهم كانت قريش تضرب اللثل . قال الميداني عند قولهم أقرى من زاد الركب : زعم ابن الأعرابي أن هذا اللثل من أمثال قريش ضربوه لثلاثة من أجوادهم وعدد أسماءهم على الوجه

(١) الشمم ارتفاع في قسبة الأنف مع استواء اعلاه ، وقوله عِشْمِيًّا أي منسوباً إلى عبد شمس (٢) هو علقمة بن فراس من مشاهير العرب لقب بذلك لجوده يقال للرجل الصالح بالامر القائم به التأثير عليه هو جدله

السابق . وأخبار هؤلاء كثيرة . وما ورد فيهم من شعر اللديج أكثر والمقام لا يسع ذلك ، وكان أبو أمية بن الغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم زوج اخته ماتهكة بنت عبد المطلب تفرج تاجراً إلى الشام فأت بموضع يقال له سَرَوْ سُحيم ، فقال أبو طالب عم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هذه الأبيات يرثيه بها وهي :

أَلَا إِنَّ زَادَ الرِّكْبِ غَيْرَ مَدَافِعٍ بِسَرَوْ سُحَيْمٍ غَيْبَتُهُ الْقَابِرُ
بِسَرَوْ سُحَيْمٍ طَارِفٍ وَمَنَازِكَةٍ وَفَارِسُ غَارَاتِ خَطِيبٍ وَيَاسِرُ^(١)
تَنَادَوْا بِأَنْ لَّاسِيدَ الْحَى فِيهِمْ وَقَدْ نَجَحَ الْحَيَّانُ كَبْ وَطَافِرُ
فَكَانَ إِذَا يَأْتِي مِنَ الشَّامِ قَافِلًا بِمَقَمِهِ تَسْمَى إِلَيْنَا الْبَشَائِرُ^(٢)
فَيُصْبِحُ أَهْلُ أَفْوَ بِيضًا كَأَنَّمَا كَسْتَهُمْ حَبِيرًا رَيْدَةً وَمَعَافِرُ^(٣)
تَرَى دَارَهُ لَا يَبْرَحُ الدَّهْرُ عِنْدَهَا مُجْمَعَةً كَوْمٌ سَيَّانٌ وَيَافِرُ^(٤)
إِذَا أَكَلْتُ يَوْمًا أَتَى الدَّهْرُ مِثْلَهَا زَوَاهِقُ زَمٍّ أَوْ غَضَضٌ بِهَازِرُ^(٥)
ضَرُوبٌ بِتَصَلِّ السِّيفِ سَوَقٌ سَيَّانِيهَا إِذَا عَدِمُوا زَادًا فَإِنَّكَ طَافِرُ^(٦)
وَالْأَيُّ يَكُنْ لِحِمٍّ غَرِيضٌ فَإِنَّهُ تَكْبُ عَلَى أَفْوَاهِنِ الْفَرَّارِ^(٧)

(١) سُحيم بضم السين موضع في طريق الشام من مكة ، وسروه اعلاه وحذف حرف العطف من خطيب ضرورة : مناصر اسم فاعل من ناكزه أى قتله ؛ وياسر اللاعب بقداح الميسر ، والميسر قمار العرب بالأزلام وهو مما يفتخر به عندهم كانوا يقامرون بها في أيام الغلاء والقحط ويفرق الغالب لحم الجوزور على الفقراء (٢) القافل : الراجع من السفر ، والبشائر جمع بشارة (٣) أراد بأهل الله قريشا سموا بذلك لأنهم أرباب مكة ، والحجبر بفتح الحاء المهمله ثياب ناعمة كانت تصنع باليمن ، وريدة بفتح الراء وسكون المثناة التحتيّة بلدة من بلاد اليمن ، ومعافير بفتح الميم وكسر الفاء هى من همدان الى اليمن (٤) قوله مجمعة اسم فاعل من ججمعت الابل اذا صوتت ، والباقر اسم لجماعة البقر كالجمل لجماعة الابل (٥) زواحق جمع زاهقة وهى السينة ، والزمم : الكثيرات الشحم جمع زهمة بفتح فكسر وكلاهما بالزاي المعجمة ، والمخاض : الحوامل من الابل واحدها خلفه من غير لفظها ، والبهازر جمع بهزرة وهى الناقة الجسيمة (٦) قوله ضروبى هو ضروب ، وتصل السيف شفرته فلذلك اضافه الى السيف وقد يسمى السيف كله نصلا ، مدحه بانه كان يمرقب الابل للضيغان عند عدم الازواد وكانوا اذا ارادوا نحر الناقة ضربوا ساقها بالسيف فخرت ثم نحروها ، وقوله فاذا عدمو النخ الجملة الشرطية التفتت الى الخطب من النية ، والسوق جمع ساق (٧) الفرخ : الطيرى من اللحم ، والفرار جمع فرارة وهى العدل يكون فيها الدقيق والحنطة وغيرهما .

فيالك من ناعٍ حيث بالةٍ شراعية تصفر منها الأظافر^(١)
ومن كان يضرب به الثل من أجواد عرب الجاهلية لا يمكننا أن نستوعبهم ،
ومن وقف على أخبارهم تبين لديه أن كل واحد منهم كان يستحق أن يضرب
به الثل .

وأما بعد ظهور الإسلام فقد تأكد ذلك لديهم واستوجبت عليهم نصوص
الشريعة فانضم ههنا الداعي إلى الداعي الطبيعى فكان فيهم من أهل القرون
الثلاثة من أنسى ذكر كعب بن مامة وابن سعدة . قال ابن عبد ربه في المقد
الفريد : أجواد الخباز ثلاثة في عصر واحد عبيد الله بن العباس وعبد الله بن
جعفر وسعيد بن العاص . فمن جود عبيد الله بن العباس أنه أول من فطر جيرانه ،
وأول من وضع الموائد على الطرق ، وأول من حى على طامه ، وأول من أنهبه ،
وفيه يقول شاعر المدينة :

وفى السنة الشهباء أطمعت حامضاً وحلواً ولجأ تاهباً ومزعاً^(٢)
وأنت ربيع لليتامى وعصمة إذا الحبل من جو السماء تطلما
أبوك أبو الفضل الذى كان رحمة وغيثاً ونوراً للخلائق أجما

« ومن جوده » أنه آناه رجل وهو بفناء داره فقال : يا ابن عباس إن لى
عندك يداً وقد احتجت إليها فصعد بصره وصوبه فلم يعرفه ، ثم قال : ما يدك
عندنا ؟ قال : رأيك واقفا بزعم وغلامك يمتح لك^(٣) من مأها والشمس قد
صهرت^(٤)ك فظلتك بطرف كسأى حتى شربت . قال : إني لأذكر ذلك وأنه
يتردد بين خاطرى وفكرى . ثم قال لقيمه : ما عندك ؟ قال : ماثا دينار وعشرة
آلاف درهم . قال : ادفنها إليه وما أراها تفى بحق يده عندنا قال له الرجل :

(١) حيث : خصصت من الحباء وهى العطية ، والآلة بفتح الهزة واللام
المسددة الحربة ، وشراعية بالكسر الطويلة ، وقوله تصفر منها النح أى تموت
منها لأن الميت يصفر ظفره دماغه من أخير يموت أى أمية بالقتل (٢) السنة
الشهباء التى لاخضرة فيها أو لامطر ، وتامكا أى سميناً ، ومزع اللحم
تمزيماً فتمزع أى فرقه فتفرق (٣) المتح الاستقاء (٤) أى أملت دماغك

والله لو لم يكن لإسماعيل ولد غيرك لكان فيه ما كفاه فكيف وقد ولد سيد الأولين
والآخرين محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم ثم شفعه بك وبأييك .

« ومن جوده أيضاً » أن معاوية حبس عن الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما
صلاته حتى ضاقت عليه حاله فقيل لو وجهت إلى ابن عمك عبيد الله فإنه قدم بنحو
من ألف ألف درهم فقال الحسين : وأين تقع ألف ألف من عبيد الله ؟ فهو والله هو
أجود من الريح إذا عصفت^(١) وأسخى من البحر إذا زخر^(٢) ، ثم وجه إليه مع
رسوله بكتاب ذكر فيه حبس معاوية عنه صلاته وضيق حاله وأنه يحتاج إلى مائة ألف
درهم ، فلما قرأ عبيد الله كتابه وكان من أرق الناس قلباً ، وألينهم عطفاً ،
انهملت^(٣) عيناه . ثم قال : ويلك يا معاوية ! مما اجتريحت^(٤) يدك من الإثم حين
أسبحت لين المهادر ، رفيع المهادر ، والحسين يشكو ضيق الحال ، وكثرة العيال ،
ثم قال لقهرمانه^(٥) : اعمل إلى الحسين نصف ما أمليكه من فضة وذهب وثوب
ودابة ، وأخبره أني شاطرته مالى ، فإن أقنمه ذلك وإلا فارجع واحمل إليه الشرط
الآخر . فقال له القميم : فهذه المؤن التي عليك من أين تقوم بها ؟ قال : إذا بلغنا
ذلك دلتك على أمر تقيم به حالك . فلما أتى الرسول برسالته إلى الحسين قال : إنا لله
جملت والله على ابن عمي ، وما حسبته يتسع لنا بهذا كله فأخذ الشرط من ماله وهو
أول من فعل ذلك في الإسلام .

« ومن جوده » أن معاوية أهدى إليه وهو عنده بالشام من هدايا
النيروز خللاً كثيرة ومسكا وآنية من ذهب وفضة ووجهها مع حاجبه فلما
وضعا بين يديه نظر إلى الحاجب وهو ينظر إليها ، فقال : هل في نفسك منها
شيء ؟ فقال : نعم والله إن في نفسي منها ما كان في نفس يعقوب من يوسف

(١) يقال عصفت الريح تمصف عصفاً وعصوفا اشتدت فهي عاصفة وعاصف
وعصوف وأعصفت فهي معصف ومعصفة (٢) أى طوى وتملا (٣) أى فاضت
(٤) أى اكتسبت (٥) هو المسيطر الحفيظ على مائحت يديه قال ابن برى :
القهرمان من أمناء الملك وخاصته فارسي معرب وقال أبو زيد يقال قهرمان
وقهرمان مقلوب بلفظة الفرس القائم بأمر الرجل قاله ابن الأثير

عليهما السلام فضحك عبيد الله قال فشأنك بها فعلى لك . قال جعلت فداك أخاف أن يبلغ ذلك معاوية فيجد على . قال : فاختصمنا بمجتناك وادفعها إلى الخازن فإذا حان خروجنا حملها إليك ليلا ، فقال الحاجب : والله لهذه الحيلة في الكرم أكثر من الكرم ، ولوددت أنى لا أموت حتى أراك مكانه يمنى معاوية فظن عبيد الله أنها مكيدة منه ، قال دع عنك هذا الكلام فإننا قوم نقي بما وعدنا ولا ننقض ما أكدنا « ومن جوده » أنه أتاه سائل وهو لا يعرفه فقال له : تصدق فإنى نبشت أن عبيد الله بن عباس أعطى سائلا ألف درهم واعتذر إليه ؟ فقال له وأين أنا من عبيد الله ، قال أين أنت منه في الحب أم كثرة المال ؟ قال فيهما . قال أما الحسب في الرجل فروءته وفعله ، وإذا شئت فعلت وإذا فعلت كنت حسيبا فأعطاه ألفي درهم واعتذر إليه من ضيق الحال فقال له السائل إن لم تكن عبيد الله بن عباس فأنت خير منه وإن كنت هو فأنت اليوم خير منك أمس فأعطاه ألفا أخرى فقال السائل هذه هزة كريم حبيب والله لقد قررت حبة قلبى فأفرغتها في قلبك فما أخطأت إلا باعتراض الشك من جوانحي .

« ومن جوده أيضاً » أنه جاءه رجل من الأنصار فقال يا ابن عم رسول الله إنه ولد لى في هذه الليلة مولود وإنى سميت به باسمك تبركا منى به وأن أمه ماتت ، فقال عبيد الله بارك الله لك في الهبة ، وأجزل لك الأجر على المصيبة ، ثم دعا بوكيله وقال انطلق الساعة فاشتر للمولود جارية تحمضنه وادفع إليه مائتى دينار للنفقة على تربيته ثم قال للأنصارى عذرا إلينا بعد أيام فإنك جفتنا وفى الميئس يس وفى المال قلة ، قال الأنصارى لو سبقت حائما نيوماً واحد ما ذكرته الرب أبداً ، ولكنه سبقك فصرت له تالياً ، وأنا أشهد أن عفوك أكثر من مجوده ، وطلّ كرمك أكثر من وابله انتهى ما فى القصد من حديث عبيد الله . وروى أبو فرج الأصبهاني فى الأغاني بسنده ، قال : مرّ عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب بمنّ بن أوس المزنى وقد كف بصره فقال له يامنن : كيف حالك ؟ فقال :

صُنِفَ بَعْرَى وَكَثُرَ عِيَالِي وَغَلِبَنِي الدَّيْنُ . قَالَ : وَكَمْ دِينَكَ ؟ قَالَ : عَشْرَةُ آلَافٍ
دِرْهَمٍ فَبِعْتُ بِهَا إِلَيْهِ ، ثُمَّ مَرَّ بِهِ مِنَ الْفَدَى فَقَالَ كَيْفَ أَسْبَحْتَ يَا مَعْنَى ؟ قَالَ :
أَخَذْتُ بَيْنَ الْمَالِ حَتَّى نَهَكْتَهُ وَبِالدَّيْنِ حَتَّى مَا أَكَادُ أَدَانُ^(١)
وَحَتَّى سَأَلْتُ الْقَرْضَ عِنْدَ ذَوِي النِّقَى وَرَدُّ فُلَانٍ حَاجَتِي وَفُلَانٍ
فَقَالَ لَهُ عَبِيدُ اللَّهِ . اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ إِنَّا بَعَثْنَا إِلَيْكَ لَقَمَةً فَأَلْكُهَا حَتَّى انْتَزَعْتُ مِنْ
يَدَيْكَ فَأَيُّ شَيْءٍ لِلْأَهْلِ وَالْقَرَابَةِ وَالْجِيرَانِ ، وَبَعَثْتُ إِلَيْهِ بِمِثْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ أُخْرَى
فَقَالَ مَعْنَى بِمَدْحِهِ :

إِنَّكَ فَرَعٌ مِنْ قَرِيضٍ وَإِنَّمَا يَجْعُ النَّدَى مِنْهَا الْبُحُورُ الْفَوَارِعُ^(٢)
تُوتُوا قَادَةَ لِلْبَاسِ بَطْلَاءَ مَكَّةَ لَمْ فِي سَقَايَاتِ الْحَجِيجِ الْوَفَاعُ^(٣)
فَلَمَّا دَعُوا لِلْوَيْتِ لَمْ تَبْكُ مِنْهُمْ عَلَى حَادِثِ الدَّهْرِ الْعِيُونُ الدَّوَامُ
ثُمَّ إِنْ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ ذَكَرَ نَبْذَةً مِنْ أَخْبَارِ جُودِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، وَجُودِ
سَعِيدِ بْنِ الْمَاصِ ، وَجُودِ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ . وَجُودِ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرِ الْقَرَشِيِّ
الْتِمِي ، وَذَكَرَ جُودَ جَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ مِنْ أَهْلِ الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْأَجْوَادِ وَأَتَى مِنْ
ذَلِكَ بِمَا يَسْتَفِرُّ وَيُوجِبُ الْعَجَبَ وَلَا يَدْعُ إِلَّا لَهُمْ أَسْوَةً بِسَيْدِمَ بِلَ سَيِّدٍ وَلَدِ
عَدْنَانَ وَخَطَّانَ وَنُورَ حَذَقَةَ طَالِمِ الْإِمْكَانِ ، صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُ قَدْ مَنَحَ
مِنَ السَّخَاءِ وَالْجُودِ ، مَا فَاقَ بِهِ حَتَّى جَادَ بِكُلِّ مَوْجُودٍ ، وَأَثَرَ بِكُلِّ مَطْلُوبٍ
وَمَحْبُوبٍ . وَمَلَتْ وَدَرَعَهُ مَرَهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودَى عَلَى آصَعُ^(٤) مِنْ شَعِيرٍ لَطَمَامِ أَهْلِهِ ،
وَقَدْ مَلَكَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ ، وَكَانَ فِيهَا مَلُوكٌ وَأَقْيَالُ^(٥) لَهُمْ خَزَائِنٌ وَأَمْوَالُ ،
يَقْتَنُونَهَا ذُخْرًا ، وَيَقْبَاهُونَ بِهَا غُرًّا ، وَيَسْتَمْتَمُونَ بِهَا أَشْرًا وَبَطْرًا ، وَقَدْ حَازَ مَلَكَ

(١) نَهَكَتُهُ أَيُ صَرَفْتَهُ حَتَّى فَنِيَ (٢) هُوَ مَخْرُومٌ وَيُرْوَى وَأَنَّكَ بَالَوَاوُ فَلَا
خَرَمَ وَالْفَرَعُ مُسْتَعَارٌ مِنْ فُرُوعِ الشَّجَرَةِ وَهِيَ أَفْصَانُهَا وَالْفَوَارِعُ جَمْعُ فَارِعٍ
وَهُوَ الْعَالِي (٣) السَّقَايَةُ بِالْكَسْرِ الْمَوْضِعُ يَتَخَذُ لِسْقَى النَّاسِ ، وَالْحَجِيجُ جَمْعُ
حَاجٍ (٤) آصَعُ جَمْعُ صَاعٍ وَهُوَ يَذْكُرُ وَيُؤَنِّثُ مِكْيَالُ (٥) أَقْيَالُ جَمْعُ قَيْلٍ وَهُوَ
الْمَلِكُ أَوْ مِنْ مَلُوكٍ حَمِيرٍ يَقُولُ مَا شَاءَ فَيَنْفَعُ أَوْ هُوَ دُونَ الْمَلِكِ الْأَعْلَى

جميعهم ، فاقتنى ديناراً ولا درهما ، لا يأكل إلا الجشْب^(١) ، ولا يلبس إلا الخشن ، ويمسح بالجزل الخليلي ، ويمسحُ بالجم الفغير ، ويتجرع مرارة الإقلال ويصبر على سَمِّ^(٢) الاختلال ، وقد حاز غنائم هوازن ، وهي من السَّبِي ستة آلاف رأس ، ومن الإبل أربعة وعشرون ألف بئر ومن النعم أربعون ألف شاة ، ومن الفضة أربعة آلاف أوقية ، فجاء بجميع حقه وعاد خلوّاً .

روى أبو وائل عن مسروق عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت . ما ترك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ديناراً ولا درهماً ولا شاةً ولا بئيراً ولا أوصى بشيء . وروى عمرو بن مرة عن سويد بن الحارث عن أبي ذرّ قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : ما يسرنى أن لي أحداً ذهباً أفنقه في سبيل الله أموت يوم أموت وعندي منه دينار إلا أن أعدّه لغيري . وكان صلى الله تعالى عليه وسلم إذا سئل وهو مُعْطَمٌ وَعَدَدٌ ولم يردّ وانتظر ما يفتح الله . روى حماد بن زيد عن المطي بن زياد عن الحسن أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يسأله فقال : اجلس سيرزقك الله . ثم جاء آخر ثم آخر فقال لهم : اجلسوا فجاء رجل بأربع أواق فأعطاه إياها وقال يا رسول الله هذه صدقة فدا الأول فأعطاه أوقيةً ، ثم دعا الثاني فأعطاه أوقيةً ، ثم دعا الثالث فأعطاه أوقيةً ، وبقيت معه أوقية واحدة ففرض بها للقوم فما قام أحد فلما كان الليل وضعها تحت رأسه وفراشه عبائمه فجعل لا يأخذنه النوم فيرجع فيصلي فقالت له عائشة يا رسول الله حل بك شيء ؟ قال لا قالت : فجاءك أمر من الله ؟ قال لا قالت إنك صنعت منذ الليلة شيئاً لم تكن تفعله فأخرجها وقال : هذه التي فعلت بي ما ترين إني خشيت أن يحدث أمر من الله ولم أمضها ، وروى الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن ترك ديناً فليّ ومن ترك مالا فليورثه . فهل مثل هذا الكرم والجلود كرمًا وجوداً ، أم لثل هذا الإعراض والزهادة

(١) أي الغليظ من الطعام (٢) جوع

إعراساً وزهداً ، هيئات هيئات هل يُدرك شأؤ^(١) من هذه شذوئ من فضائيله ،
ويسير من عاصيته ، وهى التى لا يحصى لها عدد ، ولا يُدرك لها أمد ، وحقيق لمن
بلغ من الفضائل غايتها ، واستكمل لغايات الأمور آلهها ، أن يكون لزامة العالم
مؤهلاً ، وللقيام بمصالح الخلق موكلاً .

وأما كونه العرب أقرب للحلم من غيرهم

فَلَاِنَّ الحِلْمَ إِمْسَاكُ النَّفْسِ عَنْ هَيْجَانِ النَّصَبِ كَمَا أَنَّ التَّحَلُّمَ إِمْسَاكُهَا عَنْ
قَضَاءِ الْوَطَرِ^(٢) والحلم من آثار العقل وغير مُنفك عنه ، ولهذا يبر به عن كل عقل
ظهر فعلاً كقوله تعالى فى ذم من لم يذعن للحق على سبيل التعجب منهم : أم
تأمرهم أعلامهم بهذا ؟ . متى استعمل الحلم فى البارئ تعالى فإنما يراد العمل بمقتضاه
وهو المفودون انفعال يمرض له . ثم إن العقل كلما كان أوفر كان تأثيره أتم^٣
وأثره أقوى وأحكم ، وقد سبق ما كان عليه العرب من غزارة العقل وكلاله ،
فلا شك أن مؤثراته كذلك . وقد اشتهر العرب لا زالت آثارهم تتلى على مدى
الدهور . وتمر الأزمنة والمصور ، بكل ما يتم الحلم به فإن حلم الإنسان لا يتم
إلا بإمساك الجوارح كلها ، اليد عن البطش ، واللسان عن الفحش ، والعين عن
فضولات النظر . ومن دقق النظر فى شعرهم وخطبهم ، ووقف على لغتهم ،
تبين لديه كل ما ذكرناه ، فقد كانوا يحرمون الظلم ويتحالفون على الكف منه
كما سيمر بك حلف الفضول ونحوه ، ويتقاهون عن الفحشاء والمنكر ، ولتهم
تسكنى عن كل ما يستقبح التصريح به تحزراً من التلفظ بكلمة تأباه مروءتهم . وقد
أفرد الثمالى^٤ كتاباً كبيراً فى كذباياتهم عما تنزه ألسنتهم عن التعبير به . وما
زالوا يتمدحون بالحلم فى شعرهم . ولو لم يكونوا بالثنين فيه مبلغاً ما لهجوا به . قال
خلف بن خليفة مولى قيس بن ثعلبة يذكر قوما من العرب ويمدحهم بالحلم ومكارم
الأخلاق وكرم السجية :

(١) السبق (٢) أى الحاجة ، يقال قضيت وطرى اذا نلت بغيتك وحاجتك

عدلتُ إلى نفر المشيرة والهوَى
إلى هَضْبَةٍ من آل شيبانٍ أشرفت
إلى النفر البيض الآلاء كأنهم
إلى مَعْدِنِ العَرَةِ اللُّؤْيِدِ والندى
أحب بقاء الصوم للناس أنهم
عَذَابٌ على الإفواه ما لم يذنبهم
عليهم وقَارُ الحلم حتى كأنما
إن استجهلوا لم يمزب الحلم عنهم
هم الجبل الأعلى إذا ما تناكرت
ألم ترَ أن القتلَ غالٍ إذا رضوا
لنا فيهمُ حصنٌ حصينٌ ومعلٌ
لعمري لَيُنَمَّ الحى يدعو صريحهم
سعاة على إفناء بكر بن وائل
إذا طلبوا ذَخْلًا فلا الذَّخْلُ فالت
مواعيدُهم فيلُ إذا ما تكلموا

إلهم وف تَمَداد مجدهم شغلُ
لها القُرُوقُ والملياء والكاهل المبلُ (١)
سفاحُ يوم الرُوعِ أَخْلَصَهَا الصَّغْلُ (٢)
هناك هناك الفضلُ وأُخْلِقَ الجَزْلُ
مضى يظمنوا من مَصْرَعِ ساعة بخلو
عدوً وبالإفواه أسماؤهم تحلو (٣)
وليدهم من أجل هيته كحلُ (٤)
وإن آثروا أن يجهلوا عظم الجهل (٥)
ملوك الرجال أو تخاطرت البرلُ (٦)
وإن عَصَبُوا في موطنهم رخص القتلُ
إذا حرك الناس الخافِ والازلُ (٧)
إذا الجار والمأكول أرهقه الأسكلُ (٨)
وتبَلُّ أقاصى قومهم لهم تبَلُّ (٩)
وإن ظلموا أكفاهم بطلُ الدَّخْلُ (١٠)
بتلك التي إن سُميتُ وجب الفعل (١١)

(١) الهضبة : الجبل من صخرة واحدة ، والنروة : أعلى شيء ، والكاهل : ما بين اكتفين ، والهيل : الضخم الممتلئ ، يعنى بذلك بنى شيبان وكنى عنهم بالهضبة لانهم ملجأ وحصن (٢) النفر : البيض لانقياء الأعراض ، والآء بمعنى الذين وما بعده صلة ، والصفائح : السيوف ، والرُوع : الفزع (٣) عذاب على الإفواه يريد أن طعمهم حلو في الإفواه ، وقوله ما لم يذنبهم عدو معناه الأعلى افواه الأعداء فإن مذاقهم مر فيها وهذا كله كناية عن اللين والشدّة وخشونة الجانب (٤) الكهل : من الرجال من جاوز الثلاثين (٥) لم يمزب : أى لم يبعد ، وآثروا اختاروا وفضلوا (٦) قوله تخاطرت البرل قال في التاج : يجوز أن يكون من الخطر الذى هو الوعيد ويجوز أن يكون من خطر البعير بذنبه إذا ضرب به انتهى ، والبرل جمع بازل وهو البعير الذى بلغ السنة التاسعة من عمره (٧) المعل : اللجا ، والأزل : الضيق والشدّة (٨) أرهقه : ضيق عليه وغشيه (٩) التبَلُّ : الدحل والنار ، والأقاصى الأبعد (١٠) الدحل : النار (١١) بتلك أى بلفظ نعم يصفهم بالوفاء فيقول إذا قالوا نعم وجب الفعل فلم يتأخر

بحورٌ تلاقيا بحورُ غزيرةٍ إذا زَحَرَتْ قيس وإخوتها ذُهلٌ
 وكانت عندهم كلمةٌ تقال في مواطن الغضب والتشاجر فإذا سمعها أحدهم كف عما
 كان يصده من التشنق وأخذ الانتقام . وهى « إذا ملكْتَ فَأَسْجِحْ » يُقصدُ بها
 طلب المغو والخلم عند ثوران القوة الغضبية ولو لم يكونوا أملكَ لنفوسهم ، وأقدرَ
 على مجارة عقولهم ، لما تمكَّنوا على الارتداع ، إذا قارنت تلك الكلمة
 منهم السماع ، فهم أحلم في النفاق من كل حليم ، وأسلم في الخصام من كل سليم ،
 وإذا منوا بجفوة أحد لم يوجد منهم نادرة ، ولم يخفر عليهم ببادرة^(١) . ولا حليم
 غيرهم إلا ذو عثرة ، ولا وقور سواهم إلا ذو هفوة . يصبرون على الأذى
 والإقلال ، ويتحملون نصص الميش وضيق الحال ، وما كانت بينهم من الحروب
 والمشاجرات ، والتخاصم والنازعات ، فعى حمامة لشرفهم ، وصيانة لزمهم
 ومنزلتهم ، ومحافظة على مجدهم أن يستدل ، وملاحظة على علوِّ حسيهم أن
 يُستردل ، والحلم في غير موطنه ذلة ، والصبر على ما لا يُحمد زلة . هؤلاء رسل
 الله صلوات الله وسلامه عليهم ، وهم أكملُ الخلق في كل صفة محمودة ، وأعذب
 المناهل المورودة ، قد انتصبوا لجهاد الأعداء ، وقاتلوا من زاعَ عن المصححة^(٢)
 البيضاء ، حتى زاد بهم من قل ، وعز بهم من ذل ، وصادوا بإثماتهم في الأعداء
 منصورين ، وبالعرب منهم محذورين ، وهذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
 قد ضرب رِقاب بنى قُرَيْظَةَ صبرا في يوم أحد ، وهم نحو سبعمائة^(٣) وانتقم منهم
 انتقام من لم يطفه عليهم رحمة ، ولا داخلته لهم رقة ، وإنما قل ذلك في حقوق
 الله تعالى . وقد كانت بنو قريظة رضوا بتحكيم سعد بن معاذ عليهم حكيم أن من
 جرت عليه المؤساة قتل ومن لم تجر عليه استرق فقال رسول الله صلى الله تعالى
 عليه وسلم : هذا حكم الله من فوق سبعة أرقعة . فلم يجز أن يعفو عن حق وجب لله

(١) هى ما يبدر من حدثك من قول أو فعل . (٢) جادة الطريق .

لا في غزوة أحد كما توهم المؤلف .

(٣) هذه المذبحة حدثت بعد انصراف النبى عن الخندق في غزوة الاحزاب .

تعالى عليهم ، وإنما يختص عفوه بحق نفسه . روى أن قيس بن عاصم النخعي وهو أحد من يضرب به المثل في الحلم من العرب كان يحدث أصحابه يوماً وهو محبب إذ جاؤا ب ابن له قتيل ، وابن عم له كتيف . فقالوا : إن هذا قتل ابنك هذا ، فلم يقطع حديثه ولا نقض جيوته حتى إذا فرغ من الحديث التفت إليهم فقال أين ابني فلان ، فجاءه فقال يا بني قم إلى ابن عمك فأطلقه وإلى أخيك فادفنه وإلى أم القاتل فأعطها مائة ناقة فإنها غريبة لعلها تساو عنه . ثم اتكأ على شقه الأيسر فأنشأ يقول :

إني امرؤ لا يمتري خلقي دَنَسٌ يَفْنَدُهُ ولا أَفْنُ
من مَنَقَرٍ في بيت مَكْرُمَةٍ والصنن ينبتُ حوله الفصنُ
خطباء حين يقول قائلهم ييضُ الوجوه مصارعُ لُسُنُ
لا يفظنون لميبِ جارِم وم لحفظ رجواره فُظُنُ

وكان الأحنف حليماً موصوفاً بذلك ، فن حمله أنه أشرف عليه رجل وهو يبالغ قدراً له يعابضها ، فقال الرجل قدر ككف القرد لا مستعيرها يُعار ، ولا من يأتيها يتدمس ، فقيل ذلك للأحنف فقال : لو شاء لقال أحسن من هذا . وقال ما أحب أن لي بنصيب من النل حمر النعم ، فقيل له أنت أعزُّ العرب . فقال : إن الناس يرون الحلم ذلاً وكان يقول رَبِّ غِيظٍ قد جرعت غفافة ما هو أشدُّ منه . وكان يقول كثرة المَزَاح^(١) تذهب بالهيبية . ومن أكثر من شيء عُرف به . والسؤدد كرم الأخلاق وحسن الفعل . وقال له رجل : يا أبا بحر دلني على مَحْمَدَةَ بنير مَزْرِيَّة^(٢) . قال الخلق المسجيع^(٣) . والكف عن القبيح . واعلم أن أدواء الداء اللسان البذيء ، والخلق الرديء . وأبلغ رجل مصعباً عن رجل شيئاً فأثاه الرجل يعتذر ، فقال مصعب : الذي بلننيه ثقة . فقال الأحنف : حلا أيها الأمير فإن الثقة لا يبلغ . وكان الأحنف من أفصح خطباء العرب . ومن خطبه ما رواه

(١) المداعية . (٢) الحمدة بفتح الميم تقيض الذمة ونص ابن السراج وجماعة على الكسر ، ومزربة مصدر زرى عليه أي عابه . (٣) لين سهل .

ابن دريد بسنده إلى رجل من بني تميم قال حضرت مجلس الأحنف بن قيس وعنده قوم مجتمعون في أمر لهم فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عليه ثم قال : إن الكرم ، منع الجرم ، ما أقرب النعمة . من أهل البنى ، لا خير في لغة تمقب ندما ، لن يهلك من قصد ، ولن يفتقر من زهد ، ربّ هزل عاد جداً . من أَمِنَ الزمانَ خانهُ ، ومن يعظم عليه أهانه . دعوا الزاح فإنه يرث الضئان^(١) . وخير القول ما صدقه الفعل . احتملوا لمن أدل عليكم . واقبلوا عند من اعتذر إليكم . أطلع أخاك وإن عصاك . وصِلهُ وإن جفاك . أنصف من نفسك . قبل أن ينتصف منك . وإياكم ومشاورة النساء . واعلموا أن كفرَ النعمة لؤم . ومحبة الجاهل شؤم . ومن الهكرم الوفاء بالذمم . ما أقبح القطيعة بعد الصلة . والجفاء بعد اللطف . والمداوة بعد الود . ولا تكون على الإساءة أقوى منك على الإحسان . ولا إلى البخل أسرع منك إلى البذل . واعلم أن لك من دنياك . ما أصلحت به مثواك . فأتفق في حق ولا تكون خازناً لغيرك . وإذا كان القدر في الناس موجوداً . فالنقمة بكل أحد عجز . اعرف الحق لمن عرفه لك ، واعلم أن قطيعة الجاهل ، تمدل منة الماقل . قال : فما رأيت كلاماً أبلغ منه . قدمت وقد حَفِظْتُهُ . وأخبار حلاء العرب والنوادير المروية عنهم بطرق صحيحة كثيرة وهي في كتب التواريخ والأدب .

وأما كونه العرب أشجع من غيرهم

فَلِأَنَّ الشجاعة من الصفات النريزية ، والسجاياء الطبيعية ، وقوة للنفس معنوية ، لا تُدرك إلا بآثارها وغاياتها ، ولا تعلم إلا بمقتضياتها وعلاماتها ، وهي الإقدام في مواضع الإحجام . وعدم المبالاة . بالحياة ولا بالمات ، وكلما كانت هذه الآثار أعظم . كان مبدؤها أقوى وأتم . والعرب لم تزل رماحهم متشابكة ، وأعمارهم في الحروب مهالكة ، وسيوفهم متقارعة ، وأبطالهم في ميادين الفؤاد

متنازعة . قد رغبوا عن الحياة . وطيب الذات ، وزهدوا لتأييد عزم من القيل
في أفياء الشهوات ، وم كما قال القائل فيهم :

قوم إذا زلّ الزبيبُ بدارم تركوه ربّ صواهل وبيان^(١)
وإذا دعوتهم ليوم كربة سدّوا شمعَ الشمس بالقرسان
لا ينكتون الأرض عند سؤالهم لتطلب الملات بالميدان^(٢)
بل يسفرون وجوههم فترى لما عند السؤال كأحسن الألوان
كانوا يتماجدون بالموت قطعاً ، ويتهاجون بالموت على القرائش ويقولون فيه
مات فلان حتف أنفه . وعن بعضهم وقد بلغه موت أخيه : إن يقتل قد قتل أبوه
وأخوه وعمه ، إنا والله لا نعت حتفاً ولكن قطعاً بأطراف الرماح ، وموتاً تحت
ظلال السيوف .

وقال السموّل

وما مات منا سيد حتف أنفه ولا طلّ منا حيث كان قتيل^(٣)
تسيل على حد الطّباة نفوسنا وليست على غير الطّباة تسيل^(٤)

وقال آخر

وإنا لتستحلّ النسايا نفوسنا وترك أخرى مرّها فنذوقها
وقال الشنفرى

فلا تدفنونى إن دفنى محرم عليكم ولكن خامرى أمّ عامر^(٥)

(١) القيان جمع قينة وهى الامة المذنية او امم
(٢) النكت أن تضرب فى الأرض بقضيب فيؤثر بطرفه فيها ، وفى الحديث
جعل ينكت بقضيب . وفى المحكم النكت قرعك الأرض يعود او باصبع .
(٣) يقال مات فلان حتف أنفه اذا مات من غير قتل ولا ضرب ، وقوله
ولا طلّ منا الخ . أى لم يطل دم قتيل منا قال طلّ دمه اذا بطل ولم يطلب
به وهو مطالول وقد طله فلان ابطله يقول انا لا نموت ولكن نقتل ودم القتيل
منا لا يبطل . (٤) الطبا جمع طبة وهى حد السيف .
(٥) قوله خامرى أى استترى وتوارى ، وأم عامر كنية الضبع ، قال فى

فرائد الآل : أم عامر وأم عمرو وأم عويمر الضبع يشبه بها الاحمق لانهم اذا
ارادوا صيدها رموا فى جحرها بحجر فتحسبه شيئاً تصيده فتخرج لتأخذه
فتصاد عند ذلك ويقول الصائد لها خامرى أم عامر أى الجبى الى اقصى
مفارك واستترى فتنتقبض فيقول لها ام عامر ليست فى وجارها ثم يقول
ابشرى بجراح فطال وكمر رجال فتعد يديها ورجليها فيوثقها ويشد عراقيبها

إذا حلت رأسي وفي الرأي أكرهى وغودرَ عند الملتقى ثم سائري^(١)
هناك لا أبني حياة تسرى سجيى الليالى مُبَسَّلاً بالجرار^(٢)

وقال حسان بن ثابت

ولسنا على الأعقاب تبدي كلومتا ولكن على أعقابنا قطرُ الدما^(٣)
وقال العلوى -

عمره أكفال خيل على القنا ودامية لَبَّاتِها ومُحورها^(٤)
حرام على أرامنا طعن مدبر وتندق منها فى الصدور صدورنا
وقال آخر

وسائلة بالنيب عني ولودرت مقارعتى الأبطال طال نجيبها
إذا ما التفتينا كنت أول فارس يجود بنفس أفتلها ذؤوبها
وقال الحصين بن الحمام الرى

تأخرت استبقى الحياة فلم أجد لنفسى حياة مثل أن أتقدما
وقال عمرو بن الأظنة الانصارى

أبت لى شيمتى وأبى بلأى وأخذى الحد باليمن الريح

فلا تتحرك ثم يجرها ويخرجها من قعر الوجاء ، يضرب هذا المثل للذى يرتاع
من كل شيء جبناً وقيل غير ذلك

(١) ثم ظرف (٢) سجيى الليالى امتداده وسلاسنه فى الاتصال وهو اسم
فاعل سجس والمسل المسلم والجرار : الجرائم (٣) الأعقاب جمع عقب وهو
مؤخر القدم ، والكوم الجراح ، يقول لانولى فنجرح فى ظهورنا فنقطر دملونا
على أعقابنا ولكن نستقبل السيوف فان أصابنا جراح قطرت على أقدامنا ،
والبيت من أبيات ثلاث ذكرت فى الحماسة للحصين بن الحمام بن ربيعة الرى
أحد شعراء الجاهلية وفرسانها المذكورين وأوفائها الممدودين وليس لحسان
ابن ثابت وهى :

تأخرت استبقى الحياة فلم أجد لنفسى حياة مثل أن أتقدما
فلسنا على الأعقاب الخ

تعلق هاماً من رجال اعززة علينا وهى كانوا احق واظلموا
وكان من خبر هذه الأبيات أن بنى سهم وهط الحصين بن الحمام
وعقيل بن علفة كان لهم جار يهودى قتلته بنو حوشن من غطفان وكانوا
مقاربى المنازل وكان عقيل بن علفة غائباً بالنعام فلما بلغه الخبر كتب بأبيات
الى بنى سهم يجرسهم على القتال فلما وردت الأبيات عليهم تكفل بالحرب
الحصين بن الحمام وقال الى كتب وبى نوه ، خاطب امائل سهم وأنا من امائلهم
فأبأى فى تلك الحرب بلاء شديداً فقال هذه الأبيات من قصيدة طوله
وسياتى طرف منها فى الصفحات التالية

(٤) الأكفال جمع كفل محرقة العجز او ردفه واللبات والنحور بمعنى

- وإفدائى على المكروه نفسى وضربى هامة البطل المشيح^(١)
 وقولى كلما جشأت وجاشت مكانك تُحمدى أو تسترعى^(٢)
 لأدفع عن مآثر صالحات وأحيا بعدد عن عرض صحيح
 ونظير هذا قول قطري بن الفجاءة
 وقولى كلما جشأت لنفسى من الأبطال ويحك لا تراعى^(٣)
 فإنك لو سألت حياة يوم سوى الأجل الذى لك لم تطاعى^(٤)
 وقال عنترة وهو مما يشجع الجبان
 بكرت تخوفى الخثوف كأنى أصبحت عن غرض الخثوف بمزل^(٥)

(١) قوله البطل المشيح أى المقبل عليك والمانع لما وراء ظهره (٢) هذا البيت من شواهد النحو يستشهد به على أن العرب جزمت بعد الظرف، يعنى الواقع اسم فعل وهذا معنى قول ابن مالك فى التنبه

والأمر أن كان بغير الفعل فلا تنصب جوابه وجزمه أقبلا
 قال فى التصريح فجزم تحمدي فى جواب اسم الفعل وهو مكانك فإنه فى معنى ابنتى وقولى مصدر مبتدا خبره مكانك تحمدي على حد قولى لا اله الا الله . وجشأت بالجم والشين المعجمة والشين المعجمة والهمزة ارتفعت . وجاشت بالجم والشين المعجمة غشت من الغشيان ، وقوله مبتدا الا ظهر أنه عطف على وضربى النخ ، ويغال أن معاوية (رض) يوم صفين هم بالفرار فما منعه الا هذه الأبيات (٣) يروى بدل الشطر الأول من هذا البيت : اقول لها وقد طارت شعاعا اى اقول للنفس وقد طارت شعاعا اى متفرقة من الأبطال ويحك لا تراعى من الروع وهو الفرع ولكن نشجى واصبرى (٤) بقاء يوم أى زيادة يوم والمعنى أن النفس اذا طلبت أن يفسح لها فى أجلها زيادة عن الأجل المسمى لها لا يجاب طلبها ، وبعد هذين البيتين :

فصبرا فى مجال الموت صبرا فما نسل الخلود بمستطاع
 ولا غوب البقاء بثوب عسر فيطوى من أخى الخنع اليراع
 أخو الخنع الدليل ، واليراع هنا الرجل الجبان الذى لا قلب له كانه لا جوف
 له فوضع اليراع مكان الجبان لانه بمعناه
 سبيل الموت غاية كل حى فداعيه لأهل الأرض داعى
 ومن لا يتنشط يسأم ويهزم وتسلمه المنون الى انقطاع
 الافتياط أن يموت من غير علة

وما للمرء خير فى حياة اذا ما عد من سقط المتاع
 (٥) كانت العرب من عادتها تشرب ليلا فتسكر فتعطى وتهب حالة سكرها
 فاذا أصبحوا لامهم البخلاء فهذا معنى بكرت النخ كما قال التبريزى هو الخثوف
 مصدر بمعنى الخثف وهو الموت ، وهو أيضا جمع خثف

فأجبتها إن المنيّة منهل لا بد أن أسقى بكأس المنهل^(١)
فأقنّى حياك لا أبالك واعلمى أنى امرؤ ساموت إن لم أقتل^(٢)

وقد خص الرب من الشجاعة في حروبهم ، والنجدة في مصابة عدوم ،
ما شهدت به تواريخ الأمم ، واعترفت به ألسن العرب والمعجم . ومن راجع الكتب
المؤلفة في أيامهم ، وسيرهم في سالف أعوامهم ، تبين لديه أنهم لم يشهدوا حرباً
في فزاع ، إلا صابروا حتى انجلت عن ظفر أو دفاع ، وهم في موقفهم لم يزولوا عنه
هرباً ، ولا حازوا فيه رغباً ، بل ثبتوا بقلب آمن ، وجأش ساكن ، وقيل لعنرة :
كم كنتم يوم الفروق ؟^(٣) قال : كنا مائة كالذهب لم نكثر فننكل^(٤) ولم نقل
فندل . وحيث كان العرب لا تقدم شيئاً على المزمع صيانة العرض وعامة الحرم ،
هانت عليهم نفوسهم دون ذلك . وقد اختار الغالب منهم سكنى البوادي على
الحضر لما كان قد المز فيه . والجبن إنما ينشأ من حب رغد العيش وطيب الحياة
وعدم المبالاة بما يزرى بملو الحسب وأين ذلك منهم ؟ وبهذا تعلم ما كانوا عليه
من الشجاعة والإقدام على المهالك ، ولقد كابد منهم رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم في تأليفهم واتحاد كلمتهم ما جاوز منه الحزام الطيبين^(٥) وسال منه عرق
القرية^(٦) . وهذا شعرهم ينطق بما كانوا عليه من رسوخ القدم في هذا الميدان
وعلو الهمة في هذا الباب ، ولا بأس بإيراد شيء منه ، فمن ذلك قول حيان بن ربيعة
الطائي وهو أحد الشعبان المشهورين يفخر بقومه :

(١) المنهل يفتح الميم والمهاء : المورد وهو عين ماء ترده - الأبل (٢) قنّى
الحياء : لزمه وحفظه كأقنّى وأقنّى وقنّى بالتشديد (٣) هو يوم من أيام العرب
الشهيرة (٤) الجبن والتأخر (٥) أى اشتد الأمر وتفاقم قال المبرد : فإن
السباع والخيل يقال لواضع الإخلاف منها أطباء يافنى واحدها طبى كما
يقال في الظلف والخف خلف هذا مكان هذا فإذا بلغ الحزام الطيبين فقد
انتهى في المكروه (٦) كناية عن الشدة والمجهود والمشقة لأن القرية إذا عرقت
خبت ريحها أو لأن القرية مالها عرق فكانه تجشم محالاً أو عرق القرية
منقعهما كأنه مجسم حتى احتاج إلى عرق القرية وهو ماؤها يعنى السفر
إليها أو عرق القرية سفينة يجعلها حامل القرية على صدره أو معناه تكلف
مشقة كمشقة حامل قرية يصرق تحتها من ثقلها ، كما في القاموس

لقد عَلِمَ القبائل أن قومي ذوو جِدٍّ إذا لُيسَ الحديد^(١)
وإنا نَعِمُّ أَحلاسُ القوافي إذا استمر التنافرُ والنشيد^(٢)
وإنا نضربُ الملحاء حتى تولى والسيوف لنا شهود^(٣)

وقال يحيى بن منصور الحنفي

وجدنا أبانا كَانَ حلًّا بِلَدَةٍ سَوَى بَيْنَ قَبِيصٍ قَبِيصٍ عَيْلَانٍ وَالْفِزْرِ^(١)
فَلَمَّا نَأَتْ عَنَّا الْعَشِيرَةُ كُلُّهَا أَنْخَنَّا خَالِفْنَا السِّوْفَ عَلَى الدَّهْرِ
فَمَا أَسْلَمْتَنَا عِنْدَ يَوْمِ كَرِيهَةٍ وَلَا نَحْنُ أَغْصَيْنَا الْجَفُونَ عَلَى وَتْرِ^(٢)
وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ حِمِرٍ فِي وَقْمَةٍ كَانَتْ لِبْنَى عَهْدِ مَنَاةَ وَكَلَبَ عَلَى حِمِرٍ
مَنْ رَأَى يَوْمَنَا وَيَوْمَ بَنِي التَّيْمِ إِذِ التَّقَفَ صِيْقَهُ بِدَمِهِ^(٣)
لَمَّا رَأَوْا أَنْ يَوْمَهُمْ أَشِيبُ شَدُّوا حَيَازِيَهُمْ آلِهِ^(٤)
كَأَنَّمَا الْأَسَدُ فِي عَرَبِيهِمْ وَنَحْنُ كَاللَّيْلِ جَاشٌ فِي فَتْنِهِ^(٥)
لَا يَسْتَلِيمُونَ الْفِدَاءَ جَارَهُمْ حَتَّى يَزِلَّ الشِّرَاكُ عَنْ قَدَمِهِ^(٦)
وَلَا يَخِيْمُ الْلِقَاءَ فَارِسُهُمْ حَتَّى يَشُقَّ الصُّفُوفَ مِنْ كَرَمِهِ^(٧)
مَابِرِحَ التَّيْمِ يَمْتَرُونَ وَزُرُّ قُ الْخَطُّ تَشْقَى السَّقِيمَ مِنْ سَقَمِهِ^(٨)

(١) المراد بالحديد الدروع (٢) يقال فلان جلس كذا أى ملازم له أى ويشهدون أيضا إنا نعم أصحاب القوافى عند التفاخر والتناشد (٣) الملحاء : الكتبية العظيمة (٤) سوى بمعنى متوسطة فى موضع جر صفة لبلدة والفزر لقب سعد بن زيد مناة (٥) الكريهة : الحرب ، أى فما خلدتنا فى يوم حرب ولا نحن اغصينا جفوننا على وتر وحقد يعنى انهم ادركوا كل ثار (٦) من رأى على معنى يامن رأى وهو تمام الوزن لأن البيت من المنسرح واليوم المراد به الواقعة والاستمهام الغرض منه التعجب ، والصيق : الغبار والتفاهة كان برشاش الدم القاطر من الجراح (٧) اشب أى كثير الجلبة والأصوات ، والحيازيم : الصدور والمراد القلوب وهذا مثل لصبرهم على ما لحقهم (٨) كأنما الأسد أى كأنما هم الأسد فالأسد خبر مبتدأ محذوف ، والميرين : ماوى الأسد ، والقتم : يطلق على الظلمة والغبار والمراد الظلمة (٩) حتى يزل الشراك به قلب والأصل زلت القدم عن الشراك وهذا مثل لموته لأنه لا يلبسها بعده (١٠) ولا يخيم اللقاء أى لا يجبن عن اللقاء فحذف الجار تخفيفا ووصل الفعل فعمل (١١) يمتزون أى ينسحبون ويدعون بالفلان ، وزرقت الخط أى الرماح تشقى المتكبر من كبره وأنما جعل الفعل للمراح على المجاز والسعة

حتى تولت جوعٌ حَيْرَ والسفلُ مريماً تهوى إلى آئمة^(١)
وكم تركنا هناك من بطلٍ تَسْفِرُ عليه الرياحُ في لَمَةٍ^(٢)
وقال حسان بن نشبة المدوي في ذلك^(٣)

نحن أجربنا الحى وقد أنت لها حيمٌ تزجى الوشيع المقوما^(٤)
تركنا لهم شق الشمال فأصبحوا جيماً يرجون المطي الحزماً^(٥)
فلما دتوا سلنا ففرق جهمهم سحابتنا تندى أسرها دما^(٦)
فنادرٌ قِلاً من مَقول حيمير كان يحذيه من الدم عندما^(٧)
أمر على أنواه من ذاق طعمها مطاعنا يمحضن صاباً وعلقماً^(٨)
وقال في ذلك أيضاً

إنى وإن لم أند حياً سواهم فدا لا لقيم يوم كلب وحيمير^(٩)
أبو أن يبجحوا جارهم لمدوم وقد نار نفع الموت حتى تكو نرا^(١٠)
سموا نحو قتل القوم يبيدونه بأسيا فهم حتى هوى فغظرا^(١١)
وكانوا كأنف الليث لاشم مرغماً ولا نال قط الصيد حتى تمرا^(١٢)

(١) القل مصدر وضع موضع المفعول ، والامم : القرب . (٢) موضع كم نصب على المفعولية من تركنا ويقال سفت الريح التراب حملته وذرتة ، والمم جمع لمة والمراد بها ما تشعت في شعر الرأس . (٣) هو اخو بنى عدى ابن عبد مناة ، قال ابو محمد الاعرابي هذا الاسم تصحيف والصواب حساس بن نشبة التيمى والله اعلم . (٤) اجرنا الحى اى ادخلنا في جوارنا هذه القبيلة وكلبنا من الحى قبله ، وتزجى الوشيع المقوما اى تسوق الرماح المثقفة (٥) شق الشمال اى جانب الشمال والمرب تجعل الشمال كناية عن الشؤم ، والغزم الشد والقطع يقال شرارك مخزوم اى مقطوع . (٦) يقال صال فلان على قرنه اذا وقع به واستطال عليه حتى يدل له ؛ وسحابتنا اى جيشنا الذى كانه سحابة ، وتندى اى ترشح ، والاسرة : الاوساط والطرائق وتستعمل في بطون الودية ايضا . (٧) قِلاً من مقاولي حيمير اى ملكا من ملوكهم ، والعندم : دم الاخوين وقيل البقم اى ابتدوه بالسيوف حتى تركوه ساقطاً مضرجاً بدمه . (٨) الصاب : عصارة شجر مر ، والهاقم شجر مر ايضا وقيل الحنظل . (٩) يقال فداه ينفذه فداء وفدى اعطى شيئاً فانقذه . (١٠) الاباحة : التخليه بينك وبين الشيء ، والتقع : الغبار ، وتكوئرا : اى تراكم . (١١) القيل : الملك وممر ففسره قريبا وبقال بادره وابتدوه عاجله ، والتقطر : السقوط على احد القطرين اى علوا نحو الملك يعاجلونه حتى هوى اى سقط على احد جانبيه وفي الكلام اختصار كانه قال ابتدوه بالاسياق وضربوه حتى سقط . (١٢) كأنف الليث ضرب ذلك مثلاً للزمة والاباء لان الاند احمى الحيوان انفا والنم مجاز من السوال ، والمرفم : اللبل ، وتعفر من العفر محركا وهو التراب .

وقال في ذلك هلال بن رزين أحد بني ثور بن عبد مناة بن أد

وبالبيداء لما أن ثلاث بها كلبٌ وحلٌ بها الندور^(١)
فحانت حميرٌ لما التقينا وكان لهم بها يومٌ عسير^(٢)
وأبقت القبائل من جنابٍ وعامرٌ أن ميمتها نصير^(٣)
أجادتٌ وبلٌ مدجنةٌ فدرتٌ عليهم صوبَ ساريةٍ درور^(٤)
فولوا تحت قطعها سراعاً تكههم الهندة الذكور^(٥)

وقال حصين بن حُمام للرّبي

قلت لهم يا آل ذبيان مالكم تفاقدتم لاقدّمون مقدما^(٦)
مواليكم مولى الولادة منهم ومولى اليمين حابسٌ قد تها^(٧)
وقلت تبين هل ترى بين ضارجٍ ونفى الأكف صارخاً غير أعجا^(٨)
من الصبح حتى تدرب الشمس لا ترى من الخليل إلا خارجياً مسوما^(٩)

(١) البيداء هنا موضع بعينه معروف وإن زائدة يقول لما ثلاث قبيلة كلب وحمير بهذا المكان وحل به الندور أى سقطت الأقسام من الحافسين لادراكهم الأوتار وتقضى ما كان بين القبيلتين من المهود وجواب لما في البيت بعده . (٢) فحانت حمير أى هلكت لأن الدائرة أى الهزيمة كانت عليهم . (٣) جناب وعامر بطون من بني كلاب وإن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن محذوف والمراد بالنصير آخر البيت بنو التميم وإنما تكره ليكون البالغ في تعظيم النصرة كأنه أراد نصيراً من النصار أى كامل في معناه . (٤) أجادت : أرسلت ، والوبل : المطر الشديد العظيم القطر ، والمدجنة : المظلمة ، والصوب : نزول المطر ، والسارية : السحابة التى تأتى ليلاً ، والدور : الكثيرة الدر وهو فاعل درت . (٥) القطط : صفار البرد شبه النبل النافذ اليهم بالقطط من السحاب . وتكههم : تصرعهم ، والهندة : السيوف ، والذكور جمع ذكر وهو الصلب التين . (٦) جملة تفاقدتم معترضة بين مائكم وبين لا تقدمون وهى دعاء عليهم بأن يفقد بعضهم بعضاً والقدم مصدر قدم بمعنى تقدم وضع موضع الأقدام أى التقدم والفعلان إذا اتفقا في المعنى جاز وضع مصدر أحدهما موضع مصدر الآخر . (٧) المولى يطلق على معان كثيرة والشاعر في هذا البيت قسم الموالى إلى بنى عم وهم الذين سباهم مولى الولادة وإلى حليف وهو من انضم إليك مع يمزك وهو الذى سباه مولى اليمين لأنه يقسم له عند الانضمام . (٨) ضارج : ماء لبنى عيس ، ونهى الأكف : موضع والصارخ : المستغيث ، والأعجم : الذى لا يفصح . (٩) معنى البيت أنه لا ترى من الصبح إلى وقت المساء إلا خيلاً مسومة والموسم الذى عليه سمة أى علامة يعرف بها يريد بذلك كثرة الخيل والرجال حتى يضيق بهم القضاء .

عليهم زِيَانٌ كَسَامُ مُعَرَّقٍ^(١) وكان إذا يكسو أجاداً وأكرما^(٢)
صفائحٌ بَصْرَى أَخْلَصَتْهَا قِيُونُهَا^(٣) ومُطَرِّدًا من نَسَجِ دَاوُدَ مِنْهَا^(٤)
ولم رأينا الصبر قد حِيلَ دُونَهُ^(٥) وإن كان يوماً ذا كَوَاكِبٍ مُظْلِمًا^(٦)
صَبْرُنَا وَكَانَ الصَّبْرُ مَنَاسِيَجَةً^(٧) بأسياقنا يَقْطَعْنَ كَفًّا وَمِعْصَا^(٨)
نُفْلَقُ هَامًا من رجال أُمَرَةٍ^(٩) علينا وهم كانوا أَهَقَ وَأَظْلَمًا^(١٠)
ولم رأيتُ الْوَدَّ لَيْسَ بِنَافِي^(١١) عَمَدَتُ إِلَى الْأَمْرِ الَّذِي كَانَ أَحْزَمًا^(١٢)
فلست بِمَبْتَاعِ الْحَيَاةِ بِذَلِكَ^(١٣) ولا مُرْتَقٍ من خَشْيَةِ الْمَوْتِ سَلَمًا^(١٤)
وَقَالَ بِشَامَةُ بْنُ حَزْنٍ^(١٥)

وَلَقَدْ غَضِيتُ لِيَخْدِفَ رَقِيبَهَا^(١٦) لَمَّا وَتَى مِنْ نَصَرِهَا خُدَّالَهَا^(١٧)
دَافَعْتُ مِنْ أَمْرَاضِهَا فَتَنَّتْهَا^(١٨) وَلَدَيْ فِي أَمْنَالِهَا أَمْنَالُهَا^(١٩)
إِنِّي أَمَرْتُ أَيْمُ الْقَصَائِدِ لِلدِّي^(٢٠) إِنْ الْقَصَائِدُ شَرُّهَا إِيغْفَالَهَا^(٢١)

(١) محرق : هو أحد ملوك لخم حرق قوما فسمى محرقا ولذلك خبر طويل لا يستعنا إيراده لضيق المقام ولكل مقام مقال . (٢) الصفائح : السيوف وهو مفعول كسأهم في البيت قبله، وبصرى: موضع بالشام تباع فيه السيوف، والقيون جمع قين وهو الحداد، والمطرود: المتتابع النسيج ولم تجر العادة بقولهم كسأه سيفا وإنما جاز ذلك وحسن لان السيوف وقعت في صحبة الدروع والدروع تلبس كما تلبس الكسوة من الثياب، تدبر . (٣) وإن كان يوما اسم كان يعود الى اليوم أى وإن كان ذلك اليوم يوما ذا كواكب مأخوذ من قولهم أراه الكواكب نهارا وهو شيء نطقوا به في الدهر الأول يريدون بذلك شدة الأمر وعظم الخطب . (٤) السحجة : الطبيعة، والمعصم : السوار من السامد . (٥) نفلق أى نشق، والهام جمع هامة وهى الرأس والكتف كثيرا ما يفلطون في هذا من ذلك قول بعضهم : « كل هامة الشيب » أى رأسه ولا يخفى ما فيه من الخطأ والعدول عن الصواب، فتنبه، والعقوق ضد البر وأغلب ما يستعمل في الولد مع والده . (٦) كان آخر ما جعل الحزم للأمر كما جعل له العزم في قوله تعالى : « فإذا عزم الأمر » . (٧) بمبتاع الحياة أى يشتريها . (٨) هو أحد بنى نهشل بن دارم والظاهر أنه إسلامي، قال البغدادي ولم أر له ترجمة في كتب الأنساب . (٩) خندف لقب ليلى امرأة الياس بن مضر بن نزار وقيس هو قيس عيلان بن مضر، وونى : فتر .

(١٠) يقول دافعت عن عزهم ومجدهم ومنعت أراضهم أن تبتل والدى في أمثال هذه القبائل أمثال هذه النصرة . (١١) الأغفال جمع غفل بضم الفين المعجمة وهو الخالى من العلامة يريد ان شر الشعر ما لا يعرف ويشتهر.

قوى بنو الحرب العوان يجمعهم والمشرقية واقنا إشعالمها^(١)
 مزالا معروفا مرة في الوغى عل اقنا وعليهم إنهاها^(٢)
 من عهد عاد كان معروفا لنا أسر المداة وقتلها وقتالها^(٣)
 وقال شريح بن قرواش العنسي وكان من أشهر الفرسان
 لما رأيت النفس جاشت عكرتها على مسجل وأى ساعة معكر^(٤)
 عشية نازلته القوارس عنده وزل سنانى عن شريح بن مسهر
 وأقسم لولا درعه لتركته عليه عوف من ضباغ وأنسر^(٥)
 وما غمرات الموت إلا زالك الكمي على لحم الكمي القطر^(٦)

وقال عباس بن مرداس السلي وهي من المنصفات

فلم أر مثل الحى حيا مصبعا ولا مثلنا يوم التقينا فوارسا^(٧)
 أكر وأحى للحقيقة منهم وأضرب منا بالسيوف القوانسا^(٨)
 إذا ما شددنا شدة نصبوا لنا صدور للذاكي والرماح الداعسا^(٩)
 إذا لخليل جالت عن صريع نكرها عليهم فقا رجعن إلا عوابسا^(١٠)

(١) الحرب العوان التي قوتل فيها مرة بعد مرة ، والمشرقية : السيوف ،
 واقنا : الرماح ، والأشعالم : الأضرام وهو على حذف مضاف أى والمشرقية
 واقنا ذوات أشعالمها . (٢) العل من عل إذا سقاه ثانيا والانهال من انهاله إذا
 سقاه أولا وانما قال وعليهم انهالها كأنه يجعل ذلك واجبا عليهم والمراد بهذا
 الامتحان في العدو والفنك به . (٣) من هنا بمعنى مذ وانما وضعت موضع
 مذ لقوتها وكثرة تصرفها وتمكنها في باب الجر ، يقول ان ما اختص بنا من
 أسر الملوك وقتلهم ومحاربتهم امر معروف قديم من عهد عاد . (٤) يقال عكر
 على الشيء كره وانصرف ، ومسجل اسم رجل ، وأى ساعة معكر برفع أى
 على أنه مبتدا والخبر محذوف والتقدير وأى ساعة معكر تلك الساعة والمراد
 بهذا التهويل « وعشية ظرف لعكرتها وانما زل سنان رمحه عن شريح وسام
 منه لان شريحا كان لابسا دوما تحت ثيابه . (٥) العوافى جمع عاف وهو
 طالب المعروف وهو هنا مجاز عن تصرفها أى الطيور له ووقعها عليه .
 (٦) الغمرات الشدائد والكمى . الشجاع ، والمقطر : الساقط على أحد
 قطريه الى جانبه وقد مر تفسيره قريبا . (٧) قوله مثل الحى يريد به
 قوما معهودين وحيا مصبعا تمييز له والمصبح الذى يغار عليه وقت الصباح
 (٨) النصف الأول من هذا البيت يرجع الى أعدائه وهم بنو أسد ، الثانى
 يرجع الى عشيرته ، والقونس أعلى بيضة الحديد . (٩) الملاكى جمع ملك
 وهى الخيل التامة السن الكاملة القوة والمداعس من النعس وهو فى الأصل
 الدفع ويستعمل فى الطعن . (١٠) جالت عن ضريع أى دارت عنه .

وقال أبو الأبيض البسي من أبيات

وذى أمل يرجو تراثي وإن ما يصيرُ له منى غداً قليل^(١)
ومالي مالٌ غيرُ درعه ونمفرٍ وأبيضُ من ماء الحديد سقيم^(٢)
وأسمرُ خطي القناة مُتَقَفٌ وأجردُ عُريَانِ السراةِ طويل^(٣)
أفيمُ بنفسى في الحروب وأهَى بهاديه إلى الخليل وصُول^(٤)

وقال عمرو بن كلثوم التغلبي

معاذَ الإله أن تنوحَ نساؤنا على هالكٍ أو أن نضحَ من القتل^(٥)
قراعُ السيوفِ بالسيوفِ أحلّنا بأرضٍ يراحُ ذى أراك وذى أمل^(٦)
فا أبتِ الأيامُ منمالمِ عندنا سوى جذمِ إذرٍ وعُدَّةِ القتل^(٧)
ثلاثة أثلثٍ فأثلاثُ خيلنا وأقواتنا وما تسوق إلى القتل^(٨)

وقال بعض بني قيس بن ثعلبة

دموتُ بني قيس إلى فشموت خناذيدُ من سمدٍ طوالِ المواعدِ^(٩)
إذا ما قلوبُ القوم طارت مخافةً من الموتِ أرسوا بالنفوسِ المواجدِ^(١٠)

(١) وذى أمل أى ورب ذى أمل ، والتراث : الميراث ، وما موصول بمعنى الذى فلذلك كتب مفصلاً من أن ، تنبه . (٢) المغفر زود ينسج على قدر الراس ، والأبيض : السيف . (٣) الأسمر : الرمح ، والأجرد من الخيل القصير الشعر ، والسراة : الظهر . (٤) هادى الفرس صدره وعنقه .

(٥) قوله معاذ الإله أى اعوذ بالله معاذاً بصف شدة صبرهم في المصائب . (٦) قراع السيوف على حذف مضاف أى قراع أصحاب السيوف والمقارعة مضاربة القوم في الحرب والأصل في البراح الأرض التى لا بناء فيها ولا عمران ، والأراك والأثل : نوعان من الشجر ينبتان في السهل أكثر ، ومعناه انهم نزلوا بأرض لا هضاب فيها ولا جبال يتمتعون بها . (٧) ملالم أى من المال ، والجذم : الأصل والأذواد جمع ذود يقع على ما دون العشرة من الإبل ، والمحفدة : المقطوعة . (٨) ثلاثة أثلاث خبر مبتدأ محذوف وما بعده تفسير له وتفصيل كأنه قال أمواتنا ثلاثة أثلاث ظلت نشتري به الخيل وثلاث نشتري به أقواتنا وثلاث نعطيه في الديات . (٩) الخنازيد : فحول الخيل ويستعمل في الشجعان كما هنا . (١٠) أرسوا : امتنوا ومفعوله محذوف كأنه قال ابتنوا قلوبهم بالنفوس الكريمة ، والمواجد جمع ماجدة .

وقال حجر بن خالد

وجدنا أبانا حلًّا في المجد يتهوِّ وأعيان رجالاً آخرين مطالمة^(١)
فمن يسمع منا لم يَنْلْ مثل سميه ولكن متى مايرَ تصل فهو تايمة^(٢)
يسود ثنانا من سوانا ويدونا يسود معدًّا كلها لاتدافمة^(٣)
ونحن الذين لا يروغ جارنا وبمضهم للندر صم مساميه^(٤)
نهدق بضع اللحم للباع والندى وبمضهم تقلى بدم منافمة^(٥)
ويخلب ضرس الضيف فينا إذا شتا سديف السنام تستر به أصابعه^(٦)
منمنا حمانا واستباحه رماحنا حتى كل قوم مستجير مرانته^(٧)

وقال الرقاق بن النذر بن ضرار الضبي

إذا المهرة الشقراء أدرك ظهرها فشب الإله الحرب بين القبائل^(١)
وأوقد ناراً بينهم بضرامها لها وهج للمسطلي غير طائل^(٢)
إذا هلتى السلاح مشيخة إلى الروع لم أصبح على سلم وائل^(٣)
فدى لفتى ألقى إلى برأسها تلالى وأهل من صديق وجامل^(٤)

وقال أبو النول الطهويّ في قوم من العرب

فدت نفسي وما ملكك يميني فوارس صدقت فيهم ظنونى

(١) البيت لا يحل في المجد وإنما المجد جعل فيه ولكنه رمى بالكلام على السعة والمجاز ، وأعيان اعجز ، والمطاليم : المدايب والمسالك . (٢) الثنى من يكون دون الرئيس لكنه يليه في الرتبة مثل ولى العهد في الاسلام والبدء السند المتقدم في السيادة الغير المدفوع عنها . (٣) الدهدقة : صوت القدر عند غليانها ، والبضع جمع بضعة وهى القطعة من اللحم ، والباع مثل الشرف والعرز ، والمنافع : قدور صفار من حجر . (٤) قوله إذا شتا أى إذا دخل في الشتاء وهو الجذب ، والسديف : شحم السنام ، تستر به أى تختاره . ٥١ الحمى ما يحميه الإنسان ويدافع عنه ، والاستباحة هنا جعل الشيء مباحا غير ممنوع والهاء في مرانته ترجع إلى الحمى . (٦) المهرة : ولد الفرس ، والشقراء : الحمراء ، وأدرك ظهرها من أدرك النمر إذا امكن الانتفاع به ، فشب إله الحرب أى أوقدها وهذا دعاء (٧) الضرام : دقات الحطب ، والوهج : الاشتعال ، والطائل : النافع . (٨) المشيخة : الفرس القوي الحذر ، والروغ : الحرب . (٩) ألقى إلى برأسها أى وهبها لى ، والتلالى : المال القديم والصديق تفسير للأهل ، والجامل أى الجمال وهى الأبل تفسير للمال القديم .

فوارس لا يَمْلُونَ النّايَا إذا دارَتْ رَحَى الحَوبِ الزُّبُونِ^(١)
ولا يَجْزُونَ من حَسَنٍ بِسَيِّءٍ ولا يَجْزُونَ من غِلْظٍ بِلِينٍ
ولا تَبْلَى بَسَائِلُهُمْ وَإِنْ هُمْ مَلُوا بِالْحَرْبِ حِينًا بَعْدَ حِينٍ^(٢)
هُمْ مَتَمَّوْا حَيَّي الْوَقْبَى يَضْرِبُ يُؤَلِّقُ بَيْنَ أَشْتَاتِ الْمُنُونِ^(٣)
فَنَكَبَ عَنْهُمْ دَرَّةَ الْأَعَادَى وَدَاوُوا بِالْجُنُونِ من الجنون^(٤)
ولا يَرْمَعُونَ أَكْنَافَ الْهُوَيْنَى إِذَا حَلَّوْا وَلَا أَرْضَ الْهُدُونِ^(٥)

وقال ربيعة بن مكرم الضبي

ولقد كُتِبَتْ الخيلَ يَوْمَ طِرَادِهَا بِسَلِيمٍ أَوْظَفَةَ الْقَوَائِمِ هَمِيكَلٍ^(٦)
فَدَعَوْا نَزَالَ فَنَكَبْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ وَعَلَامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَتَزَلْ^(٧)
وَاللَّهِ ذِي حَنْتِي عَلَى كَأَنَّمَا تَقْتُلِي عِدَاوَةً صَدْرِي فِي مَرْجَلٍ^(٨)
أَرْجَبِيَّتُهُ عَنِّي فَأَبْصَرَ قَصْدَهُ وَكَوَيْتُهُ فَوْقَ النَّوَاطِرِ مِنْ عِلٍّ^(٩)

وقال بعض بني قيس بن ثعلبة^(١٠)

(١) رَحَى الحرب : حومتها ومعظمها وهذا على المجاز لأن الحرب تحطم الرجال وتكسرهم كما تفعل الرحى . والزبون بفتح الزاي في الأصل الناقة التي تزبن حاليتها وتدفعه شبيهت الحرب بها لأنها تدفع الرجال لشدة هولها (٢) البسالة الشجاعة (٣) الوقبى كجمرى اسم ماء لبني مازن ، والأشتات جمع شت وهو المتفرق ، والمنون : الموت (٤) قوله فنكب معناه نحى وحول ، والدرة أصله الدفع ثم استعمل في الخلاف لأن المختلفين يدافعان يعني أن الضرب نحى وحول من هؤلاء القوم اعوجاج الأعادى وخلافهم ، وقوله وداووا بالجنون من الجنون أى داووا الشر بالشر كما قالوا ان الحديد بالحديد يفلح فالجنون كتابة عن الشر (٥) الأكفاف : النواحي ، والهوينى : الدمة والخفض تصغير الهونى مؤنث الأهون ، والهدف السكون والصلح (٦) الأوظفة جمع وظئف ، وهو مستندق اللراع والساق من الخيل وغيرها ، والقوائم : الأرجل والهيكल العظيم وصف به الفرس (٧) نزال اسم فعل بمعنى انزل والمعنى أنهم تناذوا عند الحرب وقالوا نزال فكننت أول النازلين ولاى شيء أركب فرسى إذا لم انزل عند دعائى للنازل (٨) اللال الشديد الخصومة والجمع لد بضم اللام ، والحنق : الغيظ ، والرجل : القدر بكسر القاف تكون من نحاس (٩) أرجبيته : آخرته وصرفته ، قال أبو الفتح أكثر من نرى يروى هذا البيت أرجبيته بالراء فإذا تعالى شيئاً رواه أرجاته بالهمز وكلاهما تصحيف وإنما هو أوجيته بالواو أى اذلتها وقهرته ، فوق النواظر أى بين الجبين والنواظر (١٠) هو بشامة بن حزن النهشلى وليس له ترجمة في كتب الأنساب التى بآبدينا والظاهر أنه اسلامى .

إِنَّا مُحْيِيُونَكَ بِأَسْمَى فَحَيِّينَا وَإِنْ دَعَوْتَ إِلَى جُلَى وَمَكْرَمَةٍ
 إِنَّا بَنَى نَهْشَلٍ لَا نَدْعَى لِأَبٍ أَنْ تَبْتَدِرَ غَايَةً يَوْمًا لِكْرَمَةٍ
 وَلَيْسَ يَهْشَلُ مِنَّا سَيِّدٌ أَبَدًا إِنَّا لَكُرْخِصُ يَوْمَ الرُّوعِ أَفْسَنَا
 بَعْضُ مَفَارِقُنَا قَتَلَ مَرَايِلَنَا إِنِّي لَمَنْ مَعَرُ أَفَى أَوَائِلِهِمْ
 لَوْ كَانَ فِي الْأَلْفِ مِنَّا وَاحِدٌ فَدَعَا إِذَا الْكَلَاءُ تَنَحَّوْا أَنْ يَصِيْبَهُمْ
 وَلَا تَرَامِ وَإِنْ جَلَّتْ مَصِيْبُهُمْ وَلَا تَرَكِبُ الْكُرَّةَ أَحْيَاءًا قِيْفَرُجُهُ
 وَقَالَ وَدَّالُكَ بْنُ ثَمِيلٍ الْمَازِنِي رُوَيْدَ بَنِي شَيْبَانَ بَعْضَ وَعِيدِكُمْ
 تَلَاوُوا غَدًا خَيْلِي عَلَى سَوَّانٍ^(١٣)

(١) فحيينا من التحية بمعنى السلام (٢) الجلى تانيث الاجل ، والسرارة : كرام الناس (٣) بنى نهشل منصوب على الاختصاص ولو رفعه لقال انا بنو نهشل ، ومعنى لا ندعى لاب لا نسب لاب غير ابينا ، وقوله ولا هو الخ معناه انه راض بنا كما نحن راضون به ، وقوله بنى نهشل يعنى نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم (٤) يقال ابتدرنا الغاية والى الغاية اى استيقنا اليها ، وقوله المكرمة اى لاكتساب مكرمة ، والمصلى من اسماء خيل الخيلة التى تخرج للسباق وهى عشرة على قول وقد ذكر ذلك المصنف فى الجزء الثانى مفصلاً (٥) الافتلاء : الانتظام والاخذ عن الام (٦) الروع : الحرب ، والألف فى اغلينا للاشباع (٧) بياض المفارق كناية عن نقاء العرض وانتفاء الدم والعيب ، وتغلى مراحلنا اى حروبننا ، وقوله ناسو اى نداوى (٨) الكماء جمع كام كما يقال غاز وغزاة وذلك من قولهم كمن نفسه فى السلاح اذا توارى فيه (٩) خالهم اى ظنهم معناه انهم لشدة باسهم وقوة حماستهم لايعترفون بشجاعة غيرهم (١٠) الغطاة جمع غطبة وهى حد السيف ، وقوله وصلناها بأيدينا هذا الكلام كناية عن علو همتهم فى الحرب وطول باعهم فيها (١١) البكاة جمع بك (١٢) الكرة : المكره وركوبه كناية عن وقوعهم فيه وقصدتهم اليه ، والحفاظ : المحافظة والذب عن المحارم ، وقوله وأسياف تواتينا اى توافقتا (١٣) رويد تصغير الرود بالضم اى التمهل والرفق ويكون لوجه

تلاقوا جياداً لا تحيد عن الوغى إذا غدت في المأزق المتداني^(١)
 عليها السكة الفر من آل مازن ليوث طمان عند كل طمان^(٢)
 تلاقوهم فصرّفوا كيف صبرهم على ماجت فيهم يد الخدكان^(٣)
 مقاديرهم وصّالون في الرّوع خطوهم بكل دقيق الشفرتين يمان^(٤)
 إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم لأية حرب أم بأي مكان^(٥)
 وقال بعض بني تميم الله بن ثعلبة

ولقد شهدت الخيل يوم طرادها فطمت تحت كنانة التمشط^(٦)
 ونطعن الأبطال عن أبنائنا وعلى بصائرنا وإن لم تبصر^(٧)
 ولقد رأيت الخيل شلتن عليكم شول الخاضر أبت على التغبر^(٨)
 وقال عامر بن الطفيل

طلقت إن لم تسأل أي فارس حليك إذ لاقى صداء وخعماً^(٩)
 أكرهم عليهم دعلجاً ولبانه إذا ما اشتكى وقع الرماح تحمحمًا^(١٠)

لوجه أربعة اسم فعل نحو رويد زيدا أي أمهله ، وصفة نحو ساروا سيرا رويدا : وحالا نحو سار القوم رويدا ، ومصدرا كما هنا نحو رويد بني شيبان : وقوله بعض وعيدكم انتصب بفعل مضمر دل عليه رويد واستعمال الرفع فيه كقب عن بعض الوعيد ، وسفوان : اسم ماء على أميال من البصرة .
 (١) تلاقوا بدل من تلاقوا في البيت قبله ، والجياد : الخيل ، والوغى : الحرب ، والمأزق : المضيق . (٢) الفر : بيض الوجوه ، واليوث : الأسود . (٣) الخدكان : الحوادث . (٤) المقادير جمع مقدم وهو الكثير الاقدام في الحرب ، والروع هنا الحرب ومعنى رقيق الشفرتين ماضي الحدين ، واليمان : السيف المطبوع من حديد اليمن . (٥) الاستنجاد : الاستئصال . (٦) أراد بالخيل من عليها من الرجال ، والكنانة التي يجعل فيها السهام ولعله يريد ما تحتها حين حملها بشير بكلك إلى مقتله . (٧) شان عليكم من شال الفرس بلبته يتسول شولا أي رفعه عند الجري ، والخاضر : النوق الحوامل ، والفبر بالتهديد البقية من اللبن في الضرع . (٨) طلقت به : مل أن يكون دعاء أو اخبارا ، وحليل امرأة زوجها ، وصداء خضع قبيلتان كانا مع من أراد قتال بني عامر في ذلك اليوم . (٩) دعلج اسم فرسه ، واللبان اسم لما جرى عليه اللب من المصدر ، والتحمحم : التصويت دون الصهيل وهذا البيت معيب من جهة نصب اللبان ورفعها أما عيبه من جهة النصب فهو ذكر اللبان بعد قوله أكرهم عليهم دعلجا لانه إذا كره فقد كر جميع ج سده وأما عيب الرفع فهو جعل التحمحم اللبان وإنما هو للفرس والصواب بدل هذا البيت :

أقدم فيهم دعلجا وأكره إذا كرهوا فيه الرماح تحمحمًا

وقال حرب بن عتّاب النبهاني

تَمَلُّوا أُنَافِرَكُمْ أَفْئِيَا وَقَمَّسُوا إِلَى الْمَجْدِ أَدْنَى أُمِّ عَشِيرَةٍ حَاتِمٍ (١)
إِلَى حَكَمٍ مِنْ قَيْسِ عَيْلَانَ فَيَصِلُ وَأَخَرُ مِنْ حَيٍّ رِبِيعَةَ عَالِمٍ (٢)
ضَرَبْنَا كُمْ حَتَّى إِذَا قَامَ مَيْلَكُمْ ضَرَبْنَا الْمَدَا عَنْكُمْ بَيْضَ صَوَارِمٍ (٣)
فَحَلُّوا بِأَكْنَافٍ وَأَكْنَافٍ مَشْرَى أَكُنْ حِرْزَ كُمْ فِي الْمَاقِطِ الْمُتَلَاحِمِ (٤)
قَدْ كَانَ أَوْسَانِي أَبِي أَنْ أَضِيفَكُمْ إِلَيَّ وَأَنْتَى عَنْكُمْ كُلَّ ظَالِمٍ (٥)

وأمثال هذا الشعر مما يدل على شجاعتهم وبسالهم قد امتلأت منه بطون الكتب الأدبية وغرضنا نقل شيء منه يؤيد ما ادعينا فيهم وهو كاف في المقصود وإن بالمرام.

بعض من ضرب شجاعته المثل من عرب الجاهلية

إن العرب كانوا في الشجاعة على ما ذكرناه من التزلة التي لا تهاول وقد قامت الدلائل الواضحة والبراهين الجلية على ذلك فاستحق كل منهم أن يُضْرَبَ به المثل ، ويُنَوَّهَ بشأنه في القول والعمل ، غير أن كتب الأمثال والوقائع اقتصر فيها على ذكر من شاع أمره على السنة الشعراء واشتهر بين القبائل . ونحن نذكر بعض ذلك ، حرصاً على تنشيط المطالعين . وتطرية لسامع السامعين . منهم :

خالد بن جعفر بن كلاب العامري

ومن حديثه أن هوازن كانت لا ترى زهير بن جَدِيعَةَ الأرباء وهوازن يومئذ لا خير فيها ولم تسكن عامر بن صعصعة بعد فهم « أَذَلُّ مِنْ يَدٍ فِي رَحِمٍ » (٦)

(١) بنو أعيان بن طريف بن عمرو أحد بني أسد ، وقممس حتى من بني أسد وأسد وطىء حليفان يقول هلم أماجدمك أعياء وقممس أقرب إلى المجد أم عشيرة حاتم . (٢) أراد بالحكم من قيس عيلان هرم بن قطبة وبالحكم من حي ربيعة دغلا النسابة وحيا ربيعة ذهل بن شيبان وذهل بن ثعلبة . (٣) قام ميلكم بمعنى تقوم فتركتم الخلاف ، والببيض الصوارم : السيوف القواطع . (٤) الماقط : المضيق في الحرب . (٥) اضيفكم : اضمكم . (٦) يراد الضعف والهوان وقيل يد الجنين وقيل المعنى أن صاحبها يتوقى أن يصيب شيئا .

إنما هم رعاء الشاء في الجبال وكان زهير يمشرهم^(١) فكان إذا كان سوق عكاظ
أثأها زهير فتأتى هوازن بالإثأوة^(٢) التي في أغنامهم فيأتونه بالسمن والأظف^(٣)
والنم فجاءت عجوز من هوازن يسمن في نضير^(٤) واعتذرت إليه وشكت السنين
التي تتابعت على الناس فذاقه فلم يرض طعمه فدفعها بقوس كانت في يده فسقطت
فبندت عورتها ففصبت من ذلك هوازن وحقدته إلى ما كان في صدرها من النيط
وكانت قد كثرت عامر . فآلى خالد بن جعفر فقال والله لأجعلن ذراعى وراء عنقه
حتى أقتل أو أقتل ، وفي ذلك قال :

أريفوني إراغتمك فإني وحذفة كالشجا تحت الوريد^(٥)
متربة أواسيها بنفسى وألحقها ردائي في الجليل
لعل الله يقدرني عليها جهاراً من زهير أو أسيد

واتفق نزول زهير بالقرب من أرض بني عامر . وكانت تماضر بنت عمرو
ابن الشريد امرأة زهير بن جذيمة وأم ولده فر به أخاها الحرث بن عمرو قال
زهير لبنيه : إن هذا الحمار طليعة عليكم فأوثقوه فقالت أخته لبنينا : أيزورك
خالكم فتوثقوه ، ثم حابوا له وطلبوا^(٦) من لبن وأخذوا منه يمينا أن لا يخبر عنهم
فخرج حتى آتى بني عامر فأخبرهم فركب خالد بن جعفر ، وحندج بن البكاء ،
ومعاوية بن عباد ، وثلاثة من فوارس بني عامر ، واقتصوا فرأوا إبل بني جذيمة

(١) يمشرهم من باب ضرب أخذ عشر أموالهم . (٢) بالكسر الخراج .
(٣) يتخذ من اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى يمتص وهو يفتح الهمة
وكسر القاف وقد تسكن القاف للتخفيف مع فتح الهمة وكسرهما منسل
تخفيف كبد . (٤) نحى بكسر النون وسكون الحاء سقاء السمن .
(٥) أريفوني إراغتمك أى اطلبوني طلبتكم وفي رواية اللسان فمن يك سائلا
عنى فإني . وحذفة كالشجا الخ وحذفة فرس خالد بن جعفر بن كلاب من
نسل مذهب أصابها من جده رياح ابن الأشل الفتوى وكانت أمة خبيثة بنت
رياح ، قال أبو عبيد وهو الشقراء التي يقال في المثل شيئا ما يريد السوط
إلى الشقراء ، والوريد أو جبل الوريد عرق تزعم العرب أنه من الوترين وهما
وريدان مكتنفان صفحتي العنق مما يلي مقدمه غليظان ، والجليد الضريب
والسقيط وهو ندى يسقط من السماء فيجمد على الأرض تقول منه جلدت
الأرض فهي مجلودة ، والشجا ما ينشب في الحلق .
(٦) الوطى : سقاء اللبن وهو جلد الجلد فما فوقه .

فنزولوا عن الخيل . فقالت النساء إنا نرى غابة دماح بمكان ما كنا نرى به شيئاً
ثم جاءت الرعاء فخبرت بهم وأتى أسيد أخاه زهيراً فأخبره بالخبير وقال قد رأيت
راعيي خيل بني عامر ورماحها فقال زهير « كل أرب نفور »^(١) فنهبته مثلاً .
وكان أسيد كثير الشعر قال فحمل عامة بني رواحة وحلف زهير لا يرج مكانه
حتى يصبح وتحمل من كان معه غير ابنه ورقاء والحارث فلم يشعر إلا والخيول
أحاطت به قال زهير وظنهم أهل اليمن يا أسيد ما هؤلاء ؟ قال : هم القوم الذين
تنضب في شأنهم منذ الليلة ، قال : وركب أسيد فرسه ونجا ووثب زهير على
فرسه القمساء ، وكانت متمردة فلحقه خالد راكباً فرسه حذقة . وهو يقول
لأنحوت إن نجا زهير ، فاعتنق خالد زهيراً ، وخرّاً عن فرسهما ووقع خالد فوق
زهير واستنثت بينيه ، فأقبل إليه ورقاء بن زهير فضرب خالداً ثلاث ضربات فلم
ينش شيئاً ، وكان على حندج درعان . ثم ضرب حنّج رأس زهير فقتله . وفي ذلك
يقول ورقاء بن زهير :

رأيت زهيراً تحت كلّكل خالد فأقبلتُ أسمى كالمجبول أبادر^(٢)
إلى بطلين ينهضان كلاهما يريدان نصل السيف والسيف دائر^(٣)
فقتلتُ يميني يوم أضرب خالداً وسستره مني الحديد المظاهر
فياليت أتي قبل ضربة خالد ويوم زهير لم تلدني تخامر^(٤)
ومنهم مجمل بن هلال بن خالد بن مالك^(٥)

(١) وذلك ان البعر الازب وهو الذي يكثر شعر حاجبه يكون نفورا لان
الريح تضربه فينفره ، بضرب في عيب الجيسان ، قال الميداني قاله زهير بن
جديمة لآخيه أسيد وكان ازب جباناً وكان خالد يطلبه بذحل اي ثلر وكان
زهير يوماً في ابله يهتوها ومعه اخوه أسيد فرأى أسيد خالد بن جعفر
قد أقبل في اصحابه فأخبر زهيراً بمكانهم فقال له المثل ، وكان أسيد اشعر .
قال النابغة :

أثرت الفئ ثم نزعته عنه كما حاد الازب عن الطعان

(٢) الكلكل والكلكال : الصدر او ما بين الترقوتين او باطن الزور .

(٣) يقال دثر السيف صدىء فهو دائر . ١٤١ هو أحد بني تميم الله بن ثعلبة
وهو شاعر جاهلي ذكره ابو حاتم في المعمرين وقال عاش تسع عشرة ومائة
سنة ١١٩

وكان هذا الرجل ممن يضرب يشبعاته الثل بين العرب ومن حديثه أنه غزا مرة يزيد بن سعد بن زيد بن مناة فلم يصب شيئاً فرجع من غزاه فر بماء لبني تيم وعليه ناس من بني مجاشع قتل فيهم وأسر قال في ذلك :

إن أمس ما شيخاً كبيراً فظالماً عمرت ولكن لأرى العُمرَ ينفع^(١)
مضت مائة من مولدى فنصيتُها وخسّ تِباعَ بعد ذاك وأربع^(٢)
وخيل كاسراب القطا قد وزعتها لها سبيل^(٣) فيه النية تلعب^(٤)
شهدتُ وغم قد حوت^(٥) ولقة أتيت وماذا الميش إلا التمتع^(٦)
ومأثرة يوم المييمى رأيتها وقد ضمتها من داخل الخلب مجزع^(٧)
لها غلّ^(٨) فالصدر ليس يبارح شجى نشب والمين بالماء تنعم^(٩)
قول وقد أفردها من حليها تمست كما أتمستى يا مجمع^(١٠)
قلت لها بل تمس أخت مجاشع وقومك حتى خدك اليوم أضرع^(١١)
عبأت^(١٢) له رعماً طويلاً وآلة^(١٣) كأن قبس يملى بها حين تشرع^(١٤)
وكان تركت من كريمة معشّر عليها الخلوش ذات حزن تفجع^(١٥)

ومنها عتيبة بن حارث ومنهم ربيعة بن مكدّم وعنترة العبسى الشاعر الشهير وملاعب الأسنة وزيد الخليل وامر بن الطفيل وعمر بن معدى كرب وزيد

(١) ما زائدة ، وقوله لا أرى العمر أى اتصال العمر وطوله فحذف المضاف إليه . (٢) فنصوتها من قولهم نصا نيا به اذا نزعها واستعاره لبقائه هذه المدة ومضيتها عليه أى تجردت منها تجردى عن موبى ، وخمس تباع بكسر التاء أى تابعة للمائة فهو مصدر وصف به . (٣) الاسراب : الجماعات مفردة سرب ، والقطا : نوع من الطير لا يجب الانفراد ، قد وزعتها أى كفتتها لتجتمع ، والسبيل : المطر والمراد به هنا تتابع الخيل فى الفارة كنتتابع المطر وجواب رب اول البيت بعده وهو شهدت . (٤) الهيمى ، موضع كانت فيه هذه الواقعة ، والمجزع : الرعب . (٥) غلّ اصل الغلّ الماء الجارى بين الاشجار وجعله كناية عن الشجى وهو ما ينشعب فى الطلق من عظم وغيره ، والبارح : الزائل وشجى بدل من غلّ ، ونشعب من نشب بالشئ اذا علق به .

(٦) انتصب تمس على المصدر ، وخلق اضرع من الضراعة وهى اللل والانتباد (٧) عبأت له أى هيات له ، والآلة : الحرية المريضة النصل ، والقبس : الناب (٨) وكان تركت أى وكأى تركت ، والخمش فى البدن والوجه مثل الخدش ، وتفجع أى تتفجع .

الفوارس وأمية بن حُرثان وعمر بن كلثوم وغيرهم ممن لا يحيط بهم الحصر .
وسياتي إن شاء الله تعالى ذكر شيء من أخبار هؤلاء في أواخر هذا الجزء .

وأما كونه العرب أوفى من غيرهم من الأمم

فاعلم أن الوفاء أخو الصدق والعدل ، والمَدَرُ أخو الكَذِب والجور ، وذلك أن الوفاء صدق باللسان والفعل معاً ، والمَدَرُ كذب بهما وفيه مع الكذب نقض العهد ، وقد جعل الله العهد من الإيمان وصبره قواماً لأُمُور الناس ، فالناس مضطرون إلى التعاون ، ولا سيما العرب ، ولا يتم تعاونهم وتظاهرهم إلا بمراعاة العهد والوفاء ولولا ذلك لتنافرت القلوب وارتفعت المائش ولذلك عظم الله تعالى أمره فقال تعالى : (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم) وقال (والموفون به هم إذا عاهدوا) وقال (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) وعظم حال السَّمَوِّءَلِ الشاعر الشهير فيما التزمه به من الوفاء بدروع اصرى القيس على ما سنده إن شاء الله تعالى قريباً . ومن المعلوم حال العرب في الصدق واعتنائهم بشأنه ونفرتهم من الكذب وتقيحه حتى قال الرضي عند الكلام على قولهم هو رجل صدق . المراد بالصدق في مثل هذا المقام مطلق الجودة لا الصدق في الحديث وذلك لأن الصدق في الحديث مستحسن جيد عندهم حتى صاروا يستعملونه في مطلق الجودة فيقال ثوب صدق وخل صادق الخوضة كما أن الكذب مستهجن عندهم بحيث إذا قصدوا الإغراء بشيء قالوا كذب عليك . قال عمر بن معدى كرب لمن شكى إليه النقص : كذب عليك المسل أي المسلان بمعنى عليك به والزمه ويجوز أن يريد به المسل المعروف . وقال الشاعر :

وَذِيانِيَّةٍ أَوْصَتْ بِهَا بَأَنَّ كَذَبَ الْقَرَاظِ وَالْقُرُوفِ (١)

(١) البيت من قصيدة المعقر البارقي مدح بها بني نمير وذكر ما فعلوا بني ذبيان بشعب جبلة وهو يوم كانت وقعت بين بني ذبيان وبني عامر فظهرت بنو عامر على بني ذبيان . في ذلك اليوم ، ونمير أبو قبيلة من قيس وهو نمير بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن وكان معقر حليفاً لهم وذكر ما فعلوا ببني ذبيان ، والقراظ جمع قرظف كجعفر وهو القטיפغاي

أى عليكم بهما ، والأمر كما ذكر الرضى فهم أحفظ للمهد ، وأوفى بالوعد ، لأنهم ما قنعوا لمحافظة عهداً ، ولا أخلفوا لمراقب وعدا ، يرون التندر من كبار الذنوب ، والإخلاف من مساوئ الشيم وأقبح العيوب . انظر إلى قصة حاجب ابن ذرارة إذ رهن قوسه عند كسرى ، فلما تدلك على ما كانوا عليه من الصدق والوفاء ومراعاة المهود ، وذلك كما قال الإمام المروزقى أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان دعا على مُضَرَّ وقال : اللهم اشدد وطأتك على مُضَرَّ ، وابث عليهم سنيئاً كسنى يوسف فتوالت الجدوبة عليهم سبع سنين ، فلما رأى حاجب الجهد على قومه جمع بني فزارة ، وقال : إني أزمعت^(١) على أنى آتى الملك يعنى كسرى فأطلب أن يأذن لقومنا ، فيكونوا تحت هذا البحر حتى يُحموا . فقالوا : رشدت فافعل غير أنا نخاف عليك بكر بن وائل فقال . ما منهم : وجه إلا ولى عنده يد إلا ابن الطويلة التيمى وسأداويه ، ثم ارتحل فلم يزل ينتقل فى الاتحاف والبر من الناس حتى انتهى إلى الماء الذى عليه ابن الطويلة فنزل ليلا فلما أضاء الفجر ، دعا بنطع^(٢) ثم أمر فصب عليه التمر ثم نادى حى على الفداء ، فنظر ابن الطويلة فإذا هو بحاجب ، فقال لأهل المجلس : أجيئوه وأهدى إليه جُزْراً ، ثم ارتحل . فلما بلغ كسرى شكاً إليه الجهد فى أموالهم وأنفسهم وطلب أن يأذن لهم فيكونوا فى حد بلاده . فقال : أنتم معشر العرب غدر فإذا أذنت لهم عاثوا فى الرمية وأغلروا . قال حاجب : إني ضامن للملك أن لا يفعلوا . قال : فمن لى بأن تقي أنت ؟ قال :

كساء مخمل ، والقروف جمع قرف بفتح فسكون وهو وعاء من جلد يدبغ بالقرفة بالكسر وهى قشور الرمان ويجعل فيه الخلع يطبخ بتوابل فيفترغ فيه والخلع بفتح الخاء المعجمة وسكون اللام لحم يطبخ بالتوابل ثم يجعل فى القرف ويتزود به فى الاسفار والواو واو رب يقول رب امرأة ذبيانية أمرت بنبيها ان يستكثروا من نهب هذين التيشين ان ظفروا بعدوهم وغنموا وذلك لحاجتهم وقلة حالهم .

(١) يقال ازمعت الأمر وعليه اجمعت او نبت عليه كزمعت .

(٢) النطع بالكسر وبالفتح وبالتحريك وكمنب بساط من اديم والجمع انطاع ونطوع .

أرهنك قوسي ، فلما جاء بها منحك من حوله ، قال الملك : ما كان لیسلمها اقبضوها منه . ثم جاءت مُضَرَّ إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موت حاجب ، فدعا لهم فخرج أصحابه إلى بلادهم وارتحل عطارد بن حاجب إلى كسرى يطلب قوس أبيه ، فقال : ما أنت بالتي وضعتها . قال : أجل أنه هلك ، وأما ابنه وفي للملك . قال : ردوا عليه وكساه حُلَّةً . فلما وفد إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أهداها إليه فلم يقبلها فباعها من يهودى بأربعة آلاف درهم . فصار ذلك غفراً ومنقبة لحاجب وهشירתه . وفي ذلك يقول أبو تمام من جملة أبيات :

إذا افتخرت يوماً تميمٌ بقوسها بغاراً على ما وطلت من مناقب^(١)
فأنتم بنى قارى أمانتٌ سيوفكم عروش الذين استرهنوا قوس حاجب^(٢)
وقد لح بعضهم^(٣) إلى قوس حاجب بقوله في مليح قلندرئى قد حلق
حاجبه فقال :

حبيبي بحق الله قل لى ما ألتى دعاك إلى هذا فقال مجاوبى :
وعدت بوسلر الماشقين تمطفاً فلم يثقوا واسترهنوا قوس حاجبى
والحكايات فى صدقهم ووفائهم واعتنائهم بأمر المهد وزجرهم عن الفدر قد
شحن منها كتب التواريخ والأدب وما أحسن قول من يقول منهم :

وإذا الأمانة فسمت فى مشر أوفى بأوفر حفظاً قسامها
فهم السامة إذا المشيرة أظلمت ومم فوارسها ومم حكامها
ومم ربيع للجباوير فيهم والرملات إذا تطاول عامها^(٤)

(١) وطلت أى تبنت . (٢) يوم ذى قار يوم لبني شيبان اول يوم انصرفت فيه العرب من المعجم ، يقول اذا افتخرت تميم بذلك فانتم قتلتم السدين كسيوهم هذا المجد مما أرهنوه وهدمتم عزهم ، قال ابو نؤاس بهجو تميماء :
وانها لا مجد لها ولا عز الا قوس حاجب الذى لا يساوى شمس نعل :
اول مجسد لها وآخره
ان ذكر الفخر قوس حاجبها

(٣) العلامة الصفدى وقبل البيتين :

بدا لى فى حلق الحواجب فتنة فقلت بعقل ذاهل فيه ذاهب

(٤) الرمزل الذى انتقطع زاده .

من اشتهر من العرب بالوفاء وضرب به المثل في ذلك ، منهم :

عوف بن حلم

كان من وفائه أن مروان القُرظ^(١) بن زُبَيع غزا بكر بن وائل فقصوا أثر جيشه فأمره رجل منهم وهو لا يعرفه فأتى به أمه فلما دخل عليها قالت له أمه : إنك لتختال بأسيرك كأنك جئت بِمِروان القُرظ . فقال لها مروان : وما ترجين من مروان ؟ قالت : عظم فداؤه . قال : وكم ترجين من فداؤه . قالت : مائة بعير . قال مروان : ذلك لك على أن تؤدبني إلى جماعة بنت عوف بن محم . والسبب في ذلك أن ليث بن مالك المسمى بالمنزوف ضَرَطًا^(٢) لبنا مات أخذت بنو عيس سلبه وفروا ، ثم مالوا إلى خبيائه فأخذوا أهله وسلبوا امرأته جماعة بنت عوف بن محم ، وكان الذي أصابها عمرو بن قاربه وذؤاب بن أسماء فسأها مروان القُرظ من أنت ؟ قالت : أنا جماعة بنت عوف بن محم . فانزعها من عمرو وذؤاب لأنه كان رئيس القوم ، وقال لها : غطّي وجهك والله لا ينظر إليه عربي

(١) يضرب به المثل في العز فيقال اعز من مروان القُرظ ، قال الميداني: كان يحمي القُرظ وقيل بل سمي بذلك لأنه كان يفزو اليمن وبها منابت القُرظ ، وصف مروان هذا المنذر بن ماء السماء فاستوفده عليه فقال له أنت مع ما حبيت به من العز في قومك كيف علمك بهم ؟ فقال ابنت اللعن اني ان لم اعلمهم لم اعلم غيرهم ، قال : ما تقول في عيس ؟ قال : رمح حديد ان لم تظعن به يطعنك ، قال : ما تقول في فؤارة ؟ قال : واد يحمي ويمنع ، قال : فما تقول في مرة ؟ قال : لا حر بوادي عوف ، قال : فما تقول في اشجع ؟ قال : ليسوا بدأميك ولا بمجيبك ، قال : فما تقول في عبد الله بن غطفان ؟ قال : صقور لا تصيد ، قال : فما تقول في ثعلبة بن سعد ؟ قال : اصوات ولا انيس .

(٢) قال الجدي في مادة ضرب وفي المثل اجبن من المنزوف ضراط وذلك ان نسوة لم يكن لهن رجل فزوجن احدهن رجلا كان ينام الصبيحة فاذا ابنته بصبح قلن قم فاصطح فيقول لو نهنتي لمادبة فلما رآين ذلك قال بعضهن ان صاحبنا لشجاع فعما لهن حتى نمر به فابنته كما كن يابنته فقال او لمادبة نهنتي فقلن هذه نواصي الخيل فجعل يقول : الخيل الخيل ويضرب حتى مات ، او رجلا منهن خرجا في فلاة فلاحتا لهما شجرة فقال احدهما اري ان قوما قد رصدونا فقال رفيقه انما هي عشرة بضم العين فظنه يقول عشرة فجعل يقول وما غناء اثنين عن عشرة وضربت حتى نزل روحه فسمى المنزوف ضراطا ، او هو دابة بين الكلب والسنور اذا صبح بها وقع عليها الضراط من الجبن ، وفي المثل اودى العمر الا ضراطا ، يضرب للدليل والشيخ والفساد الشيء حتى لا يبقى منه الا مالا ينتفع به اي لم يبق من قوته الا الضراط

حتى أُرَدِّكَ إلى أبيك . ووقع بينه وبين بنى عيس شر بسببها . ويقال أن مروان قال لعمرو وذؤاب حكمان في مُخَامَةٍ . قالوا قد حكمتك يا أبا صهبان . قال : فإني اشتريتها منك بمائة من الإبل وضمتها إلى أهله حتى إذا دخل الشهر الحرام أحسن كسوتها وأخدمها وأكرمها وحملها إلى عُكَاظ . فلما انتهى بها إلى منازل بنى شيبان ، قال لها : هل تعرفين منازل قومك ومنزل أبيك ؟ فقالت هذه منازل قومي وهذه قبة أبي . قال فانطلقى إلى أبيك فانطلقت فغبرت بصنيع مروان ، فقال مروان فيما كان بينه وبين قومه في أمر مُخَامَةٍ وردها إلى أبيها :

رَدَدْتُ عَلَى عَوْفٍ مُخَامَةً بَعْدَمَا خلاها ذؤابٌ غير خلوۃ خاطبٍ
ولو غيرها كانت سييئة رُحِمِهِ لجاء بها مَقْرُونَةٌ بالنوابِ
ولكنه ألقى عليها حجابَهُ رجاء الثواب أو حذار المواقب
فدافعتُ عنها ناشباً وقبيلةً وفارس يَحبُّوبٍ وعمرو بن قاربٍ
ففاديتها لما تبين نصفها بكُومِ التالى والعشار الضواربِ
صهايبية حمر الموانين والدُرى مهارش أمثال الصخور مصاعبِ

في أبيات مع هذه . قوله تبين نصفها : أى أنصافها والكوم القطة من الإبل . والمتالى : الذى يرأسل المنى بصوت رفيع . والأصهب من الإبل الذى يخالط بياضه حمرة . وهو أن يحمر أعلى الوبر ويبيض أجوافه . وجل صهايبى أى أصهب اللون . والموان النصف فى سنها من كل شيء وذرى الشيء بالضم أماليه الواحدة ذروة . فكانت هذه يداً لمروان عند مُخَامَةٍ فلماذا قال ذاك لك على أن تؤدبني إلى مُخَامَةٍ بنت عوف بن مُحَلَم . قالت المرأة : ومن لى بمائة من الإبل فأخذ عوداً من الأرض فقال لك بها . فضت به إلى عوف بن محلم فبعث إليه عمرو بن هند أن يأتيه به . وكان عمرو وجد على مروان فى أمر فألى أن لا ينفو عنه حتى يضع يده فى يده . فقال عوف حين جاءه الرسول قد أجارته ابنتى وليس إليه سبيل . فقال عمرو بن هند قد آليت أن لا أعفو عنه أو يضع يده فى يدي قال عوف يضع

يده في يدك على أن تكون يدي بينهما . فأجابه عمرو بن هند إلى ذلك . فجاء عوف مروان فأدخله عليه فوضع يده في يده ووضع يده بين أيديهما فمعا عنه . فقال عمرو « لا حرٌّ بوادي عوفٍ » فأرسلها مثلاً أي لا سيّد به يناويه . وإنما سُمي مروان القَرْظَ لأنه كان ينزو اليمن وهي منابت القَرْظ . ومنهم :

عنظَر بن عفراء

قال القتالي في ذيل أماليه : حدثنا أبو بكر بن حديد قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال قال لي عمي سمعت يونس بن حبيب يقول كان المنذر بن ماء السماء جد النعمان بن المنذر ينادمه رجلان من العرب خالد بن الصلّال . وعمرو بن مسعود الأسديان وهما اللذان عناهما الشاعر بقوله :

ألا بكر الناعي بخيرى بنى أسد بمعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد
فشرب ليلة مهمما فراجماه الكلام فأغضباه فأمر بهما قَتلاً وجُملاً في تابوتين
ودفنا بظاهر الكوفة . فلما أصبح وحما سأل عنهما فأخبر بذلك فقدم وركب
حتى وقف عليهما وأمر ببناء الثريين^(١) وجعل لنفسه في كل سنة يومين
يوم يؤس ويوم نعيم في كل عام فكان يضع سريره بينهما فإذا كان في يوم
نعيمه فأول من يطلع عليه وهو على سريره يعطيه مائة من إبل اللوك ، وأول
من يطلع عليه في يوم يؤسه يعطيه رأس ظربان^(٢) ويأمر به فيذبح

(١) : ينان مشهوران بالكوفة عند الثوية حيث قبر علي (رض) لا زعموا
انهما بناهما بعض ملوك الحيرة قاله ونصر ، وفيهما يقول الشاعر :
أو كان شيء له أن يبديد علي طول الزمان لما باد القريان
وقال الجوهري : هما ينان طويان يقال هما قبرا مالك وعقيل نديمي
جذيمة الأبرش وسيماء غريين لأن النعمان بن المنذر كان يفر بهما بدم من يقتله
إذا خرج في يوم يؤسه ، قال الزبيدي : بعد نقل ما تقدم : فسباق
الجوهري يقتضي انهما سميا بالثغرية وهو الا لصاق وسباق المصنف انه
من الحسن (٢) دويبة فوق جرو الكلب كربة التثن واثن خلق الله فسوا
يضرب بفسوه المثل في التثن وقد عرف ذلك من نفسه فجعله سلاحه كما
عرفت الحباري ما في برازها من السلاح على الصقر كذلك الظربان يدخل على
الضب جحره وفيه بيضه وحسوله فيأتي اضيق موضع في الجحر فيسده
بيده ويحول دبره اليه فما يفسو ثلاث فسوات حتى يصرع الضب فيخسر
مغشياً عليه فيأكله ثم يقيم في جحره حتى يائي على آخر حسوله ، =

وَيُزْعَى^(١) بِمَه التَّريَّانَ ظَمَّ يَزَلْ كَذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ فِينَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ
بُؤْسِهِ إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِ عَمِيدُ بْنُ الْأَبْرَسِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ أَلَا كَانَ الذَّيْبُ غَيْرَكَ يَا عَمِيدُ ؟
فَقَالَ عَمِيدُ « أَتَيْتُكَ بِمَخَانٍ رَجُلَاهُ » قَالَ لَهُ الْمَلِكُ : « أَوْ أَجَلٌ قَدْ بَلَغَ إِثْمُهُ » ثُمَّ قَالَ
يَا عَمِيدُ أَتَشْدُنِي قَدْ كَانَ يُعْجِبُنِي شَعْرُكَ ، فَقَالَ « حَالُ الْجَرِيضِ دُونَ الْقَرِيضِ^(٢) »
وَبَلَغَ الْحَزَامُ الطَّبِيبِينَ « قَالَ أَتَشْدُنِي :
أَقْفَرُ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبٌ فَاقْطِيبَاتُ فَالْذَنُوبُ^(٣) »
قَالَ :

أَقْفَرُ مِنْ أَهْلِهِ عَمِيدُ فَالْيَوْمَ لَا يُبْدَى وَلَا يُعِيدُ
عَنْتَ لَهُ مَعْنَةٌ نَكُودُ وَحَانَ لَهُ مِنْهَا وَرُودُ
قَالَ : أَتَشْدُ هَيْلَتَكَ أُمَّكَ^(٤) . قَالَ : « الْمَنَابَا ، عَلَى الْحَوَايَا » قَالَ بَعْضُ
الْقَوْمِ أَتَشْدُ الْمَلِكُ هَيْلَتَكَ أُمَّكَ قَالَ « لَا يَرْحَلُ رَحْلُكَ ، مِنْ لَيْسَ مَعَكَ » قَالَ
لَهُ آخِرُ مَا أَشَدَّ جَزَعُكَ مِنَ الْمَوْتِ قَالَ :

وَتَقُولُ الْإِعْرَابُ رَيْبًا أَنَّهُ دَخَلَ فِي خِلَالِ الْهَجْمَةِ فَيَفْسُو فَلَا يَتِمُّ لَهُ ثَلَاثُ
فَسَوَاتٍ حَتَّى تَتَفَرَّقَ الْإِبِلُ وَتَتَفَرَّقَ كَمَا تَتَفَرَّقُ عَنْ مَبْرَكٍ فِيهِ قِرْدَانٌ فَلَا يَرُدُّهُمَا
الرَّاعِي إِلَّا بِالْجَهْدِ التَّدِيدِ فَمَنْ أَجَلُ هَذَا سَمَتِ الْعَرَبِ الظَّرْبَانَ مَفْرَقَ النِّعَمِ
وَيُقَالُ لِلرَّجُلَيْنِ يَتَسَاوَمَانِ وَيَتَفَاحِشَانِ إِتْمَا لِيَتَجَاذِبَا جِلْدَ الظَّرْبَانِ وَإِنَّهُمَا
لِيَتَسَامَسَا ظَرْبًا وَقَالُوا لِلْقَوْمِ إِذَا وَقَعَ بَيْنَهُمُ الشَّرُّ فَتَفَارَقُوا فَسَا بَيْنَهُمُ الظَّرْبَانِ
فَلَا يَلْتَقِي مِنْهُمُ إِنْسَانٌ ، وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَبِي الْعَقِيقِ يَهْجُو قَوْمًا :

وَأَنْتُمْ ظَرْبَانِ إِذَا تَجَلَّوْا نَ وَمَا أَنْ لَنَا فَيْكُمُ مِنْ زَرِيدٍ
وَأَنْتُمْ نَفُوسٌ وَقَدْ تَعْرِفُونَ بَرِيحَ التِّيُوسِ وَتَنْتِ الْجُلُودُ
وَنَظَرَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْعَوَاصُ إِلَى قَوْمٍ جِيْدَى الْإِكْلِ خَبِثَتِ الرِّيحُ فَقَالَ :
أَنَاسُ أَكْلَهُمْ يَرِيوُ عَلَى أَكْلِ الثَّعَالِيَيْنِ
وَنَسْنُ رِيَا حَهُمُ يَرِيوُ عَلَى تَنْتِ الظَّرْبَانِ

هَذَا مَا ذَكَرَهُ الثَّمَالِيُّ فِي الْمَصَافِ وَالْمُسَوِّبِ (١) أَيْ بَطْلَى (٢) يَضْرِبُ
لَا مَرَّ يَبْقَى دُونَهُ عَائِقُ قَالَهُ حَوْضُ الْكَلَابِي حِينَ مَنَعَهُ أَبُوهُ مِنَ الشَّعْرِ فَمَرَضَ حَزَنًا
فَرَقَّ لَهُ وَقَدْ أَشْرَفَ فَقَالَ أَتَطْلُقُ بِمَا أَحْبَبْتَ وَالْجَرَضُ مَحْرَكَةُ الرِّيقِ جَرَضُ
بَرِيْقِهِ كَفَرَحَ ابْتِلَاعِهِ بِالْجَهْدِ عَلَى هَمٍّ ، وَقَوْلُهُ بَلَغَ الْحَزَامُ الطَّبِيبِينَ مَعْنَى تَفْسِيرِهِ .
(٣) هَذَا الْبَيْتُ مَطْلَعٌ قَصِيدَتُهُ الْمَشْهُورَةُ الَّتِي عَدَّهَا بَعْضُهُمْ مِنَ الْمَطْلَعَاتِ ،
وَمَعْنَى أَقْفَرُ : خَلَا ، وَمَلْحُوبٌ بِالْفَتْحِ ثُمَّ السُّكُونِ وَجَاءَ مَهْمَلَةٌ وَوَاوُ سَكَنَةٌ
مَاءٌ لَبَنِي أَسَدٍ بِنَ خَزِيمَةَ وَقِيلَ قَرِيبَةً بِالْيَاءِ بَنَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الدُّثَّلِ بْنِ حَنْفِيَّةٍ^(٤)
وَالْقَطِيبَاتُ بِالضَّمِّ ثُمَّ التَّشْدِيدُ وَبَعْدَ الطَّاءِ يَاءٌ مُوَحَّدَةٌ وَيَاءٌ مُشَدَّدَةٌ اسْمُ
جَبَلٍ : وَالذَّنُوبُ : اسْمُ مَوْضِعٍ بَعِيْنِهِ . (٤) هَيْلَتُهُ أَمَهُ كَفَرَحَ ثَكَلَتُهُ ، وَالثَّكَلُ
بِالضَّمِّ الْمَوْتُ وَالْهَلَاكُ وَقَدْ الْحَبِيبُ أَوْ الْوَلَدُ وَيَحْرُكُ .

لا غَرَوَ من عيشَةٍ نافِدةٍ وهل غَيْرُ ما مِيتَةٍ واحدةٍ^(١)
فأَبْلَغُ بَنِي وَأَعْمَامِهِمْ بَأَنَّ النِّسَاءَ هِيَ الرَّاصِدَةُ
لَهَا مَدَّةٌ ففُفوسُ العِبادِ إِلَيْهَا وَإِنْ كَرِهَتْ قاصِدهُ
فلا تَجْزَعُوا لِحِجَامِ دَنَا فظلموت ما تسلك الوالدة^(٢)

قال له المنذر لا بد من الموت ولو عَرَضَ لى أبى فى هذا اليوم لم أجد بداً من
ذبحه فأما إذا كُنْتَ لها وكانت لك فاختر من ثلاث خصال إن شئت من الأكل^(٣)
وإن شئت من الأَبْجَلِ^(٤) وإن شئت من الوَرِيدِ^(٥) قال « ثلاثُ خصالٍ مقادُها شرُّ
مقادٍ ، وحاديها شرُّ حادٍ ولا خير فيها لمرئاد فإن كُنْتَ لا بد قاتلي فاستعني الخمر حتى
إذا ذهبت ذواهي وماتت لها مفاصل فشانك وما تريد » فأصر المنذر له بمحاجته من الخمر
فلما أخذت منه وقرب ليذبح أنشأ يقول :

وخَيْرِي ذُو البؤسِ فى يومِ بؤسِهِ خِلالاً أرى فى كلِّها الوتَّ قد بَرَّقَ
كما خَيْرْتُ عاذٍ من الدهرِ مرَّةً سحائب ما فيها لذي خَيْرَةٍ أُنَقِّ
سحائب ريمٍ لم تُوكِّلْ يَلِلةً فَتَتَرُكُها إلا كما لَيْلَةُ الطَّلَقِ

وأمر به فقصِد فلما مات طُلِيَ بدمه الدريَّان ، وكذا روى هذه الحكاية
إسماعيل بن هبة الله الوصلى فى كتاب الأوائِل عن الشرق بن القطامى وقد
رجع المنذر عن هذه السنة السيئة ، روى الوصلى فى أوائله : إن المنذر استمر
على ذلك زماناً حتى مر به رجل من طَبِئٍ يُقال له حنظلة بن عَفْرَاء فقال له أبيت
اللحم أيتيك زائراً . ولأهلى من خيرك ما رأى فلا تسكن ميرتهم فقتل ، قال :
لا بد من ذلك . وسئلتني حاجة قبله أقضها لك . قال : تؤجلني سنةً أرجع
فيها لك أهلى وأحكم أمرهم ، ثم أرجع إليك فى حركك . قال : ومن يتكفل بك

(١) لا غرواى لا عجيب ويقال لا غروى وما زائدة . (٢) الحمام : قضاء
الموت وقدره . (٣) عرق فى اليد أو هو عرق الحياة ولا تقل عرق الاكحل .
(٤) هو عرق غليظ فى الرجل أو فى اليد بازاء الاكحل . (٥) عرق تزعم
العرب انه من الوتين وهما وريدان مكتنفان صفتى العنق مما يلي مقدمه غليظان
(٩ — أول)

حتى تمود ؟ فنظر في وجوه جلسائه فمرف منهم شريك بن عمرو وأبا الحوفزان .
فأنشأ يقول :

يا شريكاً يا ابن عمرو هل من الموت محالة
يا أبا كلٍّ مصاب يا أبا من لا أخاله
يا أبا شيبان فُكَّ اليوم رهناء قد أناله
إن شيبان قَيِّلَ أَكْرَمَ الله رجاله
وأبوك الخير عمرو وشراحيل الحاله
وفناك اليوم في المجد وفي حُسن القاله

فوثب شريك وقال : أَيْتَ اللعن يده يدي ودمه دمي إن لم يَمُدَّ إلى أجله فأطلقه
النذر . فلما كان القابل جلس في مجلسه ، وإذا ركب قد طلع عليهم فتأملوه
فإذا هو حنظلة قد أقبل متكفناً متحنطاً^(١) معه نادبته وقد قامت نادية شريك
تندبه . فلما رآه المنذر عجب من وفائهما وكرمهما فأطلقهما وأبطل تلك السنة .
وقد ذكر في إبطال النذر هذه السنة غير هذا . وقد أوردته الموصلي ، والميداني
في مثل . وهو : « إن غداً لناظره قريب » وهو قطعة من بيت :

فإن يك صدر هذا اليوم وليّ فإن غداً لناظره قريب

قال : إن أول من قال ذلك قراد بن أجدع ، وذلك أن النعمان بن النذر
خرج يتصيد على فرسه اليعجوم فأجراه على أثر غير فذهب به الفرس في الأرض
ولم يقدر عليه وانفرد عن أصحابه وأخذته السماء فطلب ملجأً يلجأ إليه فدفع إلى
بناء فإذا فيه رجل من طييء يقال له حنظلة ومعه امرأة له ، فقال لها هل من مأوى ؟
قال حنظلة : سم نخرج إليه فأنزله ، ولم يكن للطائي غير شاة وهو لا يعرف النعمان ،
فقال لامرأته : أرى رجلاً ذا هيئة وما أخافه أن يكون شريفاً خطيراً فما الحيلة ؟

(١) أي متطيها والحنوط كصبور وكتاب كل طيب يخلط للميت وقد
حنطه يحنطه واحنطه فتحنط .

قالت : عندي شيء من طحين كنت أدخره فاذبح الشاة لا تأخذ من الطحين ملة^(١) قال فأخرجت المرأة الدقيق فخبزت منه ملة وقام الطائي إلى شاته فاحتلبها ثم ذبحها فآخذ من لحمها مرقة مضيرة^(٢) وأطعمه من لحمها وسقاه من لبنها واحتال له شراباً فسقاه وجعل يحدثه بقية ليلته . فلما أصبح النعمان ليس ثيابه وركب فرسه ، ثم قال يا أخا طي ، اطلب ثوابك أنا النعمان . قال أفضل إن شاء الله ثم لحقته الخيل فضى نحو الحيرة . ومكث الطائي بعد ذلك زماناً حتى أصابته نكبة وجهد وسامت حاله ، وقالت له امرأته : لو أتيت الملك لأحسن إليك فأقبل حتى انتهى إلى الحيرة ، فوافق يوم يؤس النعمان فإذا هو واقف في خيله في السلاح ، فلما نظر إليه النعمان عرفه وساء مكانه . قال الطائي النزول به ؟ قال : نعم . قال أفلا جئت في غير هذا اليوم ؟ قال : آيت اللمن وما كان على بهذا اليوم قال : والله لو سنح لي في هذا اليوم قابوس^(٣) ابني لم أجد بداً من قتله . فاطلب حاجتك من الدنيا وسل ما بدالك فإنك مقتول . قال : آيت اللمن وما أصنع بالدنيا بعد نفسي . قال النعمان : إنه لا سبيل إليها . قال فإن كان لا بد فأتجنني حتى ألي بأهلي فأوصي إليهم وأهيء حاكمهم ثم أنصرف إليك . قال النعمان : فأقم لي كفيلاً بموافاتك . فالتفت الطائي إلى شريك بن عمرو بن قيس من بني شيبان ، وكان يكنى أبا الحوافزان ، وكان صاحب الردافة^(٤) وهو واقف بجانب النعمان . فقال له :

يا شريكاً يا ابن عمرو هل من الموت محاله
يا أخا كل مصاب يا أخا من لا أخاله
يا أخا النعمان فكك السجوم ضيقاً قد أتى له

(١) الملة بالفتح قيل الحفرة التي تحفر للخبز وقيل التراب الحار والرماد ومالت الخبز واللحم في النار من باب قتل فهو مليل ومملول وأطعمته خبز ملة بالإضافة وخبزة مليلة على الوصف مع الهاء (٢) مريقة تطبخ باللبن المضرب أي الحامض وربما خلط بالحليب
(٣) الردافة بهاء فعل ردف الملك

طالباً عالج كرب السموت لا ينعم بالله

فأبى شريك أن يتكفل به فوثب إليه رجل من كلب يقال له قُرَاد بن أجدع .
 فقال للنمّان : أبيت اللعن هو على . قال النمّان : أفلت قال نعم فضمنه إياه .
 ثم أمر الطائي بمئة مائة ناقة فحشي الطائي إلى أهله وجعل الأجل حولاً من يومه
 ذلك إلى مثل ذلك اليوم من قابل . فلما حال عليه الحول وبقي من الأجل يوم :
 قال النمّان قُرَاد ما أراك إلا هالكا غداً . فقال قُرَاد :

فإن يك صدر هذا اليوم وليّ فإنّ غداً لناظره قريب
 فلما أصبح النمّان ركب في خيله ورجله متسلحاً كما كان يفعل حتى أتى
 الثَّرِيعَيْن فوقف بينهما وأخرج معه قُرَاداً وأمر بقتله . فقال له وزراؤه : ليس لك
 قتله حتى يستوفى يومه فتركه . وكان النمّان يشتهي أن يقتل قُرَاداً ليفلت الطائي
 من القتل . فلما كادت الشمس تجب^(١) وقُرَاد مجرد قائم في إزار على التّطّهر
 والسّياف إلى جنبه أقبلت امرأته وهي تقول :

أبا عين بكى لي قُرَاد بن أجدع رهيناً لقتل لا رهيناً مودعاً
 أنته المنايا بنته دون قومه فأمسى أسيراً حاضر البيت أضرمها

فبينما هم كذلك إذ رفع لهم شخص من بعيد ، وقد أمر النمّان بقتل قُرَاد .
 فقيل له ليس لك أن تقتله حتى يأتيك الشخص فتعلم من هو ، فكف حتى انتهى
 إليهم الرجل فإذا هو الطائي ، فلما نظر إليه النمّان شق عليه عيظه . فقال له :
 ما حملك على الرجوع بمد إفلاتك من القتل ؟ قال : الوفاء . قال : وما دعاك إلى
 الوفاء ؟ قل : ديني . قال النمّان : وما دينك ؟ قال : النصرانية . قال النمّان :
 فاعرضها عليّ فعرضها عليه فتنصّر النمّان ، وأهل الحيرة أجمعون . وكان قبل
 ذلك على دين العرب ، فترك القتل منذ ذلك اليوم وأبطل تلك السنة ، وأمر
 بهدم الثَّرِيعَيْن وعفا عن قُرَاد والطائي ، وقال : والله ما أدرى أيهما أوفى وأكرم .

(١) أى تغيب

أهنا الذي نجا من القتل فناد . أم هذا الذي ضمنه ؟ والله لا أكون إلاّ التلّة ،
فأنشأ الطائي يقول :

ما كنتُ أَخْلِفُ ظَنَّهُ بعد الذي أسدى إلى من الفمّال الحالى
ولقد دَعَتْنِي للخلاف ضلّالى فَأَيَّتُ غيرَ تَمَجُّدِي وفصالى
إني امرؤُ مِنِّي الوفاء سَجِيَّةٌ وجزاء كل مكارم بذالى
وقال أيضاً يمدحُ قراداً :

ألا إنّا بِسْمِ إلى المجد والملى بخاريقُ أمثالِ القُرادِ بنِ أَجَدَمَا
بخاريقُ أمثالِ القُرادِ وأهله فَإِنَّهُمْ الْأَخْيَارُ من رَهْطٍ بُيَّبَا^(١)
اتهى والله أعلم بحقيقة الحال . ومنهم :

الحارث بن ظالم المري

كان من وفائه أن عيَّضَ بنَ دِيَهْتٍ مرّةً برعاء الحارث وهم يسقون فسق
فقصّر رِشَاؤُهُ فاستمار من أرشية الحارث فوصل رِشَاءَهُ^(٢) فأروى إِبْلَهُ . فأغار
عليه بعضُ حَشَمِ النعمان فاطردوا إبله فصاح ياحِرِّ يا جِارَاهُ ! فقال له الحارث :
ومنى كنتُ جارك ؟ قال : وصلت رِشَاؤِي بِرِشَائِكَ فسقيتُ إِبْلِي ، فأغبر عليها
وذلك الماءُ في بطونها ، قال : جوارُ وَرَبِّ الكعبة . فأنى النعمان . فقال : أبيتَ اللعنَ
أغارَ حَقْمَكَ على جارى عيَّاضَ بنِ دِيَهْتٍ فأخذوا إِبْلَهُ وما لَهُ فاردد عليه . فقال
له النعمان : أفلا تشد ما وهى من أديمك . يريد أن الحارث قتل خالد بن جعفر بن
كلاب في جوار أسود بن النذر . قال الحارث « هل تمدون الحلية إلى نفسى »

(١) المخراق السيد والسخي، والرهط قوم الرجل وقبيلته (٢) قال شارح
رسالة ابن زيدون كان ربيع العرب في رعاية الجوار ما هو أعجب العجب ذلك
أن الإنسان إذا لمس ظنب بيته ظنب بيت آخر لزمه حرمة الجوار والذمة وإذا
علق له دلو بدلو آخر في بشر لزمه حرمة الجوار والذمة وإلى هاتين الفضيلتين
أشار أبو تمام يخاطب ابن الزيات :

لى حرمة بك لولا مارعيت وما
بلا لقسد سلفت في جاهليتهم
أن تعلق الدلو بالدلو الغربية أو
أوجب من حقها ما خلطها تجب
للحق ليس كحقى نصره عجب
يلامس الظنب المستحصد الظنب

فأرسلها مثلاً . أى أنك لا تهلك إلا بنفسى إن قتلها . فتدبر النعمان كلمته فرد على عياض أهل وماله . وقال الفرزدق يضرب الثل لسليلان بن عبد الملك حين وفي يزيد بن المهلب :

لمعرى لقد أوفى وزادَ وفاؤه على كل حالٍ جارَ آلِ المهلبِ
كما كان أوفى إذ بُنادى ابن ديهث وصِرمته كالنمِ المنهبِ^(١)
فقام أبو ليلى إليه ابن ظالم وكان متى ما سئل السيف يضرب
هذا ما ذكره الميداني في أمثاله . وروى الأصمهاني بسنده في الأغاني : أن
الحارث بن ظالم الرُّمِّيَّ لما كان زليلاً عند النعمان بن المنذر أخذ مصدقاً للنعمان
إبلاً لامرأة من بني مرة يقال لها ديهث فأنت الحارث فسلقت دلوها بدلوها ومعها
بني لها . فقالت : يا أبا ليلى إني أتيتك مُضامَةً . فقال : إذا أورد القوم فناد بأعلى
صوتك :

دموت بالله ولم تراعى ذلك داعيك فتمم الداعى
وتلك دؤد الحارث الكساعى يمشى لها بصارم قطع
يشقى به مجامع الصداع

وخرج الحارث بن ظالم في أثرها وهو يقول :

أنا أبو ليلى وسيفى الملووب كم قد أجرنا من حريب محروب^(٢)
وكم رددنا من سليب مسلوب وطعننة طعننا بالضبوب
ذاك جهيز الموت عند المكروب

ثم قال : لا يُرَدَّنْ عليك ناقة ولا يبر تعرفينه إلا أخذه ففعلت وراثة لقوْحاً
لها يحملها حبشيٌّ . فقالت : يا أبا ليلى هذه لى ، قال الحبشى كذبت ، فقال الحارث

(١) الصرمة بالكسر القطعة من الإبل ما بين العشرين الى الثلاثين أو الى
الخمسين والأربعين أو ما بين العشرة الى الأربعين أو ما بين عشرة الى بضعة
عشره (٢) قال في القاموس : الملووب سيف الحرث بن ظالم

« است الخالب أعلم »^(١) فصارت مثلاً . قال أبو عبيدة : ففى ذلك يقول الفرزدق :
 لممرى لقد أوفى وزادَ وفاؤه على كلِّ جارٍ جار آلِ المهلبِ
 كما كان أوفى إذ يُنادى ابن ديهث وصيرته كالغنمِ التَّهْبِ
 ققام أبو ليلى إليه ابن ظالم وكان إذا ما يسئلُ السيفَ يَضْرِبُ
 وما كان جارٌ غير دلوٍ تملقت بِمَجْلَيْنِ فى مُسْتَحْصَدٍ لَقَدْ مَكْرَبِ
 انتهى . والظاهر من الشعر أن رواية الأصبهاني أحقُّ بالاعتبار . ومنهم :

أبو حنبل الطائي

ومن حديثه : أن امرأ القيس نزلَ به ومعه أهل وسلاحه وماله . ولأبى حنبل
 امرأتان جدلية تملئيه^(٢) قالت الجدلية رزق آتاك الله به لازمة له عليك ولا عقد
 ولا جوار ، فأرى لك أن تأكله وتطمعه قومك . وقالت التملئية : رجل نحرمت بك
 واستجارك واختارك فأرى لك أن تحفظه وتغنى له . ققام أبو حنبل إلى جذعة من
 التغم فاحتلبها وشرب لبنها ثم مسح بطنه وحجل ثم قال :

لقد آليتُ أَعْدُرُ فى جناع وإن مُتيت أُمَاتِ الرَّبَاعِ
 لأنَّ الفدر فى الأقوام عارٌ وإنَّ الحرَّ يجرى بالعكرع
 فقالت الجدلية ورأت ساقيه حَيْشَتَيْنِ نَأَفَهُ ما رأيت كاليوم ساقى واق فقال

(١) ورواية مجمع الأمثال : است البائن أعلم قال : البائن الذى يكون عند
 حلب الناقة من جانبها الأيسر ويقال للذى يكون من الجانب الآخر المعلى
 والمستعلى وهو الذى يعلى العلبة إلى الضرع والبائن الذى يحلب وقيل بخلاف
 هذا وهما الحالبان فى قولهم « خير حالبك تنطحين » يروى هذا المثل عن
 الحارث بن ظالم وذلك أن الجميع وهو منقذ بن الطماح خرج فى طلب ابل
 له حتى وقع عليها فى قبيلة مرة فاستجار بالحارث بن ظالم المرى فنادى
 الحارث من كان عنده شيء من هذه الأبل فليردها فردت جميعاً غير ناقة يقال
 لها اللغاع فانطلق يطوف حتى وجدها عند رجلين يحلبانها فقال لهما خليا
 منها فليست لكما وأهوى إليهما بالسيف ففرض البائن فقال المعلى والله
 ماهى لك ، فقال الحارث : « است البائن أعلم » فأرسلها مثلاً ، بضرب لمن
 ولى امرأ وصلى به فهو أعلم به ممن لم يمارسه ولم يصل به ، وقيل يضرب
 لكل ما ينكر وشاهده حاضر

(٢) فى فرائد الآل للشيخ إبراهيم الأحدب : وتغلبية بالناء

أبو حنبل . « ما ساقا غدير شر » فذهبت مثلاً . قوله منيت أى ضمت . والرابع جمع ربح كمرء وهو الفصيل ينتج في الربيع وهو أول النتاج . ومنهم :

الحارث بن عباد

يقال : إنه كان أسراً عدي بن ربيعة في يوم قصّة ولم يعرفه فقال له دُلّني على عدي ابن ربيعة . فقال له : إن أنا دلتك على عدي أتؤمنني قال نعم . قال : فليضمن ذلك عليك عوف بن محم . فأمره الحارث بن عباد فضمن له عوف أن يؤمنه الحارث إذا دله على عدي . فقال عدي : أنا عدي نخلّاه . وقال الحارث في ذلك :

لَهَفَ نَفْسِي عَلَى عَدِيٍّ وَقَدْ أَشْعَبَ لِلْمَوْتِ وَاحْتَوَتْهُ الْيَدَانُ^(١)
ومنهم :

السموأل بن عباد بن عادياذ اليهودي الضماني

وكان من وفائه أن امرأ القيس لما أراد الخروج الى قيصر استودع سموأل دروعاً وأحيحة بن الجلاح أيضاً دروعاً ، فلما مات امرؤ القيس غزاه ملك من ملوك الشام فتحرز منه سموأل فأخذ الملك ابناً له وكان خارجاً من الحصن . فصاح الملك بالسموأل فأشرف عليه فقال هذا ابنك في يدي . وقد علمت أن امرأ القيس ابن عمي ومن عشيرتي وأنا أحق بميراثه فإن دفعت إليّ الدروع وإلا ذبحت ابنك . قال أجلتني فأجّله فجمع أهل بيته ونساء فشاوهم فكل أشار عليه أن يدفع الدروع ويستنفذ ابنه . فلما أصبح أشرف فقال ليس إلى دفع الدروع سبيل فاصنع ما أتت صانعة . فذبح الملك ابنه ، وهو مشرف ينظر إليه . ثم انصرف الملك بالخبية فوافى سموأل بالدروع الموسم فدفعا إلى ورثة امرئ القيس . وقال في ذلك :

وَفَيْتُ بِأَذْرُعِ الْكِئْنِدِيِّ إِنْ بِي إِذَا مَاخَنَ أَقْوَامٌ وَفَيْتُ

(١) اشعب الموت أى مات أو فارق فراقاً لا يرجع

وقالوا : إيه كنز رَغِيْبَة ولا والله أغسدر مامشيت
بني لى عاديا حصناً حصيناً وبيراً كل شئت استقيت
ويروى أنه ماسامنى ضيا أيت . وقال الأعشى فى ذلك :

شريح لا تتركنى بعد ما علقت حبالك اليوم بعد القد أظفارى
كنى كالسموعل إذ طاف الهمام به فى جَحْفَل كسواد الليل جرّار^(١)
خيرَه خِطَطَى خَسَفَ قِقال له معها يقله فإن سامع جارى
فشك غير طويل ثم قال له اذبح أسيرك إني مانع جارى
إن له خلفاً إن كنت قتله وإن قتلت كربماً غير عوار
والسموعل هذا هو الذى يقول فى قصيدته الشهيرة :

إذا الرء يدنس من اللؤم عرْضَه فكل رذا يرْتديه جيل
وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس إلى حسن الثناء سبيل^(٢)
نعيرنا أنا قليل عديدنا قتل لها : إن الكرام قليل
وما قل من كانت بقاياها مثلنا شهاب تسامى فى العلى وكهول^(٣)
وما ضرنا أنا قليل وجارنا عزيز وجار الأكرمين ذليل^(٤)
لنا جيل يحتله من نجيره منيع يرد الطرف وهو كليل^(٥)
رسا أصله تحت الثرى وسما به إلى النجم فرخ لا ينال طويل^(٥)

(١) جحفل كجعفر الجيش الكثير . (٢) أى ان لم يصبر النفس على مكارها فلا سبيل إلى اكتساب حسن الثناء ولبس معنى الضيم الغير لهم لانهم يأنفون من ذلك ويمدونه تذلاً . (٣) قوله تسامى أراد تتسامى فحذف إحدى التاءين ومثل هذا كثير فى كلامهم ، قال فى الخلاصة :

وما بتأين ابتدى قد يقتصر فيه على تا كتيب العبر

والكهول جمع كهول وهو الذى جاوز الثلاثين وخطه الشيب وقيل من بلغ الأربعين . (٤) يجوز فى ما ان تكون نافية والمعنى لم يضرنا ويجوز أن تكون استفهامية على طريق التقرير والمعنى أى شيء ضرنا .

(٥) قيل انه أراد بذكر الجبل العز والسمو وقيل ان هذا الجبل هو حصن السموعل الذى يقال له الأبلق الفرد يعنى من دخل فى جوارنا امتنع على طلابه . (٦) يريد انه اثبت جبل فى الأرض وأعلى طود عليها .

وإنا لقومٌ ما نرى القتل سبةً (١) إذا مارأته عامرٌ وسؤلٌ (١)
 يقرب حبُّ اللوتِ آجالنا لنا وتكرمه آجالهم فتطولُ
 وما مات منا سيّدٌ حتفَ أنفه ولا طلٌّ منا حيثُ كان قبيلٌ (٢)
 تسيلُ على حدِّ الظبابة نفوسنا وليست على غير الظبابة تسيلُ (٣)
 صقونا فلم نكدّرْ وأخلصَ سيرنا إناثٌ أطابتْ حملنا وغولٌ (٤)
 علونا إلى خير الظهور وحطنا لوقتٍ إلى خير البطون نزلُ (٥)
 فنحن كجاء المزنِ ما في نصابنا كهامٌ ولا فينا يمدُّ بخيلٌ (٦)
 وننكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقولُ
 إذا سيّدٌ منا خلا قام سيّدٌ فتؤلُّ لما قال الكرامُ فقولُ
 وما أخذتْ نازلاً لنا دون طارقٍ ولا ذمنا في النازلين نزيلُ (٧)
 وأيامنا مشهورةٌ في عدونا لها غررٌ منلومةٌ وحجولُ
 وأسافنا في كلِّ غريبٍ ومشرقٍ بها من قراع الدارعين فلؤلُ (٨)
 مودةٌ أن لا تسلَّ نصالها فتعمدُ حتى يستباح قبيلُ (٩)
 سئل إن جهلتِ الناس عنا وعنهم فليس سواءَ عالمٌ وجهولُ
 فإن بني الديان قطبُ لقومهم تدورُ رحامُ حولهم وتجولُ (١٠)

(١) السبة : العار ، وعامر وسؤل قبيلتان ، يقول إذا حسب هؤلاء القتل عارا عده عشيرتي فخرا . (٢) يقال مات فلان حتف أنفه إذا مات من غير قتل ولا ضرب ، ومعنى البيت أنا لا نموت على الفراش ولكن نقتل ودم القاتل منا لا يذهب هدرا . (٣) الظبابة جمع ظبة وهي حد السيف وقيل أراد بالظبات السيوف كلها فاضاف الحد إليها . (٤) المراد بالسرا هنا الأصل الجيد ومعنى ذلك صفت أنسابنا فلم يشبها كدر . (٥) يشير به إلى صريح نسبهم وخلوصه مما يحيط بنسبهم . (٦) قوله كهام المزن يريد بذلك تشبيه صفاء أنسابهم بصفاء ماء المطر ، والنصاب الأصل ومنه نصاب السكين ، والكهام الكليل الحد وهو مجاز عن الضعيف هنا . (٧) يشير بذلك إلى أنهم لكثرة كرمهم يديمون إيفاد ناز الضيافة ولا يطفئونها دون طارق ليل وأنهم ينشئ عليهم كل نزيل (٨) القراع : المقارعة والمضاربة ، والدارعين : أصحاب الدروع ، والفلول جمع فل وهو الثلم في حد السيف (٩) اتقيل : الجماعة من آباء شتى وجمعه قبل والقبيلة الجماعة من أب واحد وجمعها قبائل . (١٠) القطب الحديد الذي في الطباق الأسفل من الرحي يدور عليه الطباق الأعلى منها ، والمعنى أن أمر قبيلتهم لا يستقيم ولا يتم إلا بهم مثل الرحي لا يتم أمرها

ومنهم فُكَيْهَةٌ بنت قتادة بن مَسْنُونٍ

كانت فُكَيْهَةٌ هذه خالة طَرْفَةَ لِأَنَّ أُمَ طَرْفَةَ وودة بنت قتادة وكان من وفائها أَنَّ السُّلَيْكَ بْنَ سُلَيْكَةَ فَرَا بِكَرِ بْنِ وَائِلٍ فَأَبْطَأَ وَلَمْ يَجِدْ غَفْلَةً يَلْتَمِسُهَا .
فَرَأَى الْقَوْمُ أَنَّ قَدِمَ عَلَى الْمَاءِ لَمْ يَمْرُقُوا فَكُنُوا لَهُ وَأَمْلَاهُ حَتَّى وَرَدَ وَشَرِبَ
فَامْتَلَأَ فَهَاجُوا بِهِ فَعَدَا فَأَثَقَلَهُ بَطْنُهُ فَوَلَجَ قُبَّةً فُكَيْهَةٌ فَاسْتَجَارَ بِهَا فَأَدْخَلَتْهُ تَحْتَ
دُرْعِهَا فَجَاؤَا فِي أَثَرِهِ فَوَجَدُوهُ تَحْتَ ثَوْبِهَا فَانْتَرَعُوا خَارَهَا ، فَنَادَتْ إِخْوَتَهَا وَوَلَدَهَا
فَجَاءُوا عَشْرَةَ فَنَتَمَتُّهُمْ عَنْهُ . وَكَانَ سُلَيْكٌ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ كَأَنِّي أَجِدُ خَشْوَةَ اسْتِهَا
عَلَى ظَهْرِي حِينَ أَدْخَلْتَنِي تَحْتَ دُرْعِهَا . وَفِيهِ قَالَ سُلَيْكٌ :

كَعَمْرُ أَبِيكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمَى لَنِمِّ الْجَارِ أُخْتُ بَنِي عَوَارَا
عَنَيْتُ بِهَا فُكَيْهَةَ حِينَ قَامَتْ لِنَصْلِ السَّيْفِ وَانْتَرَعُوا الْخَارَا
مِنَ الْخَفِيرَاتِ لَمْ تَقْضَحْ أَخَاهَا وَلَمْ تَرْفَعْ لَوَائِدَهَا شَنَارَا^(١)

ومنهم :

أُمُ جَمِيلٍ

وَهِيَ مِنْ رَهْطِ أَبِي هُرَيْرَةَ مِنْ دُوسٍ وَهِيَ مِنْ أَهْلِ السَّرَاةِ وَكَانَ مِنْ وَفَائِهَا
أَنَّ هِشَامَ بْنَ الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ الْخَزَوِيَّ قَتَلَ أَبَا زَهْرٍ الزُّهْرَانِيَّ مِنْ أَزْدِ شَتَوَةَ
وَكَانَ صَهْرَ أَبِي سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ . فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ قَوْمَهُ بِالسَّرَاةِ وَثَبُوا عَلَى خَيْرَارِ
ابْنِ الْخَطَّابِ لِيَقْتُلُوهُ فَسَمِيَ حَتَّى دَخَلَ بَيْتَ أُمِّ جَمِيلٍ وَعَازَبَهَا فَضْرِبَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ
فَوَقَعَ ذُبَابُ السَّيْفِ عَلَى الْبَابِ . وَقَامَتْ فِي وَجْهِهِمْ فَذَبَّتْهُمْ وَنَادَتْ قَوْمَهَا فَتَنَعَوْهُ
لَهَا فَلَمَّا قَامَ مُعَرِّ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ظَنَّتْ أَنَّهُ أَخُوهُ فَأَتَتْهُ بِالْمَدِينَةِ وَقَدْ عَرَفَ
الْقِصَّةَ ، قَالَ : إِنِّي لَسْتُ بِأَخِيهِ إِلَّا فِي الْإِسْلَامِ وَهُوَ غَازٍ وَقَدْ عَرَفْنَا مِثْلَكَ عَلَيْهِ
فَأَعْطَاهَا عَلَى أَنَّهَا ابْنَةُ سَبِيلٍ .

الآن بالقطب ، والدبان هو يزيد بن قطن بن زياد بن الحرث الأصغر (١) يقال
خفرت الرجل حميته واجرتة من طالبه ، والشنار اقبح الميب والعار والأمر
المشهور بالشنعة

وأما كونُ العربِ أُغْيَرَ من غيرهم

فَلأنهم كانوا أشدَّ الناس حاجةً إلى حفظِ الأنساب ، ولذلك اعتنوا بضبطها غايةَ الاعتناء ، لما امتنعوا عن سلطانِ يَفْعَرهم . ويكفُّ الأذى عنهم ليكونوا به متظافرين على من فاوأم متناصرين على من شاقهم وعاداهم حتى بلغوا بالغةَ الأنساب تناصرهم على القوى . وتحكموا به حكمُ التسلطِ المتشطط . فإنَّ الرِّجَمَ إذا تماسَّتْ تماطفتْ والنيرةُ أساسُ ذلك ومنها ينشأ ضبطُ الأنساب وحفظها كما لا يخفى فإنها توردان النضب حاميةً على إكرام الحرم . وجعل الله سبحانه هذه القوة في الإنسان سبباً لصيانة الماء وحفظاً للأنساب ولتلك قيل كل أمة وضعت النيرة في رجالها وضعت الصيانة في نساءها . وقد وصل العرب في النيرة إلى أن جاوزوا الحد ، حتى كانوا يَدُونُ البنات غشاةً لحوق المار بهم من أجلهنَّ أى يدفنونهن وهن أحياء . وسيجيء تفصيل مذهبهم فيها في الأعمال التي أبطلها الإسلام .

وأول قبيلة وأدت من العرب ربيعة . وذلك أنهم أُغْيِر عليهم . فنهبت بنت لأمية لم فاستردّها بعد الصلح نفّرت رضى منها بين أبيها ومنَّهى عنده فاختارت منَّهى عنده وآثرته على أبيها فنصّب وسنَّ لقومه الوأد ففعلوه غيره منهم ، وخافة أن يقع لهم بعد ذلك مثل ما وقع وشاع في العرب غيرهم . ومن نخوة العرب وغيرتهم أنهم يَكُونُونَ عن حرائر النساء بالبيض ، وقد جاء القرآن المزي بذلك فقال سبحانه (كَاهِنٌ بَيْضٌ مَكْنُونٌ) وقال امرؤ القيس :

وبَيْضَةٍ خِدَرٍ لَا يُرَامُ خِيَاؤُهَا تَمَتَّتْ عَنْ لَهْوٍ بِهَا غَيْرِ مَعْجَلٍ^(١)

ويكونون عنهن أيضاً بالنخلة ، وعلى ذلك قول بعض العرب :

أَلَا يَا نَخْلَةً مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ عَلَيْكِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ السَّلَامُ^(٢)

(١) أى رب امرأة كبيضة الخدر في حسنها وصيانتها لا يرام سترها ، ومعجل اسم مفعول اعجله فهو معجل بمعنى انه لعزه لا يتعرض من يفار عليها
(٢) هذا البيت من سواهد النخو يستشهد به على أن التكررة الموصوفة تنصب فنخلة تكرة موصوفة بالجار والمجرور وفيه شاهد آخر وهو تقديم المظوف بالواو على المظوف عليه والاصل عليك السلام ورحمة الله

سألتُ الناسَ عنكِ نَجْزِرُونِي هُنا مِنْ ذاكِ تَكْرَهُهُ الْكُرامُ
وليسَ بِما أَحَلَّ اللهُ بِأَنْ إِذا هُوَ لَمْ يُحْطِلْهُ الْحَرامُ
فإنَّ هَذا الشاعِرَ كُنِيَ عَنِ الْمَراةِ بِالنَّخْلَةِ وَيا لَهْناةٍ عَنِ الرِفْثِ . فاما الهِناةُ فَمِنْ
عادةِ الْعَرَبِ الْكُنايَةُ بِها عَنِ مِثْلِ ذاكِ . واما الْكُنايَةُ بِالنَّخْلَةِ عَنِ الْمَراةِ فَمِنْ
مُطَرِيفِ الْكُنايَةِ وَغَرِيبِها ، وَأَنشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي مُرَّةَ بْنِ عَوْفٍ يَكْنَى
عَنِ امْرَأَتَيْنِ :

أَيَا نَخْلَتِي أَوَّلَ إِذا كانَ فيكِما جَنِي فَاظْطَرَّا مِنْ تَطْهَانِ جَنائِكا
وَيَا نَخْلَتِي أَوَّلَ إِذا هَبَّتِ الصِّبا وَأَمْسَيْتِ مَقْرُوراً ذَكَرْتَ ذِراكا
وقال وَضاحُ الْبُجَيْي

أَيَا نَخْلَتِي وَادِي بُؤانَةَ حَبْدًا إِذا نَامَ خُرَّاسُ التَّخِيلِ جَنائِكا
وبؤانَةُ بضمُ الْباءِ الْمُوحِدَةِ مِنْ أَسْفَلَ : مَوْضِعٌ . وَيَكُونُ عَنْهُنَّ بِالسَّرحَةِ^(١)
قال جَمِيدُ بْنُ ثُورٍ :

أَبِي اللهُ إِلَّا أَنْ سُرْحَةً مَالِكٍ عَلَى كُلِّ أَفْئانٍ الْعِضاءُ تَرُوقُ^(٢)
فِياطِيبَ رِياها وَيا بَرْدَ ظِلِّها إِذا حَانَ مِنْ شَمْسِ النِّهارِ شُرُوقُ
فهلْ أَنَا لِمَنْ عَلَّلْتُ نَفْسِي بِسَرْحَةٍ مِنَ السَّرْحِ مَسْجُودٍ عَلَى طَرِيقُ
حَيَّ ظِلِّها شَكْسُ الْخَلِيقَةِ طائِفٌ عَلَيْها عُرَامُ الطَّائِفِينَ شَفِيقُ^(٣)
فلا الظِّلَّ مِنْ بَرْدِ الضَّحَى تَسْتَطِيعُهُ وَلَا الْفَيْءُ مِنْ بَرْدِ الْعَشَى تَذُوقُ
وقال أَيْضًا فِي مِثْلِهِ

تَجْرِمُ أَهْلُها إِذا كُنْتَ مَشْجَرًا جَنُونًا بِها يَأْطُولُ هَذا التَّجْرِمُ
وَمالِي مِنْ ذَنْبٍ إِلَيْهِمْ عَلِمْتَهُ سِوَى أَفْنَى قَدْ قَلَّتْ يَأْسَرْحَةُ اسْمِي^(٤)

(١) هِيَ الشَّجَرَةُ الْعَظِيمَةُ مِنَ الْعِضاءِ (٢١) الْعِضاءُ وَزَانَ كِتَابُ مِنْ شَجَرِ
النُّسُوكِ كَالطَّلَحِ وَالْمُوسِجِ وَاسْتَشْنَى بَعْضُهُم الْقِتَادَ وَالسِّدْرَ فَلَمْ يَجْعَلْهُ مِنَ الْعِضاءِ ،
وَالْهَاءُ صُلْبِيَّةٌ ، وَالْأَفْئانُ جَمْعُ فَنٍّ : الْإِعْصانُ ، وَالسَّرْحَةُ : الشَّجَرَةُ الْعَظِيمَةُ مِنَ
الْعِضاءِ (٢٢) قَوْلُهُ عُرَامُ بِالضَّمِّ أَيُّ سِوَى الْخَلْقِ (٢٣) السَّرْحَةُ مِنْ تَفْسِيرِها .
وَالْمَعْنَى لَا ذَنْبَ لِي أَعْتَرَفْتُ بِهِ غَيْرَ أَنِّي قُلْتُ بِالسَّرْحَةِ اسْمِي وَكَانَ هَذَا الشَّاعِرُ
لَمَّا قَالَ بِالسَّرْحَةِ اسْمِي عَلَّمَ أَهْلَ الْمَراةِ أَنَّهُ يَرِيدُ صَاحِبَتَهُمْ فَفَضَّبُوا لِذَلِكَ

نعم فاسلمى ثم اسلمى ثمة اسلمى ثلاث تحيات وإن لم تكلمى^(١)
ويكنون عنهن بشجرة أو شاة ونمجة وجؤذر . وهو ولد البقرة الوحشية وريم
وما شاكل ذلك . قال المسيب بن علس :

دعا شجر الأرض داعهم لنصره السدر والإثاب^(٢)
فكنى بالشجر عن النساء . وهم يقولون جاء فلان بالشوك والشجر إذا جاء بجيش
عظيم . وقال عنتره :

يا شاة ما نقص لن حلت له حرمت علي وليتها لم تحرم
وإنما ذكر عبلة جارية أبيه فلذلك حرمها على نفسه . وكذلك قوله والشاة
ممكنة لن هو مريم . والعرب تجعل المهابة شاة لأنها عندهم صائفة الطباء ولذلك
يسمونها نمجة . وعلى هذا التماثل في الكناية جاء قول الله تعالى في إخباره
عن خصم داود عليه السلام « إن هذا أخى له تسع وتسعون نمجة ولي نمجة
واحدة » كنى بالنمجة عن المرأة . وروى ابن قتيبة أن رجلا^(٣) كتب إلى عمر رضي
الله تعالى عنه :

قلائصنا هداك الله أنا شغلنا عنكم زمن الحصار^(٤)

فما قلص وجدن معقلات فقا سلع بمختلف النجار^(٥)

(١) نعم فاسلمى نعم يجاب به في الاستفهام المحض ويتوصل به الى بسط
الكلام وصلته كما هنا وثلاث تحيات انتصب على المصدر من فعل محذوف
تقديره احببى ، والمعنى حبيبتها ثلاثا بقولى اسلمى ولم ترد الجواب .
(٢) الاناب ، شجر الواحدة انابة قال الكمي :
وفادرن المسالول فى مكر كخشب الاناب المتفطر سينا

(٣) هو على ما في الناج وغيره ابو المنهال بقبيلة الاكبر وكان وجهه سيدنا
عمر (رض) الى احدى الفزوات بنواحي فارس وكان ترك عياله بالمدينة فبلغه
أن رجلا من بنى سلم اسمه جمدة يختلف الى النساء الفاتيات لازواجهن فكتب
الى سيدنا عمرا (رض) بشكو منه (٤) قلائصنا منصوب بالاضطر أى احفظ
قلائصنا وهى فى الاصل جمع قلووس للناقة الشابة واراد بها النساء (٥) قوله
معقلات يعنى نساء معقلات لازواجهن كما تمقل - أى تشد - التوق للضراب ،
وسلع جبل فى المدينة وجبل للهدل وحصن بوادى موسى من عمل الشوك
بقرب بيت المقدس ، ونجار ككتاب موضع عن العمرانى ، وكفراب موضع ببلاد
تميم وقيل من مباحهم وماء بالقرب من صفيانة حذاء جبل السطار فى ديارسليم
عن نصر

يعقلهن جعد شيطمي وبئس معقل النود الظوار^(١)

قال فإنما كنى بالقلم وهي النوق الشواب عن النساء ففهم عمر ما أُراده وجلد جمدة وفناه . ومن نخوة العرب وغيرهم أنه كان من عاداتهم إذا وردوا المياه أن يتقدم الرجال . ثم المضاريط^(٢) والرعاء ثم النساء إذا صدرت كل فرقة عنه فكأن يفسلن أنفسهن وثيابهن ويتطهرون آمناً مما يزعمهن من تأخر عن الماء حتى تصدر النساء فهو الناية في الثدل . وإلى ذلك أشارت كبشة^(٣) أخت عمرو بن معدى كرب . بقولها من أبيات :

ولا تردوا إلا فضول نسائكم إذا ارتعلت أعقابهن من الدم
وقد تستعمل الثيرة في صيانة كل ما يلزم الإنسان صيانتة في السياسات
الثلاث التي هي سياسة الرجل نفسه . وسياسة أهله ومنزله . وسياسة مدينته

(١) الجعد الكريم من الرجال ، والشطمي : الفتى الجسيم ، والظوار جمع نظر بالكسر الناقة العاطفة على ولد غيرها المرضعة له ، والدود : ثلاثة أبرة إلى التسعة وقيل إلى العشرة أو العشرين وفوق ذلك وقيل غير ذلك وبروى بدل جعد

شيطمي أو جمدة من سليم معيدا يتغنى سقط المداوي
أراد أنه تعرض لهن فكنى بالمقل عن الجماع أي ان أزواجهن يعقلونهن وهو يعقلهن أيضاً كان البدء للأزواج والإعادة له (٢) جمع عضروط وهو الخادم على طعام بطنه والاجر (٣) كانت كبشة من النساء الساعرات المتوسطات في الشعر وكانت متزوجة في بني الحرث بن كعب وكان عبد الله أخاها لأبيها وأمها دون عمرو وهذا البيت من أبيات لها وهي :

أرسل عبد الله إذ حان يومه إلى قومه لاتهملوا لهم دمي
ولا تاخلدوا منهم أفلا وابكروا وأترك في بيت بصعدة مظلم
ودع عنك عمراً أن عمرام سالم وهل بطن عمرو غير شبر لمطمع
فان انتم لم تشاروا وأنديتم فمشوا بأذان النعام المصلم
ولا تردوا الخ

والسبب في هذا الشعر ان عبد الله بن معد بكرب مر براع المحزم بن سلمة من بني مالك بن مازن ابن زبيد فاستقاه لبنا فأبى واعتل عليه فستمه فقتله عبد الله فثارت بنو مازن بعبد الله فقتلوه وجاءوا إلى عمرو فقاتلوا ان أخاك قتله رجل منا سفیه ونحن بذلك وعضدك ففساك الرحم الا اخذت الدية ما اجبت وهم عمرو بذلك ففضبت كبشة وقالت هذه الأبيات وذكر علماء الأدب أيضاً غير ذلك في سبب هذا الشعر وقولها إذا ارتعلت يقال ترمل وارتعل إذا تلطخ بالدم وجعلت النساء متلطخت بدم الحيض نفظيها للامر وكان من عاداتهم إذا وردوا المياه ان تتأخر النساء حتى تصدر كل فرقة عنه إلى آخر ما بين في الأصل ومعنى هذا الكلام انه لا شرف لكم بعد أخذكم الدية

وضيمته . ولذلك قيل ليست النيرة ذبه عن كل ضعيف وتسمى كراهة النعمة
عند من لا يستحقها غيره . والنيرة وإن كانت قوة إنسانية يجب وجودها في كل
جيل قد كثرت في الرب حتى إن من دخل دار أحدهم والتجأ إلى فناءه عدوا
فعله حرمة وجواراً ودماراً بل إن تعلق ذلك بالوحشيات والهوام . حتى إنهم كانوا
يسمون بذلك بحير الجراد وبحير النزال وبحير الذئب ونحو ذلك . وفي الأمثال
« أحى من بحير الجراد » قالوا هو مدبج بن سويد الطائي . ومن حديثه فيم ذكر ابن
الأعرابي عن ابن الكلبي أنه حلا ذات يوم في خيمته فإذا هو يقوم من طيء ومعه
أوعيتهم ، قال : ما خطبكم ؟ قالوا جراد وقع بفنائك فجئنا لنأخذه فركب فرسه
وأخذ رمحه وقال : والله لا يمرضن له أحد منكم إلا قتلته ، إنكم رأيتموه في جوارى
ثم تريدون أخذه فلم يزل يحرسه حتى حيت عليه الشمس وطار فقال شأنكم الآن .
وقد تحول عن جوارى ، ويقال : إن الهجير كان حارثة ابن مرأباجنبل . وفيه يقول
شاعر طيء :

ومنا ابن مر أبو حنبل أجار من الناس رجل الجراد

وزيد لنا ولنا حاتم غياث الورى في السنين الشداد

وفي الأمثال أيضاً أحى من بحير الظعن وهو ربيعة بن مكدّم الكنانى
ومن حديثه فيما ذكر أبو عبيدة أن نُبَيْشَةَ بن حبيب السلمي خرج غازياً فلقى
ظلمناً من كنانة بالكديد فأراد أن يَحْتَوِيَهَا فأنامه ربيعة بن مكدّم في فوارس .
وكان غلاماً له ذواقة فشد عليه نبيشه فطمنه في عضده فأتى ربيعة أمه فقال :

شدى على المصّب أمّ سيار قد رزمت فارساً كالدينار

فقات له أمه

إنا بنى ربيعة بن مالك مرزوا خيارنا كذلك

من بين مقتول وبين هالك

ثم عصبت فاستسقاها ماء قالت : اذهب فقاتل القوم فإن الماء لا يفوتك فرجع

وكرر على القوم فكشفهم ورجع إلى الظنن وقال إني هالك لما بي وسأحيكن ميتاً
كما حيثكن حياً بأن أفت بفرسى على العقبة وأتسكى على رمي فإن فاضت نفسى
كان الرمح عمادى فالنجاء النجاء فإنى أردت بذلك وجوه القوم ساعة من النهار قطعن
العقبة ووقف هو بإزاء القوم على فرسه متكئاً على رمح ويزفه الدم ففاض أى مات ،
والقوم بإزائه يحجمون عن الإقدام عليه . فلما طال وقوفه فى مكانه ورأوه لا يزول
عنه رموا فرسه قمص وخر ربيعة لوجهه فطلبوا الظنن فلم يلحقوهن ، ثم إن
حفص بن الأخيف الكنانى^(١) مر بجيفة ربيعة فمرها فأمال عليها أحجاراً من
الحرّة ، وقال يسكيه :

لا يمدن ربيعة بن مكدّم وسقى الفوادى قبره بدنوب^(٢)
نفرت قلوبى من حجارة حرّم بُليت على طلق اليدىن وهوب^(٣)
لا تنفري يا ناق منه فإنه شريب خمر مسعر لحروب^(٤)
لولا السفار وبند خرقي مهمه لتركها تحبو على الدنوب^(٥)

قال أبو عبيدة قال أبو عمرو بن الملاء : ما نلت قتيلأى ظلمان غير ربيعة بن
مكدّم . وقصة بجر أم عامر شهيرة إلى غير ذلك مما يطول ذكره . ويسمى النصب
المقتضى للغيرة الحفيظة فقالوا احفظنى فلان أى أغضبى النصب الذى أثار منى
قوة الحفظ .

(١) قال محمد بن سلام : الصحيح ان هذه الايات لعمرو بن شقيق أحد
بنى فهر بن مالك ومن الناس من يروها لكرز بن حفص بن مكدّم الكنانى
وعمر بن شقيق أولى بها وهذا الشعر قيل فى قتل ربيعة بن مكدّم الكنانى
أحد فرسان مضر المدودين وشجعانهم المشهورين قتله نبشة بن جبيب
السلمى فى يوم الكديد (٢) الفوادى جمع غادية وهى سحابة الصباح ،
والدنوب : الدلو العظيمة استمر هنا للفيث يتفجع على ربيعة ويدعو له
بالرحمة والرضوان (٣) نفوت : فرغت ، والقلوب من النوق الشابة ، وقوله
من حجارة حرّة المراد بها قبر ربيعة والحرّة أرض ذات حجارة سود
(٤) مسعر على وزن مفعل آلة فى ابتداء الحرب (٥) السفار : السفر ، والخرق :
الأرض الواسعة ، والمهمه : المفازة البعيدة الاطراف ، والحبو : المشى على
اليدىن والبطن ، وعروق الدابة فى رجلها بمنزلة الركبة فى يدها ، والمعنى
لولا أنى محتاج إليها فى السفر لطوله لثرتها عند قبره لتاكلها الناس كما
كانت عادتهم اذا اجتازوا بقبر كريم

والحاصل أن العرب لما كانوا آثم الناس عقولا وأحلاما ، وأطلقهم ألسنة وأوفرهم أفهاما ، استتبع ذلك لهم كل فضيلة ، وأورثهم كل منقبة جليلة فإن العقل المشرق في الإنسان يحصل عنه العلم والمعرفة والدراية والحكمة والذكاء والنهن والفهم والفقطنة وجودة الخاطر وجودة الفهم والتخيل والبداهة والكيس والخير وإصابة الظن والفراسة^(١) وإثارة^(٢) والكهانة^(٣) والرافة^(٤) والإلهام ودقة النظر والرأى والتدبير وصحة الفكر وجودة الذكرو وجودة الحفظ والبلاغة والفصاحة وسائر الأخلاق الحمودة والأعمال المدحوة ، ولكن كانوا قبل الإسلام طبيعة قابلة للتغير معطلة عن فله ليس عندهم علم منزل من السماء ولا شريعة موروثة عن نبي ، ولا هم أيضاً مشتملون ببعض العلوم العقلية المحضة ، كالطب والحساب ونحوها إنما علمهم ما سمحت به قرائحهم من الشعر والخطب ، أو ما حفظوه من أنسابهم وأيامهم ، أو ما احتاجوا إليه في دنياهم من الأنواء^(٥) والنجوم ، أو من الحروب ونحو ذلك مما ينبغي تفصيله عند الكلام على علومهم إن شاء الله تعالى . فلما بعث الله تعالى محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم بالهدى الذى جملة علماء فى الأرض ولا يجعل أجل منه وأعظم قدراً وتلقوه عنه بمد مجاهدته الشديدة لهم ومعالجتهم عن قلمهم عن تلك العادات الجاهلية . والظلمات الكفرية التى كانت قد أحالت قلوبهم عن فطرتها . فلما تلقوا عنه ذلك الهدى العظيم زالت تلك الرىون واستنارت بهدايته فأخذوا هذا الهدى العظيم . لتلك الفطرة الجيدة فاجتمع لهم الكمال بالقوة المخلوقة فيهم ، والكمال الذى أنزله الله إليهم ، فهم بمنزلة أرض حيدة فى نفسها لكنها معطلة عن الحرث أو قد نبت فيها شجرة المضاه

(١) الاستدلال بهيئة الانسان واشكاله وأوانه واقواله على اخلاقه وفضائله ورذائله (٢) هى ان تركز شيئاً بالظن فتصيب (٣) الكهانة بفتح الكاف ويجوز كسرهما قيل هى ادعاء علم الغيب كالاخبار بما سيقع فى الأرض مع الاستناد الى سبب (٤) قسيمة للكهانة عند كثير من العلماء وقال بعضهم الكهانة مختصة بالأمور المستقبلية والعرافة بالأمور الماضية (٥) جمع نؤ وهو النجم اذا مال للغروب أو سقوط النجم فى المغرب مع الفجر وطلع آخر يقابله من ساعته فى المشرق

والموسج ، وصارت مأوى الخنازير والسباع ، فإذا ظهرت عن المؤذى من الشجر والدواب وازدحج فيها أفضل الحبوب والثمار جاء فيها من الحرث ما لا يوصف مثله فصار السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار أفضل خلق الله تعالى بعد الأنبياء وصار أفضل الناس بعدهم من أتيعهم بإحسان من العرب والمعجم بمقتضى الشريعة النراء ، وورد فيها أيضاً أن قريشاً أفضل العرب ، وأن بنى هاشم أفضل من قريش وأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل بنى هاشم ، فهو أفضل الخلق نفساً وأعلامه نسباً وليس فضل العرب ثم قريش بنى هاشم ، لمجرد كون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم منهم ، وإن كان هذا من الفضل ، بل هم فى أنفسهم أفضل . وبذلك ثبت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه أفضل نفساً ونسباً وإلا لزم الدور^(١) .



مناظرة جبرت بين النعمان بن المنذر

وكسرى ملك الفرس فى شأنه العرب

ذكر كثير من المؤرخين ، ومنهم ابن عبد ربه فى تاريخه ما رواه ابن القطاوى عن الكلبي ، قال قدّم النعمان بن المنذر على كسرى وعنده وفود الروم والهند والصين فذكروا من ملوكهم وبلادهم ما ذكروا . فافضخ النعمان بالعرب وفضلهم على جميع الأمم . ولم يستثن فازس ولا غيرها . قتال كسرى وأخذته عزة الملك : يانعمان لقد فكرت فى أمر العرب وغيرهم من الأمم ونظرت فى حال من يقدم على من وفود الأمم ، فوجدت الروم لما حظ فى اجتماع ألقمها وعظم سلطانها وكثرة مدائنها ووثيق بنيانها وأن لها ديناً يبين حلالها وحرامها ويرد سفيهاها ويقيم جاهلها .

(١) توقف الشيء على نفسه

ورأيت الهند نحوراً من ذلك في حكمتها وطبها مع كثرة أنهار بلادها وثمارها وعجيب
صناعاتها وطيب أشجارها ودقيق حسابها وكثرة عددها . وكذلك الصين
في اجتماعها وكثرة صناعات أيديها وفروسياتها ومهتها في آلة الحرب وصناعة الحديد
وأن لها ملكاً يجمعها . والترك والخزر على ما بهم من سوء الحال في الماش وقلة
الريف والثمار والحصون وما هو رأس عمارة الدنيا من الساكن والملابس لهم
ملوك تضم قواصمهم وتدبر أمرهم . ولم أر للعرب شيئاً من خصال الخير في أمر
دين ولا دنيا ولا حزم ولا قوة . ومع أن مما يدل على مهانتها وذلتها وصغر مهتها
محلهم التي هم بها مع الوحوش النافرة والطير الحائرة يقتلون أولادهم من الفاقة
ويأكل بعضهم بعضاً من الحاجة قد خرجوا من مطاعم الدنيا وملابسها ومشاربها
ولهوها ولذاتها فأفضل طعام ظفر به ناصمهم لحوم الإبل التي يذبحها كثير من السباع
لتقلها وسوء طعمها وخوف دائها . وإن قرئ أحدهم ضيقاً عدداً مكرمة . وإن
أطعم أكلة عدداً غنيمة تنطق بذلك أشعارهم ، وتفتخر بذلك رجالهم ، ما خلا
هذه التنوخية التي أسس جدى اجتماعها وشد مملكتها ومنعها من عدوها . فجری
لها ذلك إلى يومنا هذا . وأن لها مع ذلك آثاراً ولبوساً وقرى وحصوناً وأموراً
تشبه بعض أمور الناس يعني اليمن ، ثم لا أراكم تستكينون على ما بكم من النلة
والقلة والفاقة والبؤس ، حتى تفتخروا وتريدوا أن تنزلوا فوق مراتب الناس .

قال النعمان

أسلح الله الملك حق لأمة الملك منها أن يسمو فضلها ويعظم حظها وتعلو
درجتها إلا أن عندي جواباً في كل ما نطق به الملك في غير رد عليه ولا تكذيب
له فإن أمنني من غضبه نطقت به ، قال كسرى : قل فأنت آمن . قال النعمان . أما
أمتك أيها الملك فليست تنازع في الفضل لموضعها الذي هي به من عقولها وأحلامها
وبسطة علمها وحبو حرة عزها وما أكرمها الله به من ولاية آباءك وولايتك . وأما
الأم التي ذكرت فأى أمة تقرنها بالعرب إلا فضلها . قال كسرى : بماذا ؟ قال

النمان : بمزها وَمَمَّتْهَا وحسن وجوها وبأسها وسخاؤها وحكمة ألسنتها وشدة
 عقولها وآنفها ووفائها « فأما عزها وَمَمَّتْهَا » فإنها لم تزل مجاورة لآبائك الذين
 دَوَّخُوا البلاد ، ووطَّدُوا الملك ، وقادوا الجند ، لم يطمع فيهم طامع ولم ينلهم نائل
 حصونهم ظهور خيلهم ، ومهادم الأرض ، وسقوفهم السماء ، وجنتهم السيوف
 وعدتهم الصبر إذ غيرها من الأمم إنما عزها الحجارة والطين وجزائر البحور
 « وأما حسن وجوها وألوانها » فقد يعرف فضلهم في ذلك على غيرهم من
 الهند النحرفة ، والصين النحفة ، والترك المشوهة ، والروم المقشرة . « وأما أنسابها
 وأحسابها » فليست أمة من الأمم إلا وقد جَهِلَتْ آباءها وأصولها وكثيراً من أولها
 حتى إن أحدهم ليسأل عن زاء أبيه دنيا فلا ينسبه ولا يعرفه . وليس أحد من العرب
 إلا يسمى آباءه أبا قاباً أحاطوا بذلك أحسابهم وحفظوا به أنسابهم . فلا يدخل رجل
 في غير قومه ، ولا ينتسب إلى غير نسبه ، ولا يدعى إلى غير أبيه « وأما سخاؤها »
 فإن أديانهم رجالا الذي تكون عنده البكرة والتاب عليها بلاغه في حمله وشبهه
 وريته فيطرقة الطارق الذي يكتفى بالفيلة^(١) ويجترى بالشربة فيمقرها له ويرضى أن
 يخرج عن دنياه كلها فيما يكسبه حسن الأحدثنة وطيب الذكر . « وأما حكمة ألسنتهم »
 فإن الله تعالى أعطاهم في أشعارهم وروثق كلامهم وحسنه ووزنه وقوافيه مع معرفتهم
 بالأشياء وضربهم للأمثال وإبلاغهم في الصفات ما ليس لشيء من السنة الأجناس .
 ثم خيلهم أفضل الخيل ، ونساؤهم أعف النساء ، ولباسهم أفضل اللباس ، ومعادنهم
 الذهب والفضة ، وحجارة جبالهم التبرج^(٢) ، ومطايهم التي لا يبلغ على مثلها سفن ،
 ولا يقطع بمثلها بلد قفر . « وأما دينها وشرعتها » فإنهم متمسكون به حتى يبلغ
 أحدهم من تمسكه بدينه أن لهم أشهراً حرماً وبلداً محرماً وبيتاً محجوجاً ينسكون فيه
 مناسكهم ويذبحون فيه ذبائحهم فيلقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه وهو قادر على أخذ ثأره
 وإدراك رغه منه فيحجزه كرمه وعنته دينه عن تناوله بأذى . « وأما وقاؤها » فإن أحدهم
 (١) التقطعة من الشيء والجمع فلل مثل سدره وسدر (٢) خرز فيه بياض
 وسواد الواحدة جزمة مثل تمر وتمرة .

يلحظ اللحظة ويومى الإيماء ، فعى وَلَتْ^(١) وعقدة لا يجلها إلا خروج نفسه ، وإن أحدم يرفع عوداً من الأرض فيكون رهنأً بدينه فلا يُفْلَق^(٢) رهنه ولا تخفر ذمته^(٣) وإن أحدم ليبلنه أن رجلا استجار به وعسى أن يكون نائماً من داره ، فيصاب فلا يرضى حتى يفى تلك القبيلة التى أصابته أو تقضى قبيلته لما أخفر من جواره ، وأنه ليَلْتَجَأَ إليهم المجرم المحدث من غير معرفة ولا قرابة فتسكون أنفسهم دون نفسه وأموالهم دون ماله . وأما قولك أيها الملك : يلدون أولادهم ، فإنما يفعله من يفعله منهم بالإناث أفةً من المار وغيره من الأزواج . وأما قولك : إن أفضل طعامهم لحوم الأبل على ما وصفت منها فما تركوا ما دونها إلا احتقاراً له فعمدوا إلى أجلها وأفضلها فكانت مراكبهم وطعامهم مع أنها أكثر البهائم شحوماً ، وأطيبها لحوماً ، وأرقها ألباناً ، وأقلها غائلةً ، وأحلاها مضغاً ، وإنه لا شيء من اللحيان يبالغ ما يبالغ به لحما إلا استبان فضلها عليه « وأما تجاربهم » وأكل بعضهم بعضاً وتركهم التقيد لرجل يسوسهم ويجمعهم فإنما يفعل ذلك من يفعله من الأم إذا أنست من نفسها ضعفاً وتخوفت نهوض عودها إليها بالزحف وإنه إنما يكون فى المملكة العظيمة أهل بيت واحد يعرف فضلهم على سائر غيرهم فيلقون إليهم أمورهم ، وينقادون لهم بأزمهم وأما العرب فإن ذلك كثير فيهم حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكاً أجمعين مع أنفهم من أداء الخراج والوظف^(٤) بالسف وأما اليمن التى وصفها الملك فلما أتى جدُّ الملك إليها الذى أتاه عند غلبة الحبش له على ملك متسق وأمر مجتمع قاتاه مسلوباً طريداً مستصرخاً قد قصاص عن إيوائه ، وصرفى عينه ما شيد من بنائه ولولا

(١) انهد بين القوم وقيل العهد المحكم ، وقيل الشيء اليسير من العهد وفى حديث ابن سيرين : انه كان يكره شراء سبى (زابل) - بلد بالسند - وقال ان عثمان ولت لهم ولتا أى اعطاهم شيئاً من العهد ، وقال الجوهري الولت العهد بين القوم يقع من غير قصد ويكون غير مؤكد يقال ولت له عقداً (٢) غلق الرهن غلقاً من باب تعب استحققه المرتهن فترك فكأكه وفى حديث « لا يعلق الرهن بما فيه » أى لا يستحقه المرتهن بالدين الذى هو مرهون به (٣) يقال خفرت بالرجل أخفر من باب ضرب غدرت به (٤) أى استحصال المال منهم بالجبر والظلم يقال سحابة وطفلة أى مسترخية الجوانب بكثرة مائها

ماوتر^(١) به من يليه من العرب لئلا إلى مجال ، ولو جد من يجيد الطمان ، ويغضب للأحرار ، من غلبة العبيد الأشرار . قال فمجب كسرى لما أجابه النعمان به . وقال : إنك لأهل لوضعك من الرياسة في أهل إقليمك ولما هو أفضل ثم كساه من كسوته وسرحه إلى موضعه من الحيرة . فلما قدم النعمان الحيرة وفي نفسه ما فيها مما سمع من كسرى من تنقص العرب وتهجين أمرهم . بث إلى أكثم ابن صيفي ، وحاجب بن زدارة التميميين . وإلى الحارث بن ظالم . وقيس بن مسعود البكرين ، وإلى خالد بن جعفر ، وعلقمة بن علاثة ، وطاهر بن الطفيل العامريين ، وإلى عمرو بن الشريد السلمي ، وعمرو بن معد يكرب الزبيدي ، والحارث ابن ظالم المري ، فلما قدموا عليه في الخورنق قال لهم : قد عرفتم هذه الأعاجم وقرب جوار العرب منها وقد سمعت من كسرى مقالات تخوف أن يكون لها غوراً ويكون إنما أظهرها لأمر أراد أن يتخذ به العرب خولاً^(٢) كبعض طلمطمة^(٣) في تأديتهم الخراج إليه كما يفعل بملوك الأمم الذين حوله ، فاقصر عليهم مقالات كسرى وما رد عليه . فقالوا : أيها الملك وفقك الله ما أحسن ما رددت وأبلغ ما حجبته به فرنا بأمرنا وادعنا إلى ما شئت . قال : إنما أنا رجل منكم وإنما ملكت وعززت بمكانكم وما يتخوف من ناحيتكم ، وليس شيء أحب إلي مما سدد الله به أمركم ، وأصلح به شأنكم وأدام به عزكم ، والرأى أن تسبوا بجماعتكم أيها الرهط وتنتطلقوا إلى كسرى فإذا دخلتم نطق كل رجل منكم بما حضره ليعلم أن العرب على غير ما ظن أو حدثته نفسه . ولا ينطق رجل منكم بما يفضيه فإنه ملك عظيم السلطان كثير الأهل مترف معجب بنفسه ولا تتخزلوا له انخزال الخاضع الذليل وليكن أمر بين ذلك تظهر به وقافة حلومكم ، وفضل منزلتكم وعظيم أخطاركم ، وليكن أول من يبدأ منكم بالكلام أكثم بن صيفي لسن حاله ، ثم تتابعوا على الأمر من منازلكم التي وضعتكم بها فإنا دعائنا إلى التقدمة إليكم على

(١) أخذ ثاره والثرة كذلك (٢) أي عبيدا (٣) جمع طمطم بالكسر الذي في لسانه عجمة لا يفصح

بجمل كل رجل منكم على التقدم قبل صاحبه فلا يكون ذلك منكم فيجذب في آدابكم
مطعنا فإنه ملك قادر مسلط . ثم دعا لهم بما في خزانته من طرائف خلل الملوك كل
رجل منهم حلّة وعمه عمامة وختمه بياقوتة وأمر لسكل رجل منهم بنجينة مهربة
وفرس نجبية وكتب معهم كتابا : « أما بعد فإن الملك ألقى إلى من أمر العرب ما قد
علم ، وأجبت بما قد فهم ، بما أحببت أن يكون منه على علم ولا يتلجلج في نفسه
أن أمة من الأمم التي احتجرت دونه بملكيتها وحمت ما يليها بفضل قوتها تبلغها في
شيء من الأمور التي يمتاز بها ذؤو الحزم والقوة والتدبير والمكيدة وقد أوفدت إليها
الملك رهطاً من العرب لهم فضل في أحسابهم وأنسابهم وعقولهم وآدابهم فليسمع
الملك وليفامض عن جفاء إن ظهر من منطقهم وليكرمني بكرامهم وتمجبل سراحهم .
وقد نسبتهم في أسفل كتابي هذا إلى عشائرم » ، ففرج القوم في أهبتهم حتي وقفوا
يباب كسرى بالدائن ، فدفعوا إليه كتاب النمان قراء وأمر بإزالمهم إلى أن يجلس
لهم مجلساً يسمع منهم فلما أن كان بعد ذلك بأيام أمر مرزبته^(١) ووجوه أهل مملكته
فحضروا وجلسوا على كراسي عن يمينه وشماله ، ثم دعا بهم على الولاء والمراتب التي
وصفهم النمان بها في كتابه وأقام الترجان ليؤدى إليه كلامهم . ثم أذن لهم في الكلام .
فقام أكرم بن صيفي فقال :

إن أفضل الأشياء أعاليها ، وأعلى الرجال ملوكها ، وأفضل الملوك أهمها
نفعاً ، وخير الأزمنة أخصبها ، وأفضل الخطباء أسدقها ، الصدق منجاة ،
والكذب مهواة ، والشر لجابة ، والحزم مركب صعب . والعجز مركب وطيء ،

(١) جمع مرزبان بضم الزاي وهو رئيس الفرس تكلما به قديما ، كذا
في صفاء الغليل وفي لسان العرب : وأما المرزبة من الفرس فمعرب ، وقال
ابن برى حكى عن الأصمعي أنه يقال للرئيس من العجم مرزبان ومرتبان
بالراء والزاي وأشد في المعجم لبعض الشعراء :

الدار داران ابوان وغمدان والملك ملكان ساسان وقحطان
والأرض فارس والاقليم بابل وال اسلام مكة والدينا خراسان
إلى أن قال :

قد رتب الناس جم في مراتبهم فمرزبان ويطريق وطاخان

آفة الرأي الهوى ، والعجز مفتاح الفقر ، وخير الأمور الصبر ، حسن الظن ورطة ، وسوء الظن عصمة ، إصلاح فساد الرعية خير من إصلاح فساد الراعى ، من فسدت بطائنته كان كالتفاس بالماء ، شر البلاد بلاد لا أمير بها ، شر الملوك من خافه البرى .
المرء يعجز لا محالة ، أفضل الأولاد البررة . خير الأعوان من لم يُراء بالنصيحة ، أحق الجنود بالنصر حسنت سيرته . يكفيك من الزاد ما بلفك المحل ، حسبك من شر سماعه^(١) ، الصمت حكم ، وقليل فاعله . البلاغة الإيجاز ، من شدد نقر ، ومن تراخى تألف . فتعجب كسرى من أكرم . ثم قال : ويحك يا أكرم ما أحكمك وأوثق كلامك ، لولا وضعك كلامك فى غير موضعه . قال أكرم : الصديق ينهى عنك لا الوعيد . قال كسرى : لو لم يكن للعرب غيرك لكفى . قال أكرم : رب قول ، أفتد من صول^(٢) .

ثم قام حاجب بن زرارة النخعي فقال : ورى زندك ، وعلت يدك ، وهيب سلطانك . إن العرب أمة قد غلظت أكبادها ، واستحصدت مرثها^(٣) ، ومنعت درتها ، وهى لك وامقة^(٤) ما تألفتها ، مسترسلة ما لا ينتها ، ساممة ما ساعتها ، وهى الملقم مرارة ، وهو الصاب^(٥) قضاضة ، والصل حلاوة ، والماء الزلال سلاسة . نحن وفودها إليك ، وألسنتها لديك ، ذمتنا عفوطة ، وأحسابنا ممنوعة ، وعشارنا فينا ساممة مطيعة ، إن نؤب لك حامدين خيراً فلك بذلك عموم متمدنتنا ، وإن نذم لم نخض بالدم دونها . قال كسرى : يا حاجب ما أشبه حجير التلال بالوان صخرها . قال حاجب : بل زئير الأسد بصولها . قال كسرى : وذلك .

(١) أى اكتف من الشر بسماعه ولا تعابنه ويجوز ان يريد يكفيك سماع الشر وان لم تقدم عليه ولم تنسب اليه مثل قائلته فاطمة بنت الخرشب الانمارية أم الربيع بن زياد العبسي لما اراد قيس بن زهير اخذها براحتيها ليرتھنها بالسرع التى كان ابنها اخذها منه ، يضرب عند العار والمقالة السيئة ويخاف منها كما فى فرائد الال (٢) ويروى رب قول اشد من صول ، الصول: الحملة والوثبة عند الخصومة والحرب - يضرب عند الكلام يؤثر فيمن يواجه به وقد يضرب فى ما يتبقى منه ، واشد نقت قول كما فى الفرائد للاحدب .
(٣) المرة بالكسرة القوة والسدة ، واستحصدت : استحكمت
(٤) أى مجبة (٥) شجير مر

ثم قام الحارث بن عمار البكرى فقال : دامت لك الملكة باستكمال جزيل حظها ، وعلو سنائها ، من طال رشاؤه ^(١) كثر متعته ، ومن ذهب ماله قل منحه ^(٢) تنافل الأثاويل يعرف اللب . وهذا مقام سيوجف ^(٣) بما تنطق به الركب وتعرف به كنه حالنا المعجم والعرب ، ونحن جيرانك الأدنون ، وأعوانك المينون ، خيولنا جمّة ، وجيوشنا نخمة . إن استنجدتنا فغير رُبض ^(٤) وإن استطرقتنا فغير جُهض ^(٥) ، وإن طلبتنا فغير مُعْض لا نفشي لدُهر ، ولا نتكر لدُهر ، رماحنا طوال ، وأعمارنا قصار ، قال كسرى : أنفُسُ عزيزة والله ضعيفة . قال الحارث : أيها الملك وأتّي يكون لضميف غزّة أو لصغير مرّة . قال كسرى : لو قصر عمرك لم تستول على لسانك نفسك . قال الحارث : أيها الملك إن الفارس إذا حمل نفسه على الكتيبة مفرراً بنفسه على الموت فهي منية استقبلها ، وجنان استدبرها ، والعرب تعلم أني أثبت الحرب قدما وأحبسها ، وهي تصرف بها حتى إذا جاشت نارها ، وسمرت لظاها ، وكشفت عن ساقها ، جعلتُ مقادها رمحي ، وبرقها سيفي ، ورعدها زبري ، ولم أقصر عن خوض ضحضاحها ^(٦) . حتى أنفمس في كُفَرَات لججها ، وأكون فلكا لفرسانى إلى مجبوحة كبشما ^(٧) . فاستمطرها دما وأترك هامتها جزر السباع وكل نسرٍ قشعم ^(٨) . ثم قال كسرى لمن حضره من العرب : أ كذلك هو ؟ قالوا : فعاله انطلق من لسانه . قال كسرى : ما رأيت كالأيوم وفداً أحشد ، ولا شهوداً أوفد .

ثم قام عمرو بن الشريد السلمي فقال : أيها الملك نم بالك ، ودام في السرور حالك ، إن عاقبة الكلام متدبرة . وإشكال الأمور معتبرة ، وفي كثير ثقلة ، وفي قليل بُلْنة ^(٩) . وفي الملوك سورة المز ، وهذا منطلق له ما بعده ، شرف فيه

(١) الرشاء : الحبل والجمع ارشية مثل كساء واكسيه ، والتمح : الاستقاء
(٢) المنح المعطاء (٣) وجف بجف وجيفا : اضطرب (٤) رجل ربض عن الحاجات والاسفار بوذن جنب لا ينهض فيها (٥) أى فقير ما ميعين
(٦) الضحضاح من الماء الذى يظهر منه القمر (٧) مجبوحة المكان : وسطه
(٨) قشعم كجعفر المسن من الرجال والنسور (٩) ما يبلغ به من العيش

من شرف ، وخل فيه من خل ، لم نأت لعنيمك ، ولم نغد لسخطك ، ولم نتعرض
لرفيك^(١) إن في أموالنا منتقداً ، وعلى عزنا معتمداً ، إن أؤرئنا ناراً ألقينا ،
وإن أردود^(٢) دهر بنا اعتدلنا ، إلا أنا مع هذا لجوارك حافظون ، ولن رامك كاخفون
حتى يحمد المصدر ، ويستطاب الخبر . قال كسرى : ما يقوم قصد منطقك بإفراطك ،
ولا مدحك بنسك ، قال عمرو : كفى بقليل قصدي هادياً ، وبأيسر إفراطى غبراً ،
ولم يلم من عزبت نفسه عما يعلم ، ورضى من القصد بما بلغ . قال كسرى : ما كل
ما يعرف المرء ينطق به ، اجلس .

ثم قام خالد بن جعفر الكلبي فقال : أحضر الله الملك إسماعداً ، وأرشده إرشاداً ،
إن لكل منطق فرصة ، ولكل حاجة غصة : وعي النطق أشد من عي
السكوت . وعثار القول أنكأ من عثار الوعث^(٣) وما فرصة النطق عندنا إلا
بما نهوى ، وغصة النطق بما لانهوى غير مستساغة ، وترك ما أعلم من نفسي
ويعلم من مممى أنى له مطيق أحب إلى من تكلفى ما أخوف ويتخوف منى .
وقد أوفدنا إليك ملكنا النعمان ، وهو لك من خير الأعوان ، ونعم حامل
المعروف والإحسان ، أنفسنا بالطاعة لك باخمة^(٤) . ورقابنا بالنصيحة خاضعة ،
وأيدنا لك بالوفاء رهينة . قال له كسرى : نطقك بعقل ، وسمرت بفضل .
وعلوت بقبول .

ثم قام علقمة بن علاثة العامري فقال : نهجت لك سبيل الرشاد ، وخضعت لك
رقاب العباد ، إن للأقاييل مناهج ، وللآراء موالج ، وللعويس غارج ، وخير القول
أصدقه ، وأفضل الطلب أنجح ، إنا وإن كانت المحبة أحضرتنا . والوفادة قربتنا ،
فليس من حضرك منا بأفضل ممن عذب عنك . بل لو قست كل رجل منهم وعلت

(١) الرفد : العطاء (٢) أى رفق والا رواد الإهمال وفى المنزل : الدهر ارود
مستبد أى لمن المعاملة غالب على أمره (٣) المكان السهل الدهش تغيب فيه
الاعتماد والطريق العسر ووعث الطريق كسمع وكرم تعمير سلوكه واوعث
وقع فى الوعث واسرف فى المال . (٤) يقال يخع نفسه بخما من باب نفع
قتلها من وجد أو غيظ وبخع لى بالحق بخوما اتقاد وبدله .

منهم ما علمنا ، لوجدت له في آياته دنيا أنداءاً وأكفاه كلهم إلى الفضل منسوب ،
وبالشرف والسؤدد موصوف ، وبالأزى الفاضل والأدب النافذ معروف ، يحفى حماه ،
ويروى نداه ، وينود أعداءه ، لا تحمد ناره ، ولا يحتز منه جازه ، أيها الملك من
يل العرب يعرف فضلهم فاسطعن العرب فإنهم الجبال الرواسى عزا ، والبحور
الزواخر طميا ، والنجوم الزواهر شرقا ، والحصى عدداً ، فإن تعرف لهم فضلهم
يمزوك ، وإن تستصرخهم لا يخنلوك ، قال كسرى وخشى أن يأتي منه كلام يحمله
على السخط عليه : حسبك ، أبلت وأخسنت .

ثم قام قيس بن مسعود الشيباني فقال : أطلب الله بك المرشد ، وجنبتك
المصائب ، ووقاك مكروه الشصائب^(١) ما أحقنا إذ أتيناك بإسماعك ما لا يحق
صدرك ، ولا يزرع لنا حقداً في قلبك ، لم قدم أيها الملك لسانا ، ولم تنتسب
لمادة ، ولكن لتعلم أنت ورعيتك ومن حضرك من وفود الأمم أنا في المنطق
غبر مجبين ، وفي الناس غير مقصرين ، إن جورينا فنير مسيقين ، وإن
سومينا فنير مغلوبين : قال كسرى : غير أنكم إذا عاهدتم فنير وافين ، وهو
يمرض به في تركه الوفاء بضمانه السواد ، قال قيس : أيها الملك ما كنت في ذلك
إلا كوافٍ غدر به أو تكافر أخفر بنمته . قال كسرى : ما يكون لضيف ضمان
ولا لتدليل خفارة . قال قيس : أيها الملك ما أنا فيا أخفر من ذمتي أحق بإزاي
العار منك فيا قتل من رعيتك ، وانتهك من حرمتك ، قال كسرى : ذلك من
اثمن الخيانة ، واستنجد الأئمة . ناله من الخطأ ما نالني ، وليس كل الناس سواء ،
كيف رأيت حاجب بن زرارة لم يحكم قواه فيهرم ويعد فيوفي ويعد فينجز . قال :
وما أحقه بذلك وما رأيت إلا لي . قال كسرى : القوم بزل فأفضلها أشدها .

ثم قام عامر بن الطفيل المامري فقال . كثر فنون المنطق وليس القول أعمى من
حنديس الظلماء ، وإنما الفخر في القتال ، والمعجز في النجدة ، والسؤدد مطاوعة

(١) أي الشدائد .

القدرة ، وما أعلمك بقدرنا ، وأبصرَكَ بفضلنا ، وبالحرى إن أدالت الأيام ، وثابت الأحلام ، أن تحدث لنا أموراً لها أعلام . قال كسرى : وما تلك الأحلام ؟ قال يجتمع الأحياء من ربيعة ومضر ، على أمر يذكرك ، قال كسرى : وما الأمر الذى يذكرك ؟ قال : مالى علم بأكثر مما خبرنى به مخبر . قال كسرى : متى تكاهنت يا ابن الطفيل ؟ قال : لست بكاهن ، ولكنى بالرمح طاعن . قال كسرى : فإن أذاك أت من جهة عينك الموراء ما أنت سانع ؟ قال : ماهيتى فى قفاى بدون هيبى فى وجهى وما أذهب عيني فى عبث ولكن مطاوعة الميث .

ثم قام عمرو بن معد يكرب الزبيدى فقال : إنا المرء بأصغريه قلبه ولسانه ،^(١) فبلاغ المنطق الصواب ، وملاك النجدة الارتداد ، وعفو الرأى خير من استكراه الفكرة ، وتوقيف الخبرة ، خير من اعتساف الخبرة ، فاجتهد^(٢) طاعتنا بلطفك ، واكظم بآدرتنا بجلحك^(٣) ، وألن لنا كمتفك^(٤) يسلس لنا قيادنا^(٥) ، فإنا أناس لم يوقس صفاتنا قراع مناقير من أراد لنا قضا ، ولكن معنا حمانا من كل من رام لنا هضما .

ثم قام الحارث بن ظالم الرى فقال : إن من آفة المنطق الكذب ، ومن

(١) هما القلب واللسان لصغر حجمهما وقيل سميا بذلك لانهما اكبر ما فى الانسان معنى وفضلا من باب التصغير للتعظيم كانه قيل المرء يقوم معانيه بهما او يكمل بهما ، قاله شقة بن ضمرة حين قال له التميم بن المنذر : لان تسمع بالمعدي خير من ان تراه ، فقال ابيت اللعن ان الرجال ليسوا بجزر تراد منها الاجسام وانما المرء باصغريه قلبه ولسانه ان قال قال بلسان وان قائل قائل بجنان ، فلما رأى المنذر عقله وبيانه سماه باسم ابيه ضمرة فقيل ضمرة بن ضمرة . (٢) الجيد والاجتياز : الجلب . (٣) يقال كظم غيظه يكظمه كظما : اجترعه كما فى الصحاح وقيل رده وجسه واحتمل سببه وصبر عليه وهو مجاز مأخوذ من كظم البعير الجرة ومنه قوله تعالى : « والكاذمين الغيظ والمافين من الناس » والبادرة : ما يبر من حدثك فى الغضب بلغت الغاية فى الاسراع من قول او فعل وبادرة الشر ما يبدوك منه يقال اخشى عليك بادرته وبادرت منه بوادر غضب اى خطأ وسقطات عندما احدث وقال النابغة :

ولا خير فى حلم اذا لم تكن له بوادر تحمى صفوه أن يكدرها

(٤) الكنف بفتح الجيم : الجانب . (٥) يقال فلان سنلس القياد وصعبه وهو على المثل اى يتابعك على هوالك كما فى الاساس ، وفى حديث على (رضن) : فمن اللهج بالذة السلس القياد .

لؤم الأخلاق المَلَقَ ، ومن حطل الرأى خفة الملك السلط ، فَإِنْ أَعْلَمْنَاكَ أَنَّ مُوَاكِفَتَنَا
لك عن ائْتِلَاف ، وإِفَادَتَاكَ عن تصاف ، مَا أَنتَ لِقَبُولِ ذَلِكَ مِنَّا بِخَلِيقٍ ، وَلَا
لِلْإِعْتَادِ عَلَيْهِ بِحَقِيقٍ ، وَلَكِنِ الْوَفَاءُ بِالْمُيُودِ ، وَأَحْكَامُ وَكَلِّ الْمَقُودِ ، وَالْأَمْرُ بَيْنَنَا
وَبَيْنَكَ مَعْتَدِلٌ . مَا لَمْ يَأْتِ مِنْ قَبْلِكَ مِيلٌ أَوْ زَلَلٌ . قَالَ كَسْرَى : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ
الْحَارِثُ بْنُ ظَالِمٍ . قَالَ : إِنْ فِي أَسْمَاءِ آبَائِكَ لِدَلِيلَا عَلَى قِلَّةِ وَقَائِكَ ، وَأَنْ تَكُونَ
أَوَّلَى بِالْبَنْدَرِ ، وَأَقْرَبَ مِنَ الْوِزْرِ . قَالَ الْحَارِثُ : إِنْ فِي الْحَقِّ مَغْضِبَةٌ ، وَالسُّرُورِ وَالْإِغْثَالِ ،
وَلَنْ يَسْتَوْجِبَ أَحَدُ الْحِلْمِ إِلَّا مَعَ الْقُدْرَةِ ، فَلْتَشَبِهْ أَهْلَكَ بِجِلْسِكَ ، قَالَ كَسْرَى :
هَذَا فِي الْقَوْمِ . ثُمَّ قَالَ كَسْرَى : قَدْ فَهِمْتُ مَا نَطَقْتَ بِهِ خُطْبَاؤُكُمْ : وَتَفَنَّنَ فِيهِ
مُتَكَلِّمُكُمْ ، وَلَوْلَا إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ الْأَدَبَ لَمْ يَنْقُبْ أَوْدُكُمْ^(١) وَلَمْ يَحْكَمْ أَمْرَكُمْ ، وَإِنَّهُ
لَيْسَ لَكُمْ مَلِكٌ يَجْمَعُكُمْ فَيَنْطِقُونَ عَنْهُ مِنْطِقَ الرِّعْيَةِ الْخَاضِعَةِ الْبَاخِعَةِ . فَنَطَقْتُمْ
بِمَا اسْتَوْلَى عَلَى السُّنَنِ ، وَغَلَبَ عَلَى طِبَاعِكُمْ ، لَمْ أَجْزِ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا تَكَلَّمْتُمْ بِهِ ،
وَأَنْ لَا تُكْرَهُ أَنْ أَجِيبَهُ وَفُودَى أَوْ أَحَقَّ صُدُورَكُمْ ، وَالَّذِي أَحَبُّ مِنْ إِصْلَاحِ
مَدْبَرِكُمْ ، وَتَأَلَّفِ شَوَازِكُمْ ، وَالْإِعْذَارُ إِلَى اللَّهِ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، وَقَدْ قِيلَتْ فِيمَا كَانَ
فِي مَنْطِقِكُمْ مِنْ صَوَابٍ ، وَصَفَحْتَ عَمَّا كَانَ فِيهِ مِنْ خُلَلٍ ، فَانصَرَفُوا إِلَى مَلِكِكُمْ
فَأَحْسَنُوا مُؤَازَرَتَهُ ، وَالتَّزَمُوا طَاعَتَهُ ، وَادْعُوا سَفَهَاءَكُمْ ، وَأَقِيمُوا أَوْدَكُمْ ، وَأَحْسِنُوا
أَدَبَهُمْ ، فَإِنْ فِي ذَلِكَ صَلَاحٌ الْعَامَّةِ .

كَلَامُ لَدِينِ الْمُقَفَّعِ فِي فَضْلِ الْعَرَبِ

رَوَى أَبُو الْمِيْنَاءِ الْهَاشِمِيُّ عَنِ الْفَخْرِيِّ بْنِ شَيْبٍ قَالَ : كُنَّا وَقُوفًا
بِالرَّيْدِ مَوْضِعَ الْبَصْرَةِ وَكَانَ الرَّيْدُ مَأْلَفَ الْأَشْرَافِ ، إِذْ أَقْبَلَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ
فَبَشَّيْنَا^(٢) بِهِ وَبَدَأَنَاهُ بِالسَّلَامِ فَردَ عَلَيْنَا السَّلَامَ ، ثُمَّ قَالَ : لَوْ مِلْتُمْ إِلَى نِيروزِ

(١) يُقَالُ نَقَفْتُهُ بِالتَّشْدِيدِ إِذَا قَمِيتَ الْمَوْجَ مِنْهُ ، وَالْأَوْدُ الْإِعْجَاجُ .

(٢) قَالَ يَعْقُوبُ يُقَالُ لَقِيْتَهُ فَتَشَبَّشْتُ بِهِ وَأَصْلُهَا تَبَشَّشْتُ بِهِ فَبَدَّلُوا مِنَ
النِّسْبِ الْوَسْطَى بِأَنَّ كَمَا قَالُوا تَجَفَّفَ .

وظلها الظليل ، وسورها الديد ، ونسيمها المجيب ، فودتم أبدانكم تمهيد الأرض ، وأرحتم دوابكم من جهد الثقل ، فإن الذى تطلبونه لم تقاتوه ، ومهما قضى الله لكم من شيء تناووه ، فقبلنا وملنا فلما استقر بنا المكان ، قال لنا أى الأمم أعقل ؟ فنظر بعضنا إلى بعض فقلنا : لعله أراد أصله من فارس فقلنا : فارس فقال ليسوا فنظر بعضنا إلى بعض فقلنا : لعله أراد أصله من فارس فقلنا : فارس . فقال ليسوا بذلك إنهم ملكوا كثيراً من الأرض ، ووجدوا عظيماً من الملك ، وغلبوا على كثير من الخلق ، ولبت فيهم عقد الأمر ، فاستنبطوا شيئاً بقولهم ، ولا ابتدعوا باقى حكم فى نفوسهم . قلنا : فالروم . قال : أصحاب صنعة . قلنا : فالصين . قال : أصحاب طرفة . قلنا : فالهند . قال : أصحاب فلسفة . قلنا : السودان . قال : شر خلق الله . قلنا الترك . قال : كلاب مختلصة . قلنا : الخزر . قال : بقرساعة قلنا : قتل . قال : العرب . قال فضحكنا قال : أما إني ما أردت موافقتكم ، ولكن إذ فاني حظي من النسبة ، فلا يفوتني حظي من المرفة . إن العرب حكمت على غير مثال مثل لها ، ولا آثار أثرت ، أصحاب إبل وغنم ، وسكان شمر وأدم ، يوجد أحدهم بقوته ، ويفضل بمجهوده ، ويشارك في مسوره وممسوره ، ويصف الشيء بعقله فيكون قدوة ، ويفعله فيصير حجة ، ويحسن ماشاء فيحسن ، ويقبح ماشاء فيقبح ، أدبهم أنفسهم ورفقتهم همهم وأعلتهم قلوبهم وألسنتهم ، فلم يزل حياء الله فيهم ، وحباؤهم فى أنفسهم ، حتى رفع لهم الفخر ، وبلغ بهم أشرف الذكر ، وختم لهم بملكهم الدنيا على الدهر ، وافتتح دينه وخلافته بهم إلى الحشر على الخير فيهم ولهم ، فقال سبحانه « إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » ، فن وضع حقهم خسر ، ومن أنكر فضلهم خصم ، ودفع الحق باللسان ، أكبت للجنان .

مذهب السموية في العرب وإبطاله

السموية فرقة من الناس ذهبوا إلى تصنيف شأن العرب . وإنهم لا يرون لهم

فضلا على غيرهم من سُئوا بذلك لانتصارهم للشعوب التي هي منافرة للقبائل . فقد قال جمع من المفسرين في قوله تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل) : إن القبائل للعرب ، والشعوب للمعجم ، ومن الناس من قد يفضل بعض أنواع المعجم على العرب ، ومنهم أبو عبيدة وكان يرى رأى الطوائج وقد ألف كتابا في مثالب العرب وابن عَرَسِيَّة وله رسالة فصيحة في تفضيل المعجم على العرب وقد رد عليه علماء الأندلس بمدة رسائل . قال أبو عبيد البكري في شرح أمالي القالي : كتاب مثالب العرب أصله لزيد بن أبيه فإنه لما ادعى أبا سفيان أبا علم أن العرب لا تحقر له بذلك مع علمهم بنسبه فعمل كتاب المثالب . وألصق بالعرب كل عيب ومار وباطل وإفك وبهت . ثم فني على ذلك المهيثم بن عدى وكان دعيًّا فأراد أن يمر أهل الشرف تشفيًّا منهم ثم جدد ذلك أبو عبيدة ممر بن الثني وزاد فيه لأن أصله كان يهوديا ، أسلم جده على يدى بعض آل أبي بكر فأتى إلى ولاء تيم ، ثم نشأ غليلاں الشمونى الوراق وكان زنديقا ثنويا لا يشك فيه فعمل لطاهر بن الحسين كتابا خارجا عن الإسلام بدأ فيه بمثالب بنى هاشم وذكر مناكرهم وأمهاتهم ثم بطون قريش ثم سائر العرب ونسب إليهم كل كذب وزور ووضغ عليهم كل إفك وبهتان ووصله عليه طاهر بثلاثين ألفا . وأما كتاب المثالب والمناقب الذى بأيدي الناس اليوم فإِنما هو للنضر ابن شميل الحيرى ، وخالد بن سلمة الخزوى ، وكانا أنسب أهل زمانهما أمرهما هشام بن عبد الملك أن يبيئا مثالب العرب ومناقبها ، وقال لهما ولن انضم إليهما : دعوا قريشاً بما لهما وما عليها فليس لقريش في ذلك الكتاب ذكر انتهى وكثير من الأماجم يرى هذا الرأى ، روى عن بديع الزمان الحمدانى أنه قال : كنت عند صاحب كافى الكفاة أبى القاسم إسماعيل بن عباد يوما وقد دخل عليه شاعر من شعراء المعجم ، فأنشده قصيدة يفضل فيها قومه على العرب وينهمهم وهى :

غنيها بالطبول عن الطلول وعن غنس عنافرة ذمول^(١)
وأذهلني عقار عن عقار في است أم القضاة مع المدول
فلست بتارك إيوان كسرى لتوضح أو لحومل فاه خول^(٢)
وضب بالفلا ساعر وذنب بها يموى وليث وسط غيل^(٣)
يسلون السيوف لرأس ضب حراشا بالنداء والأصيل^(٤)
إذا ذبحوا فذلك يوم عيو وإن تحروا في عرس جليل
أما لو لم يكن للفرس إلا نجار صاحب القرم النبيل^(٥)
لكان لهم بذلك خير نخر وجملهم بذلك خير جيل
فلما وصل إلى هذا الموضع من إنشاده قال له صاحب : فذاك . ثم اشرب^(٦)
ينظر إلى الروايا وأهل المجلس وكنت جالسا في زاوية من البهو^(٧) فلم يرنى فقال :
ابن أبي الفضل . قممت وقبلت الأرض وقلت : أمرك . وقال : أجب عن ثلاثك
قلت : وما هي ؟ قال : أدبك ونسيك ومذهبك . قلت : لا فسحة للقول ولا راحة
للطبع إلا السرد كما تسمع . ثم أنشدت أقول :

أراك على شفا خطر مهول بما أودعت لفظك من فضول
تريد على مكارمنا دليلاً متى احتاج النهار إلى دليل ؟
ألسنا الضارين جزى عليكم وإن الجزى أولى بالدليل
متى قرع المنابر فأرسي متى عرف الأعر من المحول

- (١) العلافير كملابط الاسد والعظيم الشديد من الابل ، والذمول الناقة التي تدمل في سيرها والدميل السير اللين ماكان او فوق العنق .
(٢) يشير بهذا الى ما قاله امرؤ القيس في معلقته وهو :
قفانك من ذكرى حبيب ومنزل يسقط اللوى بين الدخول فحول
فتوضح فالقراءة لم يعرف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمال
وكل هذه أسماء مواضع . (٣) الفلا جمع فلاة وهي القفر ، والفيل : موضع الاسد . (٤) حرش الضب : صاده ، والأصيل : العشى .
(٥) النجار بالكسر الاصل ، والقرم : السيد . (٦) يقال اشرب اليه مد منقه لينظر أو ارتفع الاسم الشرايبية كالطمانينة . (٧) البهو البيت المقدم أمام البيوت .

مَنْ عَرَفَتْ - وَأَنْتَ بِهَا زَعِيمٌ - أَكْفُ الْفُرسِ أَعْرَافَ الْخَيْلِ
نَحَرَتْ بِمِلْءٍ مَا صَنَعْتَكَ هُبُجْرًا عَلَى قَصَظَانَ وَالْبَيْتِ الْأَسِيلِ^(١)
وَتَفَخَّرَ أَنَّ مَا كَوَّلَا وَلِبْسًا وَذَلِكَ نَحَرُ رَبَّاتِ الْحُجُولِ
فَخَاخِرُهُنَّ فِي خَنْدِ أَسِيلٍ وَفَرْعٍ فِي مَفَارِقِهَا رَسِيلِ
وَأَعْبُدْ مَنْ أَيْبُكَ إِذَا تَزَيَّا عُرَاةَ كَالْيُوثِ عَلَى الْخُلُيُولِ

قال : فلما أتممت إنشادى التفت إليه صاحب وقال له : كيف رأيت ، قال
لو سمعت به ما صدقت . قال : فإذا جازتكَ جوازك إن رأيتك بعد هذا ضربت
عنقك . ثم قال : لا أدري أحداً يفضل المعجم إلا وفيه عرق من الجوسية ينزع
إليه .^(٢) والبالغ أن مثل هذا الكلام لا يصدر إلا عن نوع نفاق إما في الاعتقاد
وإما في العمل التبعث عن هوى النفس مع شبهات اقتضت ذلك ، ولهذا جاء
في الحديث « حب العرب إيمان وبغضهم نفاق » ، مع أن الكلام في هذه المسائل
لا يكاد يخالو عن هوى النفس من الطرفين ، وهذا في الشريعة محرم في جميع
المسائل ، فإن الله تعالى قد أمر المؤمنين بالاعتصام بحبل الله ونهاهم عن التفرق
والاختلاف وأمرهم بإصلاح ذات البين : وفي الحديث : مثل المؤمنين في توادهم
وتراحمهم وتماطفهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد
بالسهر والحسنى . وفي حديث آخر : لا تقاتلوا ولا تدابروا ولا تباعدوا
ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم الله تعالى . وإنى لا أعجب من
غير المسلمين إذا نازع في هذه المسألة ، وإنما العجب ممن يلتزم أمر الشريعة
ويخالف فيما سمعت من فضل العرب مع ما ورد من النصوص الصريحة في ذلك .
فقد روى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن العباس رضى الله تعالى عنه ، قال :
بلغ النبي صلى الله عليه وسلم بعض ما يقول الناس ، قال فعمد المنبر فقال :

(١) الماضغان أصول اللحيين عند منبت الأضراس ، والهجر بالضم التبييع
من الكلام . (٢) أى يميل إليه .

من أنا؟ قالوا: أنت رسول الله، فقال: أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب،
إن الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه، وجعلهم فرقتين، فجعلني في خير فرقة،
وخلق القبائل فجعلني في خير قبيلة، وجعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً، فأنا
خيركم بيتاً وخيركم نفساً.. فأخبر صلى الله تعالى عليه وسلم أنه ما انقسم الخلق
فرقتين إلا كان هو في خير الفريقين. وقوله في الحديث خلق الخلق فجعلني
في خيرهم ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خير فرقة يحتمل شيئين: أحدهما: أن الخلق
هم الثقلان أي الجن والإنس أو هم جميع ما خلق في الأرض وبنو آدم خيرهم.
وإن قيل بموم الخلق حتى تدخل فيه الملائكة ففيه تفضيل جنس بني آدم على
جنس الملائكة وله وجه صحيح، ثم جعل بني آدم فرقتين وهما العرب والعجم،
ثم جعل العرب قبائل، فكانت قريش أفضل قبائل العرب، ثم جعل قريشاً
بيوتاً، فكانت بنو هاشم أفضل البيوت. ويحتمل أنه أراد بالخلق بني آدم،
فكان في خيرهم - أي في ولد إبراهيم أو في العرب - ثم جعل بني إبراهيم
فرقتين، بني إسماعيل، وبني إسحاق، وجعل العرب عدنان وقحطان، فجعلني
في بني إسماعيل في بني عدنان، ثم جعل بني إسماعيل وبني عدنان قبائل، فجعلني
في خيرهم قبيلة وهم قريش. وعلى كل تقدير فالحديث صريح بتفضيل العرب
على غيرهم، ولهذا وردت أخبار صحيحة في محبتهم والاعتناء بشأنهم منها: أن
حب العرب إيمان وبنفسهم كفر. من أحب العرب فقد أحبني، ومن أبغض
العرب فقد أبغضني. ومنها: من غش العرب لم يدخل في شفاعتي ولم تله مودتي.
وذلك لأن النش للنوع لا يكون مع محبتهم بل لا يكون إلا مع استخفاف أو
بغض. ومنها: أحبوا العرب ثلاث لأني عربي، والقرآن عربي، ولسان أهل
الجنة عربي. وروى الترمذي عن سلمان الفارسي رضى الله تعالى عنه أنه قال:
فضلتمونا يامعشر العرب بأثنتين لا تؤمكم ولا تنكح نساءكم. وهذا مما احتج
به أكثر الفقهاء الذين جملوا العربية من الكفاءة بالنسبة إلى المعجمي، واحتج

به أحد في إحدى الروايتين على أن الكفاءة ليست حقاً لواحد معين بل هي من الحقوق المطلقة في النكاح حتى إنه يفرق بينهما عند عدهما . واحتج أصحاب الشافعي بهذا على أن الشرف مما يوجب التقديم في الصلاة . وذكر أبو محمد حرب ابن إسماعيل الكرماني صاحب الإمام أحمد في وصفه للسنة التي قال فيها هذا مذهب أئمة المسلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المروفين بها المقتدى بهم فيها وأدرت من أدرت من علماء أهل العراق والشام وغيرهم عليها ، فن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مبتدع خارج من الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق . وهو مذهب أحد وإسحاق بن إبراهيم بن محمد وعبد الله بن الزبير الحميدي وسعيد بن منصور وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم . وكان من قولهم : إن الإيمان قولٌ وعملٌ ونيةٌ وساق كلاماً طويلاً إلى أن قال : ونفر للعرب حقاً وفضلها وسابقتها ونحبهم لحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : حبُّ العرب إيمانٌ وبفضهم نفاق ، ولا نقول بقول الشيوعية وأردال الموالى الذين لا يحبون العرب ولا يقرّون بفضلهم ، فإن قولهم بدعة وضلال ، عند ذوى الفضل والكمال . انتهى . والأحاديث في هذا الباب كثيرة ، وللحافظ المراق رسالةٌ في ذلك سماها (القُرب في عجة العرب) . وكذا لنيره من العلماء المتقدمين :

سُبه الشيوعية وإبطالها

قالت الشيوعية : إنا ذهبنا إلى العدل والتسوية وإن الناس كلهم من طينة واحدة وسلالة رجل واحد ، واحتججنا بقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : المؤمنون إخوة تنكأاً دماؤهم ، ويسى بذمتهم أدناهم . وهم يد على من سواهم . وقوله في حجة الوداع وهي خطبته التي ودع فيها أمته وختم نبوته : أيها الناس إن الله تعالى أذهب عنكم نخوة الجاهلية ونغرها بالآباء كلكم لآدم ، وآدم من تراب ،

ليس لمربي على عجبى فضل إلا بالتقوى . وهذا القول من النبي عليه الصلاة والسلام موافق لقوله تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) فأيتهم إلا فخرًا وقلتم لا تساويننا المعجم وإن تقدمتنا إلى الإسلام ثم صلت حتى تصير كالحنى وصامت حتى تصير كالأوتار . ونحن نساعدكم ونجيبكم إلى الفخر بالآباء الذى نهاكم عنه نبيكم صلى الله تعالى عليه وسلم إذ أيتهم إلا خلافة وإنما نجيبكم إلى ذلك لإتباع حديثه وما أمر به صلى الله تعالى عليه وسلم فترد عليكم حجبتكم فى الفاخرة وقول : أخبرونا إن قالت لكم المعجم هل تمدون الفخر كله أن يكون ملكا أو نبوة ؟ فإن زعمتم أنه ملك ، قالت لكم : وإن لنا ملوك الأرض كلها من الفراعنة والعمارة والمهالقة والأكامرة وأقياصرة ، وهل ينبى لأحد أن يكون له مثل ملك سليمان عليه الصلاة والسلام الذى سخرت له الإنس والجن والطيور والريح وإنما هو رجل منا ؟ أم هل كان لأحد مثل ملك الإسكندر الذى ملك الأرض كلها وبلغ مطلع الشمس ومغربها وبني رذما^(١) من حديد ساوى به بين الصدفين^(٢) وسجن وراه خلقًا من الناس تربو على خلق الأرض كلها كثرة ؟ يقول الله عز وجل : (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون)^(٣) ، فليس شئ على كثرة عددهم من هذا وليس لأحد من ولد آدم مثل آثاره فى الأرض ولو لم يكن إلا منارة إسكندرية التى أسسها فى قمر البحر وجعل فى رأسها منارة يظهر البحر كله فى زجاجتها . وكيف ومنا ملوك الهند الذين كتب أحدهم إلى عمر بن عبد العزيز من ملك الأملاك الذى هو ابن ألف ملك ، والذى تحته بنت ألف ملك ، والذى فى مربيته ألف فيل ، والذى له نهران ينبتان المود والقوة والجوز والكافور الذى يوجد ريحه على اثني عشر ميلا ، إلى

(١) هو السد بين يأجوج ومأجوج . (٢) الصدفان ناحيتان وقوله عز وجل ساوى بين الصدفين أى ما بين الناحيتين من الجبل .
 (٣) الحدب بفتحين ما ارتفع من الأرض، وينسلون أى يسرعون من النسلان وهو مقاربة الخطو مع الإسراع كمشى الذئب إذا أسرع يقال مر الذئب ينسل ويعسل .

ملك العرب الذي لا يشرك بالله شيئاً . أما بعد فإني أردتُ أن تبعثُ إلى رجلا يعلمني الإسلام ويوقفني على حدوده والسلام . . . وإن زعمتم أنه لا يكون الفخر إلا بنبوة فإن منا الأنبياء والمرسلين فاطبةً من لدن آدم ما خلا أربعةً هوداً وصالحاً وإسماعيل ومحمداً عليهم الصلاة والسلام . ومنا المصطفون من العالمين آدم ونوح وهما المنصران اللذان تفرع منهما البشر فنحن الأصل وأنتم الفرع ، وإنما أنتم غصن من أغصاننا قولوا بمد هذا ما شئتم وادعوا . ولم تزل الأمم كلها من الأعاجم في كل شق من الأرض لها ملوك تجتمعها ومدائن تضمها وأحكام تدين بها وفلسفة تنتجها وبدائع تفتقها في الأدوات والصناعات ، مثل صنعة الديباج وهي أبداع صنعة ، وللب الشطرنج وهي أشرف لعبة ، ورمانة القبان التي يوزن بها رطل واحد ومائة رطل ، ومثل فلسفة الروم في ذات الخلق والقانون والإصطلاب الذي يعدل به النجوم ويدرك به علم الأبعاد وتدركات الأفلاك وعلم الكسوف وغير ذلك من الآثار المتقنة ، ولم يكن للعرب ملكٌ يجمع سوادها ويضم قواصيها ، ويقع ظالمها وينهى سفيهاً ، ولا كان لها قط نتيجة في صناعة ولا أثر في فلسفة إلا ما كان من الشعر . وقد شاركتها فيه المعجم ، وذلك أن للروم أشعاراً عجيبة قائمة الوزن والعروض فما الذي تفتخر به العرب على المعجم فإنما هي كالدثائب العادية ، والوحوش النافرة ، يأكل بعضها بعضاً ويغير بعضها على بعض . فرجلها موثقون في حلق الأسر ، ونساؤها سبايا مردقات على حقائق الإبل ، فإذا أدركهن الصريح استنقذن بالمشى^(١) ، وقد وطنن كما توطأ الطريق المهيح^(٢) . فخر بذلك شاعر فقال : وأوثق عند المردقات عشية^(٣) قليل له ويحك وأي فخر أن تلحق بالمشى وقد نكحن وامتهن^(٤) . وقال جرير يميز بني دارم بنفلة فيس عليهم يوم رحرخان :

ورحرخان غداة كُبلَ معبد نكحت نساؤكم بفير مهور

(١) الواسع الواضح . (٢) تمامه : لحاقاً إذا ما جرى السيف مانع .

وقال عنتره لامراته

إن الرجال لهم إليك وسيلة^(١) أن يأخذوك تكحلي وتحضبي
وأنا امرؤ إن يأخذوني عنوة^(٢) أقرن إلى شد الركاب وأجنب
ويكون مركبك القمود ورحله وإن النمامة عند ذلك مركبي
أراد ابن النمامة ، بإذن القدم . وسبي ابن هبولة النساني امرأة الحارث بن
عمرو السكندى فلحقه الحارث فقتله واربع المراء ، وقد كان نال منها فقال لها :
هل كان أسابك ؟ قالت : نعم والله فاشتملت النساء على مثله . فأوثقها بين فرسين ،
ثم استحفرهما حتى قطعاهما ، وقال في ذلك :

كل أنثى وإن بدا لك منها آية^(٣) الود حبا خيتمور^(٤)
إن من غره النساء بود^(٥) بعد هنيء لجاهل مفور^(٦)
وسبت بنو سليم ربحانة أخت عمرو بن معد يكرب فارس العرب ، فقال فيها عمرو :
أمن (ربحانة) الداعي السميع يؤرقي^(٧) وأحبابي هجوع
وفيها يقول :

إذا لم تستطع أمراً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع^(٨)
وأغار الحوهران على بني منقذ بن زيد مناة فاحتمل الزرقاء من بني ربيع بن
الحارث فأعجبته وأعجبها فوقع بها ، ثم لحقه قيس بن عاصم فاستنفذها وردّها إلى
أهلها بعد أن وقع بها . فهذا كان شأن العرب والمجم في جاهليتها ، فلما أتى الله
بالإسلام كان للمجم شطر الإسلام . وذلك أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعث
إلى الأحمر والأسود من بني آدم ، وكان أول من تبمه حر وعبد ، واختلف الناس

(١) الخيتمور : السبيطة الخلق وكل ما لا يدوم على حالة .
(٢) قال الدماميني : يحكى أن شخصاً سأل الخليل أن يقرأ عليه علم
العروض فأقام مدة يختلف إليه للقراءة ولم يحصل شيئاً فاعيا الخليل أمره
ولم ير أن يواجهه بالمنع حياء منه فقال له يوما وقد حضر للقراءة قطع قول
الشاعر إذا لم تستطع البيت ففطن الرجل إلى ما أراد الخليل فأنصرف ولم
يعد ، وأنا أعجب ممن تفطن لمثل هذا كيف يصعب عليه فن العروض مع
سهولته والله مقدر الأمور .

فيهما فقال قوم : أبو بكر ، وبلال . وقال قوم : عليٌّ وصُهيْب . ولما احتضر عُمرُ ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه قدم صهيياً على المهاجرين والأنصار فصرى بالناس وقال له : استخلف . فقال : ما إخالى ممن أستخلف ، فذكر له الستة من أهل حِراء فكلهم طعن عليه ، ثم قال لو أدركت سالماً مولى أبى حذيفة حياً لاشككت فيه ، فقال فى ذلك شاعر العرب :

هذا صُهيْبُ أُمِّ كُلِّ مُهَاجِرٍ وعلا جميعَ قبائلِ الأنصارِ
لم يرضَ منهم واحداً لصلاتنا وهمُ الهداةُ وقادةُ الأخيارِ
هذا ولو كان الثرمُ سالمٌ حياً لنالَ خلافةَ الأمصارِ
مازال هذى المعجمُ تحميا دوننا إن العريبَ لى حمى وخسارِ

وقال بجير يعزّى الرب باختلافها فى النسب واستلحاقها للأدعياء :

زعمتُ بأن المند أَوْلَادُ خِنْدِفٍ وبينكمُ قرْبى وبين البرابرِ
وديلمُ من نَسَلِ ابنِ ضَبَّةَ بَاسِلٍ وبرجان من أَوْلَادِ مَرو بنِ عامِرِ
قد صار كلُّ الناسِ أَوْلَادُ واحدٍ وصاروا سواءَ فى أصولِ النصارِ
بنو الأصغرِ الأُملاكُ أكرمُ منكم وأولى بقرابنا ملوكُ الأكاسِرِ
أُطْلِعَ فى صهرى دَعِيًّا عَجاهاً ولم ترَ سترًا من دَعِيٍّ مُجَاهِرِ
وتشتمُ لؤمًا رَهطَه وقبيلَه وتمدح جهلا طاهراً وابنَ طاهرِ

وقال الحسن بن هانئ على منبب الشعوية :

وجاورت قَوْمًا ليس بينى وبينهم أَوامِرُ إِلَّا دَعْوَةٌ وبطونُ
إذا ما دعى باسمى التَّريُّفُ أُجِبتُهُ إلى دَعْوَةٍ مما على يَهونُ
لأردِ عَمانَ بنِ المَهلبِ بَزوة إذا اخضرَّ الأَموامُ ثم تَلينُ
وبكر يرى أن النبوة أُنزلت على مسمع فى البطن وهو جَنينُ
وفالت تميم : لا تَرى أن واحداً كَأُخفنا حتى المَلة يكونُ

فلالت قياسا بعدها في تقيية إذا افتخروا إن الحديث شجون^(١)
رد ابن تقيية على الشوعية

قال ابن تقيية في كتاب تفضيل العرب : وأما أهل التسوية فإن منهم قوماً أخذوا
ظاهر بعض الكتب والحديث فقصوا به ولم يفتشوا عن معناه ، فذهبوا إلى قوله
عز وجل : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل
لتمتعوا وإن أكرمكم عند الله أتقاكم) . وقوله : (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا
بين أخوتكم) . وإلى قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في خطبته في حجة الوداع :
(أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتفاخرها بالآباء ليس لعربي على
عجمي نفرة إلا بالتقوى ، كلكم لآدم وآدم من تراب) . وقوله صلى الله تعالى عليه
وسلم : (المؤمنون تنكأوا دماءهم ويسمى بنتمهم أديانهم وهم يد على من سواهم) .
وإنما المعنى في هذا أن الناس كلهم من المؤمنين سواء في طريق الأحكام والمثلة عند الله
تعالى والدار والآخرة ، لو كان الناس كلهم سواء في أمور الدنيا ليس لأحد فضل
إلا بأمر الآخرة لم يكن في الدنيا شريف ولا مشروف ، ولا فاضل ولا مفضول ،
فما معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : (إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه) . وقوله
صلى الله تعالى عليه وسلم : (أقبلوا ذوى الهيئات عثراتهم) . وقوله صلى الله تعالى
عليه وسلم في قيس ابن عاصم : (هذا سيد الوير) . وكانت العرب تقول : (لا يزال
الناس بخير ما تباينوا فإذا تساوا هلكوا) . تقول . لا يزالون بخير ما كان فيهم
أشراف وأخيار فإذا جلا كلهم جملة واحدة هلكوا . وإذا ذمت العرب قوماً قالوا :
« سواسية كأسنان الخمار » .^(٢) وكيف يستوى الناس في فضائلهم والرجل الواحد
لا يستوى في نفسه أعضاؤه ولا تنكأوا مفاصله ، ولكن لبعضها الفضل على بعض ،

(١) هذا مثل ولفظه : الحديث ذو شجون أى ذو طرق الواحد شجون
يسكون الجيم ، يضرب هذا المثل في الحديث بتذكر به غيره ، وأول من قاله
ضبة بن اد بن طابخة بن لياس ابن مضر ، وقصته مذكورة في كتب الامثال
فلترجع . (٢) قال في الصحاح هما في هذا الأمر سواء « وان شئت سواآن
وهم سواء للجمع وهم اسواء وهم سواسية مثل يمانية على غير قياس ، وفي

ولرأس الفضل على جميع البدن بالعقل والحواس الخمس وقالوا : القلب أمير الجسد ، ومن الأعضاء خادمة ومنها غدومة ، ثم قال : ومن أعظم ما أدعت الشعوبية نفخهم على العرب بآدم عليه السلام ، ويقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : « ولا تفضلوني عليه فإنما أنا حسنة من حسناته » . ثم نفخهم بالأنبياء أجدين وأنهم من المعجم غير أربعة هود وصالح وإسماعيل ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، واحتجوا بقول الله عز وجل : (إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذريةً بعضها من بعض والله سميع عليم) . ثم نفخوا بإسحق بن إبراهيم وأنه لسارة : وأن إسماعيل لآمة تسمى هاجر . وقال شاعرهم :

في بلدة لم تصل عُكُلُهَا طُنْبًا ولا رَحِياءَ ولا عَكَ وَهَمْدَانُ^(١)
ولا الجُرْمَ ولا نَهْدَها ولكنها لبني الأحرار أوطانُ^(٢)
أرض تبنى بها كسرى مساكنه فابها من بني اللخناء إنسانُ

فبنو الأحرار عندهم المعجم ، وبنو اللخناء عندهم العرب ، لأنهم من ولد هاجر وهي آمة . وقد غلطوا في هذا التأويل ، وليس كل أمة يقال لها اللخناء ،

التهديب : قال الفراء هم سواسية يستونون في الشر ولا أقول في الخير ولا واحد له وحكي عن أبي التميمم سواسية أراد سوءاً ثم قال سية ، وروى عن أبي عمرو أنه قال ما أشد ما هجا القائل :

سواسية كاسنان الحمار

وذلك أن أسنانه مستوية انتهى ، وفي الفرائد : سواسية كاسنان الحمار ، ويقال سواسية كاسنان المنط ، قيل لا يعرف للسواسية مفرد وإنما هي كلمة موضوعة موضع سواء في الشر والمكروه وقيل جمع سواء على غير قياس ، والمراد في المثل في النزول من تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم .
(١) عكل على ما في نهاية الأرب للتويزي بطن من طابخة من العدنانية وهم بنو عوف بن عبد مناة بن اد بن طابخة ، والطنب بضم تين جبل طويل يسد به سراق البيت أو الوتد والجمع اطناب وطنبة ، وعك : بطن من الأزد من القحطانية ، وهمدان : بطن من كهلان من القحطانية ذل في العسر : وديار همدان لم تزل باليمن من شرقه ولما جاء الاسلام تفرق من تفرق وبقي من بقي باليمن ، وكانت همدان تبعه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رض) عند وقوع الفتن بين الصحابة (رض) . (٢) قال المجد : جرم بطن في طيبة وابن زبان بطن في قضاة انتهى والتفصيل في نهاية الأرب للتويزي ، ونهد : بطن من قضاة من القحطانية .

وإنما اللحناء من الإماء المتهمة في رعي الإبل وسقيها وجمع الحطب ، وإنما أخذ من اللحن وهو ثقل الريح يقال لحن السماء إذا تغير ريحه . فأما مثل هاجر التي طهرها الله تعالى من كل دنس وارتضاها للخليل فرأى وللطيبين إسماعيل ومحمد عليهما السلام أمًا ، وجعلهما سلالةً فهل يجوز للمحد فضلًا عن مسلم أن يسميها لحناء ؟ .

رد الشعوبية على ابن قتيبة

قال بعض من يرى رأى الشعوبية فيما يرد به على ابن قتيبة في تباين الناس وتفاضلهم والسيد منهم والسود : إنما لا ننكر تباين الناس ولا تفاضلهم ولا السيد منهم والسود والشريف والشريف ، ولكننا نزع أن تفاضل الناس فيما بينهم ليس بأناهم ولا بأحسابهم ولكنهم بأفعالهم ، وأخلاقهم ، وشرف أنفسهم ، وبعد همهم ، ألا ترى أنه من كان دنيًا الهمة ، ساقط المروة ، لم يشرف وإن كان من بني هاشم في ذؤابتها^(١) ومن أمية في أرومتها^(٢) ومن قيس في أشرف بطن منها . إن الكريم من كرمت حاله ، والشريف من شرفت همته . وهو معنى حديث النبي عليه الصلاة والسلام : (إذا أنا كم كريم قوم فأكرموه) . وقوله في قيس بن عاصم : (هذا سيد أهل البر) إنما قال فيه لسؤدده في قومه بالنسبة عن حريمهم وبذل رفده لهم ، ألا ترى أن عامر بن الطقيّل كان في أشرف بطن في قيس يقول :

وإني وإن كنتُ ابنَ سيد عامر وقارصها المشهور في كل موكب^(٣)
فأسوّدتني عامر عن ورائتي أبي الله أن أمتو بأمر ولا أب
ولكنني أحمي حماها وأتقى أذاها وأرى من رماها بمنكب

(١) اللؤابة من العز والشرف وكل شيء اعلاه .

(٢) الأرومة بالفتح وتضم الاصل .

(٣) يستشهد النحويون بهذا البيت على تسكين واو اسمو مع الناصب لاجل الضرورة . . والمعنى أنه وإن كان كريم الاصل شريف المحتد الا أنه لم يرث السيادة من آبائه وإنما سيادته من نفسه لحملها على معالي الأمور ثم قال ابن الله ان اسمو بام ولا اب اي لا يكون ذلك ابداً - والموكب : الجماعة ركبانا أو مشاة أو ركاب الإبل للزينة .

وقال الآخر

إِنَّا وَإِنْ كَرَّمْتَ أَوَائِلُنَا لَسْنَا عَلَى الْأَحْسَابِ نَتَكَلَّ
 نَبِيَّ كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا تَبِيَّ وَتَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا
 وقال قس بن ساعدة « لأَقْضِيَنَّ بَيْنَ الرَّبِّ بِقَضِيَّةٍ لَمْ يَقْضِ بِهَا أَحَدٌ قَبْلِي
 وَلَا يَرُدُّهَا أَحَدٌ بَعْدِي ، أَيُّمَا رَجُلٍ رَى رَجُلًا بِعَلَامَةٍ دُونَهَا كَرَّمَ فَلَا لَوْمَ عَلَيْهِ ،
 وَأَيُّمَا رَجُلٍ ادَّعَى كَرَمًا دُونَهُ لَوْمَ فَلَا كَرَّمَ لَهُ » . ومثله قول عائشة أم المؤمنين
 « كُلُّ كَرَّمَ دُونَهُ لَوْمَ فَالْزَوْمُ أَوَّلِي بِهِ ، وَكُلُّ لَوْمَ دُونَهُ كَرَّمَ فَالْكَرَّمُ أَوَّلِي بِهِ » . ثم
 يقولها أن أَوَّلِي الْأَشْيَاءَ بِالْإِنْسَانِ طِبَائِعُ نَفْسِهِ وَخَصَالُهَا ، فَإِذَا كَرَّمْتَ فَلَا يَضُرُّهُ لَوْمُ
 أَوَّلِيَّتِهِ . وَإِنْ لَوْمْتَ فَلَا يَنْفَعُهُ كَرَّمَ أَوَّلِيَّتِهِ . وقال الشاعر :
 نَفْسُ عَصَامٍ سَوَّدَتْ عِصَامًا وَعَلِمَتْهُ الْكَرَّ وَالْإِقْدَامُ (١)
 وَجَعَلَتْهُ مَلَكًا هَامًا (٢)

وقال آخر

مَالِي عَقْلٌ وَهَمِّي حَسْبِي مَا أَنَا مَوْلَى وَلَا أَنَا عَرَبِي
 إِنْ ائْتَمَى مَنْتَهَرٌ إِلَى أَحَدٍ فَلِئَنِّي مِنْتَهَرٌ إِلَى آدَبِي (٣)
 وتكلم رجل عند عبد الملك بن مروان بكلام ذهب فيه كلُّ مذهب فأعجب
 عبد الملك ما سمع منه ، فقال : ابن من أنت يا غلام ؟ قال ابن نفسي
 يا أمير المؤمنين التي نلت بها هذا القعد منك . قال : صدقت قال النبي
 صلى الله تعالى عليه وسلم : حسب الرجل ماله وكرمه دينه . وقال عمر بن الخطاب

(١) قيل عصام هو ابن شهير حاجب النعمان بن المنذر الذي قال له إن شأبقة
 حين حجبه عن عبادة النعمان من قصيدة له :

فَانِي لَا الْوَمَكُ فِي دَخُولِي وَلَكِنْ مَا وَرَأَيْكَ يَا عَصَامَ
 يَضْرِبُ فِي نِبَاهَةِ الرَّجُلِ مِنْ غَيْرِ قَدِيمٍ . ويسمى الخارجى أى خرج بنفسه
 من غير أولية كانت له ، وفي المثل : كن عظاميا ولا تكن عظاميا ، الكر العطف
 والرجوع ، وأقدم على الأمر أقداما شجع . (٢) الهمام بالضم الملك العظيم
 الهمة والسيد الشجاع السخى خاص بالرجال . (٣) الانتماء الانتساب .

رضى الله تعالى عنه : إن كان لك مال فلك حسب ، وإن كان لك دين فلك كرم .
وقد تعجب شهاب الدين الأندلسي في كتابه المقد حيث قال بعد ذكر ما سبق من
الكلام : وما رأيت أعجب من ابن حنيفة في كتاب تفضيل العرب إنه ذهب فيه
كل مذهب من فضائل العرب ، ثم ختم كتابه بمذهب الشموية . فنقض في آخره
كل ما بي في أوله ، فقال في آخر كلامه : وأعدل القول عندى أن الناس كلهم لأب
وأم خلقوا من تراب وأعيدوا إلى التراب ، وجروا في مجرى البول ، وطراً عليهم
الأفئدة ، فهذا نسبهم الأعلى الذى يردع به أهل القول عن التعميم والكبرياء ،
والفخر بالآباء ، ثم إلى الله مرجعهم فنقطع الأنساب وتبطل الأحساب ، إلا من
كان حسبه التقوى ، أو كانت ما تنه طاعة الله .

قول الشعيرة في منالكح العرب

إنما كانت العرب في الجاهلية ينكح بعضهم نساء بعض في فاراتهم بلا عقد
نكاح ولا استبراء من طئت أى الحيض فكيف يدرى أحدهم من أبوه ، وقد
فخر الفرزدق ببني ضبة حين يبتزون العيال في حروبهم في سبية سبوها من بني
طاسر بن صعصعة :

فَطَلْتُ وَظَلُّوا يَرْكَبُونَ هَبِيرَهَا وَلَيْسَ لَهُمْ إِلَّا عَوَالِيهَا سُرُ
والهجير : العطن من الأرض . وإنما أراد ههنا فرجها ، وهو القائل في بعض
ما يقنخر به :

وَمِنَّا التَّمِيمِيُّ الَّذِي قَامَ أَيْرُهُ ثَلَاثِينَ يَوْمًا ثُمَّ زَادَهُمْ عَشْرًا

الرد عليهم في ذلك

إن جميع ما ذكره الشموية في شأن منالكح العرب ، وما أوردوه في باب
العطن على أنسابهم بما كانوا يتماطون في الفارات من سبى النساء واسترقاقهم
ووطئهم من غير استبراء من طئت ونحو ذلك لا أصل له ، وكتب التواريخ

صاحبةٌ تبتريتهم مما رمام به خصومهم وأعدائهم ، وقد نطق الشعر الجاهلي بما كانوا عليه من الحمية والغيرة ومزيد الاعتناء بأنسابهم وحفظ حريمهم والذب عن أحسابهم وعشائهم ، ولم يكن من مذاهب العرب وعوائدها قديماً وحديثاً التمرض بسوء للنساء والأهل في الفارات والمنازعات . بل كان ذلك من أكبر الكبائر لديهم . وما روته الشعوية من الآيات الشعرية إن صحت عن قائلها وأنه كان من صميم العرب فلا مطمئن فيه فإن ما يصدر عن شخص من قوم لا يسوغ عند ذوى المقول والآراء الصائبة أن يؤاخذ به جميع أفراد نوعه (ولا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) . ولم يدع أحد أن كل فرد من أفراد العرب معصوم من كل خطيئة وعيب ، وأن كل فرد منهم أفضل من كل فرد من غيرهم في جميع صفات الفضائل ، هيئات ذلك فإن هذا بديهي البطلان . ألا ترى أن جميع أهل المقول السليمة قائلون بفضل جنس الرجال على جنس النساء مع أن بعض أفرادهن لا يماثلن في الكمال النفسية والفضائل الإنسانية ألوف مؤلفة من الرجال المارين من ذلك . وما أحسن قول الشاعر :

ولو أن النساء كن قعدنا لفضلنا النساء على الرجال^(١)

فما كان من شخص أو شخصين من أمة العرب من المنكر لا يرى بملو شأنهم ورفيع مجدهم لاسياً إذا كان ذلك المنكر ليس بمقطوع الصحة أو أنه مما له وجه ، فإن السبي عند غزو بعضهم بعضاً كان في حكم الرقيق بمقتضى ديانتهم

(١) البيت للمتنبي من قصيدة يرثي بها والده سيف الدولة وقد توفيت بمها فارقين وجاءه الخبر بموتها إلى حلب سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة وأولها:
نمى المشرق والمغربى وقتلنا المنون بلا قتال
ونرتبط السوابق مقررات وما ينجين من جنب الليالى
ومن لم يعيش الدنيا قديماً ولكن لا سبيل إلى الوصال
نصيبك في حياتك من حبيب نصيبك في منامك من خيال
وهى طوبى وكلها فرائد ودرر ، ومعنى البيت يقول لو أن نساء العالم كهدى المفقودة في الكمال والعفاف لفضلن على الرجال ، قال ابن وكيع ينظر إلى قول علي ابن الجهم .

إذا ما عند مثلك رجالات فما فضل الرجال على النساء

وعوائدهم ، ووطء ملك اليمين من غير عقد ليس بزنى عند كافة أهل الأديان .
هذا مع أن الأمر كما ذكرناه سابقاً ، ثم نقول أى أمة من الأمم غير العرب كانت
معصومة من السبي والغارات ، وهكذا ديدن الخليقة من أولها إلى آخرها ،
ولو ذكرنا حال مناكح سائر الأمم غير العرب فى الأيام الخالية لاسودَّ
وجه القرطاس . وما قالته الشعوبية من أن العرب كانوا يقربون النساء من غير
استبراء من طمعت فهو بهتانٌ عظيم ، وشعر العرب وتوارىخهم ناطقة بخلافه ،
وأهمهم كانوا يمتزجون من الجماع فى الحيض ، وسيأتى بيان ذلك فى الكلام على
عوائدهم وعباداتهم إن شاء الله تعالى .

محل القول فى جميع ما قالته الشعوبية فى العرب

اعلم أن جميع ما قالته الشعوبية فى مقام الاستدلال فى مدعاهم واقع فى غير
موقمه وقائم فى غير محله ، فإن المسمى إنما هو فضيلة الجنس فيما هو مناط الفضيلة
بين أنواع بنى آدم ، وهو أن سبب فضل جنس العرب ما اختصوا به فى عقولهم
وألسنتهم وأخلاقهم وأعمالهم وغير ذلك مما أسلفناه وأوضحناه بأنهم وجه وأبسطه .
وليس المسمى أن الفضيلة بنبوة حتى يقال إن أنبياء غير العرب أكثر من أنبيائهم ،
فإن جميع الأنبياء كما ذكر وهب بن منبه مائة ألف نبى وأربعة وعشرون ألف
نبى ، الرسل منهم ثلاثمائة نبى وخمسة عشر نبياً ، ومنهم خمسة عبرانيون : آدم
وشيث وإدريس ونوح وإبراهيم . وخمسة من العرب : هود وصالح وإسماعيل
وشعيب ومحمد صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين . وروى أبو صالح عن ابن
عباس ^(١) قال : بعث الله إلى أهل الرس — والرس : البئر — نبياً منهم يقال له
حنظلة بن صفوان فكذبوه وقتلوه ، فأوحى الله تعالى إلى نبى كان مع محتنصر
يقال له أرميا بن برخيا : مُرُّ بِمُحْتَنَصِرٍ يَفْزُو الْعَرَبُ الَّذِينَ لَا أَغْلَاقَ لَبِيبَتِهِمْ

(١) أقول أن أبا صالح لم ير ابن عباس الأرض على ما ذكر رجال الجرح
والتعديل منهم الإمام الذهبى فى الميزان .

فيقتلهم بما صنعوا بغيرهم ، وخالد بن سنان كان أيضاً من أنبياء العرب كما ورد الحديث في شأنه ، وهو قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : ذاك نبي أضاعه قومه ، وباقي الأنبياء من سائر الأمم المختلفة . فليس فضل العرب ثم قريش ثم بنى هاشم لجرد كون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم منهم وإن كان هذا من الفضل ، بل هم في أنفسهم أفضل ، وبذلك يثبت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه أفضل نفساً ونسباً وإلا لزم الدور ، مع أنه لو ادعى خصوم الشموية أن منشأ الفضيلة ذلك لأنسبهم أن يقولوا إن أنبياء العرب على قتلهم يساؤون غيرهم من الأنبياء والرسول في الفضل أو يرجحونهم ، وليس ذلك ببيدع فإن التفاوت ما بين إنسان وإنسان ، ظاهر لدى الميان ، فإنك قد ترى واحداً كعشرة وعشرة كآلة بل واحداً كآلة وعشرة أخرى هَدَرَةٌ ^(١) دون واحد . وقيل لامرأة : عشرة هدره أحب إليك أم واحد كعشرة ؟ فقالت بل واحد كعشرة . قال الشاعر :

ولم أر أمثال الرجال تفاوتاً لدى المجد حتى عد ألف بواحدٍ

بل نرى واحداً كعشرة آلاف ، ونرى عشرة آلاف دون واحد ، كما قال عليه الصلاة والسلام وهو أصدق قيلاً : الناس كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة . والإبل في تعارفهم اسم لمائة بعير ، فائة إبل هي عشرة آلاف بعير ، بل لو قيل قد نرى واحداً كاملاً وعالاً كواحد لجاز ، كما قال عليه الصلاة والسلام : وزنت بأمتي فرجعتهم ، وعلى هذا قول الشاعر :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحدٍ

وليس المدعى أيضاً أن الفضيلة بملك وثروة وكثرة عددٍ وعدد ، فإنها ليست أيضاً مما تستوجب الفضيلة ، وتقتضي الصفات الجميلة .

(١) هدره محركة وكعنية وهمزة ساقطون ليسوا بشيء والفتح اقيس لانه جمع هادر مثل كافر وكفرة وكذا الواحد والاثنى يقال رجل هدره مثل همزة ساقط قال الحصين بن بكر الريمي :

اني اذا حار الجبان الهدره ركبت من قصد السبيل شجره

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوق^(١)
وفي معنى ذلك يقول السموعل من أبيات مر ذكرها :

وما ضرنا أنا قليل وجارنا عزيز وجار الأكثرين ذليل
مع أنه قد بلغت مدينة العرب في الأيام الخالية إلى ما لم يبلغها أحد إذ ذاك ،
وإن أقطع عنا أخبارهم ، هذه آثار مبانيهم العظيمة ، وبقايا مدنهم الجسيمة
تشهد لنا بذلك ، ومدينة تدمر كانت إحدى مدن العرب ومبانيها كما في القاموس
وغيره ، وما يشاهد من بقاياها من أعاجيب الأكوان التي تمجذ أهل المصور
المتأخرة عن مطالعتها في رسالتها . وتبابة اليمن وإذواؤها بلغ تسلطهم على البلاد
واستيلادهم على الأنظار إلى ما يكل القلم عن وصفه . ومنهم الذي ساوى بين
الصدفين ، وطاف بلاد الأرض ما بين المشرقين والمغربين ، وهو الذي كان يلقب
بذئ القرنين على خلاف ما يزعمه الشعبي وغيره ، وهم بعض أهل العلم من
أنه إسكندر الرومي ، فإن الشعر القديم شاهد لما قلناه بل هو أقوى دليل على ذلك ،
قال أعشى بن ثعلبة :

والصعب ذو القرنين أمسى ثاوياً بالجَنُورِ في جدث هناك مقيم
والحنو بكسر المهملة وسكون النون في ناحية المشرق . وقال الربيع بن ضبيع :
والصعب ذو القرنين مَرَّ ملكه ألفين أمسى بعد ذلك رمياً

(١) البيت لابن الراوندي المحدث الزندقي المشهور ، وقبله :
سبحان من وضع الأشياء موضعها وفرق الصر والاذلال تفريقاً
وبعده :

هذا الذي ترك الاوهام حائرة وصير العالم التحرير زنديقا
وعاقل الثاني صفة لما قل الاول بمعنى كامل العقل متناه فيه كما يقال
مرت برجل رجل أي كامل في الرجولية ومعنى أعيت مذاهبه أعجزته وصعبت
عليه طرق معاشه ، والتحرير بكسر التون الحاذق الماهر العاقل المجرب
المتقن الفطن البصير بكل شيء لأنه ينحر العلم نحراً والزنديق بكسر الزاي
من الشنوية أو القائل بالنور والظلمة أو من يظن الكفر ويظهر الإيمان أو من
لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية .

وقال قس بن ساعدة الأيادي :

والصعب ذو القرنين أصبح ثاويًا باللحْد بين ملاعب الأرياح

وقال تبيع الحميري :

قد كان ذو القرنين قبلي مُسَلِّمًا مَلِكًا تدين له اللوك وتحشدُ

من بدمه يلقيسُ كانت عمتي ملكتهم حتى أتاها الهدهُدُ

وقال بعض الحارثيين يفتخر بكون ذى القرنين من اليمن يخاطب قومًا

من مصر .

تمثروا لنا واحداً منكم فنعرفه في الجاهلية لاسم الملك محتملا

كالتبمين وذو القرنين يقبله أهل الحجبى وأحق القول ما قبله

وقال النعمان بن بشير الأنصاري الصحابي ابن الصحابي :

ومن ذا يعادينا من الناس مشر كرام وذو القرنين منا وحاتمُ

ويؤخذ من أكثر هذه الشواهد أن الراجح في اسمه الصعب . ووقع ذكر ذى

القرنين أيضاً في شعر امرئ القيس وأوس بن حجر وطرفة بن السبد وغيرهم ،

وفي كتاب نشر المحاسن اليمانية شيء كثير من ماثرهم بحيث يطول نقله ، وفي

وصف القحطانيين يقول الكلاعي :

وربتنا مراتب كل ملك فكان لنا الخلائق مُقْتَفِينَا

سننًا للبرية كل فل جميل من فعال الأكرمينَا

فهم يتشبهون بما فعلنا وفي آثارنا يتبعونا

وليسوا مُدْرِكِينَ لنا لأننا جعلنا السابقين الأولينا

وقال في شرح هذه الآيات أيضاً : إن أول من لبس التاج ورتب وظائف

الملك وعهد عهداً إلى عامل بلد وأمره بالعدل والإنصاف ودون السواوين وبعث

الأمرأ إلى الثغور جبر بن سبأ الأكبر ، وأول من علّق السلسلة على باب قصره

ليتملق بها المتظلمون عبد شمس بن وائل ، وأول من نظر في أمر الشاكي وعزل

عامل البلد بسبب أمر الشكاية سعد الكامل ، وأول من شفع وأفدى في الأسارى تبع الأصغر ، ولذلك سمي ماء السماء . وأول من اتخذ الخط العربي على أبجد مرّة ابن مرامر^(١) . وأول من قام بالضيافة عامر بن حارثة الأزدي من طيء . وأول من حكم في الخثي باتباع المبال عمرو بن حُصمة الدوسي^(٢) . وأول من طبب الميت بالحنوط مقسم بن بهر القضاي . وأول من قسم للذكر مثل حظ الأنثيين عامر بن جشم الجهمي . وأول من صلى على الميت عطيرة بن صعب السكسي . وأول من أعان مستوفداً في حمل دية جناد بن عبد التيمي من همدان . فهذه أمور سبقت إليها بنو قطان في الجاهلية ، وجاء الإسلام بمثل ذلك ، وهذه غاية من ذكاه فطهم . . ومن ذكائهم أيضاً أنهم أول من ربط الخيل وراضها ووصفها بما يليق بها وعمل لها السروج والبجم وفي ذلك يقول مالك بن ملالة بن أرحب الحمداني :

أُرت بايتاء اللجام فأبدعت وأنمت خيلي في السير حديدا
وأرحبُ جدي أحدث السرج قبلنا ولو نطقتُ كانت بذاك شهودا

وم أول من أبدع جميع أنواع السلاح من سيف ورمح وقوس وسهم ودرع وغير ذلك . ولأنصاف الخيل وأنواع السلاح عندهم أسماء معروفة يطول ذكرها ،

(١) أقول هذا وهم صراح مخالف لما ورد في كتب الأنساب وغيرها والصحيح مرامر بن مرة أو مروة وهو أول من وضع الخط العربي على ما يقال . . قال شرقى بن القطامي : ان أول من وضع خطنا هذا رجال من طيء منهم مرامر بن مرة . قال الشاعر :

تعلمت بالفساد وآل مرامر وسودت أثوابي ولست بكتاب

قال وإنما قال وآل مرامر لأنه قد سمي كل واحد من أولاده بكلمة من (أبجد) وهي ثمانية قال ابن بري الذي ذكره ابن التحاس وغيره عن المدائني أنه مرامر بن مروة . قال المدائني أول من كتب بالعربية مرامر بن مروة من أهل الأنبار ويقال من أهل الحيرة قال وقال سمرة ابن جندب أنظرت في كتاب العربية فإذا هو قد مر بالأنبار قبل أن يمر بالحيرة ويقال أنه سئل المهاجرون : من أين تعلمتم الخط ؟ فقالوا : من الحيرة وسئل أهل الحيرة : من أين تعلمتم الخط فقالوا : من الأنبار . قال الزبيدي وذكر ابن خلكان في ترجمة : على بن هلال : ما يقرب من ذلك وذكر المجد في (ج د ر) ان أول من كتب بالعربية عامر بن جذرة ولعل الجمع بينهما أما بالترجيح أو بالعموم والخصوص أو غير ذلك مما يظهر بالتأمل كما حققه شيخنا .

(٢) تأتي ترجمته في باب الحكام .

ولم يكن لأحد بصر بالليل ولا بالقسي والنبل والإصابة بالرى مثل ما للقحطانية .
ومنها رمة تبع أسعد المروفون بالقارة كانوا يرمون فيصيبون ما يقصدون ، وبهم
يضرب المثل يقال « قد أنصف القارة من رامها »^(١) . فهذا كله ونحوه مما يدل
على ما كانوا عليه من التمدن والثروة ، وحسب التآلف والترقى في الكالات ، وليس
المدعى أيضاً أن الفضيلة بمعرفة الصنائع والحرف حتى يرجع غير العرب عليهم
في ذلك ، فإن العرب كانوا يأنفون من تملطها ويمدون أصحابها من الأسافل ،
حيث كان التفاخر والتفاضل بينهم يومئذ بالشجاعة والفروسية والفصاحة وغير
ذلك مما هو منشأ الفضيلة في نفس الأمر ، مع أن العرب أكثر استعداداً من
غيرهم لتعلم الصنائع وسائر الفنون العقلية . ألا ترى أنهم بعد ظهور الإسلام
قد بلغت منها مبلغاً تقدموا به على غيرهم وسبقوا به من سواهم . ففي تاريخ دردى
وزير المعارف العمومية بفرنسا ما منناه : بينا أهل أوربا تأنفون في دجى الجمالة
لا يرون الضوء إلا من سم الخياط إذ سطع نور قوئ من جانب الأمة الإسلامية
من علوم أدب وفلسفة وصناعات وأعمال يد وغير ذلك حيث كانت مدينة بغداد
والبصرة وبغداد ودمشق والقاهرة ومصر وفارس وغرناطة وقرطبة مراكز
عظيمة لمائة المعارف ، ومنها انتشرت في الأمم واعتنم منها أهل أوربا في القرون

(١) في كتب الامثال : القارة قبيلة وهم عضل والديش ابنا الهون بن
خزيمة وانما سموا قارة لاجتماعهم والتفافهم لما اراد الشداخ ان يفرقهم في
بنى كنانة فقال ساعدهم :

دعونا قارة لا تنفرونا فنجفل مثل اجفال الظلم
وهم رمة الحق في الجاهلية وهم اليوم في اليمن قيل ان رجلين التقيا
احدهما قارى فقال القارى ان شئت صارعتك وان شئت سابقتك وان
شئت راميتك ، فقال الآخر قد اخترت المراماة قد انصفتنى وانشد :
قد انصف القارة من رامها انا اذا ما فئت نلقاها

نرد اولاهما على اخرها

وقيل ان المثل قيل في حرب كانت بين قريش وبين بكر بن عبد مناف
ابن كنانة وكانت القارة مع قريش وهم قوم زما فلما التقى الفريقان رماهم
الآخرون فقيل قد انصفهم هؤلاء اذ ساووه في العمل الذى هو شأنهم
وصنائعهم يضرب مثلاً لمساواة الرجل صاحبه فيما بدعوه اليه .

التوسطة مكتشفات وصناعات وفنونا علمية يأتي بيانها . وفيه يقول : كانت الآداب قبل انتشار العرب من جزيرتهم متأصلة فيهم مؤداة بلتين الحيرية في اليمن والقرشية في الحجاز وبالأخيرة جاء القرآن ، ولا يخفى عليك أن القى يقابل الحيرية هو المضربة وإن وقع الإجماع في القراءة على خصوص القرشية ولذلك اشتهرت واستمر خلوصها إلى وقتنا هذا باستمرار كتب العلم والديانة ، إلى أن قال : ولم يكن للعرب في أول الأمر إلا تلك الآداب ، ثم لما اتسعت لهم نطاق المعارف فأخذوا من اليونان تأليف بالأهم الذين سبقهم في الحضارة اتسع لهم نطاق المعارف فأخذوا من اليونان تأليف أرسطو وشرحوها بإيمان نظر لكنهم لم يأخذوا الفلسفة من كتب اليونان الأصلية وإنما تعلموها من الكتب المترجمة بلغة أهل الشام فهم ترجوا المترجمة ! فذلك لما نقلها الفيلسوف العربي حفيد بن رشد إلى أوروبا في القرون المتوسطة وجدها من التحريف أكثر مما وقع فيها أولاً .

وأما العلوم الرياضية فقد سادف فيها العرب المرى والفضل في ذلك للعلماء الذين جلبهم الخليفة السامون من القسطنطينية ، وفي أوائل القرن التاسع المسيحي أمر الخليفة الشار إليه عالمين من فلسكية بعداد أن يقيسا مسافة درجة واحدة من خط الطول بصحراء سنجار ويزناها ليثبت بذلك تكوين الأرض بالمشاهدة ، وقد تبين ذلك باختلاف ارتفاع القطب الشمالى عن طرفي الخط المقيس . وقد شرح العرب كتاب إقليدس ، وهذّبوا زيج بطليموس ، وحرروا حساب تعريب منطقة البروج كما حرروا الفرق بين أوقات الاعتدال ، والفرق بين السنين الشمسية والزمنية ، فوجدوا بينهما عدة دقائق ، واخترعوا للتحريرات آلات جديدة إلى غير ذلك مما يدل على ما للعرب من قابلية العلوم الرياضية . ومنهم حازت مدينة سمرقند قبل أوروبا بكثير محل رصد عجيب . قال : وأما ما ينسب من اختراع الجبر والمقابلة والأرقام الحسابية المسماة عندنا بالأرقام العربية فلم يثبت ، بل إنما تعلموا ذلك مع فلسفة أرسطو بالتلقى من غيرهم . وهى من العلوم التى وجدها بالإسكندرية ، ويمكن أنهم

تقاربا إلينا على ذلك الوجه (البوصلة) أى بيت الإبرة والبارود التى تعلموه من أهل الصين كما يترف لهم أهل أوروبا بمزية اختراع الكاغد من القماش ، وبذلك كثرت الكتب ودنت أسعارها وسهل الطبع وتوفرت نتائجها بمد وجوده .

وقد اشتهرت العرب أيضاً بمعرفة الطب التى كان تلقوها من كتب اليونان ، ولابن رشد تعليقات عديدة على كتب جالينوس شاهدة بما ذكر . ومن فلاسفتهم عدة أشخاص صاورا فى وقت واحد حكاء وأطباء مشاهير مثل أبى على ابن سينا المتوفى سنة ست وعشرين وأربعمائة وابن رشد المذكور ، وقد بلغنا من الشهرة إلى حيث صار أعداؤهم فى ذلك الوقت يرغبون فى معالجتهم بإمام ، كما يحكى أن بعض ملوك قسطنطينية كان اعتراه مرض الاستسقاء فاشتغى أن تكون معالجته على يد أطباء العرب ، وحصل من لطف الخليفة على الإذن أن ينذهب ويداويه المسلمون . ومن مآثر حكاء العرب كيفية تقطير المياه واستعمال الراوند وأدوية كثيرة .

ومن العلوم التى لهم الفضل فيها الجغرافيا ، وسبب تقدمهم فيها أن اتساع فتوحاتهم ورغبتهم فى الأسفار الخطيرة لافتراض الحج عليهم أُنشِجت لهم المعرفة بكثير من البلدان الشاسعة التى لم يصل إليها أهل أوروبا أو نساها بمد ما كانت معروفة لهم . ومن مشاهيرهم فى هذا الفن أبو الفداء والمسعودى والإدريسى ، وهذا الأخير هو الذى استعداه روجير ملك صقلية ، وألف عنده كتابه الغرب الذى سماه زهرة المشتاق . ثم قال بمد ذكر ما كان لهم من علم التاريخ . وأما صناعة هندسة البناء فى اصطناع الهيئات فلم يشتغل العرب منها إلا بما يرجع إلى إتمام الأبنية حيث كانت شريعتهم تمنع التصوير ، على أن البناء نفسه لم تظهر لهم فيه اختراعات غريبة فالأصل عندهم فى الأقواس الرفوعة على الأسطوانات أن تكون أكبر من نصف دائرة ، وهذا الشكل أخذوه من أبنية البيزنطيين وهم أمة من اليونان ، واعتاض العرب عن الصور الذهنية والجسدة التزيين بالنقش

السمى عندهم بنقش حديبة ، وكان فى الأمل رسوما لها مدلولات . ثم صار مجرد خطوط متقاطعة شديدة بالحروف العربية التى يمكن أن يصور منها أشكال جيدة ظريفة ، وكثيراً ما تعجب من إتقان تلك الحروف حين تراها على الزرابى والأقنعة الشرقية .

ومن مآثر العرب اصطناع الجوائى والفوارات والتزويق بالنهب والأحجار الثمينة كالمرمر الذى يحلبونه من المشرق ومن مقاطع أسبانيا الجنوبية . ومن أشهر أبنيتهم الجامع العظيم الذى بناه عبد الرحمن الأول بقرطبة ، وكان به ألف وثلاث وتسعون أسطوانة وأربعة آلاف وسبعمائة قنديل . ثم قصر الزهراء الذى لا يتأخر عن الجامع المذكور فى العظم ، وقد بناه عبد الرحمن الثالث على شاطئ الوادى الكبير ، وبه ينبوع عظيم يفور منه شبه باقة من الزبيب ثم ينعكس فى قصعة من المرمر . ومن بديع أبنيتهم حمراء غر ناطة التى هى فى آن واحد قصر وحصن وبها عدة أمور تصلح أن تكون مثالا للطاقة البناء وحسنه خصوصاً وسطها السمى ببطحاء الأسود . وأما التجارة فقد كان للعرب حسن رغبة فيها فى سائر الأوقات ، ثم لما امتدت سلطنتهم من البربرى وهى جبال بين فرنسا وأسبانيا إلى جبال هملای التى بأقصى شمال الهند صاروا أكبر تجار الأرض يومئذ .

وأما الفلاحة فقد كان للعرب حسن رغبة فيها إذ ليس لنيرهم ما لهم من الاقتدار على جلب المياه وتوزيعها بلطف فى مزارعهم الواسعة تحت شمسهم المحرقة . انتهى ما نقل من مقدمة أقوم للسالك . ويجمع ما ذكرناه بتبين أن كلام الشعوبية ساقط عن أصله ، ولا يلتفت ذو إنصاف لثلثه ، ومع ذلك فإن الثريمة حاكمة بأن فضل الجنس لا يستلزم فضل الشخص فرب حبشى أفضل عند الله من ألف قرشى ، فإن الرء كثير بفضل لا بأهله ، ومنظور إليه بكرم أخلاقه لا بكرم أصله ، فإذا اجتمعا له كان مقابلا من طرفيه وكلت له أبهة شرفيه ، ولا ينكر أن للأصول تأثيراً عظيماً فى الفروع فلا تكاد ترى ذا أصل زكى إلا وتتروم فيه

خلقاً وسياً ، وشأناً كريماً ، فإذا اجتمع الأصل وحسن الأفعال ، كان ذلك غاية الكمال ، فلا ينبغي لمافل أن يفخر بنسبه ، ويتكبر على الناس بحسبه ، ففي صحيح مسلم عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ، ولا يبغي أحد على أحد ، فهي سبحانه على لسان رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم عن نوعي الاستطالة على الخلق وهي الفخر والبنى لأن المستطيل إن استطال بحق فقد افتخر ، وإن كان بغير حق فقد بنى فلا يحل لا هذا ولا هذا ، فإن الرجل من الطائفة الفاضلة مثل أن يذكر فضل بنى هاشم أو قريش أو العرب أو الفرس أو بعضهم ، فلا يكون حظه استشمار فضل نفسه ، والنظر إلى ذلك فإنه غطىء في هذا كما لا يخفى . ثم هذا النظر يوجب قصه وخروجه عن الفضل فضلاً عن أن يستمل بهنأ أو يستطيل ، وإن كان من الطائفة الأخرى فليعلم أن اتصافه بالصفات المحمودة يوجب له أن يكون أفضل من جمهور الطائفة المفضلة المارين عنها ، فليفتخر المرء بمجده واجتهاده ، وبمدته وعناده وكسبه وإعدادة ، لأبائه وأجداده ، وقد أتينا في مقام الشاجرة مع الشموية بقدر ما يطلق .

الكلام على مساكن العرب في الجاهلية

اعلم أن غالب مساكن العرب القديمة التي درجوا منها إلى سائر الأقطار كانت بجزيرة العرب الواقعة في أوساط الممور ، وأعدل أماكنه وأفضل بقاعه حيث السكينة المظلمة ، والمدينة النورة ، وما حول ذلك من الأماكن . وهذه الجزيرة متسعة الأرجاء ، ممتدة الأطراف يحيط بها من جهة الغرب بمض بادية الشام حيث البقاء إلى أية ثم بحر القلزم الآخذ من أية حيث العقبة الموجودة بطريق حجاج مصر إلى الحجاز إلى أطراف اليمن حيث طيء وزبيد وماداناها . ومن جهة الجنوب بمرأهند المتصل به بحر القازم المتقدم ذكره من جهة الجنوب إلى عدن إلى أطراف اليمن حيث بلاد مهرة من ظفار وما حولها . ومن جهة الشرق بحر فارس

الخارج من بحر الهند إلى جهة الشمال إلى بلاد البحرين ثم إلى البصرة ثم إلى الكوفة من بلاد العراق . ومن جهة الشمال الفرات آخذاً من الكوفة على حدود العراق إلى فاة إلى بلس من بلاد الجزيرة الفراتية إلى البلقاء من برة الشام حيث وقع الابتداء . والحاصل أن السائر على حدود جزيرة العرب يسير من أطراف برة الشام من البلقاء جنوباً إلى أيلة ثم يسير على شاطئ بحر القلزم وهو مستقبل الجنوب ، والبحر على يمينه إلى مدين إلى ينبع إلى البروة إلى جدة أول اليمن إلى زبيد إلى أطراف اليمن من جهة الجنوب . ثم يعطف مشرقاً ويسير على ساحل اليمن وبحر الهند على يمينه حتى يمر على عدن ويمجاوزها حتى يصل إلى سواحل ظفار من مشايف اليمن إلى سواحل مهرة ، ثم يعطف شمالاً ويسير على سواحل اليمن وبحر فارس على يمينه ويتجاوز سواحل مهرة إلى عُمان من بلاد البحرين إلى جزيرة أوال إلى القطيف إلى كاظمة إلى البصرة إلى الكوفة . ثم يعطف إلى الغرب ويفارق بحر فارس ويسير والفرات على يمينه إلى سلمية إلى البلقاء حيث بدأ كذا في نهاية الأرب . وقال أبو عبيدة : جزيرة العرب في الطول ما بين حفر أبي موسى إلى أقصى اليمن ، وفي العرض ما بين يبرين إلى السماوة . وقال الأصمعي : هي ما بين نجران والشذيب حكاه ابن قتيبة عن الرياشي عنه . قال : وحكي عنه أبو عبيدة أنها في الطول من أقصى عدن إلى ريف العراق ، والعرض من جُدَّة وما والاها من طراز البحر إلى طراز الشام . وأنت تعلم أن هذه الأقوال كلها متقاربة .

مساحة دور جزيرة العرب

دور هذه الجزيرة على ما ذكره السلطان عماد الدين صاحب حماة في تقويم البلدان سبعة أشهر وأحد عشر يوماً تقريباً بسير الأتقال . فمن البلقاء إلى الشراة نحو ثلاثة أيام ، ومن الشراة إلى أيلة نحو ثلاثة أيام ، ومن أيلة إلى الجار وهي فرضة

المدينة النبوية نحو عشرين يوماً ، ومن الجار إلى ساحل الجُحفة نحو ثلاثة أيام ، ومن ساحل الجحفة إلى جُدَّة وهي فُرْضة مكة المشرفة ثلاثة أيام ، ومن جدة إلى عدن نحو من شهر ، ومن عدن إلى سواحل مهرة نحو من شهر ، ومن مهرة إلى عُمان من البحرين نحو من شهر ، ومن عمان إلى حجر من البحرين نحو من شهر ، ومن حجر إلى عبادان من العراق نحو خمسة عشر يوماً ، ومن عبادان إلى البصرة نحو يومين ، ومن البصرة إلى الكوفة نحو اثنتي عشرة مرحلة ، ومن الكوفة إلى بابل نحو عشرين يوماً ، ومن بابل إلى سلية نحو سبعة أيام ، ومن سلية إلى مشاريف غُوطة دمشق^(١) نحو أربعة أيام ، ومن مشاريف غوطة دمشق إلى مشاريف حوران نحو ثلاثة أيام ، ومن مشاريف حوران إلى البلقاء نحو ستة أيام ، فهذا هو الدور المحيط بجزيرة العرب .

(١) غوطة دمشق إحدى نزه الدنيا وهي الأربع : غوطة دمشق ، ونهر الأبله ، وشعب بوان ، وصغد سمرقند - يضرب بكل منها المثل في الطيب ، قال النعماني : وكان الخوارزمي يقول قد رأيتها كلها فكانت غوطة دمشق أطيبها وأحسنها ولم أميز بين رياضها المزخرفة بالانوار والازاهر وبين غدرانها المغمورة بطيور الماء التي هي أحسن من الدواجر والطواويس ولم أشبهها وصورتها منقوشة على وجه الأرض .

وأما نهر الأبله فهو بالبصرة وحواليه من ميادين النخل والتمر والنانج وسائر الانتجار وفيها من اصناف الزرع وانواع الخضروات ما لا ينظر أحسن منه وعليه من القصور المناظرة والابنية الرائقة ما تحار فيه العيون وتهش له النفوس وفيه يقول ابن عيينة :

ويا جبدا نهر الأبله منظرًا إذا مد في انثائه الماء أو جرز

وأما شعب بوان من فارس فهو الذي يقول فيه القائل :

إذا اشرف الكروب من رأس تامة على شعب بوان أفاق من الكرب

والهاه بطن كالحرير مسه ومطر يجري من البارق الصلب

فإله يابح الجنوب نحمل وفيه يقول المتنبي :

مفان طيبات في المضاف كايام الربيع من الزمان

ولما نزلت عند الدولة متوجها الى العراق ومعه أبو الحسن السلامي قال له: قل في الشعب فقد سمعت ما قاله المتنبي فيه فعاد الى خيمته وكتب :

أشرف على الشعب وأنزل روضه الإنفا قد زاد في حسنه فازدد به شغفا

أذ البس الهيف من أفصائه حللا ولقن العجم من أطياره نتفا

وانظر اليه أو الإفصان منمصرة من قلع قرط أو لابس شغفا

وجه تسمية هذه الجزيرة بجزيرة العرب

اعلم أنَّ الجزيرةَ في أصل اللغة ما ارتفع عنه الماء أخذاً من الجزر الذي هو ضد المد ثم توسع فيه فأطلق على كل ما دار عليه الماء . ولما كان هذا القطر يحيط به بحر القلزم من جهة الغرب ، وبحر الهند من جهة الجنوب وبحر فارس من جهة الشرق ، والفرات من جهة الشمال . أطلق عليه جزيرة وإن كان له اتصال بالبر ، وذلك على سبيل التشبيه والمجاز المشعرون منه كلام الفصحاء لا أن العرب لم يفرقوا بين الجزيرة وشبهها كما زعمه بعض المؤلفين الذين لم يقفوا على أسرار كلامهم ، وأضيفت إلى العرب لنزولهم بها ابتداء وسكنائهم فيها .

ما اشتمل عليه جزيرة العرب من الأقسام والنوامي

قال المدائني جزيرة العرب هذه تشتمل على خمسة أقسام : تهامة ونجد والحجاز وعروض وعين . فتهامة هي الناحية الجنوبية عن الحجاز . ونجد هي الناحية التي بين الحجاز والمراق . والحجاز هو ما بين نجد وتهامة وهو جبل يقبل من اليمن حتى يتصل بالشام وسمى حجازاً لحجزه بين نجد وتهامة . والعروض هي اليمامة إلى البحرين وقال أبو عبيدة : الحجاز هو ما بين الجحفة وجبل طيء وإنما سمي حجازاً لأنه حجز ما بين نجد والنور ، وحكي ابن قتيبة عن الرياشي عن الأصمعي أنه قال : إذا خلفت عجلزاً صمداً فقد أنجدت ، فلا تزال منجداً حتى تنحدر من ثنايا ذات عرق ، فإذا فعلت فقد أنهمت إلى البحر ، وإذا عرضت لك

والماء يشئى على أعطافها ازرا والريح تعقد في أطرافه شرفا

وهي قصيدة طويلة

وأما صفد سمرقند فان قتيبة بن مسلم لما اشرف من الجبل قال لاصحابه شبهوه فلم يأتوا بشيء فقال قتيبة كأنه السماء في الخضرة وكان قصوره النجوم وكان انهاره المجرة فاستحسنوا هذا التشبيه وتعجبوا من اصابعه .

الجرار^(١) وأنت مُنجدُ فلك الحجاز ، وإذا تصوبت من ثنایا (المرج) واستقبلت
الرخ والأراك^(٢) فقد آهمت وسمى حجاز لما مر . وقال محمد بن عبد الملك
الأسدي : حد الحجاز ، الأول بطن نخلة وظهر حرة ليل . والحد الثاني مما يلي
الشام شعب وبدا ، والحد الثالث مما يلي تهامة بدر والسقيا ورهاط وعُكاظ ،
والحد الرابع شابة ووذان ثم ينحدر إلى الحد الأول ، وأما الشام واليمن فن الید
اليمني والید الشوی وهی الشمال لأن النی يستقبل الشمس تكون الیمن عن یمنه
والشمال الشام .

ما لاه فی هذه الأفطار من البؤر والمبانی المشهورة وغير ذلك

اعلم أن فی كل قطر من هذه الأفطار مدناً وبلاداً مشهورة ومیاهماً
ومعادن مختلفة ونباتات متنوعة قد استقصاها المؤرخون فی كتبهم المؤلفة فی هذه
الجزيرة وأقسامها كتاريخ جزيرة العرب لعدة أناس من أفاضل المتقدمین ، وتاريخ
مكة للإمام الأزرقي ، وتاريخ المدينة للإمام السمهودی ، وتواريخ الیمن ونجد وغير
ذلك مما لا یسما الحصر وفيها النفی عن التمرض لما حوته من المطالب فإنه من
یحصیل الحاصل ، ومع ذلك نشیر إشارة مجملة إلى ما كانت علیه هذه الأفطار ،
تنشيطاً للقارئین الأخیار (فأما الحجاز) ففيه من البلاد المشهورة المدينة النبویة
على ساكنها أفضل الصلاة وأكمل السلام . وقیل هی من نجد وهی بلدة طيبة
مباركة كثيرة الخیرات عذبة الیاه وافرة النخیل والثمار أهلها وسكنها یودون الغرباء
ویحبون من هاجر إلیهم ، ولها أسماء كثيرة نظمها بعض الأفاضل بقوله :

خَذْ جَمَلَةً یُصَاحِرُ مِنْ أَسْمَاءِ مَدِیْنَةِ الْهَادِی مِنْ الْأَسْوَاءِ
(مُحَمَّدٌ) نِیْنِیْنَا الْبُشْرِفِ الْهَاشِمِیَّ الْمِصْطَفِیَّ الْبِرَّ الْوَفِیَّ
فَطِیْبَةُ طِیْبَةُ وَوَطَّابَةُ وَطَّابُ تَعْرِفُ بِالْإِطَابِ

(١) هی أرض ذات حجارة نخرة سود (٢) الرخ : شجر سریع الوری ،
والاراک : شجر من الحمض یستاك به

حبيبة بيت الرسول والحرم
 ودار الإيمان ودار السنة ودار فتح مع دار الهجرة
 دار السلامة ودار الأبرار ودار الأخيار لنفى الأضرار
 حسنة مختارة مرزوقة مؤمنة مسكينة مغفولة
 مدخل صدق قبة الإسلام شافية من جملة الآلام
 أكالة القرى مع القدسة وهى الباركة خذ ما قبسه
 من نور أسماء مكان المصطفى نظم به أرجو موارد الصفا

وهى من البلاد القديمة الوضع والتأسيس ، فى كتاب نشر الحاسن اليمانية
 كانت مدينة يثرب للعرب نخرج إليها قوم من بنى إسرائيل فى زمن موسى بن عمران
 عليه الصلاة والسلام ففتحوها من العرب العاربة وفتلوا ملكا لهم يسمى الأرقم
 وأقاموا فيها ما شاء الله تعالى حتى افتقرت الأزد من مأرب فى حادثة سيل الهم ،
 فنزل الأوس والخزرج يثرب على الإسرائيليين ، ولهم ملك يقال له القطيمون
 فقتلوه ، وكان قائده سيد الحيين أعنى الأوس والخزرج ، واسمه مالك بن العجلان
 وهو ابن عم سالم بن عوف الخزرجى . فلما قتل الملك وفقت الصيحة باليهود
 فقتلوهم أبرح القتل وأبقوا منهم بعض القوم لعمارة الأراضى ، وملك الأوس
 والخزرج يثرب حتى بعث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فهداهم الله تعالى لطاعته
 ولم يسلم قبلهم بطن من العرب ، فصارت تلك فضيلة لهم من أحسن الفضائل
 والمآثر . ثم خرب من يثرب سبنون رجلا وامرأة واحدة مهاجرين إلى مكة فبايعوا
 رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على جرة العقبة جهراً ثم قالوا يا رسول الله قد
 اتبعناك تصديقاً لقولك وإيماناً بماقلك فاشترط لربك ولنفسك . قال : اشترط
 لربى أن تعبده ولا تشركوا به شيئاً ، ولنفسى ما تمنون منه نفوسكم وأبناءكم
 ونساءكم . قالوا : فإذا فعلنا ذلك فما لنا ؟ قال : الجنة . قالوا : رضينا . فبايعوه بذلك
 على رؤس الأشهاد ، وجميع الحيين من ربيعة ومضر حاضرون إذ ذاك يعنى ،

ثم قالوا أنأمرنا يا رسول الله أن نميل بأسيا فإنا على من في هذه الشاب ؟ فقال صلى الله تعالى عليه وسلم : ما أمرت بذلك . فلما رأَت قريش ما كان من فعل الأوس والخزرج جاء إليهم بنو عمه الأقرين ، منهم أبو جهل وعتبة وأبو سفيان وشيبة وأبى وأمية وسهيل وبنوه ومنبه والنضر بن الحارث وعمرو بن الناص ، فقالوا لهم : يا أهل يثرب إنا أولى منكم به لأننا صلته ولحمته . فقال لهم الأوس والخزرج : بل نحن أولى به منكم لأننا وإياه نمبد رباً واحداً . فلما رأَت قريش منهم صدق الهمة وقوة العزم خافوا حدوث الشر فذافعوم بالتي هي أحسن ، وقالوا : خلوا بيننا وبينه على أن له الأمان والتمام فلا يمرض له إلا الخير ولا لمن تبعه ، ومن أحب منهم أن يبلحق بكم لم نمنعه يريدون بذلك المهاجرين ، فكرهت الأوس والخزرج . فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : أجييوم يا مشر الأوس والخزرج فإن الله تعالى بالغ أمره ومنجز وعده فقالوا تطيب عن نفسك يا رسول الله أن نفعل ذلك ؟ قال نعم . قالوا : فالسمع والطاعة وضربوا بينهم أجلاً أربعة أشهر ثم رجعوا إلى يثرب ، فلما افترقوا همت قريش بالفتن فكفى الله تعالى نبيه شرهم ، وخرج من مكة بالوحي الذي أنزل عليه خائفاً يتربح حتى ورد المدينة عن أمر الله تعالى له بذلك ، فلما وصل إليهم صلى الله تعالى عليه وسلم هو وأصحابه المهاجرون معه سمحوا له ولجميع من وصل بمشاطرة الأموال ، ومن كان له زوجتان من الأوس والخزرج طلق إحداها وزوجها بعض المهاجرين ، فأتى الله تعالى عليهم بذلك فقال : (وَيُؤْزِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَعْنَهُ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)^(١) .

(١) قوله يؤزرون على أنفسهم أى يقدمون المهاجرين على أنفسهم في كل شيء من الطيبات حتى أن من كان عذبه امرأتان كان ينزل عن إحداها ويزوجها واحداً منهم ويجوز أن لا يعتبره مفعول يؤزرون خصوص المهاجرين : والخصاصة : الحاجة ، والشح الأثوم وهو أن تكون النفس كزة حريصة على المنع واضيف الى النفس لأنه غريزة فيها وأما البخل فهو المنع لنفسه ، والمفلحون الفائزون بكل مطلوب التاجون من كل مكروه

ثم نصر وارسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في جميع المواطن ولم يكن لهم عسكر حتى صار بينهم. فصارهم الأنصار فصار ذلك أزم لهم من النسب والاسم ، فهذه فضائل خصهم الله تعالى بها ، ثم إنه كان منهم ما كان من غزو المشركين وجهاد الكافرين ما هو مشهور ومذكور في سيرة ابن هشام وغيرها من كتب البحث مما لا يحتمل بسطه هذا المختصر . وأقام بينهم حتى توفي صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة وهي دار الأوس والخزرج وهم أكثر الناس بها عدداً ، وأعلام فيها يدا . (وفي الحجاز) أيضاً من البلاد : (الطائف) وهو بطن من جبل فزوان بشرق مكة وهو شديد البرد كثير الفواكه لما فيه من كثرة البساتين التي تسقيها العيون والجداول المنحدرة من الجبال وأهلها من ثقيف وهم من قيس عيلان وقيل من إباد ، وقيل هم من بقايا ثمود . ومن بلاد الطائف (وِج) وهو واديهما الذي يقول فيه الثقيفي :

سقياً لوجٍّ و جنوب وِجٍّ . واحتله فيثْ دِرَاكُ النَّجِّ (١)

وواد يقال له (النَّيْخَب) وهو من الطائف على ساحة . وواد يقال له (المرج) وهذا غير المرج الذي بين مكة والمدينة . وواد يقال له (لية) أسلاء لثقيف وأسفله لنصر ، وبين لية وبسل بلد يقال له (جلدان) تسكنه بنو نصر ، وبجلدان هضبة سوداء يقال لها (تبعة) ، وبها قُب كل قُب قدر ساعة كانت تلتقط فيه السيوف العادية والخز ويزعمون أن فيه قبوراً لماد ، وكانوا يعظمون ذلك الجبل . ومن بلاد الطائف (الشديق) وهو واد . و (الهدّة) بينها وبين السراة وقرية لبني نصر يقال لها (الفتق) و (عكاظ) نخل في واد بينه وبين الطائف لية وبينه وبين مكة زادها الله تعالى شرفاً ثلاث ليال ، وبه كانت تقوم سوق العرب بالابتداء ، وبه كانت أيام الفجار . وكانوا يطوفون بصخرة هناك ويمججون إليها ، وذو الحجاز ماء من أصل كُئِكب وهو لمذبل . وقال أبو عبد الله الواقدي عكاظ

(١) الدراك ككتاب اتباع الشيء بعضه على بعض ، والتج : الصب الكثير .

بين نخلة والطائف . وذو الحجاز خلف عرفة ومجنة بمر الظهران . وهذه أسواق قريش والعرب ولم يكن فيها شيء أعظم من عكاظ . وسيأتى تفصيل ذلك عند ذكر أسواقهم (وفى الحجاز) أيضاً من البلاد (خير) بمجمة وتحتانية وموحدة بوزن جعفر ، وهى مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع على ثمانية برد من المدينة إلى جهة الشام . وذكر أبو عبيد البكرى : إنها سميت باسم رجل من المالقي تزها وقد خرجت بعد استيلاء المسلمين عليها بقرون وكان فيها قبائل من اليهود التمرة ، وكانوا وصفون بالكر والنجب ، وكان السموءل بن عاديا اليهودى ساكناً فيها . وقيل كانت للمالقة ثم سارت لبني عنزة بن أسد بن ربيعة . وكانت رديئة ، الهواء كثيرة الوحامة دأمة الواء ، تولد الحيات وحماها شديدة ، قال بعض الشعراء فى ذلك :

ومن يك أسمى فى بلاد مقامه يسائل أطلالا بها لا تجاب
وقفت بها أبكى وأشمر سخنة كما اعتاد محمواً (بخير) صالب
وخير هذه كانت كثيرة النخل يحمل منها التمر إلى الجهات القصوى وفى ذلك يقول خارجة بن ضرار الرى :

أخالد هلا إذ سَفَهَتْ عشيرة كَفَفَتْ لسان السوء أن يتدعراً^(١)
فإنك واستبضاعك الشمر نحونا كستبضع تمرأ إلى أرض خير^(٢)
وفى اليوم بقايا من النخيل والبساتين يسكنها على خرابها بعض الفلاحين والمبيد السود . و (فذك) قرية من قراها كان بها نخيل وصوفى للسلطان ورروع . قال الشاعر :

من عجوة الشق تطوف بالودك ليست من الوادى ولكن من (فذك)
وأما (الجار) فهى إلى الجنوب الشرق من المدينة للتورة هلى نحو يوم وليلة

(١) نصب عشيرة على التمييز أى سفهت عشيرتك ، والدعارة : الخبيث وتأتى بمعنى الشراسة فى الخلق أيضاً . ١٢١ استبضع الشيء جعله بضاعة وهذا مثل وخص خير بالذكر لكثرة نخله .

وهي فُرْضة المدينة وإليها ينسب جماعة ، منهم عبد الملك بن الحسن الجارى الأحول ، وإلى الجنوب الشرق منها على نحو مرحلة ماء يقال له (بدر) وبقره قرية (بدر) . وفي كتاب فتح البارى : هي قرية مشهورة نسبت إلى بدر بن غلد بن النصر بن كنانة كان زلها ، ويقال (بدر) اسم البئر التي بها سميت بذلك لاستدارتها أو لصفاء مائها فكان البدر يرى فيها . وحكى الواقدى إنكار ذلك كله عن غير واحد من شيوخ بنى غفار ، وإنما هي مأوانا ومنازلنا وما ملكها أحد قط يقال له بدر وإنما هو علم عليها كثيرها من البلاد انتهى . وفيها كان يوم بدر وهو اليوم الذى انتصر فيه المسلمون على المشركين من قريش ، وكان ممن قتل فى ذلك اليوم بدر بن الأسود بن زَمْعَة بن المطلب بن نوفل القرشى وكان من المشركين ، فرثاه أبوه بقوله :

أتبكي أن يضلّ لها بعرٍ وعينها من النوم السهودُ
فلا تبكٍ على بكرٍ ولكن على بدرٍ تقاصرت الجدودُ

وعلى نحو منتصف الطريق بين الجحفة التي هي الآن خراب وبين مكة عُفان ويقال لها مدرج عثمان وهي المنية بقول عنزة العبسى :

كانها يومَ صَدَّتْ ما تُكَلِّمُنَا ظَنِّي بِمُسْفانٍ ساجى الطرف مطروف

وإلى شرق المدينة جبلا طيَّوْها (أجا وسلمى) ذكروا أنهما اسمتا شخصين من العرب كان أحدهما أجا يشق سلمى ، وكانت الموجاء تجمع بينهما فصلبوها على هذه الجبال فسميت بأسمائهم ، وهي المرادة بقول جابر بن رالن النسبى :

ونحن غلبنا بالجبال وعزها ونحن ورثنا غيتها وبيدنا
أراد بالجبال أجا وسلمى وهضابهما . ويقول حسان بن حفظة الطائى :

غضبتُ على أن اتصلتُ بطيِّه وأنا امرؤٌ من طيِّ الأجيال

أى أجا وسلمى وهوارض ، وفي الحجاز جبال كثيرة وأودية وبلاد وقرى وعيون وآبار لا يمكننا استقصاؤها فى هذا المقام .

وأما هاتان

فهي من البلاد مكة المكرمة شرفها الله تعالى ، والقول بأنها من الحجاز مردود . وسيتأتى تفصيل الكلام عليها إن شاء الله تعالى قريباً ، وكانت تسمى (أم القرى) لكثرة القرى التي حولها ، وكان من بلاد هذيل في طريق مكة على ليلتين نخلتان نخلة اليمانية يصب فيها (يدعان)^(١) وهو وادٍ به مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وبه عسكرة هوازن يوم حنين ، و (نخلة الشامية) وبجتمها بطن مر . و (سيوحة) وهو وادٍ يصب في نخلة اليمانية و (أبام) و (أبيتم) ، وكانا لهذيل وهما شعبان بينهما جبل مسيرة ساعة من النهار ، وقد قال فيهما السعدي سعد بن بكر :

١٠ وإن بهذا الشعب بين أبيتم وبين أبام شعبة من فؤاديا

ثم فوق ذلك شعب يقال له (نخا) وكان لهذيل أيضاً . ثم (الراخ) وهي لهذيل وهي ثلاثة شهاب تصب من (داة) . وداة هي الجبل الذي يحجز بين نخلتين ، ثم (عشر) وهو شعب لهذيل يصب من داة أيضاً . وقبالة عشر من شق نخلة الأخرى شعبان يقال لها (الصهياتان) يجيئان من السراة وبينهما وبين (بسوم) جبل يقال له (الرقبة) كان مرقبة لهذيل تكون رقباًؤم فيه . وشعب يقال له (هلال) يحى من السراة أيضاً من بسوم . ثم شعب مثل هذا أيضاً يقال له (خيص) وبسوم جبل لهذيل وشعبان يقال لها (الكفوان) الكفو الأبيض والكفو الأسود وهما طريقان مختصران يصعدان إلى الطائف . وهما مفان لا تطلع عليهما الشمس إلا ساعة من نهار وهما شعبا سار وهما بلاد مهائف تهاف الغم من الرعى الذي في التآر ولا يرعيان إلا في الصيف وهذه كلها أعلى نخلة اليمانية . ثم تصير إلى (البويات) وهي صحراء ، وهي بلاد سعد بن بكر ،

(١) بالياء المثناة .

وقرن وهو بين المناقب والبواب هو أقصى البواب ، وهي وادي يحيى من السراة
لسعد بن بكر ولبعض قريش وقرن منبر . قال الشاعر :

لا تقمرنَّ على قرن وليلتنه لا إن رضيت ولا إن كنت مفتضبا

ثم تجلس إلى نجد تطلع (المناقب) والمناقب جبل مترض يقال له المناقب
لأن فيه ثنانياً طُرُق إلى اليمن وإلى (اليمامة) وإلى أعالي (نجد) وإلى (الطائف)
ففيه ثلاث معاقب ، عقبة يقال لها (الزلالة) ، وعقبة يقال لها (قرين) . وأخرى
يقال لها (البيضاء) . وبالزلالة صخرة وهي التي أغم منها (العقيل) ناقة فاقطعت
من شق وذلك أنهم خاطروه ، ومن جبال مكة وشعابها جبل يقال له (الخندمة)
وفيه بنيان مكة منها شعب بن عامر . ومنها (أجيادان) أجياد الصغير وأجياد
الكبير . ومنها (أبو قبيس) . ومن جبال مكة (ثور) وهو بالفجر من خلف
مكة على طريق اليمن ، و (ثيران) وما جبلان مفترقان يصب بينهما (أفاعية)
وهو واد يصب في (منى) . قال الأعمى (فُزَح) هو القرن الذي يقف عنده
الإمام (بالمزدلفة) قال : و (ثبير غيناء) و (ثبير الأعرج) وما حراء . و (ثبير)
و (أبو قبيس) و (الخندمة) جبال مكة وما حولها وأبناء طمر واحد وعير والجماء
وذباب بالمدينة وقربها . والقصوص بخير ، إلى غير ذلك مما يطول ذكره . ومن
تهامة « ينبع » وهي مدينة قريبة من البحر كانت منزلاً لبني الحسن بن علي بن
أبي طالب ولها فُرْصَةٌ^(١) على البحر نحو مرحلة منها وبقرها جبل (رضوى)
الذي يحمل منه حجر المسن إلى الآفاق وأما « جَدَّة » فهي على البحر الأحمر وهي
فرصة مكة « والحديبية » قيل بعضها في الحل وبعضها في الحرام « وتَبُوك » على
نصف المسافة بين المدينة ودمشق ، وفيها كانت الواقعة العظيمة بين المسلمين
والروم ، وفي تهامة كثير من البلاد منها ما قد خرب ، ومنها ما بقي على وضعه
الأول ، ومنها ما حدث في الأزمنة الأخيرة . وبيانها على وجه التفصيل في كتب
معدَّة لذلك .

وأما العروصة

فقد اشتمل على ناحيتين ، الأولى « اليمامة » وهي مدينة دون مدينة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في القدار ، كان بينها وبين البصرة ست عشرة مرحلة وبينها وبين الكوفة مثل ذلك ، وهي أكثر تحلاً من بلاد الحجاز وفيها مياه كثيرة ، ومنها كان (مُسَيْلَمَةُ الكَذَّاب)^(١) الذي ادعى النبوة في زمن النبي

(١) هو ابو ثمامة مسيلمة بن جبيب الحنفي من اهل اليمامة كان صاحب اسجاع ومخاريق وتمويهات وادعى النبوة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة فمالزال يخفى ويظهر ويقوى ويضعف واهل اليمامة فرقان أحدهما تعظمه وتؤمن به والاخرى تستخفه وتضحك منه ، وكان يقول : انا شريك محمد في النبوة وجبريل عليه السلام ينزل على كما ينزل عليه وكان يقول يا بنى حنيفة ما جعل الله قريشا احق بالنبوة منكم وبلاذكم اوسع من بلادهم وسوادكم اكثر من سوادهم وجبريل ينزل على صاحبكم مثل ما ينزل على صاحبهم ولما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وجد الناس يتذكرونه وما يلغهم عنه من قوله وقول بنى حنيفة فيه فقام يوما خطيبا فقال بعد حمد الله والثناء عليه : اما بعد فاما هذا الرجل الذي تكثرون في شأنه فكذاب بلاتين كذابا قبل الدجال فسماه المسلمون مسيلمة الكذاب واظهروا شتمه وعيبه وتصغيره وهو باليمامة يركب الصعب والدلول في تقوية امره ويعتشد برجال ابن عنفوه وهو ينصره ويحب عنه ويصدق اكاذيه ويقرأ اقاويله التي منها :

والشمس وضحاها ، في ضوئها ومجلاها ، والليل اذا عداها ، يطلبها ليغشاها ، فادركها حتى اتاها ، واطفا نورها فمحها ، ومنها : سبح اسم ربك الاعلى ، الذي يسر على الجبلى ، فاخرج منها نسمة تسعى ، من بين احشاء ومعى ، فمنهم من يموت ويدس في الثرى ، ومنهم من يعيش ويبقى الى اجل ومنتهى ، والله يعلم السر واخفى ولا تخفى عليه الآخرة والاولى .

وكتب مسيلمة الكذاب الى النبي صلى الله عليه وسلم كتابا قال فيه : الى النبي محمد رسول الله من مسيلمة رسول الله اما بعد فاني قد اشركت في الأمر معك وان لنا نصف الارض وقريش نصفها ولكن قريش قوم يعتدون ولا يعدلون ، وختم الكتاب وانفذه مع رسولين فلما قرىء الكتاب على النبي صلى الله عليه وسلم قال لهما ما تقولون ؟ قالا نقول كما قال ابو ثمامة ، فقال اما والله لولا ان الرسل لا يقتلون لقتلتكما ، واملى في الجواب : من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والمآقية للمتقين ، ولما صدر الرسولان الى مسيلمة الكذاب افعلن كتابا يذكر فيه انه جعل له الامر من بعده فصدقوه بنو حنيفة وبلغ من تبركهم به انهم كانوا يسألونه ان يدعو لمريضهم ويبرك لولودهم وجاءه قوم بمولودهم فمسح رأسه فقرع وجاءه رجل يسأله ان يدعو لمولود له بطول العمر فمات من يومه ولما انتقل النبي صلى الله عليه وسلم الى جوار ربه وارتدت العرب بعث ابو بكر رضى الله عنه خالد ابن الوليد الى حرب اهل الردة فاوقع بهم وانتصف منهم ثم امره ابو بكر (رض)

صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقتل في زمن أبي بكر رضى الله عنه . ومنها أيضاً (زرقاء اليمامة) ^(١) وكانت مشهورة بمجدة البصر ومزید الفطنة والذكاء ، ويقال : لأنها كانت تبصر من مسيرة أيام ولها قصص شهيرة . وفي اليمامة أيضاً بلاد آخر هي اليوم خراب . الناحية الثانية ببلاد البحرين ، ، وهو قطر متسع مجاور لبحر فارس كثير النخل والثمار والشهور فيه من البلاد « هَجَر » بفتح الهاء والجيم ، وكانت هذه البلدة قاعدة البحرين وخرابها القرامطة عند استيلائهم على البحرين ، وبنوا مدينة (الاحساء) وزلوها وصارت إذ ذاك قاعدة البحرين ، وهي مدينة كثيرة المياه والنخيل والقواكه . وبينها وبين (اليمامة) نحو أربعة أيام ، وفيها غير ذلك من البلاد المتسعة والأقرب والمياه .

وأما نجد

فهي أطيب أرض في جزيرة العرب ، ولذلك ترى الشعراء قديماً وحديثاً يلهجون بذكرها ويتزعمون ربها ورباً عطريها قال قائلهم :

يقصد اليمامة ومقارعة مسيلمة ففعل وزحف إليها في وجوه المهاجرين والانصار ولتقاء مسيلمة في خيله ورجله ولما كان يوم اليمامة حمى الوطيس واشتدت الواقعة والتجأ بنو حنيفة وفيهم مسيلمة الى حديقة سميت من بعده حديقة الموت فاقتحمها خالد رضى الله عنه والمسلمون ووضعوا فيهم السيوف وقتل الله مسيلمة فاشترك في قتله وحشى بحرته وعبد الله بن الزبير بسيفه وفتح الله تعالى اليمامة على المسلمين وأفاء عليهم الفنيمة (١) العرب تضرب المثل بها في جودة البصر وحدة النظر ويقال إن اليمامة اسمها وبها سميت بلدها اليمامة ثم أضيفت الى البلدة فقيل زرقاء اليمامة واسم البلدة جو وربما قيل زرقاء الجو كما قال أبو الطيب المتنبي : وأبصر من زرقاء جو لأننى إذا نظرت عيناى شاءهما طمى وهي امرأة من جديس كانت تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام على ما يذكر أهل الأخبار والقصص ، والنفس تنفر من تصديق ما يدكرون ، قالوا : ولما قتلت جديس طسما خرج رجل من طسم الى حسان بن تبع فاستجاشه وارغبه ، فخرج في جيش جرار فلما كانوا من جو على مسافة ثلاثة أيام صعدت الزرقاء السطح فنظرت الى الجيش وقد أمروا أن يحمل كل رجل منهم شجرة يستتر بها ليلبسوا عليها فقالت يا قوم قد اتكم الشجرة او اتكم حمير وقد أخذت أشياء تجرر اى تسحب فلم يصدقوها فقالت : احطف بالله لقد ارى رجلاً ينهش كتفاً او يخصف نعلًا فلم يصدقوها ولم يستعدوا حتى صبحهم حسان فاجتاحهم وأخذ الزرقاء فشق مينيها فاذا فيها عروق سود من الالامد والله أعلم

أقولُ لصاحبي والميسرُ تهوى بنا بينَ المنيعةِ فالضمارُ : (١)
 تمتع من شميمٍ عرارٍ نجدٍ فما بعدَ المشيةِ من عرارٍ : (٢)
 ألا يا حَبِذا نَفحاتِ نجدٍ وربَّما روضه بعد القطارِ : (٣)
 وأهلكَ إذِ يحلُّ الحىُ نجداً وأنتَ على زمانِكَ غيرَ زارى : (٤)
 مُهورٌ يَنْقُضينَ وما شعرنا بأنصافٍ لهنَّ ولا سِرارٍ : (٥)

وقال عبد الله بن الهمينة الخثعمي (٦)

ألا يا مَبِجا نجدٍ متى هَجَّتْ من نجدٍ لقد زادني مسراكَ وجداعاً على وجدٍ : (٧)
 ألنْ هتفتَ ورقاءَ في رَوْقِ الضحى على فننَ غُصَّ النَّباتِ من الرُّندِ : (٨)
 بكيتَ كما يَبْكِي الوليدُ ولم تكن جليداً وأهديتَ الذي لم تكن تُبْدِي : (٩)
 وقد زعموا أن الحبَّ إذا دنا يَمَلُّ وأنَّ النَّأى يَشْنُو من الوجد على ذاكِ قُربِ الدارِ خيرٌ من البعدِ
 على أن قُربَ الدارِ ليسَ بِنافعٍ إذا كانَ من تِهْواءِ ليسَ بذي ودٍّ

وقال السَّمة بن عبد الله

حَنَنْتُ إِلَى رِيا ونَفَسْتُ بِاعْدَتِ مزارِكِ من رِيا وشعبا كما مَما (١٠)

(١) المنيعة : ماء لبنى تميم ، والضمار : اسم موضع ، وقوله فالضمار كان حق العطفان يكون بالواو لأن بين لاندخل الا بين شيئين متباينين او الاشياء الا اذا اريد بين اجزاء المنيعة فيصير المنيعة كاسم الجمع نحو القوم والعسيرة (٢) التميم مصدر ويقال تمتع بكذا ومن كذا والعرار : وردة ناعمة صفراء طيبة الرائحة ، وقوله من عرار من لاستغراق الجنس (٣) النفح تضسوع الرياح بالنسيم الطيب ، والريا : الرائحة هنا ، والقطار جمع قطار وهو المطر (٤) لرى عليه : عابه وانزى به قصر به (٥) سرار الشهر آخره والمعنى أن الزمان المذكور شهوهر مضت وما علمناها باتصافها ولا بأواخرها لما كان فيه من اللذة وطيب العيش (٦) الهمينة امه وهو احد بنى عامر بن تيم الله ويكنى ابا السرى وهو شاعر اسلامي مجيد محسن وعده جرجي زيدان « تاريخ آداب اللغة العربية » من شعراء الجاهلية وهو خطا بين لانخطى على ذى بصيرة فليحذر من سقطاته وزلاته ، بل ودسائسه (٧) الصبار ربح الطبول وهاجت : ثارت والمعنى الا ياصبا نجد متى كان هبوبك من نجد اتى هي ارض المحبوب فلقد زادني مسراك حزننا على حزن أى ماكان منك هبوب الا كان منى وجد (٨) الورقاء : الحمامة التى مال سوادها الى البياض « والروق : الضياء ، والرند : نوع من الطيب ، والفنن : الفصن الناعم والفض : الطرى (٩) الجليد : القوى ، والنأى : البعد (١٠) الحنين : تالم من الشوق ، رريا اسم امرأة ، وباعدت ابعدت والوارد فى الموضعين من البيت واو الحال ، والمزاور الزيارة ، والشعب : الحى

فأحسن أن تأتي الأمر طائفاً وتَجَزَّعَ إنْ دأى الصباية أسما
 قفاً وَدَّما نجداً ومن حل بالحي وقل لنجد عندنا أن يودَّما^(١)
 بنفسى تلك الأرض ما أطيب الرُّبا وما أحسن المصطاف والمتربما^(٢)
 وليست عشيائ الحى بواجب عليك ولكن خل عَيْنِكَ تدمما
 ولما رأيت البشر أعرَضَ دوننا وحالت بناتُ الشوق يَحْنُ نَزَّما^(٣)
 بَكَتْ عَمَّى اليسرى فلما زجرها عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا^(٤)
 تَلَفَّتْ نحو الحى حتى وجدتنى ورجعتُ من الإصغاء ليتاً وأخذما^(٥)
 وأذكرُ أيام الحى ثم أشهى على كبدى من خشية أن تصدما
 وفى نجد بلاد كثيرة ، وفيها أرض المالِية التى كان يَحْمِيها كَلْبٌ بن وائل وأفضى
 بذلك إلى قتله واقتُشاب حرب البسوس التى استقامت مدة مدينة وأعواماً عديدة ،
 وقد ألف أبو لئمة الأصفهاني كتاباً فيما كان فى نجد من البلاد والقرى والجبال

(١) الحمى : موضع فيه ماء وكلاء يمنع الناس منه ، والنجد كل ما ارتفع
 من تهامة إلى أرض العراق (٢) الألف واللام فى الربا عوض عن المضاف إليه
 والربا جمع ربوة وهى ما ارتفع من الأرض ، والمصطاف : مكان الصيف ،
 والمترىع : مكان الربيع والمعنى أفدى بنفسى تلك الأرض لطيب رباها العجيب
 وحسن فصلها صيفا وربيعا (٣) البشر جبل بالجزيرة ، وأعرض : أبدى عرضه
 وجانبه ، وحالت : تحركت ، وبنات الشوق : نوازع الحنين كأطفال الحب
 وهذه استعارة لطيفة جميلة وأراد بها مسببات الشوق وآثاره ، والنزع جمع
 نازع أى مشتاق (٤) بكت عيني جواب لما فى البيت قبله : والعجب كل العجب
 من بعض أئمة اللغة المتقدمين فإنه لما تكلم على هذا البيت قال « واختلف فى
 معناه الصحيح أنه كان أعور والعين الموراء لا تدمع » فهلا نظر إلى قوله
 واسبلتا معا ، والذي أراه أنه لما رأى البشر أعرَضَ دونهُ وتحركت مسببات
 الشوق بالحنين مشتاقة إلى نجد دمت عينه اليسرى والإنسان كثيراً ما إذا
 اشتاق إلى الشيء هو مغرم به وحظى برؤيته تدمع إحدى عينيه فتطوعها
 الأخرى ، وقوله قلما زجرتها الخ يريد أنه لما منعها من البكاء الذى يشعر
 بالجهل بعد الحلم وتيقن أن البكاء لا يفيد مع اليأس من القرب طوعتها البمنى
 فدمعتا معا ، والظاهر أن المراد بالجهل بعد الحلم الجزع بعد الصبر (٥) تَلَفَّتْ
 التفت ، والبيت صفحة الضيق ، والاخذع عرق فيها ، والأصغاء الميل ولبنا
 واخذما منصوبا على التمييز ، والمعنى لما حان الفراق صرت أكثر من الالتفاتات
 جهة الحى حتى وجدت نفسى وجع الليث والاخذع لدوام التفانى تحسرا فى
 اثر الفاتى من أحبابى ودبارهم

والمادئ والياه ومن ملكها من قبائل العرب في سالف الأيام ، ومن جملة ما ذكر في كتابه ؛ قال ابن الأعرابي : نجد اسمان السافلة والمالية ، فالسافلة ما ولي العراق . والمالية ما ولي الحجاز وتهامة . وقال الأحمسي : إذا جُزَّت ذات عرق إلى البحر فأنت في تهامة ، وإذا جُزَّت وَجْرة وَغَمرة فأنت في نجد إلى أن تبلغ المذيب ، وغمرة في طريق الكوفة . ووجرة في طريق البصرة إلى هنا ذكر نجد . قال : يقول بعض الناس : إذا بلغت المذيب من ناحية الكوفة وهي من الكوفة على مرحلة فأنت في نجد إلى أن تبلغ حد تهامة . وقال الأحمسي : إذا جاوزت عجلز من ناحية البصرة فقد أنجبت ، وإذا بلغت من ناحية الكوفة سيماء أو دونها فقد أنجبت إلى أن تبلغ ذات عرق ، فإذا تصوبت في ثنانيا ذات عرق فقد أنهت ، ويقال : إذا خرجت من المدينة على مشرفها أفضل الصلاة وأكل السلام فأنت منجحدان تصوب في مدارج العرج فإذا تصوبت فيها فقد أنهت إلى مكة المكرمة . قال : ويقول أهل المدينة أخذت التهامة أم النجدية ؛ فالتهامية التي على عسفان والجحفة ، والنجدية التي طريق الرَبَذة . قال : وللبصرة إلى مكة طريقان : أما أحدهما : فالصحراء عن يسارك وأنت مُصمِّدٌ إلى مكة ليالي ، فإذا ارتفعت فنجرت من فاج فأنت في الرمل فإذا جاوزت النجاج والقرتين فقد أنجبت ، وإذا أخذت طريق المُنْكَدِر إلى كاظمة فثلاث إلى كاظمة ، وثلاث في الدو . وثلاث في الصنان ، وثلاث في الدهناء . وعن غيره قال بعضهم : إذا جاوزت الحفر حفر أبي موسى الأشعري رضى الله تعالى عنه ، وهو حفر بني المنبر كان أبو موسى احتفر فيه ركية فأنت في نجد . وقال بعضهم : حدث نجد من النجاج وهو لبني عبد الله بن عامر ابن كرز . ويقول بعضهم : إذا جُزَّت القصيم فأنت في نجد إلى أن تبلغ ذات عرق ثم تهام ، والقصيم موضع كان ذا غصى فيه مياه كثيرة ، وقرى منها القريثان قريتا ابن عامر أحدهما يقال لها : المسكران . قال : وكان أهل القصيم يسكنون في خيام الخوص ، وهي منازل بني عبس وغيرهم وفيه نخل كثير وهو من عمل

المدينة ويقال حد القصيم قاع بولان وهي مفازة . قال : والقصيم رمل وبالفصيم ماء
لبنى أسد في الرمل عليه خيام من الخوص كثيرة يقال له الحويرثية . قال الشاعر :
على الرُّبْع الذي يَحْوِي رِثَاتٍ من الله التحية والسلام
وبالقصيم عجلز^(١) وهي ماء لبنى مازن وهي النصف بين البصرة ومكة
قال الرازي :

الله نجباك من العجالي ومن جبال طخفة النواشر^(٢)

والعجالي رجب ، وعجلز وما حولها من المياه ورجب ماء لبنى مازن بالقصيم
أيضا . وقد ذكر هذا المؤلف رحمه الله جميع القرى والجبال والمياه والمعادن
وما ورد من الشعر في ذلك . قال بعض شعراء العرب يذكر بعض منازل نجد
ويتشوقها ، وهو قائد بن حكيم الربيع :

خليلى إن حانت بمصر مَنِيَّتِي وأزمت أن تحفرا لي بها قبرا^(٣)
فلا تسبيا أن تقرأ لي على النضى ونجد سلاماً قليلاً ولا تزارا^(٤)
وإن سرت ياسبحان ربى بالنضى أوالرت من نجد غيسة صمرا^(٥)

(١) ورد في القاموس وشرحه الناج : عجلزة بالكسر رملة بالبادية بازاء حنر
أبي موسى وتجمع على عجالي ذكرها ذو الرمة فقال :

مردن على العجالي نصف يوم وأدين الأواصر والخضلا
قال الصاغاني ولم أجده البيت في شعر ذى الرمة في قصيدته التي أولها :
اناخ فريقي جيتك الجمالا كأنهم يريدون احتمالا
في نسختي من ديوانه التي قابلتها وصححتها باليمن والمراق ولكنه يقصر
منه قطرات غدوبة أنفاسه وسلاسة ألفاظه وانما هو لابن أحمر والرواية
وقضين وقد وقع ذكر العجالي في رجز اهلب بن عمير العيسى :

قاظ القريبات الى العجالي يرد شغب الجمع الحوامز
وهي جمع عجلزة التي ذكرها الجوهري بعينها ، قال الزبيدي ومما يستدرك
عليه برملة عجلزة ضخمة صلبة وكتيب عجلز ضخم صلب والعجالي مياه
بضة بنجد هكذا ذكره في مختصر البلدان ويمكن ان يكون المراد في الرجز فتأمل
(٢) طخفة جبل احمر حلاؤد ابار ومنهل ومنه يوم طخفة لبنى بربوع على
قابوس بن المنذر بن ماء السماء ، والنواشر : المرتفعة ١٣١ بقال ازعمت الأمر
وعليه أجمعت او ثبت عليه كزعمت (٤) النضى : شجر وخشب من اصلب
الخشب ولهذا يكون في فحمة صلابه (٥) المرت : المفازة بلا نبات أو الأرض
لايجف ثراها ولا ينبت مرعاها

وقال أيضاً

متى العيسُ من مصر بنا رافعاتنا إلى نجدٍ أو باد لعيني قلاهما
ومزج إليها الطرف حتى يرده قوس القرى في البعد يخفق آلهما
على متن عاديٍّ كأن أماره رجال تنادي أفلتها جالها
وقوله ومزج أى يسوق نحوها الطرف ينظر إليها ويعنى بقوس القرى
هضبة . وقال عباس بن خليل النعمري بنوح على بنى جذيمة بن مالك بن نصر ،
ويقال إن القائل مرار القمسي :

ولقد أرى التلثوت يأنف بنته حتى كأنهم أولو سلطان^(١)
ولهم بلاد طالبا عرفت بهم صحر اللا ومدافع السيمان
ومن الحوادث لا أبا لأيسكم إن الأجيرَ قسمة شطران
طرقت مخاضَ بنى آتيف عنوة سبحانك اللهم ذا السبحان
طردوه إن لافوا غلاماً واحداً ونسوا موائق معقد الإيمان
فلو المهديم لقوا أو ابني دهمج عرفوا التلثك أسرع الدرفان
سكنوا شبيثاً والأحص وأصبحت نزلت منازلهم بنو ذبيان^(٢)
وإذا يقال أتيتم لم يرحوا حتى تُقيم الخيل سوق طمان
وإذا فلان مات عن أكرومة رقموا معاوِرَ قنده بقلان
وقد أحلنا استيفاء بلاد نجد وقرائها وجبالها ومعادنها وغير ذلك على كتاب
الأصهباني السابق ذكره .

وأما اليمن

فهذا إقليم عظيم متسع الأرجاء ، متباعد الأطراف والأخاء ، لم تزل محمودة

(١) التلثوت كجبروت واد أو أرض بين طيء وذبيان (٢) شبيث والأحص موضعان بنهماة وموضعان بطلب وفي المثل : تخطى إلى شبيث والأحص ، قال في الفرائد : شبيث ماء لبنى الأصبط بطن الجريب في موضع يقال له دائرة شبيث ، والأحص : موضع هناك ، قاله جساس الكليب حين طعنه فقال اغثنى بشربة ماء فقال تجاوزت شبيثاً والأحص ، يعنى ليس حين طلب الماء يضرب لمن يطلب شبيثاً في غير وقته

على أسنة الأسفياء ، لما أودع الله فيها من الركة في جميع الأشياء ، وكانت تسمى الخضراء لكثرة مزارعها ونخيلها وأشجارها وأثمارها ومراعيها وريتها . قال الكلاعي في قصيدته :

هي الخضراء فاسأل عن رباها يُخبرك اليقين المخبرونا
وَيُعْطِرها اليمينُ في زمان به كل البرية يَظْمُونَا
وفي أجبائها عزٌّ عزيز يظل له الورد مقتاصرينا
وأشجاراً منوَّرة وزرع وفاكهة تروق الآكلينا

وأرض اليمن مقسومة ثلاثة أقسام : قسم برارى سهلة ، وقسم جبال وعرة ، وقسم بحر . فقد أبو الحسن الكلاعي من البرارى السهلة مواضع شرقية ، ومواضع غربية ، فن الشرقى مأرب ونجران وحضر موت وجوف همدان والشحر وبيجان . وعد من الغربية زبيدأ وعلافة وعسيرا وسرد ومورا وأرض حكم وهي من المبيضة إلى جلى ، قال : وفي هذه البرارى والسهول من المنافع والفضائل والخير الطائل ما لا يحصى له عدد ، ولا يبلغ له أمد ، وعد من قسم الجبال . جبال اليمن المشهورة بالشموخ والسمّة ، والخشب والمنعة ، والجناب والرفعة ، وهي صر ومخلاف جعفر ودخر وبمدان ووصاب وعممة وأريعة وبرع وحفاش وملحان وحضور وقيس ومسور والشرف وجبل هنوم ، وذكر أن فيها من الخيرات والفضائل ما لا يحصى إلا على جاهل أو متجاهل ، وكف فيها من اليساين والعيون الجارية والفواكه والروعات ، والأشجار والثرات ، والمائل النيمة ، والحصون القاهرة . مما لا يوجد في كثير من الديار مثله ، ولا يوصف شكله . وعد أيضاً جزء البحر وما يخرج منه إلى اليمن فقال : يخرج منه اللؤلؤ والمرجان والعنبر الذكي . قال : وأما الذى كان يصل إلى اليمن من البلدان البعيدة بواسطة البحر فالند والياقوت وأسنان المسك والكافور والعود الرطب وأنواع المطر والنفث والحديد ، هذا كله من بلاد الهند . وأما الذى كان يصل من الصين فالحرير

والقصب . وأما الذي كان يَصِل من عمان وأرض فارس فكثير من التحف التي يطول ذكرها .

بعض ما لاه في اليمن من المعادن

ذكر في كتاب نثر المحاسن اليمنية إن في اليمن كثيراً من المعادن ، منها مَعْدِنُ عَشَمٍ وَمَعْدِنُ ضُنْكَانٍ وهما معدنا ذهب جليلان . ومعدن القفاعة من أرض حِمْيَر وهو دونهما . ومعدن في أرض بني حميد وهو دونه . وأما معادن الفضة فإن فيها مَعْدِنُ الرصاص وهو موضع بين فهم بطن من همدان وبين خولان المالسة وبين مراد ، وهو معدن جليل كان اعتماد أهل اليمن عليه فلما ضعفت السلطنة قتلت العرب عليه وخربت قرية الرصاص وكان أهلها من العَرَنِيِّين^(١) فانتقلوا إلى صنعاء . وأما معادن الجزع واليقران والمقيني فهما جميعاً بأرض مَقرى من مخاليف اليمن الشرقية . وأما حجارة الحديد فإن في اليمن جبالا كثيرة يصلح منها الحديد بعضها بعدن أَيْتِينَ وبعضها بأرض وادعة بين صعدة والحجاز ، وفي بجران أيضاً جبل من حديد . ومنها ييجان ضرب من حديد سيوف كثيرة كانت مع وله سبأ بمأرب لم يكن لها في السيوف قياس ولا مثيل .

ما لاه في اليمن من القصور والباني الشهيرة

كان في اليمن حصون كثيرة ، ومساكن عامرة ، وقصور عجيبة فاخرة ، منها : قصر غَمْدَانَ الذي كان بصنعاء وهو قصر عجيب فاخر أُسِّسَه — كما في كتاب نثر المحاسن اليمنية — أَزَالُ بْنُ قَحْطَانَ بأمر أخيه يرب بناء عشرين طبقةً بعشرين سقفاً بين كل سقفين عشرين ذراعاً وجعل فيه مائةً مسكنةً ، وكان أعلى غُرْفَه مَمَرَّداً بالقوارير . وذكر بعض المؤرخين : أن قصر غمدان هو بظاهر صنعاء اليمن وله غرف شهيرة يسمونها المحارب وهو محكم البناء عجيب

(١) عرنة بالضم اسم قبيلة ورهط من العربيين ارتدوا فقتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها في الصحاح .

الارتفاع لأنه مبيع طبقات وفيه مالا يوصف من الزخارف والصنائع القريبة .
بناء الملك سُرحبيل بن عمرو بن غالب بن النُتاف بن زيد بن يعفر بن السكسك
ابن وائل بن حير ، وأقام فيه مدة ملكه ثم صار بعد ذلك دار الملك للتبابعة .
وذكر بعضهم : أن عُمدان قصر باليمن بناء يَشْرُخُ بأريهة وجوهٍ أحر وأصف
وأبيض وأخضر ، وبني داخله قصراً بسبعة سقوف بين كل سقفين أربعون ذراعاً .
وعلى كل قول من هذه الأقوال أن قصر عُمدان كان من أعاجيب الباني في وقته
فلذلك أكثر شعراء الجاهلية من ذكره في شعرهم ونوهوا بشأنه . ومنها : ظفار
وهو قصر الملك أبرهة ، وقد كان أيضاً من الأبنية العظيمة . ومنها : سَلْحِيْن وهو
قصر بناء الحارث الرائي بين صنعاء ومأرب . ومنها : ناعظ قصر ملوك همدان .
ومنها : بينون قصر بناء تَبْعُ النَّائِد بأرض عنتر . ومنها : صرواخ لسعد بن خولان .
ومنها : قصر المشب . ومنها : قصر النقاء . ومنها : موكل قصر في الشرق
بناء أبرهة ذو النار بن الحارث الرائي . ومنها : راقين ومعين قصران مقتبلان
بالجوف . ومنها : تلم قصر همدان بريدة . ومنها : هكر والأهجر قصران في أرض
عبس . ومنها : دورم لصهر أبرهة بن الصباح . ومنها : أعماد لسنام بنى شان ،
وهو من ولد سبأ الأصغر .

ومن المدن الشهيرة باليمن « صنعاء » وكانت من أحسن البلاد مساكنَ
وأطيبها وأصحها هواء ، يقال إن شتاءها في غاية البرودة . ومع ذلك لا يحصل
منه ضرر لأحد . وكانت هذه المدينة من أشهر بلاد العرب وأزهرها وكانت تحاكي
دِمَشْق الشام لكثرة مياهها وأشجارها وهي معتدلة الهواء حسنة الأسواق واسعة
التجارة . وكانت كرسى ملوك اليمن في الزمان القديم ، وهي شرق عدن في الجبال ،
وكانت في الزمن القديم تسمى أَزَالَ . ولما كانت هي وما حولها في الأزمنة الأخيرة
تحت حَوْزَة إمام الزيدية استحلّت عليها حصن تمز ، فصارت إذ ذاك منزلاً ليني
رسول ملوك اليمن وهو حصن في الجبال مُطَلٌّ على التهاثم وأرض يزيد وفوقه منتره

كان يقال له (صهلة) قد ساق إليه صاحب اليمين المياه التي فوقه وبني فيه أبنية عظيمة في وسط بستان هناك . ومنها « زبيد » وهي قسبة التهام وموضعها في مستوى من الأرض والبحر عنها أقل من يوم ، وفيها نخل كثير وكان عليها سور دائر فيه ثمانية أبواب ، وهي إلى الغرب من صنعاء ولها فُرْضة على البحر تسمى (علاقة) وبينها وبين البحر خمسة عشر ميلاً ، وإلى الجنوب منها على شط البحر أيضاً « مدينة الحما » التي يجلب منها البن وعلى أربع مراحل من الحما بيت الفقيه وهي من الأراضي التي يئب فيها البن أيضاً . ومنها « عدن » ويقال لها عدن أبين سميت باسم بابنها وهي مدينة على ساحل البحر أعنى بحر الهند جنوبي باب المندب بميلة إلى الشرق ، وكانت مورد حط وإقلاع لراكب الهند ومصر وغيرها ، وهي في ذيل جبل وتنامه سور إلى البحر ، وكان لها باب إلى البر وآخر إلى البحر ، وأرضها مجذبة تنقل إليها المياه في الغالب على ظهور اللواب ، وهي اليوم بيد الأفرنج وهي فُرْضة اليمين . ومنها : (نجران) بفتح النون . وسكون الجيم ، وهي قطعة عظيمة من أرض اليمين ذات نخيل وأشجار على القرب من صنعاء ، وهي بين عدن وحضرموت ، ويقال : هي جبال من شمال اليمين إلى شمال صعدة تبعد عن صنعاء نحو عشرة مراحل ، وكانت من بلاد همدان بين قرى ومدائن وعمائر ومياه . وبها كان أفى الجرهمي الذي تحاكم إليه مضر وربيعة وإياد وأعمار أولاد زار بوصية من أبيهم ، على ما سيجي إن شاء الله تعالى بيانه في الكلام على القراصة . ومن مشاهير بلاده « ظفار » بالفاء المشالة والفاء وهي مدينة على ساحل (جون) يخرج من بحر الهند ويطن في الشمال نحو مائة ميل ، وهي على طرفه بينها وبين صنعاء أربعة وعشرين فرسخاً وعلى شمالها رمال الأحقاف التي كان بها عاد ، وهي قاعدة بلاد (الشحر) ويوجد في أرضها كثير من النبات الهندى كالنارجيل والتنبل^(١) ، وفيها بساتين على سواقي ، وفي سواحلها يوجد المنبر .

(١) قال في القاموس والنامول التانبول وهو ضرب من اليقطين طعم ورده

ومن البلاد التي كانت في اليمن — مأرب

وتسمى سبأ باسم بانها ، وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان أول ملوك اليمن في قول واسمه عبد شمس ، وإنما سمي سبأ لأنه أول من سمي السبي من ولد قحطان . وكان ملكه أربعائة وأربعمائة سنة ثم سمي به الحى ثم سمي به مسكنهم ، وكانت هذه البلدة من أحسن بلاد اليمن بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ، وهي إلى الجنوب الشرقى من صنعاء لم يكن يومئذ في بلاد العرب أعمر منها . قال عبد الملك في شرح قصيدة بن عبدون : إن أرض سبأ من اليمن كانت المارة فيها أزيد من مسيرة شهرين للراكب الحيد وكان أهلها يقتبسون النار بمصهم من بعض مسيرة أربعة أشهر فزقوا كل ممزق . وذكر غيره من المؤرخين الثقة : أن (مأرب) كانت لطيفة الهواء ، حسنة التربة ، لا تحدث فيها حافة ، ولا يكون فيها هامة ، حتى إن الغريب إذا دخلها وفي ثيابه قل أو براغيث ماتت ولذلك نطق القرآن في شأنها أنها بلدة طيبة . وقيل : المراد بطيبتها محبة هواؤها وعذوبة مائها ، ووفور زهرتها ، وأنه ليس فيها حرٌّ يؤذى في الصيف ولا برد يؤذى في الشتاء وكان عن يمين البلدة وشمالها بساتين كثيرة ، ويقال : إن لكل منزل من منازل البلد جنة عن اليمين وأخرى عن الشمال ، وذلك بسبب ما كان من كثرة المياه في أرضها . فقد روى أن بلقيس لما ملكت اقتتل قومها على ماء وادبهم فتركت ملكها وسكنت قصرها وراودوها على أن ترجع فأبت ، فقالوا : لترجين أو لنقتلنك . فقالت لهم : أنتم لا عقول لكم ولا تطيعونى . فقالوا : نطيعك . فرجعت إلى وادبهم ، وكانوا إذا مطروا أتاها السيل من مسيرة ثلاثة أيام ، فأمرت فسد ما بين الجبلين بمسناة بالصخر والقار وجبست الماء من وراء السد ، وجعلت له أبواباً بعضها فوق بعض ، وبنت من دونه بركة منها اثنا عشر غرجاً على عدة

كالقنفط يعضفونه بقليل من كلس وهو مشه مطرب باهى مقو لثة والمعدة والكبد وهو خمر الهند بمزاج العقل قليلا وهو ينبت كاللوباء ويرتقى في الشجر

أنهارهم ، وكان الماء يخرج لهم بالسوية إلى أن كان من شأنها مع سليمان عليه السلام ما كان . وقيل : إن الذي بناء هو حير أبو القبايل اليمنية . وقيل : بناء لقمان الأكبر ابن عاد ، ووصف أحجاره بالرماس والحديد ، وكان فرسخاً في فرسخ ولم يزالوا في أرغد عيش ، وأخصب أرض ، حتى إن المرأة تخرج وعلى رأسها المِكتل^(١) فتعمل بينها وتسير فيمتلئ المِكتل مما يتساقط من أشجار بساتينهم إلى أن أعرضوا عن الشكر وكذبوا الأنبياء عليهم السلام ، فسلب الله تعالى على سديم الخلد^(٢) فتوالد فيه فخرقه ، فأرسل سبحانه سيلاً عظيماً فحمل السد وذهب بالجنان وكثير من الناس ، وكان ذلك السيل على ما قيل في ملك ذي الأذنان ابن حسان في الفترة ، وكان أول من أحس بمحاذة (سيل العرم) قبل وقوعها بزمن طويل فخرج من اليمن عمرو بن عامر مَرَقِيّاً لما أُنذرت بذلك طريفة الكهانة ، وسيأتي ذكر ما قاله من الأسجاع عند الكلام على الكهانة إن شاء الله تعالى مع بيان من تفرّق من القبايل والمواضع التي سكنوها . وفي أرض (مأرب) اليوم بقايا من آثارهم وكتابات كثيرة منقوشة بالخط الحميري قد اهتمت إلى مرقفها بعض السياحين من الأفرنج الذين طافوا أنحاء هذه البلاد بواسطة مقابلتهم ما هتش منه على الآثار التي اكتشفوها بالخط الحبشي والكوفي والفينيقي والبراني ، وعرف بذلك ما كان للقوم من الدنية والمعارف الكلية .

وفي اليمن بلاد أخرى كثيرة لا يمكننا استيعابها في أقسام اليمن الخمسة ، وهي : حضرموت ومهرة وعُمان وشحر ونجران ، ولذلك كتب معمة . وكان اليمن منازل العرب الماربة من عاد وطسم وجديس وأميم وجرم وحضرموت ومن في مناهم . ثم انتقلت ثمود إلى الحجر من أرض الشام ، فكانوا بها حتى هلكوا وهلك أيضاً من هلك من بقايا العرب الماربة باليمن من عاد وغيرهم ، وخلفهم فيه بنو قحطان بن

(١) بكسر الهمزة والفتح وهو ما يعمل من الخوص يحمل فيه التمر وغيره والجمع مكاتل مثل مقود ومقاوذ (٢) الخلد بالضم ويفتح الفارة المعياء .

عامر على قول فمروا برب الين ويقوا فيه إلى أن خرج منه مرو في حادثة السيل ، ثم خرج منه بقاياهم وتفرقوا في الحجاز والشام وغيرها . وكانت الحجاز أرض بين عدنان إلى أن غزاهم يختنصر ، ونقل من نقل منهم إلى الأنبار من بلاد العراق ، ولم تزل العرب بعد ذلك تنتشر في الأقطار إلى أن كان الفتح الإسلامي فتوغلوا في البلاد حتى وصلوا إلى بلاد الترك وما داناها وصاروا إلى أقصى المغرب وجزيرة الأندلس وبلاد الشرق وملأوا الآفاق ، وصار بعض عرب الين إلى الحجاز ، فأقاموا به وربما صار بعض عرب الحجاز إلى الين فأقاموا به وبقي من بقي منهم في الحجاز والين إلى يومنا هذا .



ومن بلاد العرب ومبانيها في بواي السام — ندمر

وهي بلدة قديمة بإدابة الشام من أعمال حمص وهي على شرقها وأرضها سباح ، وكان فيها شجر ونخيل وزيتون ، وفيها آثار عظيمة قديمة من أعمدة وصخور ، وكان لها سور وقلمة وبينها وبين حمص نحو ثلاث مراحل : وكذلك بين سلمية وبينها وبين دمشق تسعة وخمسون ميلا ، وبينها وبين الزحمة مائة ميل وميلان ، وكانت منزل آل زبيمة ملوك الشام . واختلف في بانيها فقال بعض المؤرخين : إنه سليمان عليه السلام فإن هذه البلدة كانت مستقره وأن الجن قد بنى له بالصفاح والعمد والرخام الأبيض والأشقر ، وفي ذلك يقول النابغة الذبياني في مدح النعمان ابن المنذر :

ولا أرى فاعلا في الناس يشبهه^(١) وما أحاشى من الأقوام من أحد^(٢)

إلا سليمان إذ قال الآله له قم في البرية فاصددها عن الفند^(٣)

(١) ولا أرى فاعلا الخ أي لا أرى أحدا يفعل الخير يشبهه ، ولا أحاشى أي لا استثنى ، ومن في قوله من أحد زائدة (٢) يريد بسليمان ابن داود عليها السلام وهو في موضع نصب على البدل من موضع أحد وأن شئت على الاستثناء ويروى إذ قال المليك له ، والفند الخطأ .

وخيس الجن أنى قد أذنت لهم يننون تذرُّ بالصفاح والتمد^(١)
فمن أطاع فاعقبه معاقبة كما أطاعك وادله على الرشد
ومن عصاك فعاقبه معاقبة تنهى الظلوم ولا تقعد على ضد^(٢)
ألا لثلك أو من أنت سابقه سبق الجواد إذا استولى على الأمد^(٣)

ذكر ذلك الثعالبي في تفسيره ، وهذا من مذاهب العرب على سبيل المبالغة
لا الحقيقة كما كانوا يزعمون أن عبقراً اسم بلد الجن فينسبون إليه كل شيء عجيب ،
فزعموا أن (تدمر) من بناء الجن لا يرون من قوتها الباهرة وصنعها العجيب .
وقال بعضهم . أنها من أبنية العرب الأفئمين ، ففي القاموس تدمر كتنصر بنت
حسان بن أذينة بها سميت مدينتها وهذا هو الموئل عليه ، ولعل مراد من قال :
إن بانها سليمان عليه السلام أنه حسنها وزاد في أبنيتها والله أعلم « ومنها تيماء »
وهي حاضرة طيبة وبها الحصن المروف (بالأبلى الفرد) المنسوب إلى السمود
ابن عاديا ، وكانت بلدة عظيمة بين الحجر أرض ثمود وبين الشام ، وفيها عين ماء
ونخيل . ويقال : إن أصحاب الأيكة الذين بث الله تعالى شعباً إليهم أيضاً
سكنوها ، وفي ذلك الحصن يقول السمود في قصيدته الشهيرة :

لنا جبلٌ يحقته من فجيرةٍ منيعٌ يردُّ الطرف وهو كاليلٍ
هو الأبلى الفرد الذى شاع ذكره يمزُّ على من رامه ويطول
رسا أصله تحت الثرى وسما به إلى النجم فرع لا ينال طويل
ومنها « مدين » وهي قريبة من البحر إلى غربي (الحجر) مائلاً إلى الجنوب
وهي التي قال فيها كثير عزة :

رهبان (مدين) والذين عهدتهم ليكون من حذر العذاب قمودا
لو يسمعون كما سمعت كلامها خروا لمزة ركمًا وسجودا

(١) الصفاح : الحجارة كالصفائح عراض ومعنى ذل و يروى وخبر
الجن أنى قد أمرتهم النخ (٢١) ، الضمد : الحقد (٢١) أى لا تقم على الحقد إلا بأن
يمثللك في حالك أو من فضلك عليه كفضل السابق على المصلى يعنى أو من
يباريك ، والامد : الغاية

وقد خرجت هذه البلدة من أمد بعيد ، وزمان مديد ، وقد عفت طولها ورسومها
ومنها « دومة الجندل » كان رجل اسمه الأَكَيْدَر في بلدة قرب عين التمر في العراق
تسمى (دومة) وكان يزور أخوالاً له من بني كلب في أطراف الشام فيبينا
هو يسير في بعض الطريق ، إذ ظهرت له مدينة منهدة لم يبق منها إلا بعض حيطانها
وكانت مبنية بأرض تسمى الجندل فأعاد (الأكيدر) بناءها وغرس فيها الشجر
وسماها (دومة الجندل) تفرقة بينها وبين (دومة العراق) وكان بنو كلب
ينزلونها ، ومنهم زهير بن جناب الكلبى ، وهو القائل في غزوه لبني بكر وتغلب
على ماء الحقي :

أَيْنَ الْفَرَارُ مِنْ حَنْدَرِ الْوَتِ وَإِذْ تَحْتَوْنَ بِالْأَسْلَابِ
إِذْ أَسْرُنَا مُهْلِلًا وَأَخَاهُ وَابْنَ عَمْرُوٍ الْقَيْدِ وَابْنَ شِهَابِ
وَسَبِينَا مِنْ تَغْلَبِ كُلِّ بَيْضَا رَقُودِ الضَّحَى بَرُودِ الرِّضَابِ

ومنهم زهير بن شريك الكلبى ، وهو القائل لأساء زوجته :

أَلَا أَصْبَحْتُ أَسَاءَ فِي الْحَرِّ تَمْدَلُ وَتَرْهَمُ أُنَى بِالسَّهَاءِ مَوْكَلُ
قَلَّتْ لَهَا : كُنَى عَتَابِكَ نَصْطَلِجُ وَإِلَّا فَبَيْنِي فَالْتَعَرَّبُ أُمْتَلُ

« والحجر » بكسر الحاء المهملة هي إلى الجنوب من (دومة الجندل) وبها
كانت ديار ثمود . وأما الحجر بالفتح فهي في اليمامة بقرب مدينة اليمامة وهما منازل
بني حنيفة وبعض مضر ، وبني حنيفة هؤلاء من بكر بن وائل . ومنهم مسيلة
الكذاب وهم من العرب المستعربة من قبيلة ربيعة الفرس ، وكان في دومة الجندل
من المباني العظيمة (مارد) وهو حصن للسموئل بن عاديا النسانی ، كما أن (الأبلق)
له أيضاً غير أن (ماردة) في دومة وكان مبنياً من حجارة سود ، والأبلق كان
في أرض تيماء كما سبق وقد بنى من حجارة سود وبيض ، وقد قصدتهما (هند)
ملكة الجزيرة المروفة بالزباء وعجزت عنهما فقالت : تَمَرَّدَ مَارِدٌ وَعَزَّ الْأَبْلَقُ ،
فذهب هذا القول مثلاً . ومن مباني العرب في بادية الشام (صرح الندير) وهو

من أبنية ملوك غسان في أطراف (حوزان) مماثل (البقاء) بناء ثمانية بن عمرو ابن جفنة النساني ، ومنها (القناطر) و (أذرح) و (القسطل) وهي من أبنية جيلة ابن الحارث بن ثعلبة المذكور . ومنها (الحفير) و (مصنعة) و (قصر أير) و (امعان) وهي من أبنية الحارث بن جيلة المذكور وكان يسكن في البقاء . ومنها قصر (النضا) و (صفات المجلات) و (قصر منار) وهي من أبنية عمرو بن الحارث المذكور فإنه أنشأ في دمشق وضواحيها عدة من القصور الشاغرة منها هذه الأبنية . ومنها (قصر السويداء) و (قصر حارب) بناها النعمان بن عمرو الذي مر ذكره . ومنها (قصر برقع) بنى في البرية لجيلة بن الحارث أخى عمرو المذكور سابقاً ، وكان صاحب تدسر . و (قصر بركة) و (ذات أعمار) بناه له عامله القين . ومنها (جبلّة الأيهمية) وهي بلدة بناها جيلة بن الأيهم آخر ملوك غسان ، وهو الذى أسلم في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، ثم لحق بقيصر ملك الروم فتتصر وأقام عنده واقصة مشهورة^(١) ، وكان يضرب به الثل في عزة الملك فيقال أعز ملكاً من جبلّة بن الأيهم .

ما جاور العراق من بلاد جزيرة العرب

اعلم أن كثيراً من العرب في حدود العراق من أرض جزيرة العرب واليمض منهم كان في العراق أيضاً ، واختلف المؤرخون في سبب ذلك فذهب ابن خلدون في تاريخه عند الكلام على الطبقة الثالثة من العرب وهم العرب التابعة للعرب أن يختصر ملك بابل هو الذى أسكن بعضهم في الحيرة بسبب ما كان له مع التبابعة وغيرهم من الواقع والحروب ، وبعد موته انتقلوا منها إلى الأنبار فانتشروا بعد

(١) حدثنا استاذنا المؤلف انه رأى ابن الشجرى في كتابه « المختنف والمؤلف » المخطوط ينكر على من يدعى تنصر جيلة انكاراً شديداً ويبالغ في الرد على من يقول بذلك فأجبت ان اقف على هذه المسألة الغامضة فأخبرنى أنه ارسل نسخة الكتاب - وهي قديمة وحيدة في العالم - الى بعض الوراقين في مصر للطبع والنشر فتجرا ذلك الخوون الاثيم على بيعها الى بعض المستشرقين فهى اليوم في خزائن كتب الافرنج والامر لله

ذلك بأرض العراق . وقال المحدثان في كتاب جزيرة العرب : سار تبع أبو كعب في غزوة الثانية فلما أتى موضع الحيرة خلف هناك مالك بن فهم بن غنم بن دؤس على أنقاله وتخلف معه من قتل من أصحابه في نحو اثني عشر ألفاً ، وقال : تحيروا هذا الموضع فسمى الموضع الحيرة ، وهو من قولهم تحير الماء إذا اجتمع وزاد ، وتحير المكان بالماء إذا امتلأ ، فذاك أول ملوك الحيرة وأبوم . وكانوا يملكون ما بين الحيرة والأنبار وهيتم ونواحيها وعين التمر وأطراف البراري الفمير والقططانة وحفية . وكان مكان الحيرة أطيب البلاد ، وأرقه هواء ، وأخفه ماء ، وأعذبه تربة ، وأصفاه جواً ، قد تمالى عن عمق الأرياف واتضح من حزونة الناطق واتصل بالمزارع والجنان والتاجر العظام ، لأنها كانت من ظهر البرية على حرف سفن البحر من الهند والصين وغيرها ، والحيرة أرض في العراق فيها بلدة كانت هربية من الكوفة . وغير المحدثان يقول إن الحيرة بلدة على حافية البادية وحافة سواد العراق وإن تبعاً لما سار من اليمن إلى خراسان وانهى إلى موضعها ليلاً تحير قتل وأمر بينائها فسميت الحيرة وصارت مقام الملوك اللخمين من آل النعمان بن المنذر ، وبها تنصر المنذر بن امرئ القيس وبني بها الكنائس العظيمة ، وأقام قصرأ سماه (الزوراء) وهو المعنى بقول النابغة الذبياني :

وتسقى إذا ما شئت غير مصرد بزوراء في أكنافها السك كارع

« والأنبار » مدينة كانت في العراق أيضاً على شرق نهر الفرات بينها وبين بندگان نحو عشرة فراسخ ، سميت بهذا الاسم لأن الأكاسرة كانوا يجزئون فيها الطعام ، وبعد الفتح الإسلامي ظهر فيها جماعة من أهل العلم ، وبعد أن مصر سعد ابن أبي وقاص الكوفة نقل إليها أهل الحيرة فغربت . وكان فيها من مباني العرب الجاهليين قصور عظيمة ، منها قصر (الخورنق) وكان في الحيرة بظهر الكوفة بناء رجل من الروم يقال له سنار الملك النعمان الأكبر ابن امرئ القيس اللخمي الملقب بالهرق في مدة عشرين سنة ، فلما فرغ من بناءه أقام الملك المذكور من

أعلاه قتله لثلاثين مثله لغيره ، فضربت العرب بذلك المثل ، فقالوا : جزاء جزاء سنمار .

جزائي جزاء الله شر جزائه جزاء سنمار وما كان ذا ذنب
سوى رصه البنيان عشرين حجة^(١) يمل عليه بالقراميد والسكب^(٢)
فلا رأى البنيان تم سحوقه وآس كمثل الطود والباذخ الصمب^(٣)
وظن سنمار به كل خيرة وقاز لديه بالمودة والقرب
رى بسنمار على أم رأسه وذاك لنمر الله من أعظم الخطب^(٤)
وقال سليط بن سعد

جزى بنوه أبا النيلان عن كبير . وحسن فعل كما يميزى سنار
ويروى أن السب في قتل سنمار غير ذلك ، وقصة قصر (الخورنق) مفصلة
في ترجمة (عدى بن زيد) من كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ، وهناك أيضاً
ترجمة سليط بن سعد ، ويقال : إن هذا الملك بعد أن مكث في الملك ثلاثين سنة
كان جالساً يوماً في هذا القصر ، فتأمل في الملك الذي له والأموال والذخائر التي
عنده وكانت على جانب عظيم ، قال : لا خير في هذا الذي ملكته اليوم ويملكه
غيري غداً ، ومن ثم زهد في الملك وأمر حجاجه أن يمتزلوا عن بابه ، ولما جن
الليل التحف بكساء وخرج سائحاً في الأرض فلم يره أحد بعد ذلك . ومنها
(السدير) وهو قصر آخر من آخر من مباني النعمان الأكبر أيضاً . ومنها (الصنبر)
وهو حصن من مباني امرئ القيس بن النعمان الأمور . ويقال : إن ما وقع لسنار
كان مع هذا الملك بعد أن بنى له هذا الحصن . وقد لمحت الشعراء بذكر هذه
القصور وغيرها من مباني العرب القديمة . قال الأسود بن يعفر :

أهل الخورنق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سنداد

(١) القراميد جمع قرميد وهو آجر أو شيء يشبهه وقيل شيء كالجص
يطلق به وقيل حجارة محرقة أو خزف مطبوخ ، والسكب : النحاس أو
الرمصاص (٢) آس أى صار ، والطود : الجبل ، والباذخ : العالى : وقوله
سحوقه أى ارتفاعه (٣) أم رأسه أى دماغه

وقال المنخل الشكري من أبيات كانت سبب عزل عمر رضى الله تعالى عنه
له عن العمل :

ولقد شربت من الهدا مة بالصنير وبالكبير
وإذا سكرت فإني رب الخورنق والسدير
وإذا صحت فإني رب الشوينة والبعر

وهذه الأبيات من قصيدة طويلة ، والمنخل هذا كان من شعراء الجاهلية ، وكان
ينادم النعمان بن المنذر وهو الذي سقى بالنابغة الذبياني إلى النعمان في أمر التجردة امرأة
النعمال فلحق بآل جفنة التسانين ، وقال أبو المتاهية :

كفني على الزمن القصير بين الخورنق والسدير

والشعر في ذلك كثير ، وقد تركنا ذكر كثير من مباني العرب القديمة
في العراق ، وقد ذكرت في كتاب معجم البلدان وغيره من الكتب المؤلفة في هذا
الباب ، واعلم أن العراق ليس من جزيرة العرب ، والسواد سواد كسرى الذي فتحه
المسلمون على عهد عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، وهو من أرض العراق سمى
سواداً لسواده بالزرع والأشجار لأنه حين تأخم جزيرة العرب التي قل الزرع فيها
والشجر كانوا إذا خرجوا من أرضهم إليه ظهرت لهم خضرة الزرع والأشجار ، وهم
يجمعون بين الخضرة والسواد في الأسى كما قال الفضل بن العباس بن عتبة بن
أبي لهب ، وكان أسود اللون :

وأنا الأخضر من يعرفني أخضر الجملدة من نسل العرب

فسموا خضرة العراق سواداً ، وسمى عراقاً لاستواء أرضه حين خلت من جبال
تلو وأودية تنخفض ، والعراق في كلام العرب هو الاستواء ، قال الشاعر :

سقم إلى الحق لهم وساقوا سياق من ليس له عراق

أى ليس له استواء وبمضهم يقول : إنما سمى بهذا الاسم تشبيهاً له بعراق
الزادة وهو موضع الخرز المستطيل في أسفلها . وبمضهم يقول : هو جمع عرق

لاشقياك عروق النخل والشجر في تلك الأرض . وحد السواد طولاً من (حديثة
الوصل) إلى (عبادان) وعرضاً من عُدَيْب القادسية إلى حوان ، فطوله مائة وستون
فرسخاً ، وعرضه ثمانون فرسخاً : فأما المراق فهو العرض مستوياً لأرض السواد
عرفاً ، ويقصر عن طوله في المرف لأن أوله من شرق دجلة العلت . وفي غربها
حربي ، ثم يمتد إلى آخر أعمال البصرة من جزيرة عبادان فيكون طوله
مائة وخمسة وعشرون فرسخاً يقصر عن طول السواد بخمسة وثلاثين فرسخاً ،
وعرضه مع تبعة في المرف ثمانون فرسخاً كالسواد . قال قدامة بن جعفر : يكون
ذلك مكسراً عشرة آلاف فرسخ وطول الفرسخ اثنا عشر ألف ذراع بالذراع
الرسلة ، ويكون بذراع الساحة وهي الذراع الهاشمية تسعة آلاف ذراع ، فيكون
ذلك إذا ضرب في مثله وهو تكسير فرسخ في فرسخ اثنين وعشرين ألف جريب
 وخمسة جريب ، فإذا ضرب ذلك في عدد الفراسخ وهي عشرة آلاف فرسخ -
بلغ مائتي ألف ألف وخمسة وعشرين ألف ألف جريب وخمسة جريب ، يسقط
منها بالتضمن مواضع التلال والآكام والسياب والآجام ومداس الطرق والهاج
ومجاري الأنهار وعراض الدُّنْ والقرى ومواضع الأرحاء والبريدات والقناطر
والشاذروانات والبنادر ومطارج القصب وأتاتين^(١) الآجر وغير ذلك التلث وهو
خمس وسبعون ألف ألف جريب يراج منها النصف ويكون النصف مزروعاً مع
ما في الجميع من النخل والسكرم والأشجار . فإذا أضيف إلى ما ذكره قدامة
في مساحة العراق ما زاد عليها من بقية السواد ، وهو خمسة وثلاثون فرسخاً .
كانت الزيادة على تلك المساحة قدر ربعها ، فيصير ذلك مساحة جميع ما يصلح للزراع
والفرس من أرض السواد ، وفي التعمد أن يستوعب زرع جميعه وقد يتعطل منه
بالمواضع والحوادث ما لا ينحصر . وقد قيل : إنه بلغت مساحة السواد في أيام
كسرى بن قباد مائة ألف وخمسين ألف ألف جريب ، فكان مبلغ ارتفاعه

(١) جمع اتون بالتشديد موقد النار مولد وتورد فيه الجوهرى .

ما بقي ألف ألف وسبعة وثمانين ألف درهم بوزن سبعة ، لأنه كان يأخذ على كل جريب درهماً وقفيزاً عنه ثلاثة دراهم بوزن الثقال . وإن مساحة ما كان يزرع منه على عهد عمر رضى الله تعالى عنه من اثنين وثلاثين ألف ألف جريب إلى ستة وثلاثين ألف ألف جريب ، والكثير من أراضى العراق اليوم موات وغالب البلاد خراب .

ديار بكر بن وائل ورييمة ومضر

ذكر بعض المؤرخين : أن ثلاث قبائل من عرب اليمن وهم بكر ورييمة ومضر هاجروا من اليمن عند حادثة سيل اليرم ، وسكنوا شمال ما بين نهري دجلة والفرات وهو المسمى بالجزيرة . فسميت حينئذ تلك النواحي ديار بكر وديار ربيعة وديار مضر ، وفيها يجري نهر (الخابور) وقد قتل في هذا المحل الوليد بن طريف التغلبي ، فرثته أخته ليلي بأبيات منها قولها :

أيا شجر الخابور مالك مورقاً كأنك لم تحزن على ابن طريف
وصحارى هذه الديار مملوءة كلاً وأزهاراً ، ولنا اتخذها آل بكر بن وائل من بين الديار داراً ، وطيرها كثير جداً لا تكاد تستطيع له عدداً . فإنا من زهر تنشق عرائن السمح إلا وهو مزهر في رياضها ، وما من طير يقع في شباك الوهم إلا وهو حائم على غياضها . ولم يكن فيها اليوم ممن كان في العصر الخالية من أولئك القوم بل سكنها أناس مختلفوا اللل والأجناس ، ليست فيهم مزايا من سلف ، ولا فصاحة من مضى وانصراف ، وسبحان من أدخل ديار بكر ممن يعرى زهر الأدب ورييمه ، وجلها بلاع لا تجد فيها من يتخذ لفهم كلام العرب ذريمة ، وكل كان فيها من أديب حلا نظمه وثره ، وأديب رى عن قسي الإصابة لا شلَّ عشره ، فنثرهم ريب اللون من كفافها نثر السهام ، ونظمهم على الرغم منهم في ديوان القبور تحت أطباق الرغام^(١) ، سقى الله تعالى ثراهم ، ما يوجب في دار

الإقامة ثرام ، وهناك بلد أحدث بعد الزمن الجاهلى اسمه اليوم (آمد) هواؤه لا يهواه جسد أحد ، أسرق للصحة من شر شظاظ^(١) ، وأسرى فى الأعصاب من سريان المانى فى الألفاظ ، ولذا ترى سحما فى حماه عاكفة ، والأمراض فى كل بيت من بيوت طائفة ، قلما تمر السنة على رضيع ذرها ، ولم تهزه أم ملهم^(٢) فى مهد حجرها ، فأغلب أهلها حتى الأحداث ، صفر الوجوه كأنما خرجوا من الأجداث ، ولا ترى منهم من رد من ماء شبيته ظمأى العين ، اللهم إلا أن يكون ذلك واحداً أو اثنين ، وربما يتفق من غلط الزمان ، واحدة من النساء عليها مسحة الجمال كنساء سائر البلدان ، وقبل أن تضحك تبكيها الأسقام ، وتطمئنها^(٣) على فراش الأمراض الآلام ، هكذا وصفه (الجد) عند مروره على هذه الديار . ثم قال بعد كلام : وسبب تغير الهواء بزعم ساكنيها ، مزيد تعفن فى أرحائها مما فيها ، فترى فى أحيائها مياهاً أنق من صديد الأموات ، وأوحالاً تنفرت أحوالها مما جرى على رأسها من القاذورات ، وفى طرقاتها أيضاً مايجرى على نحو هذا الطريق . ويسرى برفيق من الجيف أمامه ألف فريق ، وكذلك يزعمون أن ارتفاع السور ، أحد أسباب تلك الأمور ، وهو فى بادى النظر كلام منقطع عن القبول ، وآسن^(٤) لا تشربه أفواه العقول ، ولا يبعد أن الارتفاع ، يكون سبباً لاحتباس الهواء فى تلك البقاع ، فيزداد تعفناً ، ويعظم التنا . ثم قال : ويقابل (آمد) من

(١) شظاظ كتاب لص من بنى ضبة كان يصيب الطريق مع مالك بن الرب المازنى ، لا قبل انه مر بإمرأة من بنى نمير وهى تعقل بعيرها لها وتموؤ من شر شظاظ. وكان بعيرها مسننا وكان هو على حاشية من الابل وهى الصغير فنزل وقال لها اتخافين على بعيرك هذا شظاظا فقالت ما آمنه عليه فجعل يشغلها وجعلت تراعى جملة بعينها فاغفلت بعيرها فاستوى شظاظ عليه وذهب به وهو يقول :

رب عجز من نمير شهيرة علمتها الانتقاض بعد القرقرة
الانتقاض : صوت صفار الابل ، والقرقرة : صوت مسانها ، فهو يقول علمتها
استماع صوت بعيرى الصغير بعد استماعها قرقرة بعيرها الكبير (٢) هى
الحى قال اصحاب الاشتقاق هى ماخوذة من اللدم وهو ضرب الوجه حتى
يحمر ، وقال بعضهم ملذم بالدال من قولهم لدم به اذا لزمه (٣) أى تمسها
والطمث النكاح بالندمية ومنه قيل للحائض طامث (٤) أى متغير الريح والطعم

الشمال قرية نصارى تسمى (بقطريل)^(١) ونهر دجلة بينهما يشبه ورب الفلك النوار دائرة للسل ، وهذه غير قطريل ببلاد ، التي جاءت في حديث ضعيف الإسناد ، وكان حانا لكل خمرة تنسب إليه ، وتنقل إلى ما حواله ، فقادم الزمان ، وتغير ما كان ، واستولى الحين على الحان ، وبيس الكرم وتكسرت الدنان ، فلم يبق محتسب الليال والأيام ، إلا حديثاً تدور به في حافات الكتب سقاة الأتلام في كاسات الأرقام :

زمان بما فيه اقضى فهو مآثرى أحاديث تجلوه على السمع أقفوا

انتهى ما هو المقصود . ويوجد في بعض النواحي من هذه الديار بعض بنى مضر وهم العرب الطائيون ، ومن المدن التي كانت فيها (سروج) و (الرقة) و (رجة) مالك بن طوق) أحد قواد هارون الرشيد ، و (قرقيسيا) وكانت مدينة هند بنت الزيان التي قتلت جَدِيمة الأبرش ، وكانت هذه البلدة من ديار مضر . ومن مدن هذه الجزيرة (دارا) التي أدار الإسكندر عليها في فنائها من كؤس الفناء ما أدار ، قال فيها بعض الشعراء :

ولقد قلت لِرَحْلِي بين حرّان ودارا
اصبري يا رحلُ حتى يرزُقَ اللهُ حمارا

ومنها مدينة (نصيبين) وهي من ديار ربيعة ، وكانت مختصة بالورد الأبيض وليس فيها وردة حمراء ، ومنها كان يجلب إلى الآفاق ويمجرى إلى القرية نهرا ن أسود وأبيض ثم أنهما يتحدان وبعد ذلك يتشعبان ، ويكون منهما منافع غزيرة للحراث وغيرهم . وعليهما ماء قنطرة نحو مائة ذراع وغاية ارتفاعها عن وجه الماء نحو ستة أذرع أو أكثر والماء يجرى من تحتها بشدة ثم ينصب ما يبق منه بعد سقي المزارع في (الخابور) ويختلط آخر الأمر بماء الفرات ولرداء مائها ، وفساد هوائها كثرت فيها الحمى حتى يقال إنه شوهد أن عصافيرها تتساقط

(١) قال في شفاء الغليل أعجمية لم تسمع في شعر قديم وهو اسم بلدة

مينة من أعلى الأشجار ، ولولا ذلك لفنت من أوسع البلاد ولمدت منزها أبهى من غوطة دمشق الشام ، لما أن ترابها بنبت مالا يكاد ينبت بمكان ، واشتهر أنها كانت قبل بلدة واسعة فضيقتها كأمتالها جيوش البلاء وحوادث الأيام والليالي وهي اليوم تشتمل من البيوت على نحو ثلاثمائة وخمسين بيتاً . وعلى غربي دجلة قرية صغيرة تسمى « جزيرة ابن عمر » ومنها ابن الأثير الجزرى وغيره من الأفاضل الأعلام ، الذين تربت بمؤلفاتهم نحور الأيام ، وليس هذا مقام ذكرهم . وهي بلدة علالية الشكل ، ولكن لا نور فيها ولا فصل ، وذلك لوخامة هوائها ، وذمامة أرجائها ، ولولا أن تكون دجلة عليها شفيقة ، لجعلتها عجازها جزيرة على الحقيقة ، وابن عمر الذى تنسب إليه ، وتمول فى الشهرة عليه ، قيل : هو يوسف ابن عمر الثقفى ، وفى معجم البلدان . جزيرة ابن عمر أحسب أن أول من عمرها الحسن بن عمر بن خطاب التغلبى ، وكان له إمرة بها سنة مائتين وخمسين انتهى وفى تاريخ ابن السكيتى : ابنا عمرها أوس وكامل ابنا عمر بن أوس التغلبى ، وإليها تنسب الجزيرة المشهورة انتهى . وفى تاريخ ابن خلكان ما يتعلق بذلك . والمول عليه ما فى معجم البلدان ، ويمد ما فى تاريخ ابن السكيتى فى الجملة أفراد ابن دون تنقيته والله أعلم .

ومن مساكن العرب فى الجزيرة التى بين دجلة والفرات « الموصل » كان يسكن فيها وفى نواحيها كثير من قبائل العرب من أبناء ربيعة ومضر . قال فى الباب : هى بفتح الميم وسكون الواو وكسر الصاد المهملة وفى آخرها لام ، مدينة من الرابع من الجزيرة ، وهى على دجلة فى جانبها الغربى انتهى . وقامها فى زمن الفاروق رضى الله تعالى عنه قيل : عياض بن غنم الأشمرى ، وقيل : خالد بن الوليد فتحها عنوة . وسميت بالموصل على ما هو المشهور لأن نوحاً عليه السلام سبر الماء هناك وهو فى السفينة فوصل المسبار الأرض . وفى الراسد : سميت بذلك لأنها وصلت بين الجزيرة والفرات ، وقيل : وصلت بين دجلة والفرات .

وقيل : لأنها وصلت بين (بلد) و (الحديثة) . وقيل : إن الملك النوى أحدثها كان يسمى الموصل انتهى ، ولا جزم بشيء مما ذكر والله أعلم . وقريب من الموصل الممورة اليوم عل يسمى الموصل القديمة وهذا ظاهر في أن الممورة حديثة وفي معجم البلدان ما يدل على أن تلك القديمة هي حديثة الموصل فوصفها بالقديمة لملح لخربها اليوم . وقد وصفها الجدي في كتابه غرائب الاغتراب إذ مر على هذه البلدة بأوصاف جميلة فقال : هي عذبة الماء ، طيبة التربة والهواء ، طعامها هي ، وشربها مري ، واسطة البلاد وسرّها ووجهها الصبيح وغرتها ، تلذ الربيع في السنة مرتين ، فهي بين البلاد أم الريمين ، فأراضيها في فصلين قد علاجنها ، وتجرد عن عوارض الكلد إنسا ، وهي كالمرائس في حلها وزخارفها ، والقيان ^(١) في وشيا ^(٢) ومطارفها ^(٣) زرايتها ^(٤) وإغاطها ^(٥) ناشرة جبرها ^(٦) ورباطها ^(٧) :

كأن نسيم الريح في جنباتها نسيم حبيب أو لقاء مؤمل
لا عيب فيها سوى أنها أيام الربيع ، تسرق العائم الخضر من السادة فتشرها على سطوح دورها وتبيع ، وتقول : لا بأس على أم الريمين ، لو سرت غمام أبناء الريحاتين ، ولممرى إن من اختر وأمتحن ، حكم بأن كل روضة بالنسبة إلى رياضها خضراء الدمن ، وأنها تنبت العلماء المحققين ، كما تنبت الأقحوان ^(٨) والنسرين ^(٩) ، وتخرج الأخيار ، كما تخرج الأزهار ، وهذا أظهر من الشمس ، وأقوى تحقّقاً من الأمس ، فلا حاجة إلى التطويل ، بإقامة الدليل :

(١) جمع قينة وهي ألغنية (٢) الوشي نوع من الثياب المشوية تسمية بالمصدر (٣) جمع مطرف ثوب من خزلة اعلام ويقال ثوب مربع من خبز وأطرافه أطرافاً جملة في طريقه علمين فهو مطرف وربما جعل أسماً برأسه غير جار على فعله وكسرت الميم تشبيهاً بالآلة (٤) الزرابي الطنافس المخملة وأحدها زربية (٥) جمع نمط بفتحين ثوب من صوف ذو لون من الألوان ولا يكاد يقال للأبيض نمط (٦) الخبر على وزن عنب جمع حبرة على وزن عنبه ثوب بمانى من قطن أو كتان مخطط (٧) جمع رطب وهو ثوب رقيق (٨) بالضم : البابونج كالأقحوان بالضم والجمع ألقاح وأقح (٩) مشموم معروف فارسي معرب وهو فعيل بكسر الفاء فالتون أصلية أو فعيل فالتون زائدة مثل غسلين ، قال الأزهري ولا أدري أعربى هو أم لا ؟

وليس يصح^١ في الأعيان شيء متى احتاج النهار إلى دليل
(نفحة الثمامة) تهدي من ليس له زكام ، إلى حي بمض أولئك العلماء
الأعلام ، وفي (الروض النضر) أريج فضلاء منهم ارتدوا رداء أحسن عصر ،
ولا يكاد يحيط نطاق ، بجميع من فاق منهم علماء الآفاق ، والأمر من البديهيات
الأولية عند منصفى علماء العراق فهيمات أن يكون فيه بين اثنين فيهم نزاع
وشقاق . . ومن مدن الجزيرة « عانات » وهي بلدة على شاطئ القرات كثيرة
التخيل والأشجار عذبة الماء والهواء ، وكانت في الأزمنة المتقدمة موصوفة بمجودة
الخر ، كما يدل ذلك قول الشاعر :

أمن بابل أم من لواظك السحر^٢ ومن (عانة) أم من مراشفك الخمر ؟
وهل ما أراه الموت أم حدث النوى وهل هو شوق بين جنبي^٣ أم جمر ؟

واليوم قد كسرت أهلها حوادث الدهر ، وتركهم لا يميزون بين الخمر
والخمر ، وجرى عليها من المصائب ما جرى ، حتى غدت عاناتهم عورة بين القرى ،
هذا وفي هذه الجزيرة كثير من البلاد والقرى القديمة كانت تسكنها العرب
أيام الجاهلية ، قد استوعبها أبو عبيد البكري في معجم ما استمعهم ، والحموي
في كتاب معجم البلدان ، وغيرها في كتب كثيرة ألفت في هذا الباب ،
والله الموفق .

بعض ما ظهر دائراً على ألسنة الشعراء من المواضع

إن كثيراً من شعراء الجاهلية وغيرهم يذكرون في بعض أشعارهم مواضع كانت
تطيب بها نفوسهم ، وتهتر من بهجتهم قنودهم ورؤسهم ، كالبرق والدارات ،
والرياض والنتزهات ، وقد ألفت فيها بعض أهل الأدب كتباً مخصوصة بهذا
المطلب . ولندكر شيئاً منها في هذا المقام ، ليكون كالنثال لدوى الأنعام ، أما الدارات
فهي جمع دارة وهي الدار غير أنها أخص فكل دارة دار وليس كل دار يقال لها دارة ،
ودارات العرب مخصوصة في جزيرتهم كلها سهول بيض تبيت النعسى والصليل ، وما

طاب ريحه من الثبات ، وأنهاها صاحب القاموس إلى ما يزيد على المائة ، وادعى أنها لم تجتمع لغيره مع بحثهم وتقديرهم عنها^(١) . ثم ذكر ما أضيف إليه الدارات مرتبة على الحروف فراجعها . وقد ألف الشيخ أبو الحسين أحمد بن فارس كتاباً في المواضع المعروفة بهذا الاسم . وقد أحيت أن أذكر منها بعض ما وجدته في شعرهم ، وهي (دارة جُلْجُل) قال امرؤ القيس :

ألا ربَّ يومٍ لكَ منهنَّ صالحٍ ولا سِما يومٍ بدارةٍ جُلْجُلٍ
ودارةٍ (سُلْسل) قال جرير :

ولما حلَّ أهلك يا سُلَيْمى بدارةٍ سُلْسل شَحَطُوا الزَّارِ
ودارةٍ (مأسَل) قال عمرو بن لُجَّأ :

لا تَهْجُ نَبْطَةَ يا جَرِيرُ فَإِنْ مُمُ قَتَلُوا مِنَ الرُّؤْساءِ ما لم يَقْتُلْ
قَتَلُوا شَتِيرًا وابنُ غُولٍ وابْنَه وابْنى هَتِيمٍ يومٍ دارةٍ مأسَلٍ
ودارةٍ (السَّلَم) قال البكاء بن كعب :

ما كنتَ أوَّلَ من تَفَرَّقَ ثَمْلُهُ ورأى النداءَ من الفراقِ يقينا

(١) أقول : وقد ذكر الاصمعي وعدة من العلماء عشرين دارة وأوصلها العلم السخاوي في شرح سفر السعادة إلى نيف وأربعين دارة واستدل على أكثرها بالشواهد لاهلها فيها ، وذكر المبرد في أماليه دارات كثيرة وكذا باقوت في المعجم والمشارك وأورد الصفاني في تملكته إحدى وسبعين دارة كما في التاج ، قال السيد العلامة عبد القادر بن أحمد الحسيني في فلك القاموس المحيط : راجعت وجزءا من أصله - أعنى العباب - من نسخة محفوظة في خزائن آباءنا (ارض) وقد جرى عليها قلم مؤلفها ثم قلم المجد (رح) فرايت تلك الدارات جميعها ممدودة في العباب وقد سها المجد عن سبع فاهملها من قاموسه عند النسخ ولكنه زاد المجد في هامش العباب سبع دارات فزادها في القاموس فلا أدري هل زادها من (المجمل) أو من غيره فلو عد ما في العباب وذلك مائة دارة ونيف ثم قال وقد وقفت على سبع دارات غير ذلك والله الحمد - إيان أولى ، والدارات التي سها عن نقلها هي دارة أحماد والذبيب والذبيان وغور محط والمزد وموقوع ، وظاهر ما في خطبة القاموس أنه لم بجميع معاني أصلية بعبارة وجيزة وزاد عليها فانظر ما أهمله في هذا الموضوع وقس عليه غيره ، وقال في العباب وأما دارة بغير إضافة في قول خلف الأحمر : دوريات برد بين باب ودارة الخ ودارة ابن العمر ودارة بنجران ودارة الكلبي ودارة العبد ودارة المقطع فهذه ليست من دارات العرب وإنما هي دورهم التي تختص بهم وهذه أسماى أصحاب الدور ، ودارات العرب مضافات إلى جبال ومياه وامكنة

وبدادة (السَّلم) التي شوقتها فمن يظلُّ حمّامه يبيكننا
وبهذا الشعر سمى هذا الشاعر البكاء . فإن كثيراً من الشعراء كان يسمى
ببعض ألفاظ شعره . ودادة (وَشَحَى) وقد تضم الواو . قال الشاعر :

لنمرك إني يوم أسفل عاقله . ودادة (وَشَحَى) للهوى لتبوعُ
ودادة (خنزِر) بفتح الخاء والزاى وسكون النون ، ويقال : خنزِر بكسر
الخاء والزاى . قال الجعدي :

ألمْ خيال من أمنيّة مَوهِناً طُروقا وأصحابي بدادة (خَنزِرِ)
ودادة (الجلَب) قال جرير :

أصبح أليس اليوم منتظري صبحي نحيي ديار الحى من دارة الجلب
ودادة (مَكْنَن) قال الراعي :

عرفت بها منازل كل حى فلم تملك من العُرب الميونا
بدادة مَكْنَن ساقط إليها ريحُ الصيف آراماً وعينا
ودادة (يَمُون) ويقال أيضاً يَموز بالزاى . قال الشاعر :

بدادة يَمُونِ إلى جَنبِ حشرم

ودادة (رَهَبِي) قال جرير :

بها كلُّ ذِبَالِ الأصيل كأنه بدادة رَهَبِي ذو سواد بن رائج
ودادة (الأَرَام) قال الشاعر :

فأبرق وأرعِد إن العيس خلفت بنا دارة الأَرَام ذات الشقائق
ودادة (الرُّهَى) قال الشاعر :

يَرِثُ من النازل غير شوق إلى الدَّار التي بلوى أبان
ومن وادي القنان وأين مئى بدارات (الرُّهَى) وادى القنان
ودادة (الصَّفَاخ) قال الأَفوه :

وتبيحها الأَرامل باللكي بدارات الصَّفَاخ والنصيل

ودارة (هَضْبُ القليب) قال جميل :

أشباقل عاقل قَالِي الصَّكَّيبِ إلى الدارات من هَضْبِ القليب
ودارة (رُمَح) قال الشاعر :

كَأَنَّ المِيزَى الذي يقيمُه بدارة رُمَحٍ ضالْعُ الرجلِ أَحْتَفَ
ودارة (رَحْمَن) ويقال : محضر . قال ذُرَيْدُ بن الصَّمَّة :

ودارة رَحْمَنٍ من ذى طلوحِ فرداح الثامن فالضواحي
ودارة (واسط) قال الشاعر :

ما قد أرى الدارات دارات واسطٍ فا قابلت ذات الصليل فجُلُجِل
ودارة (الجد) قال الشاعر :

ألا يا ديار الحى من دارة الجد سلمت على ما كان من قدَمِ العهدِ
ودارة (الرَّيْم) قال الشاعر :

أعد نظراً هل ترى ظلمهم وقد جاوزت دارة رَيمِرم
ودارة (قَرَح) قال الشاعر :

حبسَنَ في قُرَحٍ وفي داراتها سَبْعَ لَيالٍ غيرِ معلقاتها
ودارة (اليمضيد) قال آخر :

أو ما ترى أضمامها مخروء بين الدخول فدارة اليمضيد
ودارة (الخروج) قال الشاعر :

غيسة في دارة الخروج لم تنق بلائاً ولم يسمح لها ببخيل
ودارة (الرَّدَم) قال قائلهم :

لمن سخط من خالقٍ أو لقسوة تبدلت فرقاء من دارة الرَّدَمِ
وأما البرق فهي جمع برقة بالضم غلظ كالأبرق ، وفي القاموس : وَبُرَقُ
ديار العرب تُثَيِّفُ على مائة . منها : بُرْقَةُ الأثمد والأجول والأجداد والأجول
(١٥ - أول)

وأخجار وأحذَبَ وأخوازٍ وأخرَمَ وأزمام وأدوى وأظلم وأغيار وأنفى والأمالج
والأنهار وأهدَ والأوجر وذى الأوداث وإير بالكسر وبارق وثادق وتمتم
والثور وهمسِدِ والجا وحارب والعرض وحسلة وحسَمى أو حُسنى والحصاء
وحلبت والحى وحوزة وتاخز والخال والحبيبة والخرجاء وخنزير وخو وخينفد
والذاتِ وذمخ ورامتين ورخرحان ورعهم والركاء ورؤوة والرواحن وسمن
وسمر وسلمانين وسمنان وثماء والشواجر ومادير والصراة والصفاء وضاحك
وضارح وطحالٍ وطازبٍ وطاقلٍ وطالجٍ ومسمس وذى علقى والسحاب كغراب
وعوهمق والبيرات ومهل وعيم وذى غانم والنقى وغضويز وقايم وذى قار
والقلاخ والكبوان وللمح وللفنر والأليك والوى ومأسله ومجولك ومرورة
ومكتله ومُنشدٍ وملحوبٍ والنجد ونعمى والتير وواحدٍ وواسطه وواكف
والوداء وهارب وهجين وهوى ويترَب واليمامة . هذه بُرَق العرب ، وتعين
مواضعها في شروح القاموس وكذا ما ورد من الشعر في ذلك كقول النعمان
ابن النضر :

وما اعتذارك منه بمد ما جزعت أبهى الطى به بقاء شميلا
وقال طرفة بن العبد البكرى في معلقته

ليخولة أطلالٌ ببرقةٍ همسِدٍ تلوحُ كباقي الوشمِ في ظاهر التير
وقال الكمي

وقد فاضَ غَرَبٌ عند بقاء جندبٍ لمينيك من عرفانٍ ما أنت تعرفُ
وقال ابن مقبل

طربت إلى الحى الذين تحمّلوا ببرقة أحوازٍ وأنت طروبُ
وقال آخر

لن الديارُ ببرقةِ الأجسادِ عفتُ سوارٍ رسمها وغواذى
وقد ذكر في معجم البلدان كثير من أسماء المواضع المشتركة ، وكذا

في كتاب المشترك ما يطول الكتاب باستقصائه ، وما ذكرناه نبذة يسيرة بالنسبة إلى ما هنالك . والله الوفي لما هو الأول في الآخرة والأولى .

* * *

بياه مال مكة شرفها الله وما كانت عليه في الجاهلية

اعلم أن الله تعالى قد ذكر مكة في كتابه الكريم باسمين مكة وبكة فذكر مكة في قوله عز وجل . (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم) . ولفظ مكة مأخوذ من قولهم تمسكتُ بالخش من المظم تمسكا إذا استخرجته منه لأنها تمك الفاجر عنها وتخرجه منها على ما حكاه الأصمعي ، وأنشد قول الراجز في تليته

يا مسكة الفاجر مكنى مسكا ولا تمككى مدحجا وعكا^(١)

وذكر بكة في قوله عز وجل : (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا) . قال الأصمعي وسيت بكة لأن الناس يك بعضهم بعضا فيها أي يدفع ، وأنشد قول الراجز :

إذا الشرب أخذته أكه فخله حتى يك بكة^(٢)

واختلف الناس في هذين الاسمين فقال قوم : هما لفتان والمسمى بهما واحد ، لأن العرب تبدل الميم بالباء فتقول ضربة لازم وضربة لازب لقرب المخرجين ،

(١) عك بن عدنان أخو معد وهو في اليمن وقال بعض النسائيين انما هو معد بن عدنان فاما عك فهو ابن عدنان من ولد قحطان وعدنان بالنون من ولد اسمعيل ، ومدحج كمسجد ابو قبيلة من اليمن وهو مدحج بن يحامر بن مالك ابن زيد بن كهلان بن سبأ ، قال سيبويه : الميم من نفس الكلمة ، وفي القاموس : مدحج كمجلس اكفة ولدت مالكا وطينا امهما عندها فسموا مدحجا ، وذكر الجوهري آياه في الميم غلط وان احاله على سيبويه ، انتهى ، فتدبر .

(٢) الشرب الذي يسقى ابله مع ابله : يقول فخله يورد ابله الحوض فتبلك عليه أي تزدحم فيسقى ابله سقيه ، والاكه : الضيق والزعجمة وأكه يؤكه اكأ زاحمه وأنتك الورد ازدحم معنى الورد جماعة الابل الواردة : والمعنى : اذا ضجر الذي يورد ابله مع ابله لشدة الحر انتظارا فخله حتى يزاحمك .

وهذا قول مجاهد . وقال آخرون : بل هما اسمان والمسمى بهذا شيئان لأن اختلاف الأسماء موضوع لاختلاف المسمى . ومن قال بهذا اختلف في المسمى بهما على قولين ، أحدهما : إن مكة اسم البلد كله وبكة البيت ، وهذا قول إبراهيم النخعي ويحيى بن أبي أيوب ، والثاني : أن مكة الحرم كله وبكة المسجد ؛ وهذا قول الزهري وزيد بن أسلم . وحكى مصعب بن عبد الله الزبيري قال : كانت مكة في الجاهلية تسمى (صلاحا) لأنمها ، وأنشد قول أبي سفيان بن حرب بن أمية :

أبا مطر هلمَّ إلى (صلاح) فيكنفك الندى من قريش^(١)

وتنزل ببلدة عزت قديماً وتأمّن أن يزورك رب جيش
وحكى مجاهد : أن من أسماء مكة (أم رحم) و (الباسة) فأما أم رحم فلأن
الناس يتراحمون فيها ، ويروى أم زحم بالزاي من الزاحمة . وأما الباسة فلأنها
تبس من الحد فيها أي تحطمه وتهلكه ، ومنه قول الله تعالى « وبست الجبال بساً »
ويروى (الناسة) بالنون . ومعناه أنها تنس من الحد فيها أي تطرده وتنفيه ،
ولها أسماء أخر يطول شرحها . وأصل مكة وحرماتها ما عظمه الله سبحانه من
حرمة بيته حتى جعلها لأجل البيت الذي أمر برفع قواعده وجعله قبلة عباده
أم القرى ، كما قال تعالى (لتنذر أم القرى ومن حولها) . وحكى جعفر بن محمد
عن أبيه محمد بن علي رضي تعالى الله عنهم أن سبب وضع البيت والطواف به أن
الله تعالى قال للملائكة (إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد
فيها ويسفك الدماء^(٢) ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال إني أعلم ما لا
تعلمون) . فغضب عليهم فمادوا للمرش فطافوا حوله سبعة أشواط^(٣) يسترضون

(١) هلم أي تعال مركبة من ها التنبيه ومن لم أي ضم نفسك البناء واستعملت استعمال البسيطة يستوى فيه الواحد والجمع والتذكير والتأنيث عند الحجازيين وتعميم تجربها مجرى رد أهل نجد يصرفونها ، والندامى : جمع نديم وناداه مناداةً وندما جالسة على الشراب .

(٢) سفك الدم يسفكه فهو مسفوك وسفك صبه فانسفك .

(٣) جمع شوط وهو الجرى مرة إلى الغاية وفي القاموس كره جماعة من الفقهاء أن يقال لطوفان الطواف اشواط .

ربهم فرضى عنهم ، وقال لهم : ابنوا لى فى الأرض بيتاً يمود به من سخطت عليه من بى آدم ويطوف حوله كما فعلتم بمرشى فأرضى عنهم . فبنوا له هذا البيت فكان أول بيت وضع للناس . قال الله تعالى (إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين) الآية ، فلم يختلف أهل العلم أنه أول بيت وضع للناس للعبادة ، وإنما اختلفوا هل كان أول بيت وضع لنبيها ؟ فقال الحسن وطائفة : قد كان قبله بيوت كثيرة . وقال مجاهد وقتادة : لم يكن قبله بيت . والقول الأول مرجح عند الجمهور ، وعليه أكثر المؤرخين وجمع من المفسرين . وفى قوله تبارك وتعالى (مباركا) تأويلان ، أحدهما . ان بركته ما يستحق من ثواب القصد إليه . والثانى أنه أمن لمن دخله حتى الوحش فيجتمع فيه الطيب والدث . (وهى للعالمين) يحتل تأويلين ، أحدهما : هدى لهم إلى توحيد . والثانى : إلى عبادته فى الحج والصلاة . (فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً) . وكانت الآية فى مقام إبراهيم تأثير قدميه فيه وهو حجر صلد^(١) ، والآية فى غير المقام أن الخائف وهيبة البيت عند مشاهدته وامتناع الطير من الملو عليه وتمجيل العقوبة لمن عتأ^(٢) فيه ، وما كان فى الجاهلية من أصحاب القيل ، وما عطف عليه قلوب العرب فى الجاهلية من تمظيمه ، وأن من دخله من الجبابرة وهم غير أهل كتاب ولا متبى شرع يلتزم أحكامه ، حتى إن الرجل منهم كان يرى قاتل أخيه وأبيه ولا يطلبه بثأره فيه ، وكل ذلك آيات الله تعالى ألقاها على قلوب عباده . وأما أمنه فى الإسلام ففى قوله سبحانه وتعالى (ومن دخله كان آمناً) تأويلان أحدهما . أمن من النار ، وهذا قول يحيى بن جعدة . والثانى : أمن من القتل لأن الله تعالى أوجب الإحرام على داخله وحظر عليه أن يدخله عملا . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة يوم الفتح حلالا : (أحلت لى ساعة من نهار ولم تحل لأحد من قبلى ولا تحل لأحد من بعدى) . ثم قال تعالى : (والله

(١) صلد : الصلب الاملس كالصلودد كسفرجل . (٢) استكبر وجاوز الحد

على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً) فحمل حجه فرضاً بعد أن صار في الصلاة قبله لأن استقبال الكعبة في الصلاة فرض في السنة الثانية من الهجرة، والحج فرض في السنة السادسة .

صفة الكعبة شرفها الله تعالى

أعم أن أول من تولى بناءها بعد الطوفان إبراهيم عليه السلام فإنه سبحانه قال :
(وإذا رفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم)
فدل ما سألناه من القبول على أنهما كانا بينهما مأمورين . وسميت كعبة لملوها من
قولهم كعبت المرأة إذا علا ثديها ومنه سمي كعب كعباً لملوه وكانت الكعبة بعد
إبراهيم عليه السلام مع جُرهم والمالحة إلى أن اقرضوا حتى قال فيهم عامر بن الحارث
بن مضاض^(١) ، وروى أن اسمه عمرو :

وقائلةٍ والدمع سكبٌ مبادر وقد شرقت بالدمع منها المهاجر
كان لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيسٌ ولم يسمر بمكة سامر^(٢)
قللت لها والقلب منى كأنما يُلجَّجُهُ بين الجناحين طائر
على نحن كنا أهلها فأزالنا صروف الليالي والجدود الموائر^(٣)
وكنا ولادة البيت من بعد نابت بمرّ فما يحظى لدينا المكائر^(٤)

(١) كان الحرث بن مضاض بن عمرو بن سعد بن أرقب بن هي بن نبت ابن جرهم الجرهمي قد نزل يقتونا من أرض الحجاز فضلت له أبل فيهاها حتى أتى الحرم فاراد دخوله ليأخذ إبله فتنادى عمرو بن لحي من وجد جرهميا فلم يقبله قطعت يده فسمع بذلك الحرث وأشراف على جبل من جبال مكة فرأى إبله تنحر ويوزع لحمها فانصرف بالنساء خائفاً ذليلاً وأبعد في الأرض وهي غربة الحرث بن مضاض التي يضرب بها المثل حتى قال الطائي:

غربة تقتدى بغربة قيس بن زيد والحرث بن مضاض

وحينئذ قال الحرث هذا الشعر وهو قوله: وقائلة والدمع سكب مبادر النخ.

(٢) الحجون بفتح الحاء اسم موضع على فرسخ وثلاث من مكة وهو

والصفا جبلان بها ، والسامر اسم الجماعة يتحدثون بالليل وفي التنزيل

سامرا تهجرون . (٣) يقال عثر جده بعثر وعثر تعس وفي المثل اعثره

الله اعصره . (٤) نابت من أبناء اسماعيل (ع) .

ملكنا فمزنا فأعظم بملكنا فليس لحى غيرنا ثم فخر^(١)
 ألم تنكحوا من غير شخص علمته فأبناؤه منا ونحن الأصاهر^(٢)
 فإن تنن الدنيا علينا بحالها فإن لها حالا وفيها التشاجر
 فأخرجنا منها الليك بقدره كذلك بالاناس تجرى القادر^(٣)
 أقول إذا نام الخلى ولم أتم : إذا العرش لا يعمد مهيل وعمر^(٤)
 وبدلت منها أوجها لا أحبا قبائل منها حير ومحار^(٥)
 وصرنا أحاديثا وكنا بنبطة بذلك عصتنا السنون الفوار^(٦)
 فسحت دموع العين تبكي لبلدة بها حرم أمن وفيها الشاعر
 وتبكي بيت ليس يؤذى حمامه يظل به أمانا وفيه المصافر^(٧)
 وفيه وحوش لا تراب أئيسة إذا خرجت منه فليست تغادر^(٨)
 وقال أيضا بذكر ساكنى مكة الذين خلفوا فيها بدم من بكر وقبشان :
 يا أيها الناس سيروا إن قصركم أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا^(٩)
 حثوا المطى وأرخوا من أزمها قبل المات وقضوا ما تقضونا
 كنا أناسا كما كنتم فغيرنا دهر فأنتم كما كنا تكونونا
 وخلفهم فيها قريش بمد استيلائهم على الحرم لكثرتهم بمد القلة ، وعزتهم

(١) أى كانت لنا العظمة على غيرنا فلا احد يفخر علينا .
 (٢) يريد بذلك مصاهرة اسماعيل لهم وهو خير شخص فابناؤه منا ونحن
 الأصاهر ومعناه معلوم . (٣) يحتمل أن يريد بالليك الله عز اسمه فهو الذى
 سلط عليهم من أخرجهم لما عصوه ويحتمل أن يريد عمرو بن لحي ملك
 خزاعة ورئيسهم . (٤) إذا العرش الهمة للنداء وذا العرش هو الله ، وعامر
 جبل من جبال مكة . (٥) أى وبدلت عن مكة أو أهلها ، ويعابر قبيلة لحيم .
 (٦) أى حكايات بين الناس بما جرى علينا كما قال تعالى فى أهل سبا :
 وجعلناهم احاديث الآبة ، والسنون الفوار المقطعة لان الارض تغير اذا
 اجذبت وسنون الجذب تسمى غيرا لا غيرا آفاقها من قلة الامطار .
 (٧) ويظل به امانا أى ذات امن ويجوز أن يكون امانا جمع آمن مثل ركب
 جمع راكب وأراد بالعصافر العصافير وحذف الباء ضرورة ورفع العصافير
 على المعنى أى وثامن فيه العصافير . (٨) لا تراب أى لا تخوف من الرب ،
 وقوله أئيسة أى لا تنفر من احد : وقوله إذا خرجت النخ أى اذا تجاوزت
 حدود الحرم لا تغادر ولا تترك بل تصاد . (٩) أن قصركم أى غابتكم .

بعد النلة ، تأسيساً لما يظهره الله تعالى فيهم من النبوة ، فكان أول من جدّد بناء الكعبة من قريش بعد إبراهيم عليه الصلاة والسلام قصي بن كلاب وسقفها بخشب النّوم^(١) وجريد النخل . قال الأعشى :

حلفتُ بثوّي رَاهِبِ الشَّامِ وَالْقَى بناء قصيّ جده وابنِ جرّهم
لئن شبّ نيران الدّواوة بيننا ليرتحلن مني على ظهر شيهم^(٢)

ثمّ بناها قريش بعده ، ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابن خمس وعشرين سنة وشهد بناءها ، وكان بابها في الأرض فقال أبو حذيفة بن النيرة : ارفعوا باب الكعبة حتى لا يدخل إلا بسلم فأنه لا يدخلها حينئذ إلا من أردتم ، فإن جاء أحد من نكروهون رميت به فيسقط فكان نكالا لمن رآه ففعلت قريش ذلك . وسبب بنائها أن الكعبة استهدمت ، وكانت فوق القامة فأراد تملئها ، وكان البحر قد أتى سفينة لرجل من تجار الروم إلى جُدّة فأخذوا خشبها ، وكان في الكعبة حية يخافها الناس فخرجت فوق جدار الكعبة فنزل طائر فاخطفها ، قالت قريش : إنا لنتجو أن يكون الله سبحانه قد رضى ما أردنا فهدموها وبنوها بخشب السفينة . وكانت على بنائها إلى أن حوَصِر ابن الزبير بالمسجد من الحصين بن نمير وعسكر الشام حين حاربوه سنة أربع وستين في زمن يزيد بن معاوية . فأخذ رجل من أصحابه ناراً في ليفة على رأس رمح وكانت الريح حاصفة فطارت شرارة فتملقت بأستار الكعبة فأحرقتها فتصدعت حيطانها واسودت وتناثرت أحجارها ، فلما مات يزيد وانصرف الحصين بن نمير شاوَر عبد الله بن الزبير أصحابه في هدمها وبنائها فأشار به جابر بن عبد الله وعبيد بن عمير وأباه عبد الله بن عباس ، وقال : لا نهدم بيت الله تعالى . فقال ابن الزبير : أما ترى الحمام يقع على حيطان البيت فتتناثر حجاراته ويظل أحدكم يبنى بيته ولا يبنى بيت الله ألا إني هادمه بالنداء قد بلننى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : لو كانت لنا سعةٌ لبنيته على أسر^(٣)

(١) هو شجر القل والنبيق وضخام الشجر ما كان . (٢) شيهم هو الفرس السريع النشيط القوى . (٣) الاس مثلثة اصل البناء كالاساس .

إبراهيم ولجملت له باين شرقياً وغربياً . وسأل الأسود هل سمعت من عائشة رضى الله تعالى عنها شيئاً في ذلك ؟ فقال : أخبرتنى أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لها : « إن النفقة قصرت بقومك فاقصروا ، ولو حذّثان عهدهم بالكفر لهدمتهم وأعدت فيه ما تركوا » . فاستقر رأى ابن الزبير على هدمه فلما أصبح أرسل إلى عبيد بن عمر فقيل هو نائم فأرسل إليه وأيقظه وقال له : أما بلىك أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : إن الأرض لتصبح إلى الله تعالى من نومة العلماء في الضحى فهدمها ، فأرسل إليه ابن عباس إن كنت هادماً فلا تدع الناس بلا قبلة ، فلما هدمت قال الناس : كيف نصل بلا قبلة . فقال جابر وزيد صلوا إلى موضعها فهو القبلة ، وأمر ابن الزبير بموضعها فستر ووضع الحجر في تابوت في خرقه حرير . قال عكرمة : رأيته فإذا هو ذراع أو يزيد وكان جوفه أبيض مثل الفضة ، وجعل حلى الكعبة عند الحبيبة في خزانة الكعبة ، فلما أراد بناءها حفر من قبل الحطيم حتى استخرج أس إبراهيم عليه الصلاة والسلام فجمع الناس ، ثم قال : هل تعلمون أن هذا أس إبراهيم ؟ قالوا : نعم فبناها على أس إبراهيم صلى الله تعالى عليه وسلم وأدخل فيها من الحجر ستة أذرع وترك منها أربعاً . وقيل : أدخل سبعة أذرع وترك ثلاثاً وجعل لها باين ماصوقين بالأرض شرقياً وغربياً ، يدخل من واحد ويخرج من الآخر ، وجعل على بابها صفاًح الذهب ، وجعل مفاتيحها من ذهب . وكان ممن حضر بناءها من رجال قريش أبو الجهم بن حذيفة المدوي ، فقال : عملت في بناء الكعبة مرتين واحدة في الجاهلية بقوة غلام يافع^(١) ، وأخرى في الإسلام بقوة كبير فأن . وذكر الزبير بن بكار أن عبد الله بن الزبير وجد في الحجر صفاًح حجارة خضر قد أطبق بها على قبر ، فقال له عبد الله بن صفوان : هذا قبر نبي الله إسماعيل عليه الصلاة والسلام ، فكف عن تحريك تلك الحجارة .

ثم بقيت الكعبة في أيام ابن الزبير على حالها إلى أن حاربه الحجاج وحصره

(١) يفع الغلام راقع العشرين كايفع وهو يافع لا موقع وهو من النوادر .

في المسجد ونصب عليه النجنيقات إلى أن ظفر به . وقد تصدعت الكعبة بأحجار
النجنيق فهدمها الحجاج وبنها بأمر عبد الملك بن مروان وأخرج الحجر منها ، وأعادها
إلى بناء قريش على ما هي عليه اليوم فكان عبد الملك بن مروان يقول : وددت أني
كنت حملت ابن الزبير من أمر الكعبة وبنائها ما تحمله .

« وأما كسوة الكعبة » فقد روى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم إن أول من كسى الكعبة سعد اليماني ، ثم كساها رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم الثياب اليمانية . ثم كساها عمر بن الخطاب رضي الله
عنه وعثمان رضي الله عنه القباطي^(١) ، ثم كساها يزيد بن معاوية الديباج الخسرواني^(٢)
وحكي محارب بن زياد إن أول من كسى الكعبة الديباج خالد بن جعفر بن كلاب
أساب نظمة في الجاهلية وفيها تمط ديباج فناها بالكعبة ، ثم كساها ابن الزبير
والحجاج الديباج . ثم كساها بنو أمية في بعض أيامهم الحلل التي كانت على أهل
نجران في حربهم وفوقها الديباج ، ثم جدد التوكل رخام الكعبة وأزرها بالفضة
وألبس سائر حيطانها وسقفها بالذهب ، ثم كسا أساطينها الديباج ، ثم لم يزل الديباج
كسوتها .

« وأما المسجد الحرام » فقد كان فناء حول الكعبة فضاء للطائفين ، ولم
يكن له على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأبي بكر الصديق رضي الله
تعالى عنه جدار يحيط به ، فلما استخلف عمر رضي الله تعالى عنه وكثر الناس
وسع المسجد واشترى دوراً فهدمها وزادها فيه ، وهدم على قوم من جيران المسجد
دوراً أبوا أن يبيعوا ، ووضع لهم الأمان حتى أخذوها بمد ذلك ، واتخذ للمسجد
جداراً قصيراً دون القامة وكانت المصاييح توضع عليه ، فكان عمر رضي الله تعالى
عنه أول من اتخذ جداراً للمسجد فلما استخلف عثمان رضي الله تعالى عنه ابتاع
منازل فوسع بها المسجد وأخذ منازل أقوام ووضع لهم أماناً ففضجوا عند البيت

(١) جمع قبطن وهو ثوب من كتان رقيق يعمل بمصر نسبة إلى القبط
على غير قياس فرقا بينه وبين الانسان كما في المصباح . (٢) نوع من الثياب .

قَالَ إِنَّمَا جَرَأُكُمْ عَلَىٰ حُلِيِّ عَنكُمْ قَدْ فُضِّلَ بِكُمْ عَمْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ هَذَا فَأَقْرَبْتُمْ وَرَضْتُمْ . ثُمَّ أَمَرَهُمْ إِلَى الْحَبِيسِ حَتَّىٰ كُلَّهُ فِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ نَحْلَىٰ سَبِيلَهُمْ وَبَنَىٰ لِلْمَسْجِدِ الْأَرْوَقَةَ حِينَ وَسَعَهُ ، فَكَانَ عُمَانُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ أَوَّلَ مَنْ أَخَذَ لِلْمَسْجِدِ الْأَرْوَقَةَ ، ثُمَّ إِنْ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَسِعَ الْمَسْجِدَ وَحَمَلَ إِلَيْهِ أَعْدَةَ الْحِجَارَةِ وَالرَّخَامِ . ثُمَّ إِنْ الْمَنْصُورُ زَادَ فِي الْمَسْجِدِ وَبَنَاهُ وَزَادَ فِيهِ الْمَهْدَىٰ بِمَدَّةٍ وَعَلَيْهِ اسْتَقَرَّ بِنَاؤُهُ إِلَىٰ زَمَنِ طَوِيلٍ .

« وَأَمَّا مَكَّةُ » فَلَمْ تَكُنْ ذَاتَ مَنَازِلَ وَكَانَتْ قَرِيشٌ بِمَدِّ جَرَمٍ وَالْمَاهِقَةِ يَنْتَجِمُونَ جِبَالَهَا وَأَوْدِيَّتَهَا وَلَا يَخْرُجُونَ مِنْ حَرَمِهَا انْتِسَابًا إِلَى السَّكْبَةِ لِاسْتِيلَانِهِمْ عَلَيْهَا وَتَخْصِصًا بِالْحَرَمِ لِحُلُولِهِمْ فِيهِ وَيُرُونَ أَنَّهُ سَيَكُونُ لَهُمْ بِذَلِكَ شَأْنٌ ، وَلَسَا كَثَرُ فِيهِمُ الْعُدَدُ ، وَنَشَأَتْ فِيهِمُ الرِّيَاسَةُ قَوًى أَمْلَهُمْ وَعَلِمُوا أَنَّهُمْ سَيَقْتَدِمُونَ عَلَى الْعَرَبِ ، وَكَانَ فَضْلًاؤُهُمْ وَذُووُ الرَأْيِ وَالتَّجَبُّرَةِ يَتَخَيَّلُونَ أَنَّ ذَلِكَ لِرِّيَاسَةِ فِي الدِّينِ ، وَتَأْسِيسِ لِنُبُوَّةٍ سَيَكُونُ ، لِأَنَّهُمْ تَمَسَّكُوا مِنْ أُمُورِ السَّكْبَةِ بِمَا هُوَ بِالْأَيْنِ أَخْصَى ، فَأَوَّلَ مَنْ شَمَرَ بِذَلِكَ مِنْهُمْ وَأَهْلَمَهُ كَعْبُ بْنُ لُؤًى بْنُ غَالِبٍ . وَكَانَتْ قَرِيشٌ تَجْتَمِعُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ حِجْمَةٍ ، وَكَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ يُسَمَّى فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَرُوبَةَ فِصَاهِ كَعْبُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَكَانَ يُخْطَبُ فِيهِ عَلَى قَرِيشٍ . وَيُخْبِرُهُمْ بِمِثْلَةِ مَا صَلَّى اللَّهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَهَذَا مِنْ فُطُنِ الْإِلَهَامَاتِ الَّتِي تَخَيَّلْتُهَا الْمَقُولُ فَصَدَقَتْ ، وَتَصَوَّرْتُهَا النَّفُوسُ فَتَحَقَّقَتْ . وَنَسْتَوْفِي الْكَلَامَ عَلَىٰ هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي الْمَجْتِمَعَاتِ . ثُمَّ انْتَقَلَتِ الرِّيَاسَةُ بَعْدَهُ إِلَى قَعْسِ بْنِ كَلَابٍ فَبَنَى بِمَكَّةَ دَارَ النَّدْوَةِ لِيُحْكَمَ فِيهَا بَيْنَ قَرِيشٍ ، ثُمَّ سَارَتْ لَتَشَاوَرَهُمْ وَعَقْدَ الْأُلُويَّةِ فِي حُرُوبِهِمْ . قَالَ الْكَلْبِيُّ فَكَانَتْ أَوَّلَ دَارٍ بَنِيَتْ بِمَكَّةَ ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ فَبَنَوْا مِنَ الْبُورِ مَا اسْتَوْتُونَهُ وَكَلَّا قُرُبُورًا مِنْ عَصْرِ الْإِسْلَامِ أَزْدَادُوا قُوَّةَ وَكَثْرَةَ عَدُوٍّ حَتَّىٰ دَانَتْ لَهُمُ الْعَرَبُ فَصَدَقَتْ النُّخَيْلَةُ الْأُولَىٰ فِي الرِّيَاسَةِ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ سَيِّحَانَهُ نَبِيَّهُ رَسُولًا فَصَدَقَتْ النُّخَيْلَةُ الثَّانِيَّةُ فِي حَدُوثِ النُّبُوَّةِ فِيهِمْ فَآمَنَ بِهِ مِنْ هَدًى وَجَعَدَ مِنْ عَائِدٍ ، وَهَاجَرَ عَنْهُمْ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ اشْتَدَّ بِهِ الْأَذَىٰ حَتَّىٰ عَادَ ظَافِرًا بَعْدَ ثَمَانِ سِنِينَ مِنْ هِجْرَتِهِ عَنْهُمْ .

واختلف الناس في دخوله صلى الله تعالى عليه وسلم مكة عام الفتح هل دخلها عنوة أو صلحاً مع إجماعهم على أنه لم يضمن منها مالا ولم يسب فيها ذرية ، فذهب أبو حنيفة ومالك إلى أنه دخلها عنوة فمما عن الفنائم ومن على السب ، وأن الإمام إذا فتح بلاداً عنوة فله أن يعفو عن غنائمه وعن على سبيه ، وذهب الشافعي رضي الله عنه إلى أنه دخلها صلحاً عقده مع أبي سفيان ، وكان الشرط فيه أن من أغلق بابه كان آمناً ، ومن تعلق بأستار الكعبة فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن إلا ستة أنفس استثنى قتلهم ، ولو تعلقوا بأستار الكعبة وهم : « عبد الله بن سعد » أخو بني عامر بن لؤي لأنه كان قد أسلم . وكان يكتب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الوحي فارتد مشركا راجعاً إلى قريش « وعبد الله بن خطل » رجل من بني تميم بن غالب ، فإنه كان مسلماً فبعثه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مصدقاً وبعث معه رجلاً من الأنصار ، وكان معه مولى له يخدمه وكان مسلماً فنزل منزلاً ، وأمر المولى أن يذبح له تيساً فيصنع له طعاماً فنام فاستيقظ ولم يصنع له شيئاً ، فمدا عليه قتله ثم ارتد مشركا ، وكانت له قينتان وكاتتا تمنيان بهجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فأمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بقتلها معه « والحويرث بن نفيذ » بن وهب بن عبد قصي ، وكان ممن يؤذيه بمكة . « ومقيس بن صباب » وإنما أمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بقتله لقتله الأنصاري الذي كان قتل أخاه خطأ ورجوعه إلى قريش مشركا « وسارة مولاة ليمض بن عبد المطلب » وكانت ممن تؤذى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة . « وعكرمة بن أبي جهل » ثم إن من هؤلاء من عفا عنه بعد حين . ومنه من ظفر به بعد الهزيمة فقتله ، ولأجل أنه صلى الله تعالى عليه وسلم دخلها صلحاً لم يضمن ولم يسب . وليس للإمام إذا فتح بلاداً عنوة أن يعفو عن غنائمه ولا أن يمن على سبيه لما فيها من حقوق الله تعالى وحقوق الناعمين . فصارت مكة وحرمةا حين لم تنعم أرض عشر إن زرعت لا يجوز أن يوضع عليها خراج .

واختلف الفقهاء في بيع دور مكة وإجارتها ففتح أبو حنيفة من بيعها وأجاز إجارتها في غير أيام الحج ، ومنع منهما في أيام الحج رواية الأعمش عن مجاهد أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال مكة حرام لا يحل بيع رباها ولا أجور بيوتها . وذهب الشافعي رحمه الله تعالى إلى جواز بيعها وإجارتها ، لأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أقرم عليها بعد الإسلام على ما كانت عليه قبله ، ولم ينفهما ولم يعارضهم فيها . وكذلك بعده « هذه دار الندوة » وهي أول دار بنيت بمكة صارت بعد قسّى لعبد الدار بن قسّى ، واجتاعها معاوية في الإسلام من عكرمة ابن طامر بن هشام بن عبد الدار بن قسّى ، وجعلها دار الإمارة ، وكانت من أشهر دار اقيمت ذكراً ، وأشرها في الناس خيراً ، فأنكر بيعها أحد من الصحابة . واجتاع عمر وعثمان رضي الله تعالى عنهما ما زاده في المسجد من دور مكة وتملك أهلها أئمانها ، ولو حرم ذلك لما بذلاء من أموال المسلمين ، ثم جرى به العمل إلى وقتنا هذا فكان إجماعاً متبوعاً ، وتحمل رواية مجاهد مع إرسالها على أنه لا يحل بيع رباها على أهلها تنبيها على أنها لم تقم فتملك عليهم فذلك لم تبع وكذلك حكم الإجارة .

« وأما الحرم » فهو ما أطاف بمكة من جوانبها ، وحده من طريق المدينة دون التتميم عند بيوت بني نفاار على ثلاثة أميال ، ومن طريق العراق على ثنية جبل بالمنقطع على سبعة أميال . ومن طريق الجعرانة بشعب أبي عبد الله بن خالد على تسعة أميال ، ومن طريق الطائف على عرفة ومن بطن نرة على سبعة أميال . ومن طريق جدة منقطع العشار^(١) على عشرة أميال . فهذا حد ما جمعه الله تعالى حرماً لما اختص به من التحريم وبأن يحكمه ساثر البلاد . قال الله عز وجل :

(١) ونظم ذلك بعضهم فقال :

والحرم التحديد من أرض طيبة
وسبعة أميال عراق وطائف
وزاد الدميري فقال :

ثلاثة أميال إذا زمت انقسامه
وجدة عشر ثم تسع جعرانه

فلم يعد سبل الحل إذ جاء تبيان

ومن يمن سبع وكرر لها اهتدى

(وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً) يعنى مكة وحرماً (وارزق أهله من الثمرات) لأنه كان وادياً غير ذى زرع ، فسأل الله تعالى أن يجمع لأهله الأمن والخصب ليكونوا بهما فى رعد من العيش ، فأجابه الله تعالى إلى ما سأل فجعله حرماً آمناً يتخطف الناس من حوله . وجب إليه ثمرات كل بلد حتى جمعها فيه . واختلف الناس فى مكة وما حولها هل صارت حرماً آمناً بسؤال إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، أو كانت قبله كذلك على قولين . أحدهما : أنها لم تزل حرماً آمناً من الجبارة والمتسلطين ومن الخسوف والزوال ، وإنما سأل إبراهيم عليه السلام ربه سبحانه أن يجعل حرمة آمناً من الجلب والقحط ، وأن يرزق أهله من الثمرات لرواية سعيد بن أبى سعيد . قال : سمعت أبا شريح الخزاعى يقول إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما افتتح مكة قام خطيباً فقال : (أيها الناس إن الله سبحانه حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فعلى حرام إلى يوم القيامة لا يحل لأحد أن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ، أو يعضد^(١) بها شجرة ، وإنها لا تصل لأحد بمدى ، ولم يحل لى إلا هذه الساعة غضباً على أهلها ، ألا وهى قد رجعت على حالها بالأمس ألا ليلبلغ الشاهد النائب ، فمن قال رسول الله قتل بها بقولوا : إن الله تعالى قد أحلها لرسوله ولم يحلها لك) . والقول الثانى : إن مكة كانت حلالاً قبل دعوة إبراهيم عليه السلام كسائر البلاد ، وإنها صارت بدعوه حرماً آمناً حين حرمها كما صارت المدينة بتحريم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حرماً بعد أن كانت حلالاً ، لرواية الأشعث عن نافع عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : (إن إبراهيم عليه السلام السلام كان عبد الله وخليه ، وإنى عبد الله ورسوله ، وإن إبراهيم حرم مكة ، وإنى حرمت المدينة ما بين لا بتها^(٢) غضاها وصيدها ، ولا يحمل بها سلاح

(١) عضد الشجرة عضداً من باب ضرب : قطعها .

(٢) ثنية لابة وهى الحرة والحرة أرض ذات حجارة سود وللمدينة لابنان شرقية وغربية وهى بينهما فحرمها ما بينهما عرضاً وما بين جبليها طولاً وهى غير وثور ، وعضاها بكسر العين وتخفيف الضاد كل شجر فيه شوك .

لقتال ، ولا يقطع بها شجر إلا لعلف بغير) . وأما « مروة » فجبل بمكة يعطف على الصفا ويميل إلى الحرة ، وأما « مزدلفة » فهو مبيت الحاج وجمع الصلاة إذا سددوا من عرفات ، وهو مكان بين بطن مُحَسَّرٍ واللازمين وإذا أفضت من عرفات فأنت فيه حتى تبلغ القرن الأحمر دون عسر « وقزح » هو الجبل الذى عند الموقف ومزدلفة على فرسخ من منى بها مصلى وسقاية ومنارة وعدة برك إلى جنب جبل يثرب . وأما « منى » فهي بلدة على فرسخ من مكة ، طولها ميلان تمر أيام الموسم وتخلو بقية السنة إلا ممن يحفظها ، وقل أن يكون فى الإسلام بلد مذكور إلا ولأهله معنى مضرب ، وعلى رأس منى من نحو مكة عقبة ترى عليها الجرة يوم النحر . والمسجد فى الشارع الأيمن ومسجد الكئبش بقرب العقبة . وبها مصانع وآبار وهي بين جبلين مطلين عليها . قال الأصمى وهو يذكر الجبال التى حول حى ضريبة ومنى جبل ، وأنشد :

أتبتمهم مقلة لإنسانها غرق كالقص فى دفرى النعم مغفور^(١)
حتى تواروا لشعف والجمال بهم من هضبتها وعن جنبى منى زور
وعرفات والصفا ونحو ذلك . كلها مواضع تؤدى الحجاج فيها للناسك وهي مفصلة آم تفصيل ، فى الكتب للمدة لهذا القبيل .

نبذة مما ورد فى فضل مكة

وذكر شيء من حال رؤسائها وأشرفها

قد سبق أن لها عدة أسماء ، وقد سماها الله تعالى (البلد الأمين) أيضاً فقال :
(والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين) . وفى هداية الحيارى قوله
(والتين والزيتون) : هما فى الأرض المقدسة : التى بث منها المسيح عليه السلام

(١) المقلة وزان غرفة : شحمة العين التى يجمع سوادها وبياضها وانسان العين حدقتها .

وانزل فيها الإنجيل ، وطور سينين هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى تكليما وناداه
من واديه الأيمن من البقعة المباركة من الشجرة التى فيه ، وأقسم بالبلد الأمين وهو
مكة التى أسكن إبراهيم إسماعيل وأمه فيه ، وهذا مثل ما ورد فى التوراة : (تجلى
الله من طور سيناء وأشرق من ساعير واستعان من جبال فاران) . قال ابن
قتيبة : ليس بهذا خفاء على من تدبره ولا غموض لأن مجيء الله من طور سيناء
إزاله التوراة على موسى من طور سيناء كالذى هو عند أهل الكتاب وعندنا ،
وكذلك يجب أن يكون إشرافه من ساعير لإزاله الإنجيل على المسيح من ساعير
أرض الخليل بقرية تدعى (ناصرة)^(١) وباسمها تسمى من اتبعه نصارى . وكما
وجب أن يكون إشرافه من ساعير بالمسيح ، فكذلك يجب أن يكون استعلاؤه
من جبال (فاران) لإزاله القرآن على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وجبال فاران هى
جبال مكة ، ولما كان مافى التوراة خبراً عن ذلك أخبر به على الترتيب الزمانى قدم
الأسبق ثم الذى يليه . وأما القرآن فإنه أقسم بها تعظيماً لشأنها واطهاراً لقدرته وآياته
وكتبه ورسله ، فأقسم بها على وجه التدرج درجة بعد درجة ، فبدأ بالعالمى ثم انتقل
إلى أعلى منه ثم إلى أعلى منهما ، فإن أشرف الكتب القرآن ، ثم التوراة ، ثم الإنجيل
وكذلك الأنبياء الثلاثة انتهى بتلخيص . وقال تعالى (لا أقسم بهذا البلد وأنت
حلّ بهذا البلد) . وقال تعالى (وليطوفوا بالبيت العتيق) . وقال سبحانه (جعل
الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس وأمناً) . وكذلك قول إبراهيم عليه السلام
(ربنا إني أسكنت من ذرى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم فأجعل أئمة
من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات) . ولما خرج رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم من مكة وقف على الحزورة^(٢) وقال : إني لأعظم أهلك أحب البلاد

(١) هى قرية بالشام ويقال لها نصرانة ونصورية ينسب إليها النصارى
أو جمع نصران كالندامى جمع ندمان أو جمع نصرى كمهرى ومهارى .
(٢) قال ابن الأثير : هو موضع عند باب الحناطين وهو بوزن قسورة ،
قال الامام الشافعى (رضى) الناس يشددون الحزورة والحديبية وهما
مخففتان وفى روض السهيلي : هو اسم سوق كانت بمكة وادخلت فى المسجد

إلى وإنك أحب أرض الله إلى الله الحديث . وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : (لولا الهجرة لسكنت مكة فإني لم أر السماء بمكان أقرب إلى الأرض منها بمكة ولم يطمئن قلبي ببلدة قط ما اطمأن بمكة ولم أر القمر بمكان أحسن منه بمكة) . تريد بقرب السماء منها قرب الرحمة ونحوها ، وإلا فجميع أجزاء الأرض بالنسبة إلى بعدها عن السماء سواء كما حقق في محله . وقال ابن أم مكتوم رضى الله تعالى عنه وهو أخذ بزمام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطواف :

ياحبذا مكة من وادى أرض بها أهلى وأولادى
أرض بها ترسخ أوتادى أرض بها أمشى بلاهادى

ولما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة وعك^(١) أبو بكر وبلال رضى الله تعالى عنهما فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول :

كل امرئ مريض في أهله والموت أدنى من شركائه^(٢)
وكان بلال إذا أقشمت عنه الحمى رفع عقيرته وقال :

ألا ليت شمري هل أيتن ليلة وعندي منها إذخر^(٣) وجليل^(٤)
وهل أردن يوما مياه بجنة وهل يدون لي شامة وطفيل

اللهم العن شيبة بن ربيعة ، وهتبه بن ربيعة ، وأميه بن خلف ، كما أخرجونا من مكة . ووقف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عام الفتح على جرة العقبة ، وقال : (والله إنك خير أرض ، وإنك لأحب أرض الله إلى ، ولو لم أخرج منك ما خرجت إنما لم تحمل لأحد كانت قبلي ، ولا تحمل لأحد بعدى ، وما أحلت لي

= لا زيد فيه ونقل بعضهم عن يساري عياض مثل ذلك وفيه عن الدارقطني مثل قول الشافعي ونسب التشديد للمحدثين قال وهو تصحيف - ونسبه صاحب المراسد الى العامة وزاد انهم يقولون عزورة بالعين بدل الحاء ، وقال القاضي عياض وقد ضبطنا هذا الحرف على ابن السراج بالوجهين .
(١) أى أخذته الحمى . (٢) شركاء النعل سيرها الذى على ظهر القدم .
(٣) الاذخر بكسر الهمزة والخاء نبات معروف ذكى الربيع وإذا جف ابيض ، والجليل الثمام وهو نبت ضعيف يحشى به خصائص البيوت الواحد جليلة والجمع جلائل ، قال الشاعر :

يلوذ بجنبى مرخة وجلائل

إلا ساعة من نهار ثم هي حرام لا يُصعدُ شجرها ولا يختل خلاها ولا تلتقط ذاتها
إلا لشئ (قال رجل : يارسول الله إلا الإذخر . وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم
(من سبر على حرمة مكة ساعة تباعدت عنه جهنم مسيرة مائة عام وتقربت منه الجنة
مائتي عام) . ووجد على حجر مكتوب فيه : (أنا الله رب مكة الحرام وضمتها يوم
وضعت الشمس والقم وحفقتها بسمة أملاك حنفاء : لا تزول أخشابها مبارك لأهلها
في اللحم والماء) ، ومما يدل على فضلها قوله تعالى (وما كان ربك مهلك القرى حتى
يبعث في أمها رسولا) . وقوله سبحانه (وتنتذر أم القرى ومن حولها) . ومن
شرفها أنها كانت لقاحاً^(١) لا تدين لدين الملوك ولم يؤد أهلها إتاوة ، تخرج إليها ملوك
حير وكندة وغسان ونظم فيديثون للحُصن^(٢) من قريش ويزيدون في تمظيمهم ،
ويرون الاقتداء بآثارهم من الشرف والفرائض . وكان أهلها آمنين يزورون الناس
ولا يُنزون ويحكمون على الناس ولا يحكم عليهم أحد ، وقد ذكر الشعراء كل ذلك في
شعرهم حين مدحهم . قال الزبير بن بدر لرجل من بني عوف هجا أبا جهل
وتناول قريشاً :

أندرى من هجوت أبا حبيب سليل خضارم سكنوا البطاح^(٣)
وزاد الركب تذكر أم هشاماً وبيت الله والبلد اللقاح^(٤)

وقال حرب بن أمية ودعا الحضرمي أن لا ينزل خارجاً من الحرم . وكان يكنى
أبا مطر ، فقال حرب :

(١) سيأتي تفسيرها قريباً (٢) لقب قريش ومن ولدت قريش ، وكنانة
وجذيلة قيس وهم فهم وعدوان ابنا عمرو بن قيس عيلان وبنو عامر بن
صمصمة ومن تابعهم في الجاهلية ، هؤلاء الخمس وإنما سموا لتحمسهم في
دينهم أي تشدهم فيه وكلوا في الشجاعة فلا يطاقون أو لا تتجأهم بالحماس
وهي الكلمة لأن حجرها أبيض إلى السواد وقيل غير ذلك
(٣) الخضارم بالضم الجواد المطاء والسيد الحمول
(٤) يقال قوم لقاح وحى لقاح لم يدينوا الملوك ولم يملكوا ولم يصبهم في
الجاهلية سباً ، وانشد ابن الأعرابي :
لعمري أبوك والانبياء تنمي لنعم الحي في الجبل رباح
أبو دين الملوك فهم لقاح إذا هيجوا إلى الحرب اشاحوا
وقال ثعلب : الحي اللقاح مشتق من لقاح الناقة لأن الناقة إذا لقحت لم
تطاول الفحل وليس بقوى

أبا مطر هلمَّ إلى (صلاح) فيكفيك النداءى من قريش
وتنزل بلدة عزت قديماً وتأمين أن يزورك ربّ جيش
تأمين وسطهم وتميش فيهم أبا مطر هديت بخير عيش
وما زاد في فضلها فضل أهلها لأنهم كانوا حلفاء متآلفين متمسكين بكثير
من شريعة إبراهيم الخليل عليه والصلاة والسلام ، ولم يكونوا كالأعراب الذين
لا يوقرم دين ، ولا يزينهم أدب . وكانوا يحبون أولادهم ويحبون البيت وقيمون
الناسك ويكفنون موتاهم ويتسلون من الجنابة ويتبرون من الحربنة^(١) ويتباعدون
في المناكح من البنت وبنت الأخت وبنت الأخت غيرة وبمدا من الجوسية ،
ونزل القرآن بتأكيد سنينهم وحسن اختيارهم ، وكانوا يزوجون بالصدائق والشهود
ويطلقون ثلاثاً ، ولذلك قال عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما - وقد
سأله رجل عن طلاق العرب - : (كان الرجل يطلق امرأته تطلقه ، ثم
هو أحق بها ، فإن طلقها فثنتين فهو أحق بها أيضاً ، فإن طلقها ثلاثاً فلا سبيل له
إليها . قال الأعشى :

أيا جارتى بينى فإنك طلاقه كذاك أمور الناس غادر وطارقه
وبينى قد فارقت غير ذميمة ومومقة منا كما أنت وامقه
وبينى فإن البين خير من العسا وإلا ترى لى فوق رأسك بارقه

وما زاد في شرفهم أنهم كانوا يتزوجون من أى قبيلة شاءوا ولا شرط عليهم
في ذلك ، ولا يزوجون أحداً حتى يشترطوا عليه أن يكون متحمساً على دينهم .
يرون أن ذلك لا يحمل لهم ولا يجوز لشرفهم حتى يدان إليهم وينقاد ، والتحمس
التشدد في الدين ، ورجل أحس أى شجاع . فحمسوا خزاعة ودانت لهم إذ كانت
في الحرم ، وحمسوا كنانة وجديلة قيس وهم فهم ، وابنا عمرو بن قيس عيلان
إلا أنهم ساكنوا الحرم ، وعامر بن صمصمة وإن لم يكونوا من ساكنى الحرم ، فإن

(١) الهاربة قومة بيت النار التى للهند فارسى معرب وقيل عظماء الهند
او علمائهم

أهم قرشية . وهي مجد بنت تيم بن مرة . وكان من سنة الحس أنهم لا يخرجون أيام الموسم إلى عرفات إنما يقفون بالزدلفة ، وكانوا لا يسلّون^(١) ولا يأفطون^(٢) ولا يرتبطون عنراً ولا بقرة ولا يزلون سوفا ولا وبرا ، ولا يدخلون بيتاً من الشعر والدر ، وإنما يكتبون بالقباب الحرم في الأشهر الحرم . ثم فرضوا على العرب قاطبة أن يطرحوا أزواد الحل إذا دخلوا الحرم ، وأن يتركوا ثياب الحل ويستبدلوا بثياب الحرم إما شراء وإما عارية وإما هبة ، فإن وجدوا ذلك فيها وإلا طافوا بالبيت عرايا ، وفرضوا على نساء العرب مثل ذلك غير أن المرأة كانت تطوف في درج مفرج القوائم والمآخير .

قالت امرأة : وهي تطوف بالبيت :

اليوم يبدو بوضه أو كله وما بنا منه فلا أحله
أختم مثل القعب بإر ظله كأنّ محمى خير كعله^(٣)

وكلفوا العرب أن يفيضوا من مزدلفة وقد كانوا يفيضون من عرفة ، وقد كان الملك في جرم وخزاعة وصدر من أيام قريش . فلولا أنهم أمنع حتى من العرب مع نخوة العرب في إبائهما لما أحل قصى خزاعة جرهما ، ولم يكونوا يهتبدون الهبيد^(٤) وبأكلون الحشرات كسائر الأعراب ، بل منهم الذي هشم الثريد ، وفيه يقول ابن الزمري :

عمرو الذي هشم الثريد قومومه قوم بمكة مستنون عجاف^(٥)

(١) سلا السمن : طبخة وعالجه (٢) الاقط شيء يتخذ من الخيض الفنى واقط الطعام ياقطه أقطا عمله به فهو ماقوط ، قال ابن هرمه : لست بدلى ثلثة مسوقة أقط البانها واسلوها واتقط اتخذت الاقط (٣) قال ثعلب : فرج اختم منفتح خرقة قصير السمك خناق ضيق ، والعقب : القدح الضخم الجاقى أو الى الصغر أو يروى أرجل ، وحمل خيبر يضرب بها المثل لأن خيبر مخصوصة بالحمى والوباء ، قال أوس بن حجر :

كان به إذ جثته خيبرية يعود عليه ورده ومللاها
الورد يوم الحمى الدائر ، والللال : الضجر والتضايق

(٤) هو الحنظل أو حبه (٥) عمرو هو هاشم بن عبد مناف أبو عبدالمطلب وكان يكنى أبا نضلة ثالث جد لسيدنا رسول الله (ص) سمي هاشما لأنه أول من نرد الثريد وهشمه في الجذب والمام الجماد ، ومستنون : مقحوطون ، وعجاف : ضعاف

سنت إليه الرحلتان كلاهما سفر الشتاء ورحلة الأسياف
وكان عبد الله بن جُدعان التيمي يطعم الرغو^(١) والصل والسمن ولَبَّ البرَّ حتى
قال أمية بن أبي الصلت فيه يمدحه :

لكل قبيلة رأسٌ وهادٍ وأنت الرأس تقدم كل هادى
له دليح بمكة مُشَمِّلٌ^{*} وآخرُ فوق دارته ينادى
إلى رُدُح من الشِيزاء ملأى لبابَ البرِّ يُلَبِّكُ بالشهادِ

وفضائل قريش ليس هذا موضع استقصائها ، وقد أفردا الزبير بن بكار
بكتاب أجاد فيه وأفاد ، وقد بلغ تنظيم العرب لمكة أنهم كانوا يحجون البيت
ويتمتروا ويطوفون ، فإذا أرادوا الانصراف أخذ الرجل منهم حجراً من حجارة
الحرم ففتحته على صورة أبنام البيت فيجمله في طريقه قبلة ويطوف ويصلى له
تشبيهاً بأبنام البيت ، وأفضى بهم الأمر بعد طول المدة إلى أن كانوا يأخذون
الحجر من الحرم فيعيدونه ، فذلك كان أصل عبادة العرب للحجارة في منازلها
شَفَفاً منها بأبنام الحرم ، وتعام الكلام ، في هذا المقام ، نوره إن شاء الله تعالى
عند البحث عن أدبانهم ، وما كانوا يتميدون به في سالف أزمانهم . وأما رؤساء
مكة فذكر أهل السير أن إبراهيم الخليل عليه السلام لما حل ابنه إسماعيل عليه
السلام إلى مكة جاءت جُرم وقطوراء وهما قبيلتان من اليمن وهم أبناء عم ؛
فأروا بلداً ذا ماء وشجر فنزلوا ونكح إسماعيل عليه السلام من جُرم ، فلما توفي
إسماعيل ولّى البيت بعده نابت بن إسماعيل وهو أكبر ولده ، ثم ولّى بعده مُنَاض
ابن عمرو الجزهمي خال ولد إسماعيل عليه السلام ، إلى أن تنافست جُرم وقطوراء
في الملك وتداعوا للحرب ففرجت جُرم إلى قبيعتان وهى أعلى مكة وعليهم مُنَاض
ابن عمرو ، وخرجت قطوراء من أجياد وهى أسفل مكة وعليهم السميذع ، فالتقوا
بفاضح واقتتلوا قتالاً شديداً فقتل السميذع وهزمت قطوراء ، فسمى الموضع

فانحسروا لأن قتلوا فيه ، وسميت أجياداً لما كان معهم من أجياد الخليل ، وسميت قميصان لقميصة السلاح . ثم تداعوا إلى الصلح واجتمعوا في الشعب وطبخوا القدور ، فسمى الطابخ . ونشر الله ولد إسماعيل عليه السلام فكثروا وتفرقوا في البلاد لا يتادون قوماً إلا أتوم طائمين ، وظهروا عليهم بدينهم . ثم إن جرهما بنوا بمكة فاستحلوا المحرمات ، وأباحوا المنكرات ، وظلموا من دخلها ، وأكلوا مال الكعبة ، وكانت مكة تسمى الباسة^(١) . لا تفر ظملاً ولا بنياً ولا تبق فيها أحداً من الملحدن إلا أخرجه ، وكان أبو بكر بن عبد بن مناة بن كنانة وغسان وخزاعة حلولا حول مكة فأذنوهم القتال فاقتلوا فجعل الحارث بن عمرو بن مضاى يقول :

لأهم إن جرهما عبادك الناس طرف وهم تلادك^(٢)

فلبثهم خزاعة على مكة ونقمهم عنها . وفي ذلك قال عمرو بن الحارث بن عمرو بن مضاى الأصغر * وقائلة واللمع سكب مبادر * إلى آخر الأبيات التي سبق ذكرها . ثم وليت خزاعة البيت ثلاثمائة سنة يقوارثون ذلك كبراً عن كبر حتى كان آخرهم حليل بن أبي حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة وهو خزاعة بن حارثة . وقريش إذ ذاك حل وحرم وبيوتات متفرقة حول الحرام ، إلى أن أدرك قصي بن كلاب وتزوج بنت حليل بن أبي حبشية وولدت بنيه الأربعة فسكن ولده وعظم شرفه ، ثم هلك حليل وأوصى إلى ابنه المختار أن يكون خازناً للبيت وأشرك معه غبشان^(٣) لللكاني . وكان إذا غاب أحجب هذا حتى

(١) من لست الشيء إذا ذهبت وذكر الخطابي أنه يقال لها الباسة ايضاً بالوحدة وهو من بسط الجبال بسا أى فتت وفريت كما يشرى السويق قال الراجز :

لاتخبز خبزاً وبسا بسا ماترك السير لهم نسا
يقول لا تشتغل بالخبز ونريا الدقيق والتقماء . (٢) العرب تحذف الالف واللام من اللهم وتكتفى بما بقى ، والطرف : المستحدث من المال ، والتلاد : القديم منه :

(٣) يضرب به المثل في الخسران ، قال الثعالبي : وكانت خزاعة سدة الكعبة قبل قريش وكان أبو غبشان الخزاعي يلي من بينهم امر الكعبة ويده مفتاحها فاتفق له أنه اجتمع مع قصي بن كلاب في شرب بالطائف فخدعه

هلك الملكاني فيقال أن قصياً سقى الخترش الحمر وخدمه حتى اشترى منه البيت بدنّ خمر وأشهد عليه وأخرجه من البيت وتمكّ حجابه وصار رب الحكم فيه ، قصيّ أول من أصاب الملك من قريش بعد ولد اسماعيل . وذلك في أيام النذر ابن النعمان ملك الحيرة ، وملك الفرس يومئذ بهرام جور أبو الفرس وجعل قصيّ مكة رباعاً وبني بها دار الندوة . وكانت صوفة^(١) وهي قبيلة من جرم تصيب بمكة من بلى الإجازة بالناس من عرفة مدة . وفيهم يقول الشاعر :

ولا يرمون في التعريف موقفهم حتى يقال أجيزوا آل صوفانا^(٢)

ثم أخذتها منهم خزاعة وأجازوا مدة . ثم عدا عليهم بنو عدوان بن عمرو ابن قيس وصارت إلى رجل منهم يقال له أبو سيارة^(٣) أحد بني سعد ، وله يقول الراجز :

قصي من مفاتيح الكعبة بان أسكره ثم اشتراها منه بزق خمر وأشهد عليه ودفع المفاتيح في يد ابنه عبد الدار بن قصي وسرحه إلى مكة فلما أشرف عبد الدار على دور مكة رفع عقيرته وقال : يا معاشر قريش هذه مفاتيح بيت أبيكم اسماعيل (ع) قد ردها الله عليكم من غير غدر ولا ظلم ، وأفانق غبشان من سكره نادماً خاسراً فقال الناس أحقق من أبي غبشان وأندم من أبي غبشان وأخسر صفقة من أبي غبشان ، فذهبت الكلمات الثلاث أمثالا واكثرت الشعراء القول فيه فقال بعضهم :

باعت خزاعة بيت الله أذ سكرت بزق خمر فما فازت ولا ربحت وقال آخر :

أبو غبشان اظلم من قصي فلا تلحقو قصياً في شراء ولو موما شيخكم أذ كان باعه وقال آخر :

إذا افترخت خزاعة في قديم تبيع لكعبة الرحمن حمقاً ووجدنا فخرها شرب الحمور بزق بئس مفتخر الفخور

(١) أبو حي من مضر سمي بذلك لأن أمه جعلت في رأسه صوفة وجعلته ربيطاً للكعبة يخدمها وهو الفوث بن مر بن اد بن طابخة . (٢) قوله أجيزوا أي أفيضوا وكان أحدهم يقول أجيزي صوفة فإذا أجازت قال أجيزي خندف فإذا أجازت أذن للناس كلهم في الإجازة ، وآل صوفان ويقال لهم آل صفوان قوم من بني سعد بن زيد مناة قال أبو عبيدة حتى يجوز القائم بذلك من آل صفوان والبيت لأوس بن مفرأ . (٣) اسمه هميلة بن خالد بن أمزل وكان له حمار أسود أجاز الناس عليه من مردلفة إلى منى أربعين سنة وغير أبي سيارة مشهور يتمثل به فيقال أصبح من عير أبي سيارة للرجل الصحيح في بدنه ، قال الجاحظ : أعمار حمر الوحش تزيد على أعمار الحمر الأهلية

خَلَّوُا السَّبِيلَ عَنْ أَبِي سَيَّارَةَ وَعَنْ مَوَالِيهِ بَنِي فَرْزَانَ^(١)
 حَتَّى يَجِيزَ سَلَمًا حِمَارَهُ مُسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةِ يَدْعُو جَارَهُ^(٢)

وكانت صورة الإجازة أن يتقدمهم أبو سيارة على حماره ، ثم يخطبهم فيقول
 اللهم أصلح بين نساءنا ، وعاد بين رعايانا ، واجعل المال في سماحنا وسماحنا ،
 أوفوا بعهديكم . وأكرموا جارككم ، وأقروا عنيكم ، ثم يقول : أشرك نبيي ، كما
 نفي ، ثم ينفر ويقيم الناس . فلما قوى أمر قصي صار البيت الحرام إلى قصي . فلما كبر قصي
 الإجازة وقاتلوا عليها فهزمهم قصي وصار البيت الحرام إلى قصي . فلما كبر قصي
 ووهن عظمه جعل الأمر في ذلك كله إلى ولده عبد الدار لأنه أكبر أولاده ،
 وهلك قصي وأقام قريش على ذلك عبد الدار . ثم إن عبد مناف رأى في نفسه
 أنه أحق من عبد الدار بالأمر وكذلك قريش لما كان عليه من النباهة والفضل
 فأجموا على أخذ ما بأيديه ، وهما بالقتال ففشى الأكبر منهم حتى تداعوا إلى
 الصلح بأن يكون لعبد مناف السقاية^(٣) والرئاسة^(٤) ، وأن تكون الحجابة^(٥)
 واللواء والندوة لبني عبد الدار ، وعقدوا على ذلك حلفاً مؤكداً لا ينقضونه ،
 فأخرج بنو عبد مناف ومن تابعهم من قريش جفنة مملوءة طيباً وغمسوا فيها
 أيديهم ومسحوا بها الكعبة تأكيداً على أنفسهم فسموا الطيبين ، وأخرج بنو
 عبد الدار ومن تابعهم جفنة من دم وغمسوا فيها أيديهم ومسحوا بها الكعبة

ولا يعرف حمائل أهل عاش أكثر وعمر أطول من عمر أبي سيارة فانهم
 لا يشكون أنه رفع عليه أهل الموسم أربعين عاماً .

(١) معنى بمواليه بنى عمه لأنه من عدوان وعدوان وفزاراة من قيس عيلان
 (٢) يدعو جاره أي يدعو الله عز وجل يقول اللهم كن لنا جاراً مما نخافه
 أي مجيراً (٣) الموضع يتخذ لسقى الناس (٤) هي سدة لبنت وقد أخذها قصي ،
 واللواء منصب أحدثه قصي أيضاً بمنزلة وزير الحرب في عصرنا فإذا أخرجه
 من كان بيده اجتمعت عنده صناديد قريش لا يتخلف أحد منهم عنه وذلك
 إذا نابتهم نائبة وغيره لا يمكن من ذلك اللواء وكان هذا المنصب مخصوصاً ببني
 عبد الدار ، والندوة وهي أيضاً مما أحدثه قصي وهي بمنزلة قصر الأمانة
 ودار الحكومة وهي دار كانوا يجتمعون فيها لأبرام أمرهم وتشاورهم والندوة
 الجماعة ودار الندوة دار الجماعة .

فسموا الأحلاف ولقبة النعم ، ولم يل الخلافة منهم غير عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه . والباقون من المطيعين لم يزالوا على حالهم حتى جاءهم الإسلام ، وقريش على ذلك حتى فتح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مكة سنة ثمان من الهجرة فأقرّ الفتح في يد عثمان بن طلحة بن عبد المزى بن عثمان بن عبد الدار ، وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ منه الفاتح عام الفتح فأَنزل الله تعالى : (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) فاستدعاه ورد الفتح إليه ، وأقر السقاية في يد العباس رضى الله تعالى عنه .

من انتهى إليه الشرف بمكة من قريش في الجاهلية فوصد باب السلام :

اعلم أن من انتهى إليه الشرف من قريش إلى أن بزغ نور الإسلام عشرة رهط من عشرة أبطن ، وهم : (هاشم) و (أمية) و (نوفل) و (عبد الدار) و (أسد) و (تيم) و (غزوم) و (عدى) و (جح) و (سهم) فكان من هاشم العباس ابن عبد المطلب يسقى الحجيج في الجاهلية وبقى له ذلك في الإسلام ، ومن بنى أمية أبو سفيان بن حرب كانت عنده العقاب راية قريش ، وإذا كانت عند رجل أخرجها إذا حمت الحرب ، فإذا اجتمعت قريش على أحد أعطوه العقاب وإن لم يجتمعوا على أحد رأسوا صاحبها قدموه . ومن بنى نوفل الحارث بن عامر وكانت إليه الرفادة ، وهي ما كانت تخرجه من أموالها وترفد به منقطع الحاج . ومن بنى عبد الدار عثمان بن طلحة كان إليه اللواء والسدانة مع الحجابة ، يقال : والندوة أيضاً في بنى عبد الدار . ومن بنى أسد يزيد بن زَمّة بن الأسود وكانت إليه المشورة وذلك أن رؤساء قريش لم يكونوا مجتمعين على أمر حتى يمرضوه عليه ، فإن واقه ولائم عليه وإلا تخير وكانوا له أعمانا ، واستشهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالطائف ومن بنى تيم أبو بكر الصديق ، وكانت إليه في الجاهلية الأشناق وهي الديات والمغرم ، فكان إذا احتمل

شيئاً فسأل فيه قريشاً صدقوه وأمنوا سحالة^(١) من نهض معه وإن احتملها غيره خذلوه . ومن بنى غزوم خالد بن الوليد ، كانت إليه القبة والأعنة . فأما القبة فإنهم كانوا يضربونها ثم يجمعون إليها ما يجهزون به الجيـش . وأما الأعنة فإنه كان على خيل قريش في الحرب . ومن بنى عدى عمر بن الخطاب وكانت إليه السفارة في الجاهلية ، وذلك أنهم كانوا إذا وقعت بينهم وبين غيرهم حرب بثثوه سفيراً ، وإن نافرهم حتى لفافرة جعلوه منافراً ورضوا به . ومن بنى جَمَح صفوان ابن أمية ، وكانت إليه الأيسار وهي الأزلـام ، فكان لا يسبق بأمر عام حتى يكون هو الذي تسيـره على يديه . ومن بنى سهم الحارث بن قيس ، وكانت إليه الحكومة والأموال المحجرة التي سموها لأهلهم . فهذه مكارم قريش التي كانت في الجاهلية ، وهي السقاية والمهارة والمقاب والزفافة والسدانة والحجـابة والندوة واللواء والمشورة والأشناق والقبة والأعنة والسفارة والأيسار والحكومة والأموال والمحجرة إلى هؤلاء العشرة من هذه البطون المشرة على حال ما كانت في أوليتهم يتوارثون ذلك كبراً عن كابر ، وجاء الإسلام فوصل ذلك لهم وكان كل شرف من شرف الجاهلية أدركه الإسلام فوصله ، فكانت سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام وحلوان النفر في بنى هاشم . فأما السقاية فمروفة ، وأما المهارة فهو أن لا يتكلم أحد في المسجد الحرام بهجر ولا زَفَتٍ ولا يرفع فيه صوته ، كان العباس ينهاهم عن ذلك . وأما حلوان النفر فإن العرب لم تكن تملك عليها في الجاهلية أحداً فان كان حرب أقرعوا بين أهل الرئاسة فمن خرجت عليه القرعة أحضره صغيراً كان أو كبيراً . فلما كان يوم الفجار أقرعوا بين بنى هاشم فخرج سهم العباس وهو صغير فأجلسوه على المحن ، وسبـحان من صرف الدهور ، على حسب مصالح الأمور .

(١) الحمالة كسحابة الدية يحملها قوم عن قوم .

ذكر ما وقع لأصحاب الفيل في مكة سرفها الله تعالى

اعلم أن أبرهة الأشرم بعد أن استولى على اليمن وقتل أميرها أرياطاً بنى القلَيْسَ بضماء فبنى كنيسة لم ير مثلاً في زمانها ، ثم كتب إلى النجاشي إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يُبْنَ مثلاً لك كان قبلك ، ولست بمتعم حتى أصرف إليها حج العرب . فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشي غضب رجل من النساء^(١) أحد بني قعيم بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث ابن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر فخرج حتى أتى القلَيْسَ^(٢) فقدم فيها بمنى أحدث فيها ثم خرج فلحق بأرضه فأخبر بذلك أبرهة . فقال : من

(١) الذين كانوا ينسبون المشهور على العرب في الجاهلية فيحلون التهنير من الأشهر الحرم ويحرمون مكانة الشهر من أشهر الحل ليواطئوا عدو ما حرم الله ويؤخرون ذلك الشهر ففيه أنزل الله تبارك وتعالى إنما النساء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً قوله ليواطئوا أي ليوافقوا ، وكان أول من نسا المشهور على العرب فأحلت منها ما أحل وحرمت منها ما حرم القلَيْس وهو حديفة بن عبد بن قعيم بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة وقيل له القلَيْس لوجوده أذ القلَيْس من أسماء الحرب وتفصيل الكلام يأتي في الجزء الثالث (٢) هو كنيسة بضمنا سميت لارتفاع بنائها وعلوها ومنه القلائس لأنها في أعلى الرأس ويقال قلائس الرجل وقليس إذا لبس القلنسوة وقليس طعاماً أي ارتفع من معدته إلى فيه ، وكان أبرهة قد استنزل أهل اليمن في بنيان هذه الكنيسة وجشمهم فيها أنواعاً من السخر وكان ينقل إليها العدد من الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر بلقيس صاحبة سليمان (ع) وكان من موضع هذه الكنيسة على فراسخ وكان فيه بقايا من آثار ملكها فاستعان بذلك على ما أرادته في هذه الكنيسة من بهجتها وبهائها ونصب فيها صلبان من الذهب والفضة ومنابر من العاج والأبنس وكان أراد أن يرفع في بنائها حتى يتسرف منها على عدن وكان حكمه في العامل إذا طلعت عليه الشمس قبل أن يأخذ في عمله أن يقطع يده !! فنام رجل منهم ذات يوم حتى طلعت الشمس فجاءت معه أمه وهي امرأة عجوز فتضرعت إليه تستشفع لأنها فابى إلا أن يقطع يده فقالت : اضرب بعمولك اليوم فاليوم لك وغدا لعيرك ، فقال : ويحك ما قلت ؟ فقالت : نعم كما صار هذا الملك من غيرك إليك فكذلك يصير منك إلى غيرك فاخذنه موغظتها وأعفى الناس من العمل فيها بعد ، فلما هلك أقفر ماحول هذه الكنيسة فلم يعمرها أحد وكثر حولها السباع والحيات ولم يقربها أحد إلى زمن أبي العباس فذكر له أمرها وبعث إليها بأبن الربيع عامله على اليمن معه أهل الحزم والجلادة فخربها وحصلوا منها مالا كثيراً يبيع ماله من بيعه من رخامها وآلاتها فعنى بعد ذلك رسمها وانقطع خبرها وندست آثارها

صنع هذا ، فقيل له : رجل من العرب من أهل هذا البيت الذى تحج العرب إليه بمكة لما سمع أنك تريد أن تعترف إليها حج العرب غضب بغيا فعمد فيها أى أنها ليست لذلك بأهل ، فغضب عند ذلك أبرهة وحلف ليسيرن إلى البيت حتى يهدمه ، ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت ثم سار وخرجوا معه بالليل ، وسمعت بذلك العرب فأعظموه وفظموا به ، ورأوا جهاده حقاً عليهم حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام ، فخرج إليه رجل كان من أشرف أهل اليمن وملوكهم يقال له ذو نفر فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حزب أبرهة وجهاده عن بيت الله الحرام وما يريد من هدمه وإخراجه فأجابه إلى ذلك من أجابه . ثم عرض له فقاتله فهزم ذو نفر وأصحابه وأخذ له ذو نفر قاتى به أسيراً ، فلما أراد قتله قال له ذو نفر : أيها الملك لا تقتلنى فإنه عسى أن يكون بقاى معك خيراً لك من قتل فتركه من القتل وحسبه عنده فى وثاق وكان أبرهة رجلاً حليماً . ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له حتى إذا كان بأرض خثعم عرض له نفيل بن حبيب الخثعمى فى قبيل خثعم شهران وناهس ومن تبعه من قبائل العرب فقاتله فهزمه أبرهة وأخذ له نفيل أسيراً قاتى به . فلما هم يقتله قال له نفيل أيها الملك لا تقتلنى فإنى دليك بأرض العرب ، وهاتان يدان لك — يشير إلى شهران وناهس قبيل خثعم — بالسمع والطاعة فخلى سبيله وخرج به معه يده حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف فى رجال ثقيف فقالوا له : أيها الملك إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون ليس عندنا لك خلاف وليس يبتنا هذا البيت الذى تريد ، يبنون اللات ، إنما تريد البيت الذى بمكة ونحن نبعث معك من يدلك عليه فتجاوز عنهم ، واللات بيت لهم بالطائف كانوا يعظمونه نحو تعظيم الكعبة . قال ضرار بن خطاب النهري :

وفرت ثقيف إلى لاتها بمنقلب الخافى الخافى

فبعثوا معه أبا رغال يده على الطريق إلى مكة ، فخرج أبرهة ومعه أبو رغال

حتى أنزله المُمْسَسُ^(١) ، فلما أنزله به مات أبو رغال هنالك فرجعت قبره العرب ،
فهو القبر الذى يرجه الناس بالمُمْسَسِ . فلما نزل أبرهة المُمْسَسُ بمث رجلا من
الحبشة يقال له الأسود بن مقصود على خيل له حتى انتهى إلى مكة فساق إليه
أموال أهل تهامة من قريش وغيرهم فأصاب فيها مائتي بئر لعبد المطلب بن هاشم
— وهو يومئذ كبير قريش وسيدها — فهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان
بذلك الحرم بقتاله ، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به فتركوا ذلك ، وبث أبرهة
حناطة الجيرى إلى مكة وقال له : سل من سيد أهل هذا البلد وشريفها ، ثم
قل له : « إنَّ الملك يقول لك إني لم آت لحربكم إنما جئت لهدم هذا البيت فإن لم
تعرضوا لنا دونه بحرب فلا حاجة لى فى دمائكم فإن هو لم يرد حربى فأنتى به »
فلما دخل حناطة مكة سأل عن سيد قريش وشريفها فقيل له عبد المطلب بن هاشم
فجاءه فقال له ما أسره به أبرهة ، فقال له عبد المطلب : والله ما يزيد حربه وما لنا
بذلك من طاقة ، هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم عليه السلام ، أو كما قال
فإنه ينعمه منه فهو بيته وحرمه ، وإن يخل بينه وبينه فو الله ما عندنا دفع عنه . فقال
حناطة : فانطلق مئى إليه فإنه قد أمرنى أن آتية بك ، فانطلق معه عبد المطلب
ومعه بعض بنيهِ حتى أتى المسكر فسأل عن ذى نقر وكان صديقاً له حتى دخل عليه
وهو فى محبسه فقال له ياذا نقر هل عندك من غناء فيما نزل بنا ؟ فقال له ذو نقر :
وما غناء رجل أسير يبدى ملك ينتظر أن يقتله غدواً أو عشياً . ما عندى غناء
فى شيء مما نزل بك إلا أن أنيساً سائس الفيل صديق لى وسأرسل إليه فأوصيه
بك وأعظم عليه حقك وأسأله أن يستأذن لك على الملك فتكلمه بما بدا لك ويشفع
لك بخير إن قدر على ذلك ، فقال : حسبي فبث ذو نقر إلى أنيس فقال له : إن
عبد المطلب سيد قريش وصاحب عين مكة يطعم الناس بالسُّهْل ، والوحوش
فى رؤوس الجبال ، وقد أصاب له الملك مائتي بئر فاستأذن له عليه واقعه عنده

(١) كمعظم ومحدث موضع بطريق الطائف فيه قبر أبى رغال دليل
أبرهة ويرجم

بما استطعت فقال : أفعل ، فكلّم أنيس أبرهة فقال له : أيها الملك هذا سيد قريش يبابك يستأذن عليك وهو صاحب عين مكة وهو يطعم الناس في السهل والوحش في رؤوس الجبال فأذن له عليك فليكلك في حاجته . قال : فأذن له أبرهة وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجلهم وأعظمهم ، فلما رآه أبرهة أجله وأعظمه وأكرمّه عن أن يجلسه تحته وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه فنزل أبرهة عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جنبه ، ثم قال لترجانه قل له ما حاجتك ؟ فقال له ذلك الترجمان فقال حاجتي أن يردّ عليّ الملك مائتي بمر أصابها لي ، فلما قال له ذلك قال أبرهة لترجانه قل له قد كنت أعميتني حين رأيته ثم قد زهدت فيك حين كلتني . أنكلمني في مائتي بمر أصبتها لك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه . قال له عبد المطلب : أنا رب الإبل وإن للبيت رباً سيمنعه . قال : ما كان ليمنع مني قال أنت وذاك . وكان — فيما يزعم بعض أهل العلم — قد ذهب مع عبد المطلب إلى أبرهة حين بعث إليه حناطة يمر بن نفاعة بن عدى ، ينتهي نسبه إلى كنانة وهو يومئذ سيد بني بكر ، وخويلد بن وائلة الهذلي وهو يومئذ سيد هذيل ، ففرضوا على أبرهة تلك أموال تهامة على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت فأبى عليهم فرد أبرهة على عبد المطلب الإبل التي أصاب له فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز في شمع الجبال^(١) والشعاب تخوفاً عليهم من معركة الجيش^(٢) . ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده . فقال عبد المطلب وهو أخذ بحلقة باب الكعبة :

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَرْءُ يَمْنَعُ رَحْلَهُ فَاَمْنَعُ حَلَاكُ^(٣)

(١) الشمع بفتحين جمع شمعة محرّكة وهي رأس الجبل ، والشعاب جمع شعب بالكسر وهو الطريق وقيل الطريق في الجبل (٢) المعركة : المساءة (٣) العرب تحذف الألف واللام من اللهم وتكتفي بما بقي وكذلك تقول لا إله إلا الله لا إله إلا الله لا إله إلا الله

لا يفلبن^١ صليهم وعالمهم أبدا عمالك
 إن كنت تاركهم وكه يتنا فامر ما بدا لك
 فلن فعلت فإنه أمر يتم به فمالك
 أسمع بأرجس ما أرا دوالمدو واتهكوا حلالك
 جروا جميع بلادهم والفيل كي يسبوا عمالك
 عمدوا حاك بكيدهم جهلا وما رقبوا جلالك

وقال عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف :

لاه^٢م اخي الأسود بن مقصود^٣ الآخذ الهجمة فيها التقليد^(١)
 بين حراء^٤ وثبير^٥ فالبيد يحبسها وهي أولات التطريد^(٢)
 فعضما إلى طماطم^٦ سود أخفره^٧ يارب^٨ وأنت عمود^(٣)

ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة وانطلق هو ومن معه من قريش إلى
 شَمَ الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون ما يفعل أبرهة بمكة إذا دخلها ، فلما أصبح
 أبرهة تهيأ لدخول مكة وهياً فيه وعبي جيشه ، وكان اسم الفيل (محموداً) وأبرهة
 مجمع لهدم البيت ثم الانصراف إلى اليمن . فلما وجهوا الفيل إلى مكة أقبل ففيل
 ابن حبيب حتى قام إلى جنب الفيل ثم أخذ بأذنه فقال ابرك محمود وارجع راشداً من
 حيث جئت فإنك في بلد الله الحرام ، ثم أرسل أذنه فبرك الفيل^(٤) . وخرج

ابوك ويقولون لاهنك اى والله انك وهذا لكترة دور هذا الاسم على الالسة
 وقد قالوا فيما هو دونه في الاستعمال اجنك تفعل كذا اى من أجل انك
 تفعل كذا وكذا والحلال في هذا البيت القوم الحلول في المكان والحلال مركب
 من مراكب النساء ، قال الشاعر : ١ بشير حلال غادره مجحفل ٢ والحلال
 أيضا متاع البيت وجائز أن يستميره ههنا ١١) الهجمة ما بين التسمين الى
 المائة من الأبل والمائة منها هندية والمائتان هند ، والأسود بن مقصود صاحب
 الفيل ٢١) حراء وزان كتاب جبل بمكة ، وبير : جبل بين مكة ومنى ، والبيد
 بالكسر جمع بيداء وهي الفلاة : وفي الحديث أن قوماً يفزون البيت فإذا
 نزلوا البيداء بعث الله جبريل فيقول يا بيداء أيدبهم فيخسف بهم اى اهلكهم
 وهي هنا اسم موضع بعينه ٢١) قوله أخفره اى انقض عزمه وعهده فلا
 تؤمنه ، وقوله الى طماطم سود يعنى العلوج ونقال لكل أعجمى طمطماني وطمطم
 ٤١) قال أبو القاسم السهيلي : فيه نظر لأن الفيل لا يبرك فيحتمل أن يكون

نفيل بن حبيب يشتد حتى أصعد في الجبل وضربوا الفيل ليقوم فأبى فضربوا رأسه بالطبرزين^(١) ليقوم فأبى فأدخلوا محاجن^(٢) لهم في مراحه^(٣) فبزغوه^(٤) بها ليقوم فأبى فوجهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول^(٥) ، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلى الشرق ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلى مكة فبرك ، قال أبو الطيب مسعود في ذلك ، وقيل : بل قاله عبد المطلب :

إِنَّ آيَاتِ رَبِّنَا سَاطِعَاتٌ لَا يَمَارِي بِهِنَّ إِلَّا الْكَفُورُ^(٦)
حبس الفيل بالتممس حتى مرَّ يَمْرَى كَأَنَّهُ مَقْمُورُ^(٧)

فارس الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف^(٨) والبلسان^(٩) مع كل طائر منها ثلاثة أحجار ، حجر في منقاره وحجران في رجليه أمثال الحص والندس لاتصيب منهم أحداً إلا هلك . وخرجوا هارين يتتدرون الطريق الذي جاؤا منه ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق إلى اليمن . قال نفيل حين رأى ما أنزل الله تعالى بهم من نعمته .

أَيْنَ الْفَرْثُ وَالْإِلَهُ الطَّالِبُ وَالْأَشْرَمُ الْمَغْلُوبُ لَيْسَ النَّالِبُ

بروكة سقوطه الى الأرض لما جاهد من أمر الله سبحانه ويحتمل ان يكون فعل فعل البارك الذي يلزم موضعه ولا يبرح فعبر بالبروك عن ذلك ، وقد سمعت من يقول ان في الفيلة صنفا منها يبرك كما يبرك الجمل فان صبح والا فتأويله ما قدمناه

(١) ذكر البكرى في المعجم ان الأصل فيه طبرزين بفتح الباء وقال طبر هو القاس (٢) جمع محجن وزان مقود خشبة في طرفها امواج مثل الصولجان قال ابن دريد كل عود مطوف الرأس فهو محجن والجمع المحاجن (٣) قال في القاموس ومراق البطن مارق منه ولان جمع مرق أو لواحد لها (٤) اي آدموه ومنه سمي البزغ (٥) يسرع في مشيه يقال هرول هرولة اسرع في مشيه دون الخيب ولهذا يقال هو بين المشى والعدو وجعل جماعة الواو أصلاً (٦) الآيات : العلامات وتجمع الآية على أى ايضا ، وقوله ساطعات اي مرتفعات يقال سطح القنار سطوعا وسطيحا ارتفع وكذا البرق والشعاع والصبح والرائحة ، وقوله لانمارى اي لا يجادل ولا يخاصم (٧) الفممس كمعظم بطريق الطائيف فيه قبر أبى رغال دليل ابرهة ويرجم (٨) جمع خطاف وهو طائر معلوم (٩) طير من طيور الماء يسمى مالك الحزين وعبر عنه في حياة الحيوان بلفظ بلشون

وقال أيضاً

ألا حيث عتّا يارْدِينَا نعمناكم مع الإصباح عينا^(١)
 ودينُهُ لو رأيتِ فلا تَريه لى جنب المحصب ما رأينا
 إذّا لمعدتني وحمّدتِ أمرى ولم تأمى على ماقت يينا^(٢)
 حمّدتُ الله إذ أبصرت طيراً وخفتُ حجارة تلقى علينا
 وكلُّ القوم يسألُ من نُفيلِه كأنَّ علىّ للحبشان ديناً

فخرجوا يتساقطون بكل طريق ، ويهلكون بكل مهلك ، على كل منهل ، وأصيب
 أبرهة في جسده ، وخرجوا به معهم يسقط أكلةً أكلةً^(٣) حتى قدموا به صنعاء
 وهو مثل فراخ الطائر فامات حتى انصدع صدره من قلبه فيما يزعمون . وروى أن
 أول ما رؤيت الحسبة والجدرى بأرض الرب ذلك المام ، وأنه أول ما رؤى بها
 مرائر الشجر^(٤) الحرمل والحنظل . فلما رد الله تعالى الحبشة عن مكة وأصابهم بما
 أصابهم به من النعمة أعظمت الرب قريشاً ، وقالوا : أهل الله قاتل الله عنهم وكفاهم

(١) قوله ردينا اسم امرأة كانها سميت بتصغير ردة وهي القطعة من الرदन
 وهو الحرير ، ويقال لمقدم الكم ردن مذكر وأما ردينة بتقديم الدال فهو اسم
 للأحمق ، ونعمناكم الخ دعاء أى نعمنا بكم فعدى الفعل لما حذف حرف الجر
 وهذا كما تقول أنعم الله بك عينا (٢) نصب بينا نصب المصدر المؤكد لما
 قبله إذ كان في معناه ولم يكن على لفظه لأن فأت معنى فارق وبأن كانه قال
 على ما فات فتوتا أو بان بينا ولا يصح لأن يكون مفعولاً من أجله يعمل فيه
 تاس لأن الاسى باطن في القلب والبين ظاهر ولا يجوز أن يكون المفعول من
 أجله الا بعكس هذا تقول بكى أسفا وخرج خوفاً وانطلق حرصاً على كذا ولو
 عكست الكلام كان خلفاً من القول وهذا أحد شروط المفعول من أجله
 (٣) أى ينتثر جسمه والأكلة طرف الاصبع ولكن قد يعبر بها عن طرف غير
 الاصبع والجزء الصغير (٤) يقال شجرة مرة ثم يجمع على مرائر كما تجمع
 حرة على حرائر ولا تجمع فعلة على فعاثل الا في هذين الحرفين والقياس
 فعل نحو درة ودرر ولكن الحرة من النساء في معنى الكريمة والعقيلة ونحو
 ذلك فأجروها مجرى ماهو في معناها من الفعلية وكذلك المرفيase ان يقال
 فيه مرير لأن المرارة في الشيء طبيعة فقياس فعله ان يكون فعل وإذا كان
 قياسه فعل فقياس الصفة منه أن تكون على فعمل والآتى فعيلة والشيء
 المر عسير أكله شديد فأجروا الجمع مجرى هذه الصفات التى هى على ففعل
 لأنها طباع وخصال وأفعال الطباع والخصال كلها تجرى هذا المجرى

مؤنة عدوهم ، فقالوا في ذلك أشماراً يذكرون فيها ما صنع الله تعالى بالحبشة وما رد عن قريش من كيدهم فقال عبد الله بن الزبير :

تنكلوا عن بطن مكة إنها كانت قديماً لا يرام حربهما (١)
لا تخلق الشعرى ليالى حرمت إذ لا عزير من الأنعام يرومها (٢)
سائل أمير الحبش عنها ما رأى ولسوف يبنى الجاهلين عليها
ستون ألفاً لم يثوبوا أرضهم بل لم يمش بعد الإياب سقيهما (٣)
كانت بها عاذ وجرمهم قبلهم والله من فوق الباد يقيهما
وقال أبو قيس صفي بن الأسلت بن جشم بن وائل :

ومن صنمه يوم فيل الحبوش إذ كل ما يمشو رزم (٤)
محاجهم تحت أترابه وقد شرموا الله فأنخرم

(١) الأبيات من (الكامل) وقد دخل في قوله تنكلوا الخ خرم ولا يبعدان بدخل الخرم في متفاعل فيحذف من السبب حرف كما حذف من الودد في الطويل حرف وإذا وجد حذف السبب الثقيل كله فأحرى أن يجوز حذف حرف منه وذلك في قول ابن مفرغ :

هامة تدعو صدى بين المشقر والجمامه
وهو من المرفل والمرفل من الكامل ألا ترى أن قبله :
وشريت برداً ليتسنى من بعد برد كنت هامة

فالحدوف من الطويل إذا خرم حرف من ودد مجموع والحدوف من الكامل إذا خرم حرف من سبب لقيط بعده سبب خفيف قال السهيلي : ولما كان الأضمار فيه كثيراً وهو أسكان التاء من متفاعل فمن ثم قال أبو علي : لا يجوز فيه الخرم لأن ذلك يؤول إلى الابتداء بساكن ، وهذا الكلام لمن تدبره بارد فث لأن الكلمة التي بدخلها الخرم لم يكن قط فيها أضمار نحو تنكلوا عن بطن مكة والتي بدخلها الأضمار لا يتصور فيها الخرم نحو لا يبعدن قومي ونحو قوله لم تخلق الشعرى الخ فتعليق في هذا الشعر إذا لا يفيد شيئاً وما أبعد العرب من الالتفات إلى هذه الأغراض التي يستعملها بعض النحاة وهي أوهى من نسج الخندق (٢) أن كان ابن الزبير قال هذا في الإسلام فهو منترع من قول النبي صلى الله عليه وسلم أن الله حرم مكة ولم يحرمها الناس ومن قوله في حديث آخر أن الله حرمها يوم خلق السموات والأرض والتربة خلقت قبل خلق الكواكب وإن كان ابن الزبير قال هذا في الجاهلية فائماً أخذه والله أعلم من الكتاب الذي وجدوه في الحجر بالخط المسند حين بنوا الكعبة وفيه أنا الله رب بكة خلقتها يوم خلقت السموات والأرض الحديث (٣) يعني بقوله بعد الإياب سقيهما إبرة اذ حملوه معهم حين أصابه ما أصابه حتى مات بصنماء (٤) رزم : ثبت ولزم موضعه وأرزم من الرزم وهو صوت ليس بالقوى وكذلك صوت الفيل ضئيل على عظم خلقته

وقد جَمَعُوا سَوَطَهُ مَنُولا إذا يَمُوه قَفَاهُ كَلِمٌ^(١)
 فولى وأدبر أدراجَه وقد بَاءَ بِالظلم من كان ثم^(٢)
 فَأَرْسَلَ مِنْ فَوْقِهِمْ حَامِياً فَلَفَّهِمْ مِثْلَ لَفِ الْقُرْمِ^(٣)
 تَحْمِضٌ عَلَى الصَّبْرِ أَخْبَارُهُمْ وقد تَأَجَّجُوا كُتُوجَ النِّمِّ^(٤)
 « وَقَالَ أَيْضاً »

قَوْمُوا فَصَلُّوا رَبِّكُمْ وَتَمَسَّحُوا بِأَرْكَانِ هَذَا الْبَيْتِ بَيْنَ الْأَخَاشِبِ^(٥)
 فَمَنْدَكُمُ مِنْهُ بِلَا مَصْدَقٍ غَدَاةً أَبِي يَكْسُومَ هَادِي الْكَتَائِبِ^(٦)
 كَتَيْبَتِهِ بِالسَّهْلِ تَمْشِي وَرَجُلُهُ عَلَى اقْتِاذَاتٍ فِي رُؤُسِ الْمُنَاقِبِ
 فَلَمَّا أَنَاكُمْ نَصْرَدَى الْعَرْشِ رَدِّمَ جُنُودَ اللَّيْلِ بَيْنَ سَافٍ وَحَاصِبٍ^(٧)
 فَوَلُّوا سَرَاعاً هَارِيَيْنَ وَلَمْ يَوُوبْ إِلَى أَهْلِهِ مِلْحَجِشٍ غَيْرِ عَصَائِبِ^(٨)
 وَقَالَ طَالِبُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بِنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ :

أَلَمْ تَعْلَمُوا مَا كَانَ فِي حَرْبٍ دَاحِسٍ وَجَيْشٍ أَبِي يَكْسُومٍ إِذْ مَلَأُوا الشُّعْبَا
 فَلَوْلَا دِفَاعُ اللَّهِ لَا شَيْءَ غَيْرِهِ لَأَصْبَحْتُمْ لَا تَعْمُونَ لَكُمْ سَرَابٌ^(٩)
 وَقَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ ابْنُ أَبِي رِييمَةَ التَّقِيُّ :

إِنْ آيَاتُ رَبِّنَا نَاقِبَاتٌ لَا يَمَارِي فِيهِنَّ إِلَّا الْكَفُورُ
 خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ فَكَلَّ مَسْتَبِينَ حَسَابُهُ مَقْدُورُ
 ثُمَّ يَجْلُو النَّهَارَ رَبُّهُ رَحِيمٌ بِمَهَاةٍ شُعَاعُهَا مَنُشُورُ^(١٠)

(١) المغول كمنبر حديدة تجعل في السوط فيكون لها غلافا وشبه مشمل
 الا انه ادق واطول منه ونصل طويل او سيف دقيق له قفا (٢) يقال ادبر
 او رجع فلان ادراجه اي عاد من حيث جاء ، وباء رجع ، ولم بالفتح اسم
 يشاربه بمعنى هناك للمكان البعيد ظرف لا ينصرف (٣) الحاصب : ربح
 تحمل التراب أو هو ماتتائر من دفاقر الطنج والبرد والسحاب الذي يرمى
 بهما ، والقزم صغار الغنم ويقال رذال المال (٤) كُتُوجُ الغنم اي كصوت الغنم
 (٥) الأخاشب : جبال الصمان (٦) ابو يكسوم كنية ابرهة والكتائب جمع
 كنيبة وهي الجيش أو الجماعة المستجيبة من الخيل أو غير ذلك ، والهادي
 المتقدم (٧) السكافي الذي يرمى بالتراب ، والحاصب مر تفسره قريبا
 (٨) قوله لم يؤب اي لم يرجع ولملجش اي من الجيش (٩) السرب بالفتح
 المال الراعى والسرب بالكسر القطيع من البقر والظباء ومن النساء ايضا
 (١٠) الهاء : الشمس سميت بذلك لصفاتها والمها من الاجسام الصافي

حبس القليل بالثمنس حتى ظلَّ يمحوا كأنه معقور
 لازماً حلقه الجران كما قط رمى صخر ككب محدود^(١)
 حوله من ملوك كئندة أبداً لملوث في الحروب صفور^(٢)
 خلفوه ثم ابدعوا جميعاً كلهم عظم ساقه مكسور^(٣)
 كل دين يوم القيامة عند الآله إلا دين الحنيفة بور^(٤)

وقال الفرزدق يمدح سليمان بن عبد الملك ويهجو الحجاج بن يوسف:
 فلما طلى الحجاج حين طلى به عنا قال إني مرتق في السلام^(٥)
 فكان كما قال ابن نوح سأرتقى إلى جبل من خشية الماء ماصم^(٦)
 رى الله في جنبه مثل ماري عن القبلة البيضاء ذات الحارم
 جنود تسوق القليل حتى أعادهم هباءً كانوا مطرحتي الطراخم^(٧)
 نصرت كنصر البيت إن ساق فيله إليه عظيم الشركين الأجام

وقال عبد الله بن قيس الرقيات أحد بني عامر بن لؤي بن غالب يذكر

أبرهة والفيل:

كأده الأثرم الذي جاء باله سيل فوق وجيشه مهزوم
 واستهلت عليهم الطير بالجدل دل حتى كأنه مرجوم^(٨)
 ذاك من يفزه من الناس يرجع وهو فل من الجيوش ذميم

الذي يرى باطنه من ظاهره ، والمهابة البلورة ، والمهابة الظبية (١) الجران العنق
 يريد القي بجراته الى الأرض وهذا يقوى انه برك الا تراه يقول كما قطر من
 صخر ككب وهو جبل محدود أي حجر حمر حتى بلغ الأرض (٢) اللوث
 واللاوث جمع ملوث وهو الملاذ السيد الشريف لأن الأمر يلاث به ويعصب أي
 تقرن به الأمور وتعتد (٣) ابدعوا : تفرقوا من دعر وهي كلمة منحوتة من
 اصلين من البذر والدعر (٤) يريد بالحنيفة الأمة الحنيفة أي المسلمة التي
 على دين ابراهيم الحنيف صلى الله عليه وسلم وذلك انه حنف عن اليهودية
 والنصرانية أي عدل عنهما فسمى حنيفاً أو حنف عما كان يعبد آباؤه وقومه
 (٥) السلام جمع سلم كسكر المراقبة وقد تذكر وتجمع على سلايم أيضاً
 (٦) ابن نوح اسمه يام وقيل كنعان ، وعاصم اسم فاعل عصمه اذا حفظه
 وحماه (٧) المطرخم المتلى كبرار ، نضبا والطراخم جمع مطرخم (٨) بالجنبدل
 كجعفر ما يقبله الرجل من الحجارة وتكسر الدال ، ومرجوم الرجم القتل
 والقذف والطرود ورمى بالحجارة

فلما هلك أبرهة ملك الحبشة ابنه يكسوم بن أبرهة وبه كان يكنى ، فلما هلك يكسوم بن أبرهة ملك اليمن في الحبشة أخوه مسروق بن أبرهة فلما طال البلاء على أهل اليمن خرج سيف بن ذي يزن الحيرى وكان يكنى بأبى مرة فانتزع ملك اليمن من أيديهم بمعاونة كسرى وقد عدت قصة الفيل من آيات الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، فإنه كان في زمانه حملا في بطن أمه بمكة لأنه ولد بعد خمسين يوما من الفيل وبعد موت أبيه في يوم الاثنين الثانى عشر من شهر ربيع الأول ووافق من شهور الروم المشرى من شباط في السنة الثانية عشر من ملك هرمز ابن أنوشروان . وحكى أبو جعفر الطبرى : أن مولده كان لاثنتين وأربعين سنة من ملك أنوشروان فكانت آيته في ذلك من وجهين . أحدهما : أنهم لو ظفروا لسبوا واسترقوا فأهلكهم الله لصيانة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم أن يجرى عليه السبى حملا ووليداً . والثانى : أنه لم يكن لقريش من التأله ما يستحقون به دفع أصحاب الفيل عنهم ، وما هم أهل كتاب لأنهم كانوا بنى عابدستم ، أو متدين وثن ، أو قاتل بالزندقة ، أو مانع من الرحمة ، ولكن لما أراد الله تعالى من ظهور الإسلام تأسيساً للنبوّة ، وتمظيلاً للسكبة ، أن يجعلها قبلة للصلاة ، ومنسكاً للحج ولما انتشر في العرب ما صنع الله تعالى يبيش الفيل تهييوا الحرم ، وأعظموه وزادت حرمة في النفوس ، ودانت لقريش بالطاعة ، وقالوا : أهل الله قاتل عنهم وكفاهم كيد عدوم ، فزادهم تشريفاً وتمظيلاً . وقامت قريش لهم بالوفادة والسدانة والسقاية على ما سبق فصاروا أئمة ديانين ، وقادة متبوعين وصار أصحاب الفيل مثلاً في النابرين . وروى هشام بن عبد الكلبي عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه خرج في الجاهلية تاجراً إلى الشام فرز زنباع بن روح وكان عشيراً فأساء إليه في اجتيازهم وأخذ مكسه ، فقال عمر بعد انفصاله :

مضى ألف زنباع بن روح يبلدة إلى النصف منها يقرع السن بالندم
ويعلم أنا من لؤى بن غالب مطاعين في الهيجا مضارب في التهم

فبلغ ذلك زنباعاً فجهز جيشاً لنزو مكة فقيل له إنها حرم الله ما أرادها أحد بسوء
إلا هلك كالحجاب القليل فكسف زنباع فقال :

تمتّى أخو شهر لقاء ودونه قراضبة مثل الليوث الخواطر^(١)
فوالله لولا الله لا شيء غيره وكعبته رقت إليكم معاشري
لأقتل منكم كل كهل معمم وأسبي نساء بين جمع الأباقر
فبلغ ذلك عمر رضوان الله تعالى عليه فأجابه وقال :

ألم تر أنّ الله أهلك من بنى علينا قديماً في قديم المعاصر
وأردى أبا يكسوم أبرهة النى أنا منيراً كالفنيق الخاطر^(٢)
يجمع كثير يخرج المين وسطه على رأسه تاجٌ على رأس باكر
فما راعنا من ذلك البديكيد وكنا به من بين لاه وساخر
وقال سأبنى البيت هدماً ولا أرى بمكة ماش بين تلك المشاعر^(٣)
فرداه رب العرش عنا رداه ولم ينجه أعظامه بالرائر
فأهلكه والتابين له معاً وأسرى به من ناصر ومناصر
وليس لنا فاعلم وليس لبئتنا سوى الله من مولى عزيز وناصر
فدونك زربنا تلق مثل النى لقوا جميعهم من دارعين وحاصر

وكان شأن القليل راداً لكل باغ ، ودافعاً لكل طاغ ، وقد عاصر رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم في زمن نبوته وبعد هجرته جماعة شاهدوا القليل ، وطير
الأبائيل^(٤) ، منهم حكيم بن حزام ، وحاطب بن عبد المزي ، ونوفل بن معاوية ،
لأن كل واحد من هؤلاء عاش مائة وعشرين سنة منها ستين سنة في الجاهلية ،
وستين سنة في الإسلام .

(١) انقراضية : للصوص الواحد قروضوب وقراضاب .
(٢) الفنيق الفحل المكرم لا يؤذى لكرامته على أهله ولا يركب .
(٣) المشاعر : مواضع المناسك والمشعر الحرام جبل بأخر مزدلفة واسمه
فزع وميمه مفتوحة على المشهور وبعضهم يكرسها على التشبيه بالالة .
(٤) فرق جمع بلا واحد .

سؤال وم جواب

إن سأل سائل لم كان حبس الفيل في زمان الجاهلية من مكة من الإفساد والإلحاد فيها ، ولم يمنع الحجاج بن يوسف الثقفي في زمان الإسلام عنها ، وقد نسب النجنيق^(١) على الكعبة وأضررها بالنار ، فقال فيها على ما حكى عنه :

كيف تراه ساطعاً^(٢) غباره والله فيما يزعمون جارؤه

وقال راميا بالنجنيق :

قطارة مثل الفتيق الزبد أرى بها أعواد كل مسجد

وسفك فيها الدم الحرام ، وقتل عبد الله بن الزبير وأصحابه في المسجد ، وكيف لم يحبس عنها القرامطة ، وقد سلبوا الكعبة ، ونزعوا حليتها وقلعوا الحجر ، وقتلوا العالم من الحاج وخيار المسلمين بحضرة الكعبة ؟

(الجواب) إن حبس الفيل في الجاهلية كان علماً لنبوّة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتوحيهاً بذكر آياته إذ كانوا عمار البيت وسكان الوادي فكان ذلك الصنيع إرهاباً^(٣) للنبوّة وحجة عليهم في إثباتها فلو لم يقع الحبس عنها والذب عن حرمةا لكان في ذلك أمران ، أحدهما : فناء أهل الحرم وهم الآباء والأسلاف لعامة المسلمين ، ولكافة من قام به الدين . والآخر : أن الله سبحانه أراد أن يقيم به الحجة عليهم في إثبات نبوّة رسوله عليه الصلاة والسلام ، وأن يجعله مقننة لكونها وظهورها فيهم ، وكان مولد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عائذ

(١) معرب من جه نيك أي ما أجودني أو أنا شيء جيد لأنه لا يجتمع الجيم والقفاف في كلمة عربية غير اسم صوت بكسر الميم كما في القاموس وضبطه أبو منصور بفتحها الة لرمي الحجارة كالنجنيق ومنجنيق لغات فيه معربة وقيل الأقرب انه معرب منجل نيك ومنجل مايفعل بالحيل وميمه زائدة وقيل أصلية ويدل على الاول قول بعض العرب كانت بيننا حروب عون تفقاً فيها السيون مرة بمنجنيق واخرى بوئيق ، وقيل التون زائدة والميم أصلية وعكسه وقيل هما أصليتان وقيل زائدتان كما فصل في التصريف كما في شفاء العليل (٢) أي مرتفعاً (٣) الارهاب : الإنابت يقال ارهص الشيء اذا أثبتته واسمه وهو مجاز ومنه ارهابا ومنه ارهابا النبوّة

وكانوا قوما عربياً أهل جاهلية ليست لهم بصيرة في العلم ، ولا تقنعة في الحكمة ، وإنما كانوا يعرفون من الأمور ما كان دركه من جهة الحس والمشاهدة ، فلو لم يجر الأمر في ذلك على الوجه الذي جرى لم يكن يبقى في أيديهم شيء من دلائل النبوة تقوم به الحجة عليهم في ذلك الزمان . فأما وقد أظهر الله الدين ورفع أعلامه ، وشرح أدلته وأكثر أنصاره ، فلم يكن ما حدث عليها من ذلك الصنيع أمراً يضر بالدين ، أو يقدح في بصائر المسلمين ، وإنما كان ما حدث منه امتحاناً من الله سبحانه لمبادء ليلو في ذلك صبرهم واجتهادهم وليقيهم من كرامته ومغفرته ما هو أهل التفضل به ، والله يفعل ما يشاء وله الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين . وما ذكرناه نبذة يسيرة مما كان عليه البلد الحرام ، وبقيت أبحاث يضيق عنها نطاق الأرقام ، فإن أردت زيادة على ما ذكرنا فقلبك (بشفا الغرام ، بأخبار البلد الحرام) لأبي الطيب محمد السكي المالكي عليه رحمة الملك العلام ، وكذلك تاريخ مكة للإمام الأزرق عليه الرحمة فإن فيها البنية^(١) لمن أراد الوقوف التام على أحوال مكة المكرمة .

أسواق العرب قبل الجاهلية

كان للعرب أسواق يقيمونها شهور السنة وينتقلون من بعضها إلى بعض ويحضروها سائر العرب بما عندهم من المسائر والمفاخر . منها (دومة الجندل) كانوا يزولونها أول يوم من ربيع الأول يجتمعون في أسواقها للبيع والشراء ، والأخذ والعطاء ، وكانت البايعة فيه يبيع الحصاة ، وهو من يبيع الجاهلية التي أبطلها الإسلام وفسر بأن يقول أحد المتبايعين للآخر ارم هذه الحصاة فلي أي ثوب وقعت فهو لك بدم ، وفسر بأن يبيعه من أرضه قدر ما انتهت إليه رمية الحصاة ، وفسر بأن يقبض على كف من حصى ويقول لي بمدد ما خرج في القبضة من الشيء المبيع أو يبيعه سلمة ويقبض على كف من الحصى ويقول لي بكل حصاة

(١) بالكسر الحاجة التي تبغيها ، وضمها لغة وقيل بالكسر الهيئة بالضم الحاجة

درهم ، وفسر بأن يمسك أحدهما حصاة في يده ويقول أى وقت سقطت الحصاة
وجب البيع ، وفسر بأن يتبايما ويقول أحدهما إذا نبذت إليك الحصاة فقد وجب
البيع ، وفسر بأن يعترض القطيع من النعم فيأخذ حصاة ويقول أى شاة أصابها
فمى لك بكذا . وهذه الصور كلها فاسدة لما تتضمن من أكل المال بالباطل ومن
الغرر والخطر الذى هو شبيه بالقمار ، ولئلك أبطلتها الشريعة . وكان أكيدر
صاحب حومة الجندل يرمى الناس ويقوم بأمرهم أول يوم فتقوم سوقهم إلى نصف الشهر .
وربما غلب على السوق بنو كلب فيمشوم ويتولى أمرهم يومئذ بعض رؤساء
بنى كلب فتقوم سوقهم إلى آخر الشهر . ومنها (سوق حجر) بفتح الحاء والجيم
اسم لجميع أرض البحرين ومنه المثل « كبضع تمر إلى حجر » . وقول عمر رضى الله
تعالى عنه « عجبت لتاجر حجر » كأنه أراد لكثرة وبائه أو لركوب البحر .
وسمى بهذا الاسم بلد باليمن بينه وبين (عثُر) يوم ليلة مذكر معروف وقد يؤث
والنسبة حجرى وهاجرى والسوق الموضع الأول كانوا ينتقلون إليها في شهر ربيع
الآخر فتقوم سوقهم بها ، وكان يشوم ويتولى أمرهم المنذر بن ساوى أحد بنى
عبد الله بن دارم . ومنها (سوق عمان) كضراب . ذكر في القاموس أنها بلد باليمن
ويصرف وكشداد بلد بالشام ولم يذكر الموضع الذى كان سوقاً ، وهو فى أرض
البحرين كانوا يرتحلون من سوق حجر فتقوم بها سوقهم إلى أواخر جمادى الأولى ،
ومنها (سوق اللشقر) كمظم حصن بالبحرين كان فيه سوق للعرب تقوم من أول
يوم من جمادى الآخرة ، وكان يبيعهم باللامسة والإيحاء والمهممة خوف الخلف
والكذب . والمهممة : الكلام الخفى وكل صوت معه بحج . وبيع اللامسة
على أوجه وهى : أن يأتى بثوب مطوى أو فى ظلمة فيلسه للستام فيقول له صاحب
الثوب : بمتكه بكذا بشرط أن يقوم لمسك مقام نظرك ولا خيار لك إذا رأيته .
الوجه الثانى : أن يجمل نفس اللبس يبعاً بغير صيغة زائدة . الوجه الثالث : أن
يجمل اللبس شرطاً فى قطع خيار المجلس وغيره ، وهو أيضاً من البيوع التى أبطلها

الإسلام كبيع النابذة وهو أن يجمل نفس النبد ييماً كما تقدم في اللامسة ، أو أن يجمل النبد ييماً بنير صينة ، أو أن يجمل النبد قاطعاً للخيار ومنها (سوق صُحار) بضم الصاد المهمة تقوم لعشر يمضين من رجب الفرد خمسة أيام . ومنها (الشجر) كالنخ ساحل البحر بين عمان وعدن ويكسر تقوم في النصف من شعبان ، وكان يعمهم في هذه السوق أيضاً يرى الحصة وإلقاء الحجارة كما في سوق دومة الجندل . ومنها (سوق عدن أئين) كانوا يرتحلون من الشجر فيزلون هذا الموضع ، وعدن جزيرة في اليمن أقام بها (أئين) فنسبت إليه فقوم سوقهم بها إلى أيام من رمضان قشترى التجارات وأنواع الطيب ، ومنها (سوق صنماء) كانوا إذا ارتحلوا من عدن والشجر قوم سوقهم بصنماء في النصف من شهر رمضان إلى آخره وصنماء من أطيب بلاد اليمن ، ومنها كان يجلب الأذم^(١) والبرود ، وكانت تجلب إليها من مافرو وهو بلد كان في اليمن ، وقد تقدم بعض الكلام على صنماء . ومنها (سوق حضر موت) كانت تقوم في النصف من ذي القعدة يحضرها بعض القبائل من العرب والبعض منهم يحضر سوقاً أخرى تقوم في هذه الأيام أيضاً سيأتى ذكرها . ومنها (سوق ذي الحجاز) كانت بناحية عرفة إلى جانبها ، وعند الأزرق من طريق هشام بن الكلبي أنها كانت لهذيل على فرسخ من عرفة ، وهم هنا صاحب الصباح فإنه قال فيه ذو الحجاز موضع بمنى كان به سوق في الجاهلية لما رواه الطبراني عن مجاهد أنهم كانوا لا يقيمون ولا يتاعون في الجاهلية بمرقة ولا بمنى ومنها (سوق مجنة) بفتح الميم وكسرها موضع قرب مكة ، وهو الذي عناء بلال رضى الله تعالى عنه بقوله متشوقاً إليه بمد الهجرة :

وهل أردن يوماً مياه مجنة وهل يدنون لى شامة وطفيل

كانت تقوم سوقهم فيها قرب أيام موسم الحج . ويحضرها كثير من قبائل

(١) بفتحتين وبضمّتين أيضاً جمع اديم وهو الجلد المدبوغ ، والبرود جمع يرد بالفهم وهو ثوب مخطط وكساء يلتحف به

العرب . ومنها (سوق حَبَاشَة) بضم الحاء المهملة وتخفيف الموحدة وبمد ألف شين معجمة . كانت في ديار بارق نحو (قنونا) بفتح القاف وبضم النون الخفيفة وبمد النون ألف مقصورة من مكة إلى جهة اليمن ، ولم تكن من مواسم الحج ، وإنما كانت تقام في شهر رجب . ومنها (سوق عكاظ) بضم الميملة وتخفيف الكاف وآخر ظاء معجمة بالصرف وعدمه . قال اللحياني : الصرف لأهل الحجاز وعدمه لئلا تميم . وهو موسم معروف للعرب بل كان من أعظم مواسمهم وأسواقهم وهو نخل في واد بين نخلة والطائف وهو إلى الطائف أقرب بينهما عشرة أميال ، وهو وراء (قرن المنازل) بمرحلة من طريق صنعاء اليمن ، وكان السكان الذي يجتمعون فيه منه يقال له الابتداء ، وكانت هناك سبخور يطوفون حولها ، وكانوا يتبايعون فيها ويتمتعون^(١) ويتفاحرون ويتحاجون ، وتندش الشعراء ما تجد لهم وقد كثر ذلك في أشعارهم كقول حسان :

سَأَنْشُرُ إِنْ حَيَّتْ لَهُمْ كَلَامًا يَنْشُرُ فِي الْجَمَاعِ مِنْ عُكَاظٍ
وفيهما كان يخطب كل خطيب مصنّع . ومهم قس بن ساعدة الأيادي إذ خطب خطبته الشهيرة هناك وهو على جملة الأورق ، وفيها علق القصائد السبع الشهيرة افتخاراً بفصاحتها على من يحضر الموسم من شعراء القبائل إلى غير ذلك وكان كل شريف إنما يحضر سوق بلده إلا سوق عكاظ فإنهم كانوا يتوافون بها من كل جهة فكان يأتيها قريش وهوازن وسليم والأحاشيش وعقيل والمصطلق وطوائف من العرب . ومن كان له أسير سعى في فدائه ، ومن كانت له حكومة ارتفع إلى الذي يقوم بأمر الحكومة . وكان الذي يقوم بأمر الحكومة في هذه السوق أناس من بني تميم ، وكان أحدهم الأقرع بن حابس . ولما كانت هذه السوق تجمع القبائل قال طريف بن تميم العنبري :

أَوْ كَلَّمَا وَرَدَتْ عَكَاظُ قَبِيلَةٍ بَعَثُوا إِلَى عَرِيفِهِمْ يَتَوَسَّمُ^(٢)

(١) أي يتفاحرون

(٢) العريف : رئيس القوم لأنه عرف بذلك أو النقيب وهو دون

فترسموني إني أنا ذلكم شاكي سلاحي في الحوادث مُعَلَّمٌ^(١)
تحتي الأغرُّ وفوق جلدي نَذْرَةٌ زَغَفَ تَرْدَ السيف وهو مثلُ^(٢)
حولي أسيد والمهجم ومازَنٌ وإذا حلت فحول بيتي خَضَمٌ^(٣)
ولكل بكرى لدى عداوة وأبو ربيعة شاني وعلم

وطريف هذا كان من مشاهير شجبان العرب وفرسانهم قتل مرة رجلا من بني شيان ثم حضر ذلك الموسم فأمعن فيه النظر بمض أقارب ذلك اللقوتول . فسأله طريف عن السبب قال أريد أن أعرفك فلعل أصادفك يوماً لأقتلك أو تقتلني ، فأنشد طريف تلك الأبيات . وقد صادف ذلك الرجل طريفاً في يوم من أيامهم فقتله وأخذ منه ثار قريبه ، وكانت بمكاظ وقائع مرة بعد مرة ، ولذلك يقول دريد ابن الصمة :

تنبئتُ عن يومى عكاظَ كلَّيْهما وإن يكُ يومٌ ثالثٌ أنْتَبِيبُ
وإن يكُ يومٌ رابعٌ لا أكن به وإن يكُ يومٌ خامسٌ أنْجَنِبُ

وذكر أبو عبيدة أنه كان بمكاظ أربعة أيام : يوم شمطة ويوم المبلأ ويوم شرب ويوم الحريرة ، وهي كلها من عكاظ قال : « فشمطة » من عكاظ هو الموضع الذي نزلت فيه قريش وحلفاؤها من بني كنانة بعد يوم نخلة ، وهو أول يوم اقتتلوا فيه من أيام الفجار يحول على ما تواعدت عليه مع هوازن وحلفائها من ثقيف وغيرهم فكان يوم شمطة لهوازن على كنانة وقريش ولم يقتل من قريش أحد يذكر ، واعتزلت بكر بن عبد مناة بن كنانة إلى جبل يقال له (رخم) فلم يقتل منهم أحد ، وقال خدش بن زهير :

الرئيس ، والتوسم التخيل والتفرس وإنما كان يتوسمه لأن فرسان العرب إذا كان أيام عكاظ في الشهر الحرام وأمن بعضهم بعضاً تقنعوا حتى لا يمرنوا (١) شاكي السلاح : ذو شوكة وحد في سلاحه ، وأطام نفسه وسمها بسيماء الحرب (٢) الزغفة وقد يحرك : الدرع اللينة الواسعة المحكمة الرقيقة الحسنة السلاسل ، درع زغف أيضاً ، والنثرة : الدرع السلسلة اللبس أو الواسعة (٣) خضم كبقم الجمع الكثير من الناس

فأبلغ ابن بلنت به هشاماً وعبد الله أبلغ والوليداً^(١)
 بأننا يوم (شملة) قد أقتنا عمود الدين إن له عموداً
 ثم التقى الأحياء المذكورون على رأس الحول من شملة « بالملاء » إلى جنب
 عكاظ ، فكان لهوازن أيضاً على قريش وكنانة . قال خدش بن زهير :
 ألم يبلنكم أنا جدعنا لدى الملاء خندف بالقياد
 ضربناهم يطن عكاظ حتى تولوا طالعين من النجاد
 ثم التقوا على رأس الحول وهو اليوم الرابع من يوم نخلة « بشرب » وشرب
 من عكاظ ، ولم يكن بينهم يوم أعظم منه حافظت قريش وكنانة وقد كان تقدم
 لهوازن عليهم يومان ، وقيد أبو سفيان وحرب ابنا أمية وأبو سفيان بن حرب أنفسهم
 وقالوا لا يبرح منا رجل مكانه حتى يموت أو يظفر ، فانهزمت هوازن وقيس كلها
 الابن نصر فلما صبرت مع ثقيف ، وذلك أن (عكاظ) بلدم لم فيه نخل وأموال
 فلم ينفوا شيئاً ، ثم انهزموا وقتلت هوازن يومئذ قتلا ذريعاً . قال أمية بن
 أسكر الكنانى :

الاسائل هوازن يوم لا قوا فوارس من كنانة ممطينا^(٢)
 لدى شرب وقد جاشوا وجشنا فأوهب في النغير بنو أينا^(٣)

وقال

قوى اللذو بسكاظ طيروا شرراً من روس قومك ضرباً بالمصايقل^(٤)

(١) حذف نون التوكيد من أبلغن للضرورة ومثله قول الشاعر :
 يا راكباً بلغ اخواننا من كان من كندة أو وائل
 وقول الآخر :

ان ابن احوص مغرور فباله في ساعديه اذا رام اعلى نصر
 ولا يجوز مثل هذا في سعة الكلام الا شاذاً نحو قراءة ابى جعفر المنصور
 'لم نشرح لك صدرك بفتح الحاء
 (٢) الملم الذى اعلم نفسه اى وسمها بسيمى الحرب (٣) او عب القوم
 اذا حشدوا (٤) الشرر بفتح السين هوام جمع شررة وهو ما يطير من النار
 وكذلك الشرار والشرارة واما مصدر شررت يارجل بفتح الراء وكسرهما شرا
 وشررا وشرارة من الشر نقيض الخير ، وقوله من روس ومك بحذف الهمزة

ثم اتفقا على رأس الحول « بالحريرة » وهى حرة إلى جنب عكاظ مما على
مهب جنوبها فكان لموازن على قريش وكنانة . وكانت تقوم هذه السوق في قول
أول ذى القعدة إلى عشرين منه ثم يتوجهون إلى مكة فيقفون بمرقات ويقضون
مناسك الحج ثم يرجعون إلى أوطانهم . وفي قول آخر : أنهم كانوا يقيمون به جميع
شوال إلى غير ذلك من الأتوال المختلفة ، ولعل ذلك لاختلاف المادة في السنين
أو لاختلاف القبائل في الإقامة في هذا الموسم . والذى عليه صاحب قبائل العرب
أنهم كانوا يقيمون في هذه السوق من نصف ذى القعدة إلى آخره فإذا أهل ذوالحجة
أثوا (ذا الحجاز) وهو قريب من عكاظ على ما سبق فتقوم سوقه إلى التروية
وهو اليوم الثامن من ذى الحجة سمي بيوم التروية لأنهم كانوا يرتوون فيه من
الماء لا بد ، أو لأن إبراهيم عليه السلام كان يتروى ويتفكر في رؤياه فيه .
وفي التاسع عرف وفي الماشر استعمل ثم يصيرون إلى منى وتقوم سوق (نطاة)
بخيبر ونطاة عين أو حصن بخيبر . وسوق (حَجَر) بفتح الهمة وسكون الجيم
يوم عاشوراء إلى آخر الحرم . ولم تزل هذه الأسواق قائمة في الإسلام إلى أن كان
أول ما ترك منها سوق عكاظ في زمن خروج الخوارج الحارورية بمكة مع المختار بن
عوف سنة تسع وعشرين ومائة فنهوها فتركت إلى الآن . واتخذت سوقاً بعد
الفيل بخمس عشرة سنة وكان آخر ما ترك من الأسواق المذكورة سوق (حُباشة)
في زمن داود بن عيسى بن موسى البهاسى في سنة سبع وتسعين ومائة . والله أعلم
بمقائق الأمور .

مجمعات العرب في جاهليتهم

أما المجتمعات في غير هذه الأسواق فهي كثيرة الأنواع والأقسام لا يمكن استيعابها

من رؤس ، والمصاقيل جمع مصقول من الصقل وهو جلاء الحديد وتحديده
أى جملة قاطعا أراد كل آلة حديد من السلاح مثل السيف والسنان وفي البيت
شاهد على أن النون تحذف من اللون

في مثل هذا القام . منها ما كان لحض الأنس ، وتشتيط الأنفس ، وذكر ما سلف لهم من الحروب والوقائع ، وتناشد الشعر والقرىض ونحو ذلك من الكلام الذي تبهج له الطبائع . وهذا الحال لا يكون غالباً إلا في الليالي ، وبعد الاستراحة واستقرار البال ، كما يدل عليه لفظ المسامرة فإن السمر هو التحدث في الليل والمحاورة . والله در العرب ، فقد كان لهم من دقيق الفكر ما يوجب العجب ، فإن النهار ولا سيما في الغدو وهو وقت السى وطلب الماش وزمان قضاء مصلحة وتكسب واتماش ، وهم كانوا يسمون فيه بما لهم من المصالح والأشغال ، ولا يقضونه في اللهو والبطالة والقيل والقال ، وهذا بمكس ما عليه أهل زماننا من قبيح الموائد ، فترام يقضون نفائس الأوقات في كل ما عرى عن الفوائد ، ولذلك تأخروا في الفضائل ، وحرموا والأمر لله تعالى من الصفات الجليلة وجميل الشبائل . وأما العرب الأولون فقد ملأوا بطون الدفاتر ، بما كان لهم من المفاخر والآثر ، وكانوا يتحلقون إذا اجتمعوا من النادى في طرف ، وربما كان وسط الحلقة من ينتهى إليه الشرف ، وإذا أراد أحدهم ذكر حادث غريب ، وإلقاء كلام مجيب ، قام وتلاه على القوم كما يفعل الخطيب ، وإذا حدث شخص آخر مس لحيته في أثناء مخاطبته ، وتناولها بيده في حال محاورته ، وذلك شكل من أشكال العرب وعادة من عاداتهم ، يفعل الرجل ذلك بصاحبه إذا حدثه ويمجى ذلك مجرى الملاطفة من بعضهم لبعض في معتقداتهم كما نبه على ذلك الخطابي في شرح السنن .

« ومنها » ما كان للمذاكرة والمشاورة في تدارك حرب أو إغارة على قوم آخرين فإنهم لا يتحركون حركة في ذلك إلا بعد أن يجتمع أهل الحل والمقد في محل مخصوص كقبة ينصبها لهم من تكفل بأمرها لأجل ذلك كما أشرنا إليه سابقاً ، وعند الاجتماع تدور بينهم أقذاح المذاكرة فما يستقر عليه الرأى يعمل بموجبه ولا يتخلف أحد عنه . « ومنها » ما كان لأجل الحكومة وفصل الدعاوى والمنازعات التي كانت تقع بينهم كما كانوا يجتمعون في دار الندوة وهي دار قصى

ابن كلاب وهو الذى بناها وجعل بابها إلى مسجد الكعبة ، وفيها كانت قريش تقضى أمورها تيمناً بأمر قصي^(١) ، فأتى تنكح امرأة ولا يتزوج رجل من قريش ولا يتشاورون في أمر نزل بهم ولا يقدون لواء لحرب قوم من غيرهم إلا فيها يعقده فلم يعض ولد قصي^(٢) ، وما تدرع جارية من قريش إذا بانئت أن تدرع إلا في داره يشق عليها فيها درعها ثم تدعه ، ثم ينطلق بها إلى أهلها . وكان لا يندر غلام إلا فيها^(٣) ، ولا تفصل خصومة بينهم إلا هناك . قال الكلبي : وهى أول دار بنيت بمكة ثم تتابع الناس فبنوا من الدور ما استوطنوه ، وكلما قربوا من عصر الإسلام ازدادوا قوة وكثرة عدد حتى دانت لهم العرب وصار أمر قصي في قريش كالدين المتبع . وسميت الندوة لأنهم كانوا يلتدون فيها أى يجتمعون للخير والشر . وفى القاموس النادى والندوة والملتدى مجلس القوم نهائراً أو المجلس ماداموا مجتمعين فيه . وكانت لقريش أندية حول الكعبة يجتمعون فيها كما في السيرة المشامية ويتناكرون في أمور تخصهم . وكان عبد الطلب يجلس في ظل الكعبة على فراش ممد له لا يجلس عليه أحد غيره احتراماً له وإجلالاً لقدرة . وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يجلس وهو صنيبر بجانب حده ولا يدع أحداً يجتمه . وكان يقول : سيكون لأبى هذا شأن فكان كما قال بل فوق ما كان يتصوره ويرجوه .

« ومنها » ما كان لطلب ماثوبة وانماط بوعظ كما كانت قريش في الجاهلية تجتمع إلى كعب بن لؤى بن غالب وهو جد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم السابع في كل جمعة فيخطب فيه على قريش فيقول على ما حكاه الزبير بن بكار :
أنا مد فاسموا وافهموا وتعلموا واعلموا . ليل^(٤) داج^(٥) ونهار صاح ، والأرض
والسماء بناء ، والجبال أوتاد ، والنجوم أعلام ، والأولون كالآخرين ،

^(١) عذر الظلام والجارية من باب ضرب ختنه فهو ممدور وممدوره بالالف لغة
: أى مظلّم

فصلوا أرحامكم ، واحفظوا أصداءكم ، وغمروا أموالكم ، فهل رأيتم من هالك رجع
أوميت اقتشر ، والدار أمامكم ، والظن غير ما تقولون . وكان يذكركم بمبت
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويعلمهم بأنه من ولده ويأمرهم باتباعه ، ويقول :
زينوا حرمكم وعظموه ، فسيأتي له نبأ عظيم ، وسيخرج منه نبي كريم ، ثم ينشد :

نهارٌ وليل كل أوبٍ تجاذب سؤلاً علينا ليل ونهارها
يشوان بالأحداث حين تأوبا وبالنم الضافي علينا ستورها
صروف وأبناء تقلب أهلها لها عقدٌ ما يستحل مريرها
على غفلت يأتى النبي محمدٌ فيخبر أخباراً صدوقاً خيرها

ثم يقول : أما والله لئن كنت فيها ذاسم وبصر ويد ورجل لتنصبت فيها تنصب
الجل ، ولأرقلت فيها أرقال^(١) الفحل ، ثم يقول :

يا ليتنى شاهد فحواء دعوته حين المشيرة بنى الحق خذلانا

وهذا من فطن الإلهامات التي تخيلتها المقول فصدت ، وتصورتها النفوس
فتحققت ، ويقال : هو الذى سمي يوم العروبة يوم الجمعة . وهو أول من نقلها إلى ماهو
التداول ، لاجتماع الناس إليه فى كل جمعة . وقد كانت العرب العاربة تسمى أيام
الأسبوع بأسماء غير هذه الأسماء للتداول بين الناس اليوم . وكانوا يسبون الأحد
أول ، والإثنين أهون ، والثلاثاء جباراً ، والأربعاء دباراً ، والخميس مونساً ، والجمعة
ماسبق ، والسبت شياراً ، ويقال فى أهون أهون وأوهد وفى شيار الفتح والكسر ،
وقد نظم ذلك بعضهم بقوله :

أؤمل أن أعيش وأن يوى بأوّل أو بأهون أو جبار
أو التالى دبار فإب أنه فونس فالعروبة أو شيار

أى إنى أؤمل البقاء فى الدنيا والمعيش فيها ، ولا بد من الموت فى يوم من هذه

(١) هو ضرب سريع من السير .

الأيام ولا محالة وهذا سفه من الرأى ، فينبغى للحازم أن لا يؤمل البقاء وكل يوم من أيام الأسبوع محتمل أن يكون غاية الأجل وللعمر فيه ختام واقضاء . وكذلك وضعت العرب لساعات النهار والليل أسماء غير ما هو المتعارف ، وهى الدور ثم البروز ثم الضحى ثم النزلة ثم الهجرة ثم الزوال ثم الدلول ثم العصر ثم الأصيل ثم الصبوب ثم الحدود ثم الغروب ويقال فيها أيضاً البكور ثم الشروق ثم الإشراف ثم الراد ثم الضحى ثم التلوع ثم الهجرة ثم الأصيل ثم العصر ثم الطفل ثم المشى ثم الغروب ، ذكر هاتين الروايتين ابن النحاس فى كتابه الذى سماه (صناعة الكتاب) . ويقال : إن أول من قسم النهار اثنتى عشرة ساعة آدم عليه السلام : وضمن ذلك وصيته لابنه شيث عليه السلام وعرفه ماوظف عليه فى كل ساعة من عمل وعبادة . وأما ساعات الليل فهى الشاهد ثم النسق ثم العتمة ثم الفجحة ثم الموهن ثم القطع ثم الجور ثم المبكة ثم التبشير ثم الفجر الأول ثم المعترض ثم الإسفار . وفى كتب اللغة أسماء آخر لساعات الليل والنهار فلتراجع . وكذلك كانوا يسمون الأشهر بأسماء غير ما نملها اليوم وسيأتى بيان ذلك إن شاء الله تعالى فى الكلام على النسيء ، وقيل فى سبب تسمية يوم العروبة بيوم الجمعة أن الأنصار قالوا لليهود يوم يجتمعون فيه بعد كل ستة أيام وللنصارى كذلك فلهلوا فنجمل لنا يوماً نجتمع فيه نذكر الله تعالى ونصلى ، فقالوا : يوم السبت لليهود ويوم الأحد للنصارى فاجلوه يوم العروبة فاجتمعوا إلى سعد بن زادة فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكروهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه ، فأنزل الله تعالى سورة الجمعة فهى أول جمعة كانت فى الإسلام . وأما أول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهى أنه لما قدم المدينة مهاجراً نزل على قبيلة بنى عمرو بن عوف ، وأقام عندهم يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وانتبش مسجدهم . ثم خرج يوم الجمعة قاصداً المدينة فأدركته الصلاة فى بنى سالم بن عوف فى بطن واد لهم فخطب وسلى بهم الجمعة . وحكى السهيل فى كتاب شرح السيرة النبوية : أن يوم الجمعة كان

يسمى بهذا الاسم قبل أن تصلى الأنصار الجمعة وأنه لما كان اليوم الذى جمع فيه خلق آدم عليه السلام سمى بهذا الاسم . قال أهل اللغة : السبت القطع ، ومنه يوم السبت لا تقطع خلق الأشياء فيه . وحكى أيضاً أن هذه الأسماء للتداوله مرويّة عن أهل الكتاب وأن العرب المستعربة لما جاؤرتهم أخذتها عنهم ، وأن الناس لم يكونوا يعرفون ذلك إلا الأسماء التى وضعتها العرب المارية والأسماء التى وضعتها السريان وهى (أبجد ، هوز ، حطى ، ككن ، سمفص ، قرشت) ، ولم يذكرها سابقاً وذكرها أنها أسماء الأيام التى خلق الله تعالى فيها سائر المخلوقات علويها وسفليها . وهذا القول مذكور فى كتاب ابن التححاس أيضاً وكأن السهيلي نقله منه .

« ومنها » ما كان لحلف وعقد معاهدة كما اجتمعت قريش فى الجاهلية حين كثر فيهم الزعماء وانتشرت فيهم الرياسة وشاهدوا من التنال والتجاذب ما لم يكن لهم عنه سلطان قاهر فمقدوا حلفاء على رد المظالم ، وإنصاف المظلوم من الظالم . وكان سببه ما حكاه الزبير بن بكار : أن رجلاً من اليمن من بنى زبيد قدم مكة معتمراً يبضاعة فاشترأها منه رجل من بنى سهم ، وقيل إنه الماص بن وائل فولى الرجل بحقه فسأله ماله أو متاعه فامتنع عليه فقام على الحجر ، وأنشد بأعلى صوته :

يال قمى^(١) لمظلوم بضاعته يعطن مكة نائى الدار والنفر
وأشمت محرم لم تقض حرمة بين اللقائم وبين الحجر والحجر
أقائم من بنى سهم بنمتهم أو ذاهب في ضلال مال ممتنر

ثم إن قيس بن شيبه السلمى باع متاعاً على أبى بن خلف فلوأه وذهب بحقه فاستجار برجل من بنى جحظ فلم يجره ، فقال قيس :

يال قمى كيف هذا فى الحرم وحرم البيت وأحلاف الكرم

أظلم من لا يمنع عنى الظلم

فأجابه العباس بن مرداس السلمى^(٢) :

(١) ويروى عنه بإل فهر . (٢) جده أبو عامر بن حارثة أحد بنى سليم

إِنْ كَانَ جَارُكَ لَمْ يَنْفَعَكَ ضَمَّتْهُ وَقَدْ شَرِبْتَ بِكَأْسِ الْقُلِّ أَنْفَاسَا
فَاتَ الْبُيُوتَ وَكَانَ مِنْ أَهْلِ اسْدَا لَا تَلْقَ تَأْدِيبَهُمْ خَشَاً وَلَا بَاسَا
وَمَنْ يَكُنْ بِفَنَاءِ الْبَيْتِ مَمْتَصَاً يَلْقَى ابْنَ حَرْبٍ وَيَلْقَى الْمَرْءَ عِبَاسَا
قَوْمِي قَرِيشَ بِأَخْلَاقِ مَكَّةَ بِالْجِدِّ وَالْحَزْمِ مَا عَاشَا وَمَا سَاسَا
سَاقِ الْحَجِيجِ وَهَذَا نَاشِرُ فُلْجٍ وَالْجِدِّ يورث أَخَاسَا وَأَسْدَاسَا

قام أبو سفيان والعباس بن عبد المطلب فرد عليه ماله ، واجتمعت بطون قريش فحالفوا في دار عبد الله بن جُدعان على رد الظالم بمكة وأن لا يظلم أحد إلا ممنوعه وأخذوا للظلم حقه ، وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يومئذ معهم قبل النبوة ، وكان إذ ذاك ابن خمس وعشرين سنة فمقدوا حلف الفضول في دار ابن جُدعان فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذا كراً للحال : لقد شهدت في دار عبد الله بن جُدعان حلف الفضول ما أحب أن لي به حر النعم ولو أدعى إليهِ في الإسلام لأجبت . وأتى بقصته وما يزيد الإسلام إلا شدة ، قال بعض قريش في هذا الحلف :

تيمَ بْنَ مرةَ إِنْ سَأَلْتَ وَهَاشَا وَزَهْرَةَ الْخَيْرِ فِي دَارِ ابْنِ جُدْعَانَ
مُتَحَالِفِينَ عَلَى النَّدَى مَا غَرَّدَتْ وَرَقَاءَ فِي فَنَنِ مِنْ جَدْعِ كَبْشَانَ

وهذا وإن كان فلا جاهلياً دعهم إليه السياسة فقد صار بحضور رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم له وما قاله في تأكيد أمره حكماً شرعياً ، وفلا نبوياً ، وكما اجتمعوا على الحلف الشهير (بحلف المطيعين) وقد مرت الإشارة إليه عند الكلام على مكة شرفها الله تعالى . وهو على ما في السيرة المشامية قلا عن ابن إسحق : أن قصي بن كلاب لما هلك أقام أمره في قومه وفي غيرهم بنوه من بعده فاختلفوا مكة رباعا بعد الذي كان قطع لقومه بها . فكانوا يقطعونها في قومهم

ابن منصور وأمه الخنساء الشاعر بنت عمرو بن النريد وكان العباس فارساً شاعراً مخضراً شديد المعارضة والبيان سداً لئلا يظلم قومه من كلا طرفيه وقد ألى النبي (ص) وأسلم وكان من المؤلفة قلوبهم ثم حسن إسلامه .

وفي غيرهم من حلفائهم ويبيحونهم فأقامت على ذلك قريش معهم ليس بينهم اختلاف ولا تنازع ، ثم إن بني عبد مناف بن قصي بن عبد شمس وهاشم والطلب ونوفلا أجموا على أن يأخذوا ما بأيدي بني عبد الدار قصي مما كان قصي جمل إلى عبد الدار من الحجابة واللواء والسقاية والزفاعة ورأوا أنهم أولى بذلك منهم لشرفهم عليهم وفضلهم في قومهم ، ففترقت عند ذلك قريش ، فكانت طائفة مع بني عبد مناف على رأيهم يرون أنهم أحق من بني الدار لمكانهم في قومهم . وكانت طائفة مع بني عبد الدار يرون أن لا ينزع منهم ما كان قصي جمل إليهم فكان صاحب أمر بني عبد مناف عبد شمس بن عبد مناف ، وكان صاحب بني عبد الدار عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وكان بنو أسد ابن عبد المزي بن قصي . وبنو زهرة بن كلاب ، وبنو تيم بن مرة بن كعب وبنو الحارث بن فهر بن مالك بن النضر مع بني عبد مناف ، وكان بنو مخزوم ابن يقظة بن مرة ، وبنو سهم بن عمرو بن هصيص كعب ، وبنو جحج بن عمرو ابن هصيص بن كعب ، وبنو عدي بن كعب مع بني عبد الدار ، وخرحت عامر ابن لؤي وعمار بن فهر فلم يكونوا مع واحد من الفريقين . فمقد كل قوم على أمرهم حلفاء مؤكداً أن لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضاً مايل بحر صوفة^(١) ، فأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيباً فيزعمون أن بعض نساء بني عبد مناف أخرجهما لهم فوضوها لأحلافهم في المسجد عند الكعبة ، ثم غمس القوم أيديهم فيها فتماقدوا وتماهدوا ثم وحلفاؤهم ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً على أنفسهم

(١) هذا من الإبداعات لامن الامثال كما زعم بعضهم وحكى الاحياني مايل البحر صوفة والظاهر ان هاء صوفة فيه للتأنيث كهاء ثمرة وان المراد بذلك القطعة من الصوف المعروف وذكر بعض اهل اللغة انه يحتمل ان تكون الهاء هاء الضمير وحمل صوف البحر على شيء يكون فيه يشبه الصوف المعروف من وجه ويسمى سحاب البحر وغمامة والزبد الطري وقيل هو الطحلب ويسمى غزل الماء كما قال الطبيب داود الضرير ورجح الاول بان السفنج المتبادر منه البحر المالح بخلاف الطحلب فانه يكون في منافع الماء مطلقاً فالأوفق بالاضافة في صوف البحر ارادة ما كان مختصاً وبان شبه السفنج للصوف الحيواني اقوى من شبه الطحلب له ، والا ظهر ان الهاء للتأنيث والصوفة قطعة من الصوف المعروف .

فسموا الطيبين . وتماقد بنو عبد الدار وتماهدوا وحلفاؤهم عند الكعبة حلفاً مؤكداً على أن لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضاً فسموا الأحلاف . ثم سوند بين القبائل وزم بعضها ببعض فسميت بنو عبد مناف لبني سهم ، وعبيت بنو أسد لبني عبد الدار ، وعبيت . زهرة لبني جمح ، وعبيت بنو تيم لبني مخزوم وعبيت بنو الحارث بن فهر لبني عدى بن كعب . ثم قالوا لتفر كل قبيلة من أسند إليها فيبنا الناس على ذلك قد أجموا للحرب إذ تداعوا إلى الصلح على أن يعطوا بنى عبد مناف السقاية والرفادة وأن تكون الحجابة واللواء والدودة لبني عبد الدار كما كانت فعلوا ورضى كل واحد من الفريقين بذلك وتماجز الناس عن الحرب وثبت كل قوم مع من حالفوا فلم يزالوا على ذلك حتى جاء الله تعالى بالإسلام فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، ما كان من حلف في الجاهلية فإن الإسلام لم يزد إلا شدة . وبقي لهم اجتماعات كثيرة مذكورة في كتب السير والتواريخ



الكلام على مفاخرات العرب في الجاهلية ومناظرهم

اعلم أن الفخر هو اللباهة بالأشياء الخارجة عن الإنسان . وفي القاموس : الفخر والفخار والفخارة بفتح الفاء التمدح بالحصول كالافتخار ، وتفاخر القوم بفخر بعضهم على بعض ، وفأخرهم مفاخرة وتفاخرة عارضه بالفخر ففخره كنصره غلبه ، وفخره عليه كنعم فضله عليه في الفخر كأفخره عليه . والمفخرة وتقم ما فخر به انتهى . والفخر نهاية الحق عند من نظر بعين عقله ، وانحسر عنه قناع جهله . وقد أبطلته الشريعة المحمدية ، ونهت عن تماطيه بالكلية ، فإن أعراض الدنيا عارية مستردة لا يؤمن كل ساعة أن ترجع . فاللباها بها مباهاة بنير ثراه ، ومتبجح بما في نظر سواء ، كالفاجرة تبجح برّتها بل هو دون ذلك ، فقد قال بعض الحكماء لئن افتخر بتراته : إن افتخرت بفركك فالحسن والقراءة له دونك ، وإن افتخرت بأبائك فالفضل فيهم لافيك ، ولو تكلمت هذه الأشياء لقالت هذه محاسنها فإليك

من الحسن ؟ وأيضاً فالأعراض الدنيوية سحابة سيف عن قليل تقشع ، وظل زائل عن قليل يضمحل ، كما قال الشاعر :

إنما الدنيا كرؤيا فرّحت من رآها ساعة ثم انقضت

بل كما قال الله عز وجل « إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض » . فإن افتخرت فافتخر بمعرفة غير خاتمة عنك ، وإذا أجهك من الدنيا شيء فاذكر فناءك وبقاءه ، أو بقاءك وزواله أو فناء كجيماء ، فإذا أراك ما هو لك ، فانظر إلى قرب خروجه من يدك ، وبمد رجوعه إليك ، وطول حسابك عليه ، إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر . وقد ذم الله تعالى الفخور ، بقوله « والله لا يحب كل غتال نفور » وتفاخر حيان من قريش بنو عدنان وبنو سهم وتكاثروا بالسيادة والإشراف بالإسلام فقال كل حتى منهم : نحن أكثر سيداً ، وأعظم رجلاً ، وأكثر قائداً ، فإن التكاثر التفاضل فيكون من اثنين يقول كل واحد منهما لصاحبه أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً فكثر بنو عبد مناف بنو سهم ، ثم تكاثروا بالأموال فكثرتهم بهم فنزل « أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْقُبُورَ » قاله الكلبي . وعن أبي بردة : أنها نزلت في قبيلتين من قبائل الأنصار : في بني حارثة وبني الحارث ، تفاخروا وتكاثروا فقالت إحداهما : فيكم مثل فلان وفلان . وقال الآخرون مثل ذلك . تفاخروا بالأحياء ثم قالوا انطلقوا بنا إلى القبور فجعلت إحدى الطائفتين تقول فيكم مثل فلان يشيرون إلى القبر ومثل فلان ، وفمل الآخرون مثل ذلك فأنزل الله تعالى « أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْقُبُورَ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ » ردع وزجر لهم وتبنيه على أنهم سيعلمون عاقبة ذلك يوم القيامة وفيه وعيد شديد ، وفي ذلك دليل على أن الاشتغال بالدنيا والمكاثرة بها والمفاخرة فيها من الخصال المذمومة . والعرب لم يكن لهم في الجاهلية من يردعهم ويكفهم عن سفاسف الأمور وذم الأخلاق فلمهم كانوا في زمان فترة من الرسل والأنبياء فلم يكن لهم وقوف على غايات الأمور

والمواقب المحمودة وما يترتب عليه الثواب والعقاب من الفعل الحسن والقبیح ،
وكان غالب مفاخراتهم بالشجاعة والكرم والوفاء ونحو ذلك ، وما أنا ذا كرم من
مفاخراتهم ومنافراتهم لعمراً لأنى لو قصصيت ذلك لأفئيت المردون الجزء الذى
لا يتجزى منه قلة ، فأقول : هل عن أبى عبيدة أنه قدم على النعمان بن النضر
وفود ربيعة ومضر أبى نزار ، فكان فيمن قدم عليه من وفود ربيعة بسطام
ابن قيس والحوفزان بن شريك البكران . وفيمن قدم عليه من وفد مضر من قيس
ابن عيلان عامر بن مالك وعامر بن الطفيل . ومن تميم قيس بن عاصم والأقرع بن
حابس فلما انتهوا إلى النعمان أكرمهم وحياهم ، وكان يتخذ للوفود عند انصرافهم
جلساً يطعم فيه معهم ويشرب ، وكان إذا وضع الشراب سقى النعمان فن بدى به
على أثره فهو أفضل الوفد فلما شرب النعمان قامت القينة تنظر إلى النعمان من الذى
بأسرها أن تسقيه وتفضله من الوفد فنظر في وجهها ساعة ثم أطرق ثم رفع رأسه
وأنشأ يقول :

اسقى وفودك بما كنت ساقى وابدئ بكأس ابن ذى الجذنين بسطام
أغرّ ينمي من شيبان ذو أنف حامى التمار وعن أعراضها رام
قد كان قيس بن مسعود ووالده تبدأ السلوك به أيام أيام
فارضوا بما فعل النعمان في مضر وفي ربيعة من تنظيم أقسام
م الجاجيم والأذئاب غيرهم فارضوا بذلك أو يوموا بإرقام
قال عامر بن الطفيل :

كان التابع في دهر لهم سلف وابن الرار وأملك على الشام
حتى انتهى الملك من لخم إلى ملك بادى السنان لمن لم يرمه رام
أنحى علينا بأظفار فطوئنا طوق الحمام بإتماس وإرقام
إن يمكن الله في يوم يشاء به تركك وحدك تدور هط بسطام
فانظر إلى الصيد لم يحموك من مضر هل في ربيعة إن لم تدعنا حام

فأجابه بسطام بن قيس قال :

لعمري لئن صحت تميمٌ وطمرٌ لقد كنت قديماً في حلوهم شحجاً
أروني كسمودٍ وقيسٍ وخالدٍ وعمرو وعبد الله ذى الباع والندي
فكانوا على افناء بكر بن وائل ربيماً إذا ما سال سائلهم جدا
وسرتُ على آثارهم غير تارك وصيتهم حتى انتهت إلى المدى

« وروى عن ابن الكلبي » أنه قال : قال كسرى للنعمان بن المنذر يوما : هل في العرب قبيلة تشرف على قبيلة ، قال : نعم ، قال فبأي شيء ؟ قال : من كانت له ثلاثة آباء متواليه رؤساء ، ثم اتصل ذلك بكال رابع فالبيت من قبيلته فيه وتنسب إليه . قال : فاطلب ذلك فعليه فلم يصبه إلا في آل حذيفة بن بدر وآل ذى الجدين وآل الأشعث بن قيس بن كندة فجمع الجميع ومن معهم من عشائرم وأقعد لهم الحكام والمدول وقال : ليتكلم كل رجل منكم بمآثر قومه وليصدق ، فكان حذيفة بن بدر أول متكلم ، وكاتبُ ألسن القوم ، فقال : قد علت العرب أن فينا الشرف الأندم ، والمز الأعظم ، ومآثر للمنيح الأكرم . فقال من حوله : ولم ذاك يا أخا فزارة ؟ قال . ألسنا القاطم التي لا ترام ، والمز الذي لا يضام ؟ قيل له : صدقت . ثم قام شاعرم فقال .

فزارةٌ بيت المز والمز فيهمُ فزارة قيس حسب قيس نضالها
لها العزة القمصاء والحسب الذي بناه لقيس في القديم رجالها
فن ذاً إذا مد الأكف إلى الملا يمد بأخرى مثلنا فينالها
فهيأت قد أُميا القرون التي مضت مآثر قيس مجدُها وفصالها
وهل أحدث إن مدَّ يوما بكفه إلى الشمس في مجرى النجوم ينالها
فإن يصلحوا يصلح لذك جميعنا وإن يفسدوا يفسد على الناس حالها

ثم قام الأشعث بن قيس وإنما أذن له أن يقوم قبل ربيعة وتميم لقراجه بالنعمان ، فقال : لقد علت العرب أنا قاتل عديدها الأكثر ، وقديم زحفها الأكبر ، وأنا

غياث الزبّات^(١) . فقالوا : لم يا أخا كندة ؟ قال . لأننا ورثنا ملك كندة فاستظللنا بأفياثه ، وتقلدنا منكبه الأعظم ، وتوسطنا بمحبوبه^(٢) الأكرم ، ثم قام شاعرهم فقال

إذا قستَ أبيات الرجال بيننا وجدت له فضلا على من يفاخر
فمن قال . كلا أو أتانا بخطةٍ ينافرنا يوماً فنحن نحاطر
تعالوا فعدّوا يعلم الناس أثنا له الفضلُ فيما أورثته الأكاير

ثم قام بسطام بن قيس فقال . قد علمت العرب أننا بُناة بيتها الذي لا يزول ، ومنرس عزها الذي لا يحول . قالوا . ولم يا أخا شيان ؟ قال . لأننا أدركهم للثأر ، وأضربهم للملك الجبار ، وأقولهم للحق ، وألهم للخصم . ثم قام شاعرهم فقال :

لعمري بسطام أحقُّ بفضلها وأول بيت المزحز القبائل
فسائل أبيت اللعن عن عزومها إذا جدَّ يوم الفخر كلُّ مناسل
فيخبرك الأقوام عنها فلنُها وقائع ليست شهرةً للقبائل
ألسنا أمر الناس قوماً وأسرة وأضربهم للكباش بين القبائل^(٣)
وقائع عز شكلها وريّة تذلل لهم فيها رقاب المحافل
إذا ذكرت لم ينكر الناس فضلها وعاذ بها من شرها كلُّ قائل
وأنا ملوك الناس في كل بلدة إذا نزلت بالناس إحدى النوازل

ثم قام حاجب بن زرارة التيمي فقال . قد علمت العرب أننا فرع دعامتها ، وقادة زحفها . قالوا . ولم ذاك يا أخا بني تميم ؟ قال . لأننا أكثر الناس عدينا ، وأنجهم طراً وليداً ، وأعظام الجزيل ، وأحملهم للثقل . ثم قام شاعرهم فقال :

ولقد علمت أبناء خندف أننا لنا المزق قدما في الخطوب والأوائل
وأنا كرام أهل مجد وثروة وعز قديم ليس بالتضائل
فكم فيهم من سيد وابن سيد أفر نجيب ذى فعال ونائل

(١) لزبّات بالتسكين جمع لزبة وهي الشدة . (٢) بحبوحه الشيء وسطه

(٣) الكباش : سيد القوم وقائدهم .

فسائل أبيتَ اللعنَ عنا فإننا دعائم هذا الناس عند الجلائل
ثم قام قيس بن عاصم السمدى فقال : لقد علم هؤلاء أنا أرفهم في المكرمات
دعائم ، وأثبتهم في النائبات مقام . قالوا : ولم ذلك يا أبا بنى سعد ؟ قال : لأننا
أدركهم للنار ، وأمنهم للجار ، وأنا لا ننكل إذا حملنا ، ولا نرام إذا حملنا . ثم
قام شاعرهم فقال :

لقد علمت قيسٌ وخِندَفُ أننا وجل تميم والجموع التي ترى
بأننا عماد في الأمور وأننا لنا الشرف الضخم الركب في الندى
وأنا ليوث البأس في كل مأزق إذا جزّ بالبيض الجحاجم والكلاب
وأنا إذا داعٍ دعانا لنجدة أجبنا سراعاً في الملأ من دعا
فن ذا ليوم الفخر يمدل عاصمًا وقيساً إذا مدالأكف إلى العلا ؟
فهبات قد أعيأ الجميع فاعلمهم وفاتوا بيوم الفخر سمعة من سعى

فقال كسرى حينئذ ايس منهم إلا سيد يصلح لموضعه ، وأسنى جباهم ،
وأعظم صلاتهم « واقتصر » رجلان ياب معاوية بن أبي سفيان أحدهما من بى
شيان والآخر من بى عامر بن صعصعة . فقال العامرى : أنا أهد لك عشرة
من بى عامر ، فمسد على عشرة من بى شيان . فقال الشيباني هات إذا شئت .
فقال العامرى : خذ عامر بن مالك ملاعب الأسنة ، والطفيل بن مالك قائد
هوازن ، وفارس قردل ، ومعاوية بن مالك معوذ الحكماء ، وربيعة بن مالك
فارس ذى علق ، وعامر بن الطفيل ، وعاقمة بن علاثة وعتبة بن سنان ، ويزيد
ابن الصمق وأربد بن قيس وهو أربد الحثوف . فقال الشيباني . خذ قيس بن
مسعود رهينة بكر بن وائل ، وهاني^١ ابن قبيصة أمين النعمان بن النذر ، وقبيصة
ابن مسعود وافد النذر ، ومفرق ابن عمرو^(١) حاضر الأيتام ، وسنان بن
مفروق ضامن اللمن ، والأصم عمرو بن قيس صاحب روس بن تميم ، وعمران
ابن مرة الذى أسر يزيد بن الصمق مرتين ، وعوف ابن النعمان : فقال معاوية :

(١) وسيأتى قريباً : مفروق بن عمران فانظر أيهما أصوب .

عامر أخضر هوازن ، وشيبان أخضر بكر بن وائل ، وقد كفنا كما الله المؤنة . هذان رجلان من غير قومكما عندي يحكان بينكما . عدى بن حاتم . وشريك بن الأعور الحارثي . ثم قال معاوية للشيباني . من تمبأ لمار بن مالك . قال أسم بن أبي ربيعة : الذي قتل من تميم مائة رجل على دم . فقال معاوية للرجلين : ما تقولان ؟ فالأ : رجح الأسم على عامر بن مالك . قال معاوية : فن تمبأ لمار بن الطفيل قال الشيباني : الحوفزان بن شريك . فقال الحسكان : رجح الحوفزان . قال : فن تمبأ لمقعة بن علاثة ؟ قال الشيباني : بسطام بن قيس . فظفر معاوية إلى الحكيمين فقالا : رجح بسطام بن قيس . قال معاوية : فن تمبأ لمتبة بن سنان ؟ فقال الشيباني : معروق بن عمران بن مرة . فقال له : رجح معروق . قال معاوية : فن تمبأ للطفيل بن مالك ؟ قال الشيباني : عمران ابن مرة . فقالا رجح عمران بن مرة . قال فن تمبأ لمعاوية بن مالك ؟ قال الشيباني عوف بن النعمان . فقالا : رجح عوف بن النعمان . قال فن تمبأ لوف بن الأحوص ؟ قال قبيصة بن مسعود . فقالا : رجح قبيصة . قال فن تمبأ لربيعة بن مالك ؟ قال : هانيء بن قبيصة . قال معاوية : فن تمبأ ليزيد بن الصمق ، قال : سنان بن معروق . قال فن تمبأ لأردب بن قيس ؟ قال الأسود بن شريك . فقال معاوية للشيباني : فأين نميب فبيس بن مسعود ؟ قال : أصلحك الله ليس من هذه الطبقة فإنهم قيس مجداً وطولا فقال العامري في ذلك :

أعدّ إذا عذبت أبراء وكان علا على الأروام فضلا
وكان الجعفرى أبو على إذا ما هاجت الميجاء علا
ووالله الذى حدثت عنه طفيل خيرنا يقما وكهلا
وكان معوذ الحكم البارى رياح الصيف أعلى القوم فضلا
وقد أورت زفاد أبى لبيد ربيعة يوم ذى علق فأبلا
وعلمة بن الأحوص كان كهفا كلايياً رحيباً الباع سهلا

وعتبه والأعصر يزيد إني رأيتهما لكل الفخر أهلا
وعوقا ثم أُرِيدَ ذا المصالي كنى بهما عليك ندى وبذلا
أولئك من كلاب في ذُرَاهَا وخير قُومها حَسَبًا ونُبْلًا
قال الشيباني مجيباً له :

أعدّ إذا عددت أبا خفاف وعمران بن مُرَّة والأُمَيَّة
وهانينا الذي حدثت عنه وكان قبضة الأنف الأشما
ومفروقاً وذا النجدات موقاً وبسطاما ووالله الخفصا
وأسود كان خيرى شريك ولم يكُ قرنه كبشاً أجماً
أولئك من عكابة خير بكر وأكرم من يليك أباً وأماً
وأفضل من ينص إلى المال إذا ما حصلوا خلاً وعمّا
وأكثر قومهم بالشر طوقاً وأبعد قومهم في الخير همّا

قال معاوية للحكّين : ما قولان ؟ قال : شيبان أكرم الحيين . فقال معاوية :
وذاك قولى فأكرمهما وجباها ، وفصل الشيباني على المامرى .

ومع مربي ذى الجرب

أن الملك النعمان قال : لأعطينَّ أفضل العرب مائةً من الإبل فلما أصبح
الناس اجتمعوا لذلك ولم يك ابن مسعود فيهم وأراده قومه على أن ينطلق فقال
لا لئن كان يريد بها غيرى لا أشهد ذلك وإن كان يريدنى بها لأعطينها . فلما رأى
النعمان اجتماع الناس قال : ليس صاحبها شاهداً . فلما كان من الند ، قال له قومه :
انطلق فانطلق . فدفعا الملك إليه . فقال حاجب بن زرارة أبيت اللعن ما هو بأحق
بها منى . فقال قيس بن مسعود : أنا فره عن أكرمنا قميده ، وأحسننا أدب ناقة
وأكرم لثيم قوم . فبث معهما النعمان من ينظر في ذلك ، فلما انتهيا إلى بادية
حاجب بن زرارة مروا على رجل من قومه فقال حاجب : هذا الأُم قولى وهو

فلان بن فلان والرجل عند حوضه يورد إليه فأقبلوا إليه فقالا : يا عبد الله دعنا فلنستق فإنا قد هلكنا عطشا وأهلكنا ظهورنا فتصحبهم وأبى عليهم فلما أعيام قالوا لحاجب أسفر فسفر ، فقال : أنا حاجب بن زرارة فدعنا فلنشرب . قال : أنت ؟ فلا مرجأ بك ولا أهلاً فأتوا بيته فقالوا لا مرأته هل من منزل يا أمة الله ؟ قالت : والله مارب التزل شاهد أو ما عندنا من منزل وأرادوها على ذلك فأبت ثم أتوا رجلاً من بكر بن وائل على ماء يورد فقال قيس : هذا والله ألام قومي فلما وقفوا عليه قالوا مثل ما قالوا للآخر فأبى عليهم وهم أن يضربهم . فقال له قيس ابن مسعود : ويحك أنا قيس بن مسعود فقال له : مرجأ وأهلاً أورد . ثم أتوا بيته فوجدوا فيه امرأته قدرها تنط^(١) فلما رأت الركب من بعيد أزلت القدر وتردت ، فلما انتهوا إليها قالوا : هل عندك يا أمة الله منزل ؟ قالت : نعم أنزلوا في الحب والسمة فلما نزلوا وطعموا وارتحلوا أخذوا ناقتيهما فأناخوها على فريتين للنمل ، فأما ناقة قيس بن مسعود فتضورت^(٢) وتقلب ثم لم تثر^(٣) . وأما ناقة حاجب فكنت وثبتت حتى إذا قالوا قد اطمأنت طفت هاربة ، فأتوا الملك فأخبروه بذلك فقال له قد كنت يا قيس ذا جد فأنت ذو جدين ، فبذلك سمى ذا الجدين . وقيل : إنما سمى بذلك لأسيرين أسرها مرتين . وقيل بل سبق في سبقين هكذا جاءت الرواية . والذي أعرف أنا أن ذا الجدين إنما هو عبد الله بن عمرو بن الحارث بن همام سمى بذلك لأنه اشترى كعب بن مامة من أيدي قوم عنزيين وكنم نفسه وعرفه عبد الله أنه لم يشتريه إلا عن معرفة فوهبه كل ما لقي في طريقه من إبل أبيه ببديانها وكانت سوداً وجرماً وصهباً ، وبلغ به إلى أبيه ، فأجاز له ذلك وأعطاه قبته بما فيها ، فلما آتى الحيرة قال بعض من رآه لصاحبه : أنه لدو جد . قال الآخر : بل هو ذو جدين فسمى بذلك .

(١) أي تصوت وذلك عند اشتداد غليانها . (٢) التضور : الصياح والتلوى عند الضرب أو الجوع . (٣) من غار يشور .

مفاخرة عمن ومصر

قال الأبرش الكلي لخالد بن صفوان : هلم أقارئك وهما عند هشام بن عبد الملك فقال له خالد : قل ، فقال الأبرش : لنا ربيع البيت يريد الركن اليماني ، ومنا حاتم طيء ، ومنا المهلب ابن أبي صفرة . قال خالد بن صفوان : منا النبي المرسل ، وفيينا الكتاب المنزل ، ولنا الخليفة المؤمل . قال الأبرش : لا فاخرت مضرا بمدك . ونزل بأبي العباس قوم من اليمن من أخواله من كلب ففخروا عنده بقديمهم وحديثهم فقال هشام لخالد بن صفوان : أجب القوم فقال : أخوال أمير المؤمنين . قال : لا بد أن تقول قال : وما أقول لقوم يا أمير المؤمنين هم بين حائك بُرد ، وسائس قرد ، ودافع جلد ، دل عليهم هُدُود ، وملكتهم امرأة ، وغرقتهم قارة ، فلم يثبت لهم بمدها قاعة .

مفاخرة الأوس والخزرج

تفاخرت الأوس والخزرج فقالت الأوس : منا غمیل الملائكة حنظلة ابن الراهب ، ومنا عاصم بن الأفلح الذي حث لجه الدبر^(١) ، ومنا ذو الشهادتين خزيمة بن ثابت ، ومنا الذي اهتز لموته العرش سعد بن معاذ . قالت الخزرج : منا أربعة قرءوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يقرأ غيرهم زيد بن ثابت وأبو زيد ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب سيد القراء ، ومنا الذي أیده الله بروح القدس في شعره حسان بن ثابت .

المنافرات الشهيرة التي وقعت بين العرب في الجاهلية

« منها منافرة عاصم بن علقمة » كانت العرب في الجاهلية إذا تنازع الرجلان منهم في الشرف تنافرا إلى حكائهم وسندكهم إن شاء الله قريباً فيفضلون

(١) جماعة التحل والزنابير .

الأشرف . ونافر معناه حاكم في النسب وسميت منافرة لأنهم كانوا يقولون عند
الفاخرة إنا أعز نفراً . وقد ألف أبو عبيدة وغيره من الأئمة البارعين في اللغة
كتباً في منافرات العرب ، وأشهر منافرة كانت في الجاهلية منافرة عامر بن
الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب مع علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص
ابن جعفر حين قال له علقمة : الرئاسة لجدي الأحوص ، وإنما صارت إلى عمك
أبي براء من أجله ، وقد استسن عمك وقعد عنها فأنا أولى بها منك وإن شئت
نافرتك . فقال له عامر : قد شئت والله لأنا أشرف منك حسباً ، وأثبت منك
نسباً ، وأطول قصباً قال . علقمة : أنافرك وإنى كبر وإنك لفاجر ، وإنى لولود
وإنك لفاقر ، وإنى لواف وإنك لنادر . قال : عامر : أنافرك أنى اسمي منك سمة ،
وأطول قة ، وأحسن لة ، وأجمد جة ، وأبد همة ، فقال علقمة : أنا جليل وأنت
قبيح ، ولكن أنافرك أنا أولى بالخير منك . ففرجت أم عامر وقالت : نافر
أيكاً أولى بالخير . ففضلوا على أن جعلوا مائة من الإبل يعطيها الحكم التي
ينفر عليه صاحبه ، ففرج علقمة بيني خالد بن جعفر وبين الأحوص ومعهما القباب
والجزر والقندور وينحرون في كل منزل ويعطمون ، وخرج عامر بيني مالك وقال :
إنها لقارعة عن أحبابكم ، فاشخصوا بمثل ماشخصوا به . وقال لعمه أبي براء أعنى
قال سبني ، فقال : كيف أسبك وأنت عمي . فقال : وأنا لأسب الأحوص وهو عمي
ولم ينهض معه ، فجعلنا منافرتهم إلى أبي سفيان بن حرب بن أمية ، ثم إلى أبي جهل
ابن هشام فلم يقلوا بينهما شيئاً ، ثم رجعا إلى هرم بن قطبة بن سنان الفزاري .
فقال : نعم لأحكم بينكما فأعطيني موثقاً أطمئن به أن ترضيا بحكمي وتسلما لما
قضيت بينكما ففعلنا فأقاما عنده أياماً ، ثم أرسل إلى عامر فأناه سراً فقال : قد كنت
أحسب أن لك رأياً وأن فيك خيراً ، وما حبستك هذه المدة إلا لتتصرف عن
صاحبك ، أنتافر رجلاً لا تفخر أنت ولا قومك إلا بآبائه فما الذي أت به خير منه ؟
فقال عامر : نشدتك الله والرحم أن لا تفضل على علقمة فوالله لئن فعلت لا أفلح

بعدها أبداً هذه ناصيتي فاجزُها واحتكم في مالي فإن كنت لابد فاعلأ فسؤي بيني وبينه . قال : انصرف فسوف أرى من آرائى . فانصرف عامر وهو لا يشك أنه ينفره عليه ، ثم أرسل إلى علقمة سراً فقال له ما قال لعامر ، وقال له : أتأخّر رجلاً هو ابن عمك في النسب وأبوه أبوك ، وهو مع ذلك أعظم منك غناء وأحمد لقاء ، وأسمح سماحاً ، فما الذى أنت به خير منه ؟ فرد عليه علقمة ما رد به عامر وانصرف وهو لا يشك أنه ينفر عامراً عليه فأرسل هرم إلى بنيه وبنى أخيه وقال لهم : إني قاتل فيهم غداً مقالة فإذا فرغت فليطرد بمضكم عشر جزائر فلينحرها عن علقمة وليطرد بمضكم مثلها فلينحرها عن عامر وفرقوا بين الناس لا يكونوا بينهم جماعة ، ثم أصبح هرم فجلس مجلسه وأقبل عامر وعلقمة حتى جلسا فقال هرم : إنكما يا ابني جعفر قد تحماكتما عندي وأنا كرهتني البعير الأدّرم الفحل قحمان الأرض وليس فيكما واحد إلا وفيه ما ليس في صاحبه ، وكلاكما سيد كريم ، ولم يفضل واحداً منهما على صاحبه لكيلا يجلب بذلك شراً بين الحيين ونحر الجزر وفرق على الناس ، وعاش هرم حتى أدرك خلافة عمر . قال : يا هرم أى الرجلين كنت مفضلاً لو فعلت ؟ قال : لو قلت ذلك اليوم عادت جذعة ولبلّفت شفقات هجر . قال عمر : نعم مستودع السر أنت يا هرم مثلك فليستودع المشيرة أسرارهم . والحكاية طويلة قد اختصرناها . وقال فيه الأعشى :

حكمتوه قفى بينكم أبلج مثل القمر الباهر
لا يأخذ الرشوة في حكمه ولا يبالى غيب الخاسر

هذا ما وجدناه في أول شرح القامات الجهرية للشرشى . وقد شرحها بأكثر من هذا مرتين أو ثلاثاً الأصهباني في الأغاني^(١) قال : قال ابن الكلبي حدثني أبي وعمر بن جعفر وجعفر بن كلاب الجعفرى عن بشر بن عبد الله بن حبان ابن سلمى بن مالك بن جعفر عن أبيه عن أشياخه وذكر بعضه أبو مسكين قالوا :

أول ما هاج التفار بين عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر ، وبين علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص ، وأم عامر كبشة بنت عروة الرحال بن عتبة بن جعفر ، وأما أم الطيباء بنت معاوية فارس الهراز بن عبادة بن عقيل بن كعب بن ربيعة ، وأما خالدة بنت جعفر بن كلاب ، وأما فاطمة بنت عبد شمس بن عبد مناف ، وأم أبيه الطفيل أم البنين بنت ربيعة بن عامر بن صعصعة . قال أبو الحسن الأثرم : وكانت أم علقمة ليلي بنت أبي سفيان بن هلال بن النخع سبية وأم أبيه معاوية بنت عبد الله ابن الشيطان بن بكر بن عوف بن النخع مهيرة ، وذكر أن علقمة كان قاعداً ذات يوم ببولفصر به عامر فقال لم أرَ كالسيوم عورة رجل أقبح . فقال علقمة : أما والله ما وثبت على جاراتها ولا تنازل كنانها يمرض بعامر . قال عامر : وما أنت والقروم والله لفرس أبي حيوه أذكر من أيك ولفعل أبي غيَّهب أعظم ذكراً منك في نجد . قال : وكان فرسه فارساً جواداً نجاً عليه يوم بني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان وكان خلفه غلاماً لبني حرمة بن الأشعر بن صرمة بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان . قال الأثرم : وأخبرني رجل من جهينة بدمشق قال هو الأشعر بن صرمة . قال الأثرم : وسمي صرمة غيَّهب لسواده . قال ابن الكلبي : فاستمارة منهم يستطرقه فنلبهم عليه . قال علقمة : أما فرسكم فمارة وأما خلفكم ففندرة ولكن إن شئت نأفرك . قال : قد شئت . قال عامر : والله لانا أكرم منك حساباً ، وأثبت منك نسباً ، وأطول منك قصباً . قال علقمة : لانا خير منك ليلاً ونهاراً . قال عامر : لانا أحب إلى نساءك أن أصبح فيهن منك . قال عامر : أنا فرك على أني أنحر منك للقاء ، وخير منك في الصباح ، وأطعم منك في السنة الشياح . قال علقمة : أنت رجل قتاتل والناس يزعمون أني جبان ولأن تلقى العدو وأنا أمامك أعز لك من أن تلقاهم وأنا خلفك وأنت جواد والناس يزعمون أني بخيل ولست كذلك ، ولكن أنا فرك أني خير منك أثراً ، وأحد منك بصراً ، وأعز منك نفراً ، وأشرف منك ذكراً . قال عامر : ليس لبني الأحوص فضل على بني مالك

في المدد ، وبصرى ناقص وبصرى صحيح ، ولكنى أنافرك على أنى أنشر منك أمة ، وأطول منك قة ، وأحسن منك لمة ، وأجمد منك جمة ، وأبعد منك همة . قال علقمة : أنت رجل جسيم ، وأنا رجل قصير ، وأنت جميل وأنا قبيح ، ولكنى أنافرك بآبائى وأعمامى . فقال عامر : آباؤك أعمامى ، ولم أكن لأنافرك بهم ، ولكنى أنافرك أنى خير منك عقبا ، وأطعم منك جدبا . قال علقمة : قد علمت أن لك عقبا فى المشيرة ، وقد أطعمت طيئا إذ سارت ، ولكنى أنافرك أنى خير منك ، وأدلى بالخيرات منك ، وقد أكثرنا المراجعة منذ اليوم . قال : فخرجت أم عامر وكانت تسمع كلامهما فقالت : يا عامر نافره أيكما أولى بالخيرات . قال أبو المنذر : قال أبو مسكين قال عامر فى مراجعته والله لأنا أركبُ منك فى الحماة ، وأقل منك للسكاة ، وخير منك للولى والمولاء . فقال له علقمة : والله إني كبرُ وإنك لفاجر ، وإنى لوفى وإنك لفادر ، فقيم تفاخرنى يا عامر ، فقال عامر : والله إني لأنزلُ منك للقفرة ، وأنحر منك للبكرة ، وأطعم منك للهيرة ^(١) ، وأطمن منك للثفرة ، فقال علقمة : والله إنك لسكليل البصر . نكد النظر ، وثاب على جاراتك بالسحر . فقال بنو خالد بن جعفر وكانوا يدا مع بنى الأحوص على بنى مالك بن جعفر : لن نطيق عامراً ولكن قل له أنافرك بخيرنا وأقربنا إلى الخيرات ، وخذ عليه بالكبر . قال له علقمة هذا القول . فقال عامر (غير وتيس وتيس وعذ) فذهبت مثلاً ، نعم على مائة من الإبل إلى مائة من الإبل يعطاهما الحكم أينا فتر عليه صاحبه أخرجهما ، ففعلوا ذلك ووضعوا بها رهناً من أبنائهم على يد رجل من بنى الوحيد ، فسمى الضمين إلى الساعة وهو الكفيل . قال : وخرج علقمة ومن معه من بنى خالد وخرج عامر فيمن معه من بنى مالك وقد أتى عامر بن الطفيل عامر بن مالك وهو أبو براء . فقال : يا عماء أعمى . فقال يا ابن أخى : سبنى . فقال لا أسبك وأنت عمى قال : نسب الأحوص . فقال عامر : ولا أسب والله الأحوص وهو عمى . فقال :

دونك نمل فإني قد ربت فيها أربعين ربيعاً^(١) فاستعن بها في مفارك، وجعلنا منافرتهم إلى أبي سفيان بن حرب بن أمية فلم يقل بينهما شيئاً وكره ذلك لحالهما وحال عشيرتهما وقال : أنما كركبتى البير الأدرم . قال : فأبنا اليمين فقال كلا كما يمين . وأبى أن يقضى بينهما فانطلقا إلى أبي جهل بن هشام فأبى أن يحكم بينهما فوثب مروان بن سراقه بن قتادة بن عمرو بن الأخوص بن جعفر فقال :

يَا لَ قَرِيشٍ يَتَنَوَا الْكَلَامَا إِنَا رَضِينَا مِنْكُمْ الْأَحْكَامَا
فَيَتَنَوَا إِنْ كُنْتُمْ حُكَّامَا كَانَ أَبُوْنَا لَهُمُ إِمَامَا
وَعَبْدُ عَمْرُو مَنَعَ التَّشَامَا فِي يَوْمِ نَفَرٍ مَعْلَمَا إِيْلَامَا^(٢)
وَدَعَلَجَ أَقْدَمُهُ إِفْدَامَا لَوْلَا الَّذِي أَجْشَمَهُمْ إِجْشَامَا
* لَا تَتَّخِذْنَهُمْ مَذْجِيحٌ نَعَامَا *

قال : فأبوا أن يقولوا بينهما شيئاً وقد كانت العرب تحاكم إلى قريش فأبنا هينة بن حصن بن حذيفة فأبى أن يقول بينهما شيئاً ، فأبنا غيلان بن سلمى ابن معتب التثني فردهما إلى حرمة بن الأشعر المري فردهما إلى هرم بن قطبة ابن سنان بن عمرو أنفزارى فانطلقا حتى نزلا به . وقال بشر بن عبد الله بن حبان ابن سلم : إنهما ساقا الإبل معهما حتى أشتت وأرابت لا يأتیان أحداً إلا هاب أن يقضى بينهما قال هرم : لعمري لأحكمن بينكما ثم لأفضلن ثم لست أثنى إلى أحد منكما فأعطيناني موثقاً أطمئن إليه أن رضيا بما أقول وتسلا لما قضيت بينكما وأمرهما بالانصراف ووعدهما ذلك اليوم من قابل فانصرفا حتى إذا بلغ الأجل خرجا إليه ، فخرج علقمة بنى الأخوص فلم يتخلف منهم أحد معهم القباب والجزر والتدور وينحرون في كل منزل ويطعمون ، وجمع عامر بنى مالك قال : إنما تخاطرون من أحسابكم فأجابه وساروا معه ولم ينهض أبو براء معه وقال لمار : والله لا تطلع ثنية إلا وجدت الأخوص منيخاً بها وكره أبو براء ما كان من أمرهما . قال عامر فيها

(١) ربع الغنيمة كان رئيس القوم يأخذ لنفسه في الجاهلية

(٢) القمام : الجماعة من الناس

كان من منافرتهما ودعا طامر إليه أن يسير معه .

أولمّا أن أسبّ أباً شريح ولا والله أفهل ما حيتُ
ولا أهدى إلى هرّم لقاحاً فيحيا بعد ذلك أو يميت
أكلف سمي لقمان بن عادٍ فيا لأبي شريح ما لقيت

قال : وأبو شريح هو الأحوص فسكره كل واحد من البطنين ما بينهما . وقال
عبد عمرو بن شريح بن الأحوص :

لما الله وفدينا وما ارتحلا به من السوء الباقي عليهم وبالحا
إلا إنما بردى صفاق متينة أبي الضيم أعلاها وأثبت حالها

قال : فسار طامر وبنو طامر على الخليل مجنبي الإبل وعليهم السلاح . فقال
رجل من غنى : يا طامر ما صنعت أخرجت بني مالك تنافر بني الأحوص ومهم
القباب والجزد وليس مملك شيء تطعمه الناس ما أسوء ما صنعت ! فقال طامر لرجلين
من بني عمه : أحصيا كل شيء مع علقمة من قبة أو قدر أو لقمة . ففعلا ، فقال طامر :
يا بني مالك إنها المقارعة من أحسا بكم فاشخصوا بمثل ما شخصوا به ففعلوا وثار مع .
طامر لبيد بن ربيعة والأعشى ، ومع علقمة الحطيئة وفتيان من بني الأحوص منهم
السندري بن يزيد بن شريح ومروان بن سراقبة بن قتادة بن عمرو بن الأحوص وم
يريجزون ، فقال لبيد :

يا هرّم وأنت أهلٌ عدو إن نفر الأحوص يوماً قبل
ليذهبن أهله بأهلي لا يجمعن شكهم وشكلي
ونسل آبائهم ونسلي

وقال أيضاً :

إني امرؤٌ من مالك بن جعفر علقم قد نافرت غير منفرد
نافرت سقباً من سقاب المرعر

قال خنافة بن عوف بن الأحوص :

هَنِيْهِ إِلَيْكَ الشَّعْرُ يَا لِبَيْدٍ وَاصْدَدْ قَدْ يَنْفُكُ الصَّدُودُ
سَادَ أَيْوَنَا قَبْلَ أَنْ تَسُودُوا سُوْدُكُمْ مَطْرَفُ زَهِيْدٍ
وَقَالَ أَيْضًا :

إِنِّي إِذَا أَكْتَفَى الْخَبَاءَ وَضَاعَ يَوْمَ الشَّهْدِ اللُّوَاءَ
أُنْحَى وَقَدْ حَقَّ لِي النَّمَاءُ إِلَى كَهَوْلٍ ذَكَرَهَا سَنَاءُ
إِذْ لَا يَزَالُ جَلَّةَ كَوْمَاءَ مَبْقُورَةٍ لَسْقِبَاءَ رِغَاءَ
لَمْ يَنْهِنَا عَنْ نَحْرِهَا الصَّفَاءَ لَنَا عَلَيْكَ سُورَةُ وِلَاءِ
الْمَجْدِ وَالسُّوْدُ وَالْعَطَاءِ

وَقَالَ أَيْضًا :

أَنْتُمْ عَزَلْتُمْ عَامِرَ بَيْنَ مَالِكٍ فِي سَنَوَاتٍ مُضِرَّ الْهَوَالِكِ
يَا شَرَّ نَاحِيَا وَشَرَّ هَالِكِ
قَالَ : وَأَنْشَدَهَا السَّنْدَرِيُّ يَوْمَئِذٍ وَرَفَعَ صَوْتَهُ قَتِيلٌ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ :
أَنَا لِمَنْ أَنْكَرَ صَوْتُ السَّنْدَرِيِّ أَنَا الْفَتَى الْجَعْدُ الطَّوِيلُ الْجَعْفَرِيُّ
مَنْ وَلَدَ الْأَحْوَصَ أَخُوَالَ غَنِيَّ

قَالَ عَامِرُ . أَجِبْ يَا لِبَيْدُ فَرُغْ لِبَيْدٍ عَنْ إِبَابَتِهِ وَذَلِكَ لِأَنَّ السَّنْدَرِيَّ كَانَتْ جَدَّتُهُ
أُمَّةً اسْمُهَا (عِيْسَاءُ) قَالَ :

لَا دَعَانِي عَامِرُ لِأَجِيْبِهِ أَيْتُ وَإِنْ كَانَ ابْنُ عِيْسَاءَ ظَالِمًا
لَكِي لَا يَكُونُ السَّنْدَرِيُّ نَدِيْقِي وَأَشْتَمُ أَحْمَامًا عَمُومًا عَا عَا
وَأَنْشَرُ مِنْ تَحْتِ الْقُبُورِ أَبُوءَ كِرَامًا هُمْ شَدُّوا عَلَى التَّمَامِ
لَبِيتُ عَلَى أَكْتَافِهِمْ وَحَجُورِهِمْ وَلَيْدًا وَتَمُونِي وَلَيْدًا وَهَامِمًا
أَلَا أَتَيْنَا مَا كَانَ شَرًّا لِلْمَالِكِ فَلَا زَالَ فِي الدُّنْيَا مَلُومًا وَلَا تَمًا
قَالَ وَوَثَبَ الْحَطِيئَةَ قَالَ :

مَا يَحْبِسُ الْحُكَّامَ بِالْفَصْلِ بِيَدِمَا بِدَا سَابِقِ ذُو غُرَّةٍ وَحَجُورِ

وقال أيضاً :

يا عامُّ قد كنتَ ذابح ومكرمة لو أن ممعة من جارته أمُّ
جاريت قرماً أجاد الأحوصان به سمح اليدين وفي عرينه شَمُّ
لا يصعب الأمر إلا ريث يركبه ولا يبيت لمرعوبٍ له قسم
هابت بنو مالك جدّاً ومكرمةً وغاية كان فيها الموت لو قدموا
وما أساءوا فراراً عن مجلحة لا كاهن يمتري فيها ولا حَكَمُ

قال : وأقام القوم عنده أياماً ، وأرسل إلى عامر فأتاه سرّاً لا يعلم به علقمة .
فقال يا عامر : قد كنت أرى لك رأياً وإن فيك خيراً ، وما حبستك هذه الأيام
إلا لتصرف عن صاحبك أتفاخر رجلاً لا تفخر أنت وقومك إلا بأبائهم ؟ فما الذي
أنت به خير منه ؟ قال عامر نشدتك الله والرحم أن لا تفضل عليّ علقمة فوالله
لئن فعلت لا أفلح بعدها أبداً هذه ناصيتي فاجزئها واحتكم في مالي فإن كنت
لا بدّ فأعلاً فسوّ بيني وبينه . قال : انصرف فسوف أرى رأيي فخرج عامر وهو
لا يشك أنه ينفذه عليه . ثم أرسل إلى علقمة سرّاً لا يعلم به عامر فأتاه فقال يا علقمة :
والله إن كنت لأحسب فيك خيراً وإن لك رأياً وما حبستك هذه الأيام إلا
لتنصرف عن صاحبك ، أتفاخر رجلاً في النسب وأبوه أبوك ، وهو مع هذا
أعظم قومك غناءً ، وأحدم لقاءً ؟ فما الذي أنت به خير منه ؟ فقال له علقمة :
أنشدك الله والرحم أن لا تنفر عليّ عامراً أجزز ناصيتي واحتكم في مالي وإن كنت
لا بدّ أن تفعل فسوّ بيني وبينه . فقال : انصرف فسوف أرى رأيي فخرج وهو لا يشك
أنه سيفضل عليه عامراً .. قال أبي : وسمعت أن هرما قال لعامر حين دعاه يا عامر
كيف تفاضل علقمة ؟ فقال عامر : ولم ياهرم ؟ قال : لأنه أتجل منك عيناً
في النساء ، وأكثر منك نفيراً عند ثورة الدعاء ، قال عامر : هل غير هذا ؟ قال :
نعم هو أكثر منك نائلاً في الثراء ، وأعظم منك حقيقة عند الدعاء . ثم قال
لعلقمة : كيف تفاضل عامراً ؟ قال . ولم ياهرم ؟ قال : هو أنفذ منك لساناً ، وأمضى
منك سناناً . قال علقمة : فهل غير هذا ؟ قال . نعم هو أقتل منك للكفاة ، وأفك

منك للمناة . قال : ثم إن هрма أرسل إلى بنيه وبني أبيه إلى قاتل غداً بين هذين
الرجلين مقالة فإذا فلت فليطرد بكم عشر جزائر فلينحرها عن علقمة ويطرد
بكم عشر جزائر ولينحرها عن عامر وفرقوا بين الناس لا تكونوا لهم جماعة .
وأصبح هرم جلس مجلسه ، وأقبل الناس وأقبل علقمة وعامر حتى جلسا ، فقام
ليبد قال :

يا هرمُ ابن الأكرمين منمبا إنك قد وليت حكماً ممجبا
فاحكم وصوب رأي من نصوبا إن الذي يملو عليها ترتبا^(١)
لخيرنا عمّاً وأماً وأباً وعامرٌ خيرها مركبا
وعامر أدنى لقيس نسباً

فقام هرم فقال . يا بني جعفر قد تحاكمتا عندي وأنتا كركبتا البعير الأذرم
تقمان إلى الأرض ممّا وليس فيكما أحد إلا وفيه ما ليس في صاحبه ، وكلا كما سيد
كريم . وعمد بنو هرم وبنو أخيه إلى تلك الجزر فتحرروها حيث أمرهم هرم عن
علقمة عشراً وعن عامر عشراً وفرقوا الناس فلم يفضل هرم أحداً على صاحبه
وكره أن يفعل وما ابتأ هم فيجلب بذلك عداوة ويوقع بين الحيين شراً . قال .
وكان الأعشى حين رجع من عند قيس بن معدى كرب بما أعطاه طلب الجوار
والخفرة من علقمة فلم يكن عنده ما طلب ، وأجاره وخفزه عامر حتى أداه وماله
إلى أهله . قال .

علم ما أنت إلى عامر الناقص الأوتار والوتر^(٢)

(١) الترتب الدائم البات كذا في نسخة الأصل (٢) من أبيات أعشى بن
قس بن ثعلبة يمدح عامر بن الطفيل ويهجو علقمة بن علاثة ويحده :

ان تمد الحوص فلم تمدهم	وعامر ساد بني عامر
عهدي بها في الحى قد درعت	صفراء مثل المهرة الضامر
قد حجم الندى على نحرها	في مشرق ذي بهجة ناضر
لو استندت ميتاً إلى نحرها	عاش ولم ينقل إلى قابر
حتى يقول الناس ممّا راوا	يا عجباً للميت الناضر

ثم أعما بعد النفاذ فلما بلغ علقمة ما قال الأعشى وأشاع في العرب أن همرا قد فضل عامراً ؛ توعد الأعشى فقال الأعشى : (لعمري لئن أُمسى من الحى شاحصاً) قال ابن الكلبي : حدثني أبي قال فماش هرم حتى أدرك سلطان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فمأله أى الرجلين كنت مفضلاً لو فضلت ؟ فقال : لو قلت ذاك يا أمير أمير المؤمنين لمادت جذعة ، ولبلنت شفاف هجر . فقال : نِعَمْ مُسْتَوْدِعُ السر ومُسند الأمر إليه أنت يا هرم ، مثل هذا فليُسْر العشرة . وقال : إلى مثلك فليستبضع القوم أحكامهم . قال أبو الفرج الأصبهاني : وقد أدرك علقمة ابن علاثة الإسلام فأسلم ثم ارتد فيمين ارتد من العرب ، فلما وجه أبو بكر خالد بن الوليد إلى بنى كلاب ليوقع بهم وعلقمة يومئذ رئيسهم هرب وأسلم ، ثم أتى أبا بكر رضى الله تعالى عنه فأعلمه أنه قد نزع عما كان عليه قبل إسلامه وأمنه ، وهكذا ذكر اللدائني . وأما سيف بن عمر فإنه روى عن الكوفيين غير ذلك والله تعالى أعلم .

مناقرة بين فزارة وبنى هلال

إن بنى فزارة وبنى هلال تنافراً إلى أنس بن مدرك، وراضوا به قالت بنو هلال : يا بنى فزارة أكلتم أير الحمار . فقال بنو فزارة : لم نعرفه . وكان سبب ذلك أن ثلاثة اصطحبوا فزارى وتلبي وكلابي فصادفوا حمار وحش ، ومضى الفزارى في بعض حوائجه فطبخها وأكلها وخبأ للفزارى أير الحمار ، فلما رجع قال له قد خبأنا لك سهمك فكل ، وأقبل يأكل ولا يسميه فجعلوا يضحكوا ففطن وأخذ السيف وقام إليهما وقال : لتأكلان منه وإلا قتلتما فامتنما فضرب أحدهما فقتله وتناولوه الآخر فأكل منه ولذلك روى بنو فزارة بأكل أير الحمار قال الكيت ابن ثعلبة .

نشدتك يا فزاراً وأنت شيخ إذا خيرت تخطف في الخيـار

أسيحانية أدمت رِسمَن أحبُّ إليك أم أيزُ الحارِ
على أيزُ الحارِ وخصيتاه أحبُّ إلى فزارة من فزارِ

قوله نشدتك أراد به نشدتك بالله أى ذكرتكَ به واستعطفتك به لتخبرنى عما أسألك ويقال أيضاً نشدتك الله من باب نصر والخييار هو الاختيار . وقوله أسيحانية أدمت : أى أتمرة سيحانية والصحياني تمر معروف بالمدينة ويقال كان كبش اسمه سيحان بمهملتين شدَّ بنخلة فنسبت إليه وقيل سيحانية : وأدمت : من الأدام يقال أدمت الخبز إذا أسلحت إساغته بالأدام وهو ما يؤتم به مائماً كان أو جامداً . ولكون هذه الأبيات فيها خفاء أشرنا إلى تفسير مبهماتهما . . فقالت بنو فزارة منكم يا بنى هلال من سقى إبله فلما رويت سَلَحَ^(١) في الحوض ومدره بخلا ، يريدون به رجلاً من بنى هلال يضرب به المثل في البخل فيقال (هو أبل من مادر) . وبلغ من بخله أنه كان يسقى إبله بقى في أسفل الحوض ماء قليل فسلح فيه ومدد الحوض به فسمى مادراً ، فنفروهم أنس بن مدرك على الهلاليين فأخذ الفزاريون منهم مائة بعير ، وكانوا تراهنوا عليها ، وفي بنى هلال يقول الشاعر :

قد جلّت خزياً هلالُ بنِ عامر بنى عامر طراً لسلحة مادر
فأف لكم لا تذكروا الفخرَ بمَدّها بنى عامر أنتم شرارُ العشائر

هذا ما أورده الجاحظ في مساوى البخل من كتاب المحاسن والأضداد ، ونقله حمزة الأصبهاني والليداني والزغشري في أمثالهم بعبارات مختلفة عصلها ما ذكرناه تعالى أعلم .

* * *

قصه الفقى وضمرة وما جرى بينهما من المنافرة

قال أبو محمد الأعرابي في (ضالة الأديب) : إنَّ ضمرة بن ضمرة بن جابر

(١) السِّلح ما يخرج من البطن

ابن قطن بن تهل كان جاراً لنوفل بن جابر بن شحنة بن حبيب بن مالك بن نصر
 وأم نوفل مائكة بنت الأشتر بن حجوان بن قعس بن طريف بن عمرو
 ابن قمين ، وكان ضمرة كثير القامة فنصر نوفل جزوراً فلما الحى فأكلوا فدا
 ضمرة فقال يامعشر بنى قمين هذا جاركم وأنا منه خلو . ثم إن ضمرة قام فصر
 ماله كله ، وانتحمت^(١) أسد نحو أرض بنى تميم وهم مقحمون مضغفون فأرسل
 ضمرة إلى من يليهم من بنى تميم أن ميلوا عليهم فلهم لأول من أتاهم ، فأتى بنى
 نصر الخبر فأنصرفوا وأكروا بضمرة أن يأكلوه حين ينزلون فأمر نسوته سرأ
 أن يتأخرن ويلحقن بظمن بنى قعس وسار هو فى سلف بنى نصر وقد علم أنهم
 آكلوه إذا نزلوا ، فلما نزلوا ركض نحو بنى قعس فقال أنا جار لكم فقالوا
 إنك لست بجار ولك أمان المائد النادر ومنموه من بنى نصر ، وإذا ماله فى بنى
 نصر قد أحرزوه فلما جاء ظمن بنى قعس إذا نسوته فيهن فمدل له بنو قعس
 خمسين شاة^(٢) ونحروا الجزور ، وكان فيهم زماناً ثم لحق بقومه فنافر معبد
 ابن نضلة بن الأشتر بن حجوان خالد بن وهب الصيداوى وجمعهما وضمرة مجلس
 النمان ، فأرسل ضمرة إلى خالد نافره واجملنى الكفيل وهو بينى وبينك نصفين
 فإنه لا يخافنى ، واجملهما مائة فى مائة فى خفرة النمان وأجل بينكما بها رهناً فإنه
 لا بد من أحدهما إذا كنت أنا الكفيل . فلما راحوا إلى النمان سب خالد معبدأ ،
 فقال : أتسبى ولم تنافرنى قال : أنا فرك قال ما بدالك . قال خالد : إني أجمل الكفيل
 من شئت وإن شئت ولئى نعمتكم هذا . قال معبد : فإنى قد فلتت وأعتقد عليه
 بما أمره به ضمرة . ثم تناديا على ضمرة ، فقال ضمرة : والله إن بنى طريف لمن
 أكرم الناس وما رأينا قط أكرم من خالد فنفره على معبد فى مجلسه فحبس قيس بن
 معبد عند النمان رهينة بمائة من الإبل ، فقال معبد لبنى جابر بن شحنة : اكفلونى

(١) أى طلبت الكلأ فى موضعه . (٢) الشبالة من الإبل مائتى عليها من حماتها

أو وضعها سبعة أشهر فجفف لبنها .

يا بني عمي فإني لم يشني عند ضمرة ولا كذبه . قال بنو جابر : نرى بني قحس مقرين بهذا . قال : نعم يرون أنها خيانة ولا تضرهم فكفل بنو جابر الإبل فلما أتى معبد بنى قحس قال بنو عمار وبنو نوفل بن قحس : والله ما رضى بهذا أبداً ما بقى منا إنسان فنهضت بنو قحس إلى النعمان فوجدوا عنده ضمرة فقال سيرة بن عمرو بن الحارث بن وثار بن قحس بن طريف :

إني إن أنكر وجهي سيرة الرجل الأثم فيه الزعره^(١)
كالميم الحامى عليه النبره

إلى أن قال .

والله ما نعل منها بكره أو يأمر النعمان فيها أمره
فأمرهم النعمان أن يتقاضوا إلى المرزى سنم كان بنخلة فمندا قال سيرة .
أضمر بن ضمر أبقى الاست واقفا وهل مثلنا في مثلها لك غافر
أنتى دهاى عنك إذ أنت سُلمٌ وقد سال من ذلّ عليك قراقر^(٢)
ونسوتكم في الرّوع بادٍ وجوهها يُحْكَنَ إماء والإماء حرائر^(٣)
يسلخن بالليل الشوى بأذرع كأيدى السباع والرؤوس حواسر
أعيرتنا ألبانها ولحومها وذلك عازٍ يا ابنَ رِبطةَ ظاهر^(٤)
وإنا لثناشانا حقوقٌ ولم تكن تقربنا للمخزبات الأباير^(٥)
نحاي بها أكفأنا ونهينها ونشربُ في أعانها وقمار^(٦)
وتكسبها في غير عند أكفنا إذا عقدت يوم الحفاظ الدوائر

(١) الزعره : سوء الخلق (٢) المسلم : المخلول الذي لناصر له ، وقرقر اسم واد (٣) الرّوع هنا الحرب ، وقوله يظن إماء أى يحسبن إماء وكانت الحرة في ذلك الوقت تتشبه بالأمّة خوفاً على نفسها من السبى ، وقوله والإماء حرائر معناه أنكم تفرقتم حتى تركتم إماءكم فيما تركتم فصرن بمنزلة الحرائر (٤) عيره الأمر قال المجد ولا تقل عيره بكذا أى نسبته إلى العار والدم ، وظاهر أى زائل ، يريد عيرتنا البان الإبل ولحومها واقتناء الإبل مباح لأمحظور فيه وعاره ذاهب (٥) نحاي من المحابة وهى المعطاء ، والاكفاء جمع كفاء وهو النظير المماثل لك ، وقوله ونهينها أى للاضياف ومن يطلب القرى

وإنا لتقرى الضيف في ليلة الشتاء عظيم الجفان فوقهن الحواثر
والحواثر جمع حويز وهو الشحم الأبيض وبعد هذا ثلاثة أبيات آخر .
ثم أورد لسيرة الفقمسى أشعاراً كثيرة يخاطب بها ضمرة ويهجو بهها في
سياقه هذا نقص فإنه لم يذكر فيه وجه تسميره بالإبل ولا إلى أى شيء تم حالها
والله أعلم .

مناقرة جرير البجلي ومالده بن أوطاة الكلبي

قال ابن الأعرابي في نوادره : كان جرير بن عبد الله البجلي تنافر هو وخالده بن
أوطاة الكلبي إلى الأفرع بن حابس ، وكان عالم العرب في زمانه . والمناقرة المحاكمة
من النفر لأن العرب كانوا إذا تنازع رجلان منهم وادعى كل واحد أنه أعز من
صاحبه تحاكما إلى عالم فن فضل منها قدم نفره عليه ، أى فضل نفره على نفره . قال
الأفرع : ما عندك يا خلد ؟ فقال : نزل البراح ^(١) ، ونظمن بالرماح ، ونحن فتبان
الصباح ، فقال : ما عندك يا جرير ؟ فقال : نحن أهل الذهب الأصفر ، والأحمر المتصر ،
نخيف ولا نخاف ، ونظمن ولا نستظمن ، ونحن حتى قحاح ، نطعم ما هبت الرياح ،
نضمن الدهر ، ونصوم الشهر ، ونحن الملوك القسر . قال الأفرع : واللات والمزنى ،
لو نافرت قيصر ملك الروم ، وكسرى عظيم الفرس ، والتمنان ملك العرب
لنفرت عليهم ، وروى لنصرت عليهم . فقال عمرو بن خثارم البجلي في هذه المناقرة :

يا أفرع بن حابس يا أفرعُ إلى أنا أخوك فانظرن ما تصنع
إنك إن يصرع أخوك تصرعُ إلى أنا اللامى زلراً فاسموا
في باذخر من هز جد يفرع به يضر قادر وينفسع
وأدفع الضيم غناً وأمنع عزُّ الله شامخ لا يقمع
يتبعه الناس ولا يستتب هل هو إلا أذنب وأكرع

(١) يأتي شرح هذه الكلمة وما بعدها في الاصل .

وَزَمَعَ مُؤْتَشَبٌ جَمَعَ وَحَسَبٌ وَغُلٌ وَأَنْفٌ أَجْدَعُ

وقوله : يا أقرع بن حابس هو من الصحابة رضى الله تعالى عنهم ، وكانت هذه المنافرة في الجاهلية قبل إسلامه . والصرع : الهلاك . وزار : هو أبو قبيلة وهو زار بن معد بن عدنان . والباذخ : المالى يقال جيل باذخ بمجمتين . والمجد : المظمة والشرف . ويفرع : أى يملو كل عز وعبد ، يقال فرعت قوى ، أى علوتهم بالشرف ونحوه وهو بالقاء ومهملتين ، والآل : الأشد ولده غلبه في الخصومة والشامخ : المرتفع ، ويقمع : أى يقهر وينذل يقال قمه بالقاف والميم فاقمع ، وقوله هل هو الضمير لخالد بن أوطاة الكلبي . والأكرع جمع كراع بالضم وهو مستدق الساق استماره لأسفل الناس كالذئب . والزعم يفتح الزاى والميم هو رذال الناس ، يقال هو من زعم الناس ، أى من مؤخرهم . والمؤتَشَب يفتح الشين قال في الصحاح . فلان مؤتَشَب أى مخلوط غير صريح في نسبه ، والغول يفتح الواو وسكون المعجمة . قال في الصحاح : والغول النذل من الرجال . وأجدع بالجيم والدال المهملة مقطوع الأنف . وقوله نزل البراح يفتح اللوحدة والحاء المهملة المكان الذى لاستراحة فيه من شجرة وغيره وهو منزل الكرماء . وقوله : والأحر المتصر هو الحر . وقوله حتى لقاح يفتح اللام بعدها قاف . قال في الصحاح : يقال حتى لقاح للذين لا يدينون للولوك أو لم يُصبهم في الجاهلية سباً . وجبر بن عبد الله البجلي صابى وكان جليلاً .

قال عمر هو يوسف هذه الأمة وقممه عمر في حروب الرقاق على جميع بجملة وكان لهم أثر عظيم في فتح القادسية ثم سكن جبر الكوفة وأرسله على رسولاً إلى معاوية ثم اعتزل الثريخين وسكن قرقيساء حتى مات سنة إحدى وأربع وخمسين . وفي الصحيح أنه صلى الله تعالى عليه وسلم بمته إلى ذى أُنخلصة فهدهما وفيه قال ما حببني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسم ، كذا في الإِسَابَةِ لابن حجر . وخالد بن أوطاة الكلبي جاهل . وسياق ذكر ابن حابس

في الكلام على الحكم . وأما عمرو بن خنارم البجلي فهو جاهلي والله أعلم هذا على وجه الاختصار . وأما على وجه البسط فهو ما أورده أبو محمد الأعرابي في (فرحة الأديب) قال : أُمي علينا أبو الندى قال : كان سبب المنافرة بين جرير بن عبد الله البجلي وبين خالد بن أرملة بن خشين بن شيث الكلبي . أن كلباً أصابت في الجاهلية رجلاً من بجيلة يقال له مالك بن عتبة من بني عادية بن عامر بن قداد فوافوا به عكاظ فر المادى بأبن عم له يقال له القاسم بن عقيل ابن أبي عمرو بن كعب بن عريق بن الحويرث بن عبد الله بن مالك بن هلال بن عادية بن عامر بن قداد يأكل تمرأ فتناول من ذلك التمر شيئاً ليحرم به غنذه الكلبي . فقال له القاسم إنه رجل من عشرين فقال لو كانت له عشيرة مننته فانطلق القاسم إلى بني عمه بني زيد بن النوث فاستتبهم . فقالوا نحن متقطعون في العرب وليست لنا جماعة نقوى بها . فانطلق إلى آخر فاستتبهم فقالوا كلا طارت وبرة من بني زيد في أيدي العرب أردنا أن تبهما . فانطلق عند ذلك إلى جرير بن عبد الله البجلي فكلمه فكان القاسم يقول إن أول يوم أدريت فيه الثياب المصبغة والقباب الحمر اليوم الذي جئت فيه جريراً في قسر . وكان سيد بني مالك بن سعد بن زيد بن قسر وهم بنو أبيه فدعاهم في انتراع المادى من كلب فقبموه . فخرج يمشي بهم حتى هم على منازل كلب بمكاظ فانزع منهم مالك بن عتبة المادى وقامت كلب دونه . فقال جرير زعمتم أن قومه لا يعمونه فقالت كلب إن رجالنا خلوف . فقال جرير لو كانوا لم يدفعوا عنكم شيئاً . فقالوا كأنك تستطيل على قضاة إن شئت قايسناكم المجد وزعيم قضاة يومئذ خالد بن أرملة بن خشين بن شيث قال ميعادنا من قابل سوق عكاظ فجمعت كلب وجمعت قسر ووافوا عكاظ من قابل . وصاحب أمر كلب خالد بن أرملة فحكوا الأقرع بن حابس بن عقال بن عد بن سفيان بن عماش حكاه جميع الحيين ووضعوا الرهون على يدي عتبة بن ربيعة بن عبد شمس في أشراف من قريش . وكان في الرهن من قسر الأصرم بن عوف بن عوف

ابن مالك بن ذبيان بن ثعلبة بن عمرو بن يشكر بن هلي بن مالك بن صعد بن
نذير بن قسر ومن أحر حازم بن أبي حازم وصخر بن العلية . ومن بني زيد بن
الثوث بن أثمار وجل ثم قام خالد بن أرمطة فقال لجرير ما تجعل قال الخطر في يدك
قال ألف ناقة حمراء في ألف ناقة حمراء . فقال جرير ألف قينة عنراء في ألف
قينة عنراء . وإن شئت فألف أوقية صفراء لألف أوقية صفراء . قال من لي
بالوفاء ؟ قال كفيلك اللات والمزى وإساف وثائلة ويثوق وذو الخلصة ونسر .
فمن عليك بالوفاء قال ودومنة وقلس ورضا . قال جرير لك بالوفاء سبعون غلاماً
مُعماً مخوفاً يوضعون على أيدي الأكفاء من أهل الله . فوضعوا الزهن من بجيلة
ومن كلب على أيدي من سمينا من قريش . وحكوا الأقرع بن حابس وكان عالم
العرب في زمانه . فقال الأقرع ما عندك يا خالد ؟ فقال نزل البراح . ونظمن
بالرمح . ونحن فتيان الصباح . قال الأقرع ما عندك يا جرير ؟ قال نحن أهل النعب
الأصفر . والأحر المتصر . نخيف ولا نخاف . ونظلم ولا نستظلم . ونحن
حتى قحاح . نُظم ما هبت الرياح ، نظم الشهر . ونضمن الدهر . ونحن الملوك قسر .
قال الأقرع واللات والمزى لو فاخرت قيصر ملك الروم وكسرى عظيم فارس
والنعمان ملك العرب لنفرتك عليهم وأقبل نعيم بن حجة النمرى . وقد كانت قسر
ولده بفرس إلى جرير فركبه جرير من قبل وحشية^(١) قليل لم يحسن أن يركب
الفرس ، فقال جرير الخليل ميامن وإنا لا نركب إلا من وجوهها . وقد كان نادى
عمرو بن خثارم أحد بني جشم بن عامر بن قنادة فقال :

لا ينب اليوم فتي إلا كما يا ابني زار انصراً أخاك
إن أبي وجده أبا كما ولم أجذ لي نسباً سوا كما
فيث ربيع سبط ندا كما حتى يحل الناس في مرا كما
أنتم سرور عين من رآ كما قد ملئت فـا ترى سوا كما

قد فاز يومَ الفخر من دماكا ولا يمدُّ أحدُ حصاكا
وإن بنوا لم يُدركوا بناكا عِداً بناه لكأ أبأكا
ذاك ومن ينصرُهُ مثلاكأ يوما إذا ما سمرت ناراكا
وقال أيضاً

يا لنزار قد نبي في الأخشب دعوة داع دعوة الثوب^(١)
يا لنزار ثم فاسى واركي يا لنزار ليس عنكم مذهي
إن أبأكم هو جدى وأبى لم ينصر الولي إذا لم تنصبي
يا لنزار إننى لم أكذب أحسابكم أخطرتها وحسبي
ومن تكونوا عزه لا يفلب ينمى إلى عز هجان مصعب
كأنه في البرج عند الكوكب

وقال أيضاً

يا أقرع بن حابس يا أقرع إلى أخوك فانتظرن ما نصنع
إنك إن يصرع أخوك نصرع إلى أنا الداعي نزار فاسموا
لى باذخ من عزه ومفرع به يضرب قادر وينفع
وأدفع الضيم عداً وأمنع عز الدَّ شامخ لا يقيم
يقيم الناس ولا يستتبع هل هو إلا ذنب وأكرع
وزممع مؤنَّشَّب مجمع وحسب وغل وأنف أجدع
وقال أيضاً

يا أقرع بن حابس يا أقرع إنك إن يصرع أخوك نصرع
إلى أنا الداعي نزاراً فاسموا في باذخ من عزه ومفرع
قم قائماً تمتَّ قُل في الجمع للره أوطاة أيا ابن الأفدع
ها إن ذا يوم علا ومجم ومنظر لمن رأى ومسمع

(١) الأخشب : اسم جبل

فنفره الأعرع بمضر وريمة ولولاه نفر السكبي ، وكانت القرابة بين بجيلة وولده زرار .
أن أراش بن عمرو بن النوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب
بن يعرب بن قحطان خرج حاجاً فتزوج سلامة بنت أثمار بن زرار . وأقام معها في الدار
بنور تهامة فأولدها أثمار بن أراش ورجالا فلما توفي أراش وقع بين أثمار بن أراش
وإخوته اختلاف في القسمة فتنحى عن أخويه ، وأقام أخويه في الدار مع أخوالهم ،
وتزوج أثمار بن أراش بهند بنت مالك بن غافق بن الشاهد فولدت أقتل وهو خشم .
ثم توفيت فتزوج ببجيلة بنت صعب بن سعد المشيرة فولدت له عبقر ، فسمنه باسم
جدها وهو سعد ولقب بعبقر لأنه ولد على جبل يقال له عبقر وولدت أيضاً النوث
ووادعة وصهبية وحزعة وأشهل وشهلاء وسنية وطريقاً وفهماً وخدعة والحارث ، انتهى
ما أورده أبو محمد الأعرابي والله أعلم .

منافرة القمقاع بن زرارة بن مالك

إن القمقاع بن زرارة بن عدس ، وخالد بن مالك بن ربي بن سلم بن جندل
ابن نهشل تنافرا إلى أكرم بن صيفي أيهما أكرم وجلا بينهما مائة من الإبل لمن
كان أكرمهما . فقال أكرم : سفهان يريدان الشر وطلب إليهما أن يرجعا عما
حاءا له فأبيا فبث معهما رجلا إلى ربيعة بن حُندار . وحبس لإبهما التي تنافرا
عليها مائة ومائة . وقال : انطلقا مع رسولى هذا فإنه (قتل أرضاً عالمها ،^(١) وقتلت
أرض جاهلها) فأرسلها مثلاً . فلما قدما على ربيعة وأخبراه بما جاء له قال ربيعة
للقمقاع : ما عندك يا قمقاع ؟ قال : أنا ابن معبد بن زرارة وأمى مصادة بنت ضرار
رأس من أممى عشرة ومن أخوالى عشرة وهذه قوس عمى رهنها عن العرب
وجدى زرارة أجار ثلاثة أملاك بعضهم من بعض قال : وفي ذلك يقول الفرزدق :

(١) أصل القتل التذليل ومنه قتل الخمر وهو مزجها بالماء والمراد بالمثل
أن الرجل العالم بالأرض عند سلوكها بذلل الأرض وبطلبها بعلمه فلم يضل ولم
يهلك ، يضرب في مدح العلم وقتلت أرض جاهلها في مقابلة قتل أرضا عالمها
يضرب لمن يباشر أمراً لا يعلم له به .

• منا الذى جمع الملوك وبينهم حرب يشب سعيها بضرام
ثم قال ربيعة لخالد بن مالك : ما عندك يا خالد ؟ قال أنا ابن مالك . قال :
لم تصنع شيئاً . ثم ابن من ؟ قال : ابن ربيعة . قال : لم تصنع شيئاً . ثم ابن من ؟
قال : ابن سلم . قال الآن . فن أمك ؟ قال : قردعة . قال ابنة من ؟ قال : ابنة
مندوس . قال ربيعة للقمعاق : قد نفرتك يا ابن الضبية . فقال خالد . أتجعل ابن
معبد بن زرارة كمثل ابن سلم بن جندل فقال ربيعة : (ما جُعلَ العبد كَرَبَّةً)
فأرسلها مثلاً .

منافرة هاشم بن عبد مناف وأمية بن عبد شمس

كان هاشم بن عبد مناف أحد أجداد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد تولى
أمر مكة بعد أبيه وساد قومه بما كان عاينه من محاسن الأخلاق ، وجليل الشيم ،
وكمال الشجاعة ، ووافر الكرم ، وغاية الفصاحة ، وغير ذلك من الصفات الفاضلة
التي لم يطاوله بها أحد . وهو أول من سن الرحلتين لقريش رحلة الشتاء إلى اليمن
ورحلة الصيف إلى الشام وهو الذى كان يقوم بأمر الناس في السنين الفحطلة ويطعمهم
أحسن الطعام ، ولذلك لهجت السنة العرب على اختلافهم في القبائل بالنساء
عليه ، فعند ذلك حسده ابن أخيه أمية بن عبد شمس بن عبد مناف حيث عجز عن
محاكاته في صنيعه ومباراته في شيمه حتى شتم به أناس كثيرون من قريش . فقال فيه
وهب بن عبد قصى :

تحمل هاشم ما ضاق عنه وأعيان أن يقومَ به برىض
أناهم بالفرار متقلاتٍ من الشام بالبر البنيض
فأوسع أهل مكة من هشيم وشاب اللحم باللحم الفريض^(١)

ونشبت العداوة بين أمية وهاشم وأراد منافرة ففكره هاشم ذلك لنسبه

(١) الفريض : الطرى .

وقدره . فلم تدعه قريش حتى نافر به إلى الكاهن الخزاعي في خمسين ناقة سود الحديق ينجرها ييطان مكة والجلاء من مكة عشر سنين فخرج كل منهما في نفر فزلوا على الكاهن فقال قبل أن يخبروه خبرهم : والقمر الباهر ، والكوكب الزاهر ، والنام الساطر ، وما بالجو من طائر ، وما اهتدى بلم مسافر ، من منجد وغائر ، لقد سبق هاشم أمية إلى الفاخر . ففر الخزاعي هاشماً وقال لأمية : تنافر رجلاً هو أطول منك قامة ، وأعظم منك هامة ، وأحسن منك وسامة ، وأقل منك لامة ، ، وأكثر منك ولماً ، وأجزل منك صفراً ؟ قال أمية : من اتسكات الزمان أن جعلناك حكماً . فأخذ هاشم الإبل فنجرها وأطعمها من حضره ، وخرج أمية إلى الشام فأقام بها عشر سنين . فكانت هذه أول عداوة وقت بين هاشم وأمية وسيأتي لهاثم ذكر في مبحث حكم العرب ، وما قاله عند تنافر قريش وخزاعة عنده إن شاء الله تعالى .

مظام العرب في الجاهلية

الحاكم منفذ الحكم كالحكم بحركة جمه حكم . وحكام العرب علماء من الذين كانوا يحكمون بينهم إذا تشاجروا في الفضل والمجد وهو الحسب والنسب وغير ذلك من الأمور التي كانت تقع بينهم وكان لكل قبيلة من قبائلهم حكم يتحاكون إليه وهم كثيرون لا يسمهم الحصر ونحن نذكر منهم من وجدناه فيا عندنا من كتب الأدب ، منهم :

أكرم بن صيفي بن رباح^(١)

كان أكرم بن صيفي حكماً من حكم تميم فصيحاً عالماً بالأنساب ، وكان من حديثه أنه لما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ودعا إلى الإسلام بعث أكرم ابنه حَبِيشاً قائماً بخبره فجمع بني تميم وقال . يا بني تميم لا تحضروني سفياً فإنه .

(١) أقول ومن الحكماء أيضاً عيينة بن حصن بن خديفة وحرمة بن الأشعر المري وهرم ابن قطبة بن سنان بن عمرو الفزاري وشر الله بن عبد الله بن جبان وأبو سفيان بن حرب بن أمية وأبو جهل بن هشام وأنس بن مدركة .

من يَسْمَعُ يَخْلُ^(١) إن السفية يوهن من فوقه ويثبت من دونه ، لا خير فيمن لا عقل له ، كبرت سني ودخلتني ذلة ، فإذا رأيتم مني حسناً فاقبلوه ، وإن رأيتم مني غير ذلك فقوموني أستقيم ، إن ابني شافه هذا الرجل مشافهةً وأنا في بخره وكتابه يأمر فيه بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويأخذ فيه بمحاسن الأخلاق ، ويدعو إلى توحيد الله تعالى وخلع الأوثان ، وترك الحلف بالنيران . وقد حلف ذوو الرأي منكم أن الفضل فيما يدعو إليه ، وأن الرأي ترك ما ينهى عنه . إن أحق الناس بمعونة (محمد) ومساعدته على أمره أنتم ، فإن يكن الذي يدعو إليه حقاً فهو لكم دون الناس ، وإن يكن باطلا كنتم أحق الناس بالكف عنه والستر عليه ، وقد كان أسقف نجران^(٢) يحدث بصفته ، وكان سفيان بن بحاشع يحدث به قبله ، وسمى ابنه محمداً فكونوا في أمره أولاً ولا تكونوا آخراً . اثبتوا طائفتين قبل أن تأتوا كارهين ، إن الذي يدعو إليه محمد لو لم يكن ديناً كان في أخلاق الناس حسناً أطيعوني وأطيعوا أمرى أسأل لكم أشياء لا تنزع منكم أبداً وأصبحتهم أمراً حتى في الرب ، وأكثرهم عدداً ، وأوسعهم داراً ، فإن أرى أمراً لا يحبته عزيز إلا ذل ، ولا يلزمه ذليل إلا عز ، إن الأول لم يدع للآخر شيئاً وهذا أمر له ما بعده ، من سبق إليه غمر المال واقتدى به التالى والعزيمة حزم والاختلاف عجز . قال مالك بن نويرة : قد خرف شيخكم . قال أكرم ويل للشجى من الخلى^(٣) ، ولحقى على أمر لم أشهد ولم يسبقني فذهب مثلاً .

(١) المعنى أن من يسمع الشيء ربما ظن صحته ، وقيل من يسمع أخبار الناس ومعايهم يقع في نفسه عليهم المكروه أى أن المجانبة للناس أسلم ، ومفعولاً يخل محذوفان أى يخل مسموعه صادقاً على ما في كتب النحو ، قال الكميت :

فإن تصغ تكفاء العداة آناءنا وتسمع بنا أقوالاً اغدائنا يخل
(٢) هو قس بن ساعدة أحد بل أوحى حكماء العرب وبأهائهم — راجع
الجزء الثانى من هذا الكتاب — (٣) يضرب مثلاً لسوء مشاركة الرجل صاحبه ، يقول أن الخلى لا يساعد الشجى على ما به ويلومه ، والخلى الخالى من الهم ويأوه مشددة وياء الشجى مخففة وقد تشدد ، وقيل أن أول من قاله لقمان وقصته في صغراهن شراهن وقيل بل أن أول من تكلم به أكثم بن صيفى لما اتاد ابنه من عند رسول الله (ص) بكتاب فدعى قومه وحرضهم على الإسلام

قال الدائى : أول من قال ذلك أكرم بن صيفى التيمى ومن كلامه : مقتل الرجل بين فكيه . والمقتل القتل وموضع القتل أيضاً . ويجوز أن يحمل اللسان قتلا مبالغة في وصفه بالإفناء إليه ، كما قال الشاعر : (فإنما هى إقبال وإدبار) ويجوز أن يحمل موضع القتل أى في سببه يحصل القتل . ويجوز أن يكون بمعنى القاتل فالمصدر ينوب عن الفاعل كأنه قيل قاتل الرجل بين فكيه . قال الفضل : أول من قال ذلك أكرم بن صيفى في وصيته لبنيه وكان جمعهم فقال : تباروا فإن البر يبقى عليه المدد ، وكفوا ألسنتكم فإن مقتل الرجل بين فكيه . إن قول الحق لم يدع لى صدقاً . الصدق منجاة . لا ينفع التوقى مما هو واقع . وفى طلب المال يكون العناء . الاقتصاد فى السى أبقى للحمام . من يأس على فاته ودع بدنه . ومن قنع^(١) بما هو فيه قرت عينه . التقدم قبل التندم . أصبح عند رأس الأمر أحب إلى من أن أصبح عند ذنبه . لم يهلك من ماله ما وعظك . ويل لعالم أمر ومن جاله . يتشابه الأمر إذا أقبل . وإذا أدبر عرفه الكيس والأحمق . البطر عند الرخاء حق . والعجز عند البلاء أغنى . أى نقص . لا تنضبوا من اليسير فإنه يحنى الكثير . لا تحببوا فيما لم تسألوا عنه . ولا تضحكوا مما لا يضحك منه . تناموا فى الديار ولا تباعضوا فإنه من يجتمع يتقمع عمده . أزموا النساء المهانة . نعم لهو الحرة المنزل . حيلة من لا حيلة له الصبر ، إن تعيش تر ما لم تره .

فقال مالك بن نويرة قد خرف شيخكم انه ليدعوكم الى الفناء ويعرضكم على البلاء ان تجيبوه تفرق جماعتكم وتظهر اضعافكم ويدل عزيزكم فمهلاً مهلاً فقال اكثم بن صيفى : ويل للشجى من الخطى فيالهف نفسى على امر لم ادركه ولم يفتنى مالى عليك بل على العامة يامالك انك هالك وان الحق اذا قام دفع الباطل وصرعه صرعى قياما فتبعه مائة من عمرو وحظالة وخرج الى النبى (ص) فلما كان فى بعض الطريق عمدا جبيش الى رواطهم فحصرها وشق ما كان معهم من قربة وهرب فاجهد اكثم العطش فمات واوصى من معه باتباع النبى (ص) واشهدهم انه اسلم فانزل الله فيه : ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدرکه الموت فقد وقع اجره على الله .
١١١ قنع بالكسر قنوعا وقناعة اذا رضى واما قنع بالفتح فمعناه سأل وما احسن ما قال بعضهم :

العبد حر ان قنع والحر عبد ان قنع
فانقنع ولا تقنع فما شيء يشين سوى الطمع

المكثار كخاطب ليل . من أكثر أسقط . لا تجملوا سرّاً إلى أمة . فهذه تسعة وعشرون مثلاً كلها من كلام أكرم . وقد أحسن من قال في معنى قوله (مقتل الرجل بين فكّيه) : رحم الله امرأ أطلق ما بين فكّيه ، وأمسك ما بين فكّيه . والله درّ أبي الفتح البستي حيث يقول في معنى هذا المثل أيضاً :

نكلم وسدّد ما استطعت فإنما كلامك حيّ والسكرت جاد
فإن لم تجد قولاً سديداً تقوله فصمتك عن غير السديد سداد

واحذاه القاضى أبو أحمد منصور بن محمد الهروى فقال :

إذا كنت ذاعلم وما راك^(١) جاهل فأعرض في ترك الجواب جواب
وإن لم تصب في القول فاسكت فإنما سكوتك عن غير الصواب صواب
وضمن الشيخ أبو سهل النبيل شرائط الكلام في قوله حيث يقول :

أوصيك في نظم الكلام بخمسة إن كنت للوصى الشفيق مطيعاً
لا تُنفكن سبب الكلام ووقته والكيف والكم المكان جميعاً
وقد ذكرت نبذة من كلام أكرم مع كسرى وما خطب به فيما سبق ، وسيأتى إن شاء الله في الخطب شئ منه . ومنهم :

ماجب بن زرارة بن عرس التميمى

كان حاجب أيضاً من حكام تميم ، وله معرفة تامة بأخبار العرب وأحوالها وأنسابها وكان من مشاهير فصحاء زمانه وبلغائهم ، ومن المروفين بالوفاء بين العرب . وفد على كسرى لما منع تمبا من ريف المراق فاستأذن عليه فأوصل إليه فقال : أسيد العرب أنت ؟ قال : لا . قال : فسيد مضر ؟ قال : لا . قال : فسيد بنى أبيك أنت ؟ قال : لا . ثم أذن له فلما دخل عليه قال له : من أنت ؟ قال : سيد العرب . قال : أليس قد أوصلت إليك أسيد العرب . فقلت : لا . حتى

(١) أى جاد لك وخاصمك .

اقتصرت بك على بنى أليك . قلت : لا . قال له : أيها الملك ألم أكن كذلك حتى دخلت عليك فلما دخلت عليك صرت سيد العرب . قال كسرى : آه املاؤا فاه دراً . ثم قال : إنكم معشر العرب عُذُر فإن أُذِنْتُ لَكُمْ أفسدتم البلاد ، وأغرستم على العباد ، وأذيتموني . قال حاجب فإني ضامنٌ لذلك أن لا يفعلوا . قال : فمن لى بأن تبنى أنت ؟ قال : أرهنتك قومى . فلما جاء بها ضحك من حوله وقالوا : لهذه المصايف . قال كسرى : ما كان ليسلمها لشيء أبداً فقبضها منه وأذن لهم أن يدخلوا الريف . ثم إن مضر أتت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله هلك قومك ، وأكلتهم الضبع يريدون الجوع . والعرب يسمون السنة الضبع والذئب . قال جرير (من ساقى السنة الشهباء والذئب)^(١) وقال آخر :

أبا خُرَاشَةَ أما أنت ذا نفرٍ فإن قومى لم يأكلهم الضبعُ^(٢)

فدعا لهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأحيوا . وقد كان دعا عليهم فقال : « اللهم اشدّدْ وطأتك على مضر ، وابث عليهم سنين كسرى يوسف » . ومات حاجب بن زرارَةَ فارتحل عطارد بن حاجب إلى كسرى يطلب قوس أبيه . فقال له : ما أنت الذى رهنتها . قال : أجل ، قال : فما فعل ؟ قال : هلك وهو أبى وقد وفى له قومه ووفا هو للملك فردها عايه وكساء خلة . فلما وفد إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عطارد بن حاجب وهو رئيس تميم وأسلم على يديه أهداها للنبي

(١) قبله : اباوى اليك فلا من ولا جحد . والبيت من قصيدة له يمدح بها ليوب بن سليمان ابن عبد الملك ومعناه اباوى اليك اهل الحاجة الذين ساقتهم السنة الشهباء وهى التى لاخضرة فيها اولا مطر والذئب اى الجوع .
(٢) نسبة الزمخشري فى المفصل الى ابي ذؤيب الهذلى ونسبه غير واحد الى الصاسى بن مرداس من ابيات بخطاب بها خفاف بن ندبة السلمى ، وابو خراشة كنية خفاف بن ندبة . والنفر فى اصل معناه اسم لما دون العشرة والمراد هنا القوم والجماعة والضبع السنة المجذبة : قبل ان ذلك اسم لها وقيل بل اطلاقه عليها على سبيل التشبيه كانه سبه نقص السنة المجذبة لن تاتى عليه باكل الضبع وهذا البيت من شواهد النحو والشاهد فى اما أنت حيث حذف فيه كان بعد ان المصدرية .

صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يقبلها فباعها من رجل من اليهود بأربعة آلاف درهم . وهذه رواية ابن عبد ربه في المقد الفريد . وقال الإمام الرزوقي : وقد روى القصة بأبسط مما ذكر . كان السبب في ذلك أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان دعا على مضر وقال : « اللهم اشد وطأتك على مضر ، وابعث عليهم سنيناً كسنى يوسف » فتوات الجدوبة عليهم سبع سنين ، فلما رأى حاجب الجهد على هومه جمع بنى فزاره وقال : إني أزمعت^(١) على أنى آتى الملك بمعنى كسرى فأطلب أن يأذن لقومنا فيكونوا تحت هذا البحر حتى يمحووا . فقالوا : رشدت فأفل غير أنا نخاف عليك بكر بن وائل . فقال : ما منهم وجه إلا ولى عنده بذ إلا ابن الطويلة التميمي وسأدويه . ثم ارتحل فلم يزل ينتقل في الاتحاف والبر من الناس حتى انتهى إلى الماء الذى عليه ابن الطويلة فنزل ليلاً فلما أضاء التجرد دعا بنطع^(٢) ثم أمر فصب عليه التمر ، ثم نادى حى على النداء فنظر ابن الطويلة . فإذا هو بحاجب ، فقال لأهل المجلس : أجيئوه . وأهدى إليه جزراً ، ثم ارتحل فلما بلغ كسرى شكاً إليه الجهد في أموالهم وأنفسهم وطلب أن يأذن لهم فيكونوا في حد بلاده . فقال : أنتم معشر العرب فذُر فإذا أذنت لهم عاوا^(٣) في الرعية وأغاروا . قال حاجب : إني ضامن للملك أن لا يفعلوا . قال : فمن لى بأن تفى أنت . قال : أرهنتك قوسى . فلما جاء بها ضحك من حوله ، فقال الملك ، ما كان ليسلها اقتبضوها منه . ثم جاءت مضر إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موت حاجب فدعا لهم بفرج أصحابه إلى بلادهم وارتحل عطارد ابن حاجب إلى كسرى يطلب قوس أبيه . فقال : ما أنت بالثى وضمتها . قال : أجل إنه هلك وأنا ابنه وفى للملك . قال ردوا عليه وكساه حلة . فلما وفد إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أهداها إليه فلم يقبلها فباعها من يهودى بأربعة آلاف درهم فصار ذلك نغراً ومنقبة لحاجب وعشيرته . وإلى هذه القوس أشار أبو تمام يمدح بها أبا دلفجر السجلى :

(١) يقال أزمعت الأمر وعليه أى اجمعت أو ثبت عليه كزمعت بالتشديد

(٢) هو بالكسر وبالفتح وبالحريك وكعنب : بساط من الادم

(٣) أى أفسدوا

على مثلها من أَرْبَعٍ وملاعٍ تَذال مصونات الموع السواك^(١)
أقول لقرحان من البين لم يجد رسيس الهوى بين الحشا والترايب^(٢)
أعنى أفرق شمل دمي فإني أرى الشمل منهم ليس بالمتقارب
إلى أن قال

إذا العيسُ لاقَتْ أبى دُلفٍ قد تَقَطَّعَ ما بيني وبين النوايب^(٣)
هنالك تلقى الجود حيث تَقَطَّعَتْ تمامه والمجدُ مرخى النوايب^(٤)
تكاد عطاياه يبحنَ جنونها إذا لم يموِّدها بنعمة طالب^(٥)
يرى أقبَحَ الأشياءِ أوبَّهَ أملَ كسبه يذُ المأمولَ حلَّةَ خائب^(٦)
وأحسنَ من نورٍ يَفْتَحُه النَّدَى بياضُ العطايا في سوادِ المطالب^(٧)
إذا أَلَمَتْ يوماً الحميمَ وحولها بنو الحسنِ نجلِ المحصناتِ النجائب^(٨)
فإنَّ للنايا والصوارمَ والقنا أقرَّبهم في الرَّوعِ دونَ الأثوابِ
جَحَافِلَ لا يترُكْنَ ذا جبرية سليماً ولا يحرِّبْنَ من لا يحارب^(٩)
يمدُّونَ من أيدٍ عواصِرِ عواصِرِ نصولٍ بأسيافٍ قواصِرِ قواصِرِ^(١٠)

(١) الأربع : المنازل ، وتذال . تحتقر وتهان ، ويروى تدليل واهينت أيضا
(٢) قرحان : سالم ، والبين الفراق ، والرسيس : الثابت ، والترايب عظام
الصدر (٣) العيس : الأبل البيض بشقرة ، والنوايب . المصائب (٤) التمام :
خبرات رقط تملق في عنق الصبي لدفع العين والمفرد تميمه ، وفي الحديث
من علق تميمه فلا أتم الله له % والجود : الكرم ، والدوايب : النواصي وهي
قصاصات السمر (٥) هذا البيت انتقد به على أبي تمام حتى قال بمضهم
ومباله بنسبها الى الجنون ولبتمس لها العوذ والرقى هلاكك أسارها وعجل
خلاصها ولم يشظر بها نعمة الطالب ففعل كما قال المتنبي :

وعطاء مال لو عداد طالب انفقته في أن تلاقى طلبا

(٦) الأوبة : الرجعة ، والحلة ثوبان : وهنا استمارة . ١٧١ : النور : زهر
النتب ، والصبا الريح الشرقية ، وهذا البيت من احسن النسيواهد على
المقابلة من صناعة البديع ، وهو مأخوذ من قول الاخطل :

راينا بياضا في سواد كأنه بياض العطايا في سواد المطالب

(٨) النجل التسل ويطبق على الولد : والمحصنات : الحرائر العفيفات .
(٩) الجحافل : الجيوش وذا جبرية أي منجبرة ، وبحرين : يسلبن .
(١٠) عواصم : موانع ، وقواص قاضيات . وقواص : قواطع ، وهذا
البيت يستشهد به في البديع على الجناس الناقص الطرف

إذا اقتحرت يوماً تميم بقومها نفاراً على ما وُلدت من مناقب^(١)
فأنتم بنى قارِ أمالت سيوفكم عروش الذين استرهنوا قوس حاجب
يقول إذا اقتحرت تميم بذلك ، فأنتم قتلتم الذين أكسبهم هذا الجدم ،
أرّهنوه وهدمتم عزمهم . وإنا يمين وقمة ذى قار حين قتلت بنو شيان العجم
ونسكتوا فيهم . وكان رئيسهم سيار بن حنظلة العجلي ، وأبو دُلف عجلي فلذلك
خاطبه بهذا ، ومنهم :

الأفرع بن حابس البرعينة التميمي

كان الأفرع بن حابس بن عقّال بن محمد بن سفيان التميمي الجهاشي الداري
من حكام تميم ومرجعهم في واقعاتهم ومناقراتهم . قال ابن إسحق : وفد على
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وشهد فتح مكة وَحَنِينًا والطائف ، وهو من المؤلفة
قلوبهم وقد حسن إسلامه . وقال الزبير في النسب : كان الأفرع حَكَمًا في الجاهلية ،
وقد نادى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من وراء الحجرات يا محمد فلم يجبه . فقال :
والله يا محمد إن هدى لزين ، وإن دى لشين . فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم : ذلكم الله . وروى ابن شاهين من طريق الدائني ، قال : لما أساب عيينة بن
حصن بنى النضر قدم وفدهم فذكر القصة وما فيها فكلم الأفرع بن حابس رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم في السبي . وكان في المدينة قبل قدوم السبي فنازعه عيينة
ابن حصن . وفي ذلك يقول :

وعند رسول الله قام ابن حابس
له أطلق الأسرى التي في قيودها منلة أغنائها في الشكائم^(٢)
وشهد الأفرع مع شرحبيل بن حسنة دومة الجندل وشهد مع خالد حرب

(١) وُلدت تميمت .

(٢) الشكائم جمع شكيمة وهي في اللجام الحديدية المعترضة في فم الفرس
فيها القاس .

أهل العراق وفتح الأنبار . وقال ابن دريد : اسم الأقرع بن حابس فراس ، وإنما قيل له الأقرع قرع كان برأسه وكان شريفاً في الجاهلية والإسلام واستعمله عبد الله ابن عامر على جيش سيره إلى خراسان فأصيب بالجوزجان هو والجيش ، وذلك في زمن عثمان . وذكر ابن الكلبي : أنه كان مجوسياً قبل أن يسلم . وذكر الرضى الشاطبي : أنه قتل الأقرع بن حابس باليرموك في عشرة من بيته والله أعلم . ومنهم :

ريسة بن مخاشن التميمي

كان من حكام تميم وإليه المرجع في عصره حيث كان عالمهم وافتقاراً على أنساب قومه وغيرهم من قبائل العرب مقدراً لمراتبهم ، ومع ذلك كان من أفصح أهل زمانه ومن الخطباء المشهورين مضيافاً شجاعاً لا يمدل قومه عن رأيه ولا يقطعون أمراً دونه . وهو أحد بني أسيد بن عمرو بن تميم وبنتو تميم يزعمون أنه هو الذي أوّل من قرعت له العصا . وقد ذكرنا الخلاف في ذلك عند الكلام على ذكاء العرب . ومنهم :

ضمرة بن ضمرة التميمي

كذلك كان من حكام تميم وإليه يتنافرون وعنده يتحاكمون لا يرون في وقته كراهية رأياً ، ولا يستغنون عن مشورته في وقائعهم وآيامهم لوقوفهم على ما كان عليه من غزارة العقل وذكاء القطنة وطلاقة اللسان وكرم السجية وخبرته بأحوال العرب وأنسابهم . وفي القاموس : أنه ضمرة بن أبي ضمرة وصوابه ما ذكرناه كما نبه عليه شارحه الزبيدي . وفي مجمع الأمثال للميداني عند قولهم : « إن العصا قُرِعت لذي الحلم » أن ضمرة حكم فأخذ رشوة ففقد . ومنهم :

عامر بن الظرب المرواني

كان عامراً هذا من حكام قيس ، وقد ذكرنا في ذكاء العرب أن أبا عبيدة

قال : أول من قرعت له العصا عامر بن الظرب ، والقصة هناك . وكانت العرب لا تعدل بفهمه فهماً ، ولا بحكمه حكماً ، وفي كتاب مجمع الأمثال : يُقال إنه عاش ثلاثمائة سنة ، ثم ذكر ما يدل على ذلك من شعره ، وقد قلناه سابقاً مع نبذة من خبره . وكان عامر من فصحاء العرب . ومن كلامه : رَبِّ أَكَلَةٍ تَمْنَعُ أَكَلَاتِ . قال المفضل : أول من قال ذلك عامر بن الظرب المدونى ، وكان حديثه أنه كان يدفع بالناس فى الحج فَوَآهَ ملك من ملوك عَسَّانَ فقال : لا أترك هذا المدونى أو أذله فلما رجع الملك إلى منزله أرسل إليه أحب أن تزورنى فأحْبُوك وأُكْرِمْكَ واتخذك خِلاً . فأتاه قومه فقالوا : آتِفِدُ وَيَقْدُ مِمَّك قَوْمَكَ إِلَيْهِ فَيُصِيبُونَ بِجَنْبِكَ وَيَتَجَهَّوْنَ بِجَاهِكَ نَفْرَجَ وأخرج معه نفرأ من قومه ، فلما قدم بلاد الملك أكرمهم وأكرم قومه . ثم انكشف له رأى الملك فجمع أصحابه وقال : « الرأى نائم والموى يقظان ، ومن أجل ذلك يثلب الموى الرأى عجبت حين عجلم ولن أعود بعدها ، إنا قد توردنا بلاد هذا الملك فلا تسبقونى بِرَيْثٍ ^(١) أمر أقيم عليه ولا بمجلة رأى أخف معه فإن رأى لكم » فقال قومه ، لقد أكرمنا كما ترى وبعد هذا ما هو خير منه . قال : لا تمجلوا فإن لكل عام طاماً رَبِّ أَكَلَةٍ تَمْنَعُ أَكَلَاتِ فكثروا أياماً . ثم أرسل إليه الملك فحدث عنده . ثم قال له الملك : قد رأيت أن أجملك ناظراً فى أمورى . فقال له : إن لى كثر علمى لست إلا به تركته فى الحى مدفوناً وإن قوى أضناء بى فا كتب لى سجلاً ببجاية الطريق فىرى قومى طمماً تطيب به أنفسهم فاستخرج كنزى وأرجع إليك وافرأ . فكتب له بما سأل ، وجاء إلى أصحابه فقال : ارحموا ، حتى إذا أدبروا وقالوا : لم نر كاليوم وافتد قوم أقل ولا أبعد من نوال منك . فقال : مهلاً فليس على الرزق فوت ، وغنم من نجى من الموت ، ومن لا يرى باطناً ، يمش واهناً ، فلما قدم على قومه أقام فلم يكد .

ومن كلامه أيضاً : « رب زارع لنفسه حاسد سواء » قال ابن الكاكي : أول

من قال ذلك عامر بن الظرب ، وذلك أنه خطب إليه صمصمة بن معاوية ابنته فقال : « يا صمصمة إنك جئت تشتري مني كبدى ، وارحم ولدى عندى ، منعك أو يمتك ، النكاح خير من الأئمة ، والحسيب كف الحسيب ، والزوج الصالح يمدُّ أباً ، قد أنكحتك خشية أن لا أجد مثلك » ثم أقبل على قومه فقال يا معشر عدوان أخرجت من بين أظهركم كريمتكم على غير رغبة عنكم ، ولكنه من خطِّ له شيء جاءه ، رب زارع لنفسه حاصد سواه ، ولولا قسم المخطوط على غير الجدود ، ما أدرك الآخر من الأول شيئاً يمشى به ، ولكن الذى أرسل الحيا^(١) أثبت الرعى ، ثم قسمه أكلا لكل فم بقلة ، ومن الناء جرة ، وإنكم ترون ولا تعلمون ، لن يرى ما أمفُّ لكم إلا كل ذى قلب واع ، ولكل شيء راع ، ولكل رزق ساع ، ما أكْبِسُ وما أحمق ، وما رأيت شيئاً قط إلا سمعت حسه ، ووجدت مسه ، وما رأيت موضوعاً إلا مصنوعاً ، وما رأيت جائياً إلا داعياً ولا غائماً إلا خائباً ، ولا نعمة إلا ومعها بؤس ، ولو كان يميت الناس الداء لأحيام الهواء ، فهل لكم فى العلم العالِم ؟ » قيل : ما هو قد فات فأصبت وأخبرت فصدقت ؟ قال : « أرى أموراً شتى وشيئاً شياً حتى يرجع للبيت حيا ، ويعود الاشياء شيئا ، ولذلك خافت الأرض والسماء » فتولوا عنه راجعين ، قال : وَيَلْمُهَا نَمِيحَةً لو كان من يقبلها . ومن كلامه أيضاً : « من طلب شيئاً وجده » وفى مجمع الأمثال للبيداني أن أول من قال ذلك : عامر بن الظرب وكان سيد قومه فلما كبر وخشى عليه قومه أن يموت اجتمعوا إليه فقالوا : إنك سيدنا وقائنا وشريفنا فاجعل لنا شريفاً وسيداً وقائلاً بمدك . قال : (يا معشر عدوان كلتموني بنياً إن كنتم شرقتموني فإني أريتكم ذلك من نفسى فإني لكم مثلى . افهموا ما أقول لكم إنه من جمع بين الحق والباطل لم يجتمعا له وكان الباطل أولى به ، وإن الحق لم يزل ينفر من الباطل ، ولم يزل الباطل ينفر من الحق ، يا معشر عدوان

لا تسمتوا بالنلة ولا تفرحوا بالعزة فبكل عيش يعيش الفقير مع الننى ومن ير يوماً
ير به ، وأعدوا لكل أمر جوابه ، إن مع السفاهة الندامة ، والعقوبة نكال
وفيها ذمامة ، ولليد العليا العاقبة والقود راحة لا عليك ولا لك ، وإذا شئت وجدت
مثلك إن عليك كما أن لك ، وللشكرة الرعب ، وللصبر الغلبة ، ومن طاب شيئاً
وجده ، وإن لم يجده يوشك أن يقع قريباً منه ، ومنهم :

غيدون بن سلمة الثقفي

وهو غيلان بن سلمة بن مقطب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف
ابن ثقيف وصي أبو عمرو جدّه شرحبيل : قال المرزباني في مجمع الشعراء : غيلان
شريف شاعر أحد حكام قيس في الجاهلية .

« وأنشد له »

لم ينقص مني المشيبُ قلامة^(١) الآن حين بدا ألبٌ وأكيسُ
والشيب إنَّ يحلل فإنَّ وراءه عمراً يكون خلاله مقنفس

وفي مجمع الأمثال للبيدائي : غيلان بن سلمة الثقفي من حكام قيس ، وكانت
له ثلاثة أيام يوم يحكم بين الناس ، ويوم ينشد فيه شعره ، ويوم ينظر فيه إلى جماله ،
وجاء الإسلام وعنده عشر نساء فخيرهن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاختر أرباً .
وعده أيضاً صاحب القاموس من حكام قيس . وأسلم بعد فتح الطائف ، وكان
أحد وجوه ثقيف وأسلم أولاده عامر وعمار ونافع وهو أحد من نزل فيه قوله تعالى
(على رجل من القرينتين عظيم) وقد روى ابن عباس عنه شيئاً من شعره ، وهو
ممن وفد على كسرى فبنى له حصناً بالطائف ، وله معه خبر ظريف قال أبو الفرج
الأصبهاني بعد أن ساق سنده : كان غيلان بن سلمة قد وفد على كسرى فقال
له ذات يوم أى ولدك أحب إليك ؟ قال : الصغير حتى يكبر والريض حتى يبرأ
قال : عجبت لك هذا العقل . وقد روى الهيثم بن عدى هذه القصة آيين من

(١) القلامة بالضم ماسقط من الظفر .

هذه ، وفيها : كان أبو سفيان في نفر من قريش ومن ثقيف فوجهوا بتجارة إلى العراق فقال لهم أبو سفيان : إنا قدم على ملك جبار لم يأذن لنا في دخول بلاده فأعدوا له جواباً . فقال غيلان : أنا أكفيكم على أن يكون نصف الربح لى قالوا نعم فتقدم إلى كسرى وكان جيلاً فقال له الترجان : يقول لك الملك كيف قدمتم بلادى بنير إذنى ؟ فقال : لسنا من أهل عداوتك ولا تجسنا عليك وإنما جئنا بتجارة فإن صلحت لك خذها وإلا فائذن لنا في بيعها ، وإن شئت رجعنا بها . قال : وسمعت صوت الملك فسجدت فقيل له لم سجدت ؟ قال : سمعت صوت الملك حيث لا يبني أن ترفع الأصوات . فأعجب كسرى وأمر أن توضع تحتة مرقعة فرأى عليها صورة كسرى فوضمها على رأسه . فقيل له : لم فعلت ذلك ؟ قال : رأيت عليها صورة الملك فأجلتها أن أجلس عليها . فاستحسن ذلك أيضاً ثم قال له : ألك ولد ؟ قال نعم . قال : فأيهم أحب إليك ؟ قال الصغير حتى يكبر ، والمرضى حتى يبرأ ، والثائب حتى يقم . قال : أنت حكيم من قوم لا حكمة فيهم . وأحسن إليه ، وذكرها أبو هلال المسكوى في كتاب الأوائل بنير يريدون أطول ما هنا فقال : خرج أبو سفيان بن حرب في جمع من قريش وثقيف يريدون بلاد كسرى بتجارة لهم فلما ساروا ثلاثاً جمعهم أبو سفيان فقال : إنا في سيرنا هذا لعل خطر ، ما قدمونا على ملك لم يأذن لنا بالقدوم عليه وليست بلاده لنا بمشجر فأيسكم يذهب بالير ففتح برآء من دمه إن أسيب ، وإن يغم فله نصف الربح ؟ فقال غيلان بن سلمة أنا أمضى بالير وأنشد :

فلو رآنى أبو غيلان إذ حسرت عني الأمورُ بأمرٍ ماله طَبَقُ^(١)
لقال : رَغَبٌ ورَهَبٌ أنتَ بينهما حبُّ الحياة وهول النفس والشفق
أما مشف على مجدٍ وسَكْرُمَةٍ أو أسوة لك فيمن يهلك الورقُ^(٢)

(١) الطبق غطاء كل شيء ، والحسر : الكشف (٢) قوله مشف على مجد هكذا هو في الأصل ولعله مسف الى مجد من اسف اليه أى دنا ، والكرمة بضم الراء اسم من الكرم والأسوة : القدوة ، والورق : الدراهم المضروبة

فخرج بالسر وكان أبيض طويلاً جعداً^(١) فتخلق^(٢) ولبس ثوبين أصفرين وأشهر نفسه وقعد بباب كسرى حتى أدن له فدخل عليه وشباك بينه وبينه فقال له الترجمان : يقول لك ما أدخلك بلادى بنير إذن ؟ فقال : لست من أهل عداوة لك ولم أكن جاسوساً ، وإنما حملت تجارة فإن أردتها فعلى لك وإن كرهتها رددتها . قال : فإنه ليتكلم إذ سمع صوت كسرى غراً ساجداً . فقال له الترجمان يقول لك ما أسجدك ؟ قال : سمعت صوتاً مرتفعاً حيث لا ترفع الأصوات فظننته صوت الملك فسجدت . قال : فشكر له ذلك وأمر بمروة فوضعت تحته فرأى فيها صورة الملك فوضمها على رأسه . فقال له الحاجب : إنا بمننا بها إليك لتقعد عليها . فقال : قد علمت ولكننى رأيت عليها صورة الملك فوضمها على أكرم أعضائى . فقال : ما طعامك فى بلادك ؟ قال : الخبز . قال : هذا عقل الخبز ثم اشترى منه التجارة بأضفاف أثمانها وبث معه من بى له أطماً^(٣) بالطائف فكان أول أطم بى بالطائف . ومن أخبار غيلان فى الجاهلية ما حكاه أبو سعيد السكرى فى ديوان شعره أن بى عامر أغاروا على ثقيف بالطائف فاستنجدت ثقيف ببنى نصر بن معاوية وكانوا حلفاءهم فلم ينجدوهم فخرجت ثقيف إلى بى عامر وعليهم يومئذ غيلان بن سلمة فقاتلوهم حتى هزموا بى عامر ، وفى ذلك يقول غيلان فذكر شعراً يذكر فيه الوقعة ، وأخباره كثيرة مفصلة فيما أعيد لئلاها من الكتب . ومنهم :

هاشم بن عبد مناف القرشى

وهو من أكابر رجال قريش . وساداتهم وحكامهم ، وملك بعد أبيه الرفادة والسقاية واستقرت له الرئاسة وصارت قريش له تابعة تنقاد لأمره وتعمل برأيه .

(١) جعد الشعر جمودة إذا كان فيه النواء وتقبط فهو جعد وذلك خلاف المسترسل (٢) أى تطيب بالخلوق وهو ضرب من الطيب (٣) الأطم : التحضر وكل حصن مبنى بحجارة وكل بيت مربع مسطح

وكان يعمل الطعام للحجاج يأكل منه من لم يكن له سمة ولا زاد ويقال لذلك الرفافة ، وأخباره كثيرة مشحونة منها كتب السير . وكان ذا أهل هلال ذي الحجة قام مُبَيِّحَتَه وأَسَدَ ظَهْرَه إلى الكعبة من تلقاء بابها ويخطب ويقول في خطبته : يا معشر قريش إنكم سادة العرب ، أحسنها وجوهاً ، وأعظمها أحلاماً ، وأوسط العرب أنساباً ، وأقرب العرب بالعرب أرحاماً ، يا معشر قريش إنكم جيران بيت الله . أكرمكم الله بولايته ، وخصكم بحواره ، دون بني إسماعيل ، وإنكم يأتىكم زوار الله يظلمون بيته فهم أضياؤه ، وأحق من أكرم أضياؤه الله أنتم فأكرموا ضيفه وزواره فإنهم يأتون شعثاً غبراً من كل بلد على ضواري^(١) كالقذاح ، فأكرموا ضيفه وزوار بيته ، فرب هذا البنية^(٢) . لو كان لي مال يحتمل ذلك لكفيتكموه ، وأنا خرج من طيب مالى وحلالى مالىم يقطع فيه رحم ، ولم يؤخذ بظلم ، ولم يدخل فيه حرام . فمن شاء منكم أن يفعل مثل ذلك فعل ، وأسألكم بحزمة هذا البيت أن لا يخرج رجل منكم من ماله لكرامة زوار بيت الله وتقويتهم إلا طيباً لم يؤخذ ظلاماً ، ولم يقطع فيه رحم ، ولم يؤخذ غصباً ، فكانوا يجتهدون في ذلك ويخرجونه من أموالهم فيضمنونه في دار الندوة . وتنافرت قريش وخزاعة إليه فخطبهم بما أذعن له الفريقان بالطاعة فقال في خطبته : أيها الناس نحن آل إبراهيم وذرية إسماعيل وبنو النضر بن كنانة وبنو قصي بن كلاب وأرباب مكة وسكان الحرم ، لنا ذروة الحسب وممّنين الهد ، ولكل في كل حلف يجب عليه نصرته وإجابة دعوته إلا ما دعا إلى عقوق عشيرة وقطع رحم ، يا بني قصي أنتم كنتم شجرة أيها كسر أوحش صاحبه والسيف لا يصابن إلا بعمده ، وراى المشيرة^(٣) يصيبه سهمه . ومن أحمكه^(٤) اللجاج أخرجه إلى البنى ، أيها الناس الحلم شرف ، والصبر ظفر .

(١) جمع ضامر وهو الجمل المهزول (٢) البنية على فعيلة الكعبة لشرفها إذ هي أشرف مبنى يقال لا ورب هذه البنية ما كان كذا وكذا وفي حديث البراء رابت بان لا أجعل هذه البنية منى يظهر يريد الكعبة وكانت تدعى بنية إبراهيم عليه السلام لأنه بناها وقد كثر قسمهم برب هذه البنية (٣) وفي هذا المعنى بقول الشاعر :

قومي هم قتلوا أميم اخي فإذا رميت أصابني سهمي
(٤) اغضبه

والمعروف كنز ، والجود سؤدد ، والجهل صفه ، والأيام دول ، والدر غير ^(١) ،
والمرء منسوب إلى فعله ومأخوذ بعمله ، فاصطنعوا المعروف تكسبوا الحمد ، ودعوا
الفضول تجانبكم السفهاء ، وأكرموا الجليس بعمر ناديك ، وحاموا الخليط يرغب
في جواركم ، وأنصفوا من أنفسكم يوثق بكم ، وعليكم بمكارم الأخلاق فإنها رفعة .
وإياكم والأخلاق الدنية فإنها تضع الشرف ، وتهدم الحمد ، وإن نهية الجاهل ^(٢) ،
أهون من حزيرته ، ورأس المشيرة يحمل أفعالها . ومقام الحليم عظة لمن انتفع به ،
فقال قريش : رضينا بك أبا فضلة وهي كنيته . قال الإمام الماوردي بمد إيراد
هذه الخطبة في كتابه أعلام النبوة : فانظروا إلى ما أمر به من شريف الأخلاق ،
ونهى عن مساوى الأفعال ، هل صدر إلا عن غزارة فضل ، وجلالة قدر وعلو
همة ، وما ذاك إلا لاصطفاء يراد ، وذكر يشاد . لأن توالى ذلك من الآباء ، يوجب
تناهيه في الأبناء . ومنهم :

عبد المطلب بن هاشم القرشي

وكان أيضاً من حكام قريش ، وهو جد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ويُدعى (شعبة الحمد) لكثرة حمد الناس له لأنه كان مفزع قريش في النوائب
وملجأهم في الأمور فكان شريف قريش وسيدها كمالاً وفعلاً من غير مدافع ،
وكان مجاب الدعوة ، وكان يقال له (الفياض) لجوده و (مطعم طير السماء)
لأنه كان يرفع من مائدته للطير والوحوش في رؤس الجبال ، وكان من حملاء قريش
وحكائها ، وكان ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية ، وكان نديعه حرب بن أمية
ابن عبد شمس بن عبد مناف والد أبي سفيان ، وكان في جوار عبد المطلب يهودى
فأغلظ ذلك اليهودى القول على حرب في سوق من أسواق (تهامة) فأغرى عليه
حرب من قتله فلما علم عبد المطلب بذلك ترك مناداة حرب ولم يفارقه حتى أخذ

منه مائة ناقة دفعها لابن عم اليهودي حفظاً لجواره . ثم نادى عبد الله بن جُدعان ، وكان عبد المطلب يأمر أولاده بترك الظلم والبنى ويحثهم على مكارم الأخلاق وينهاهم عن دينيات الأمور . وكان يقول : لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينقم منه ، وتصيبه عقوبة إلى أن هلك رجل ظلوم من أهل الشام لم تصبه عقوبة فليل عبد المطلب في ذلك ، ففكر وقال : والله إن وراء هذه الدار داراً يجرى فيها الحسن بإحسانه ، ويماقب السيئ بإساءته — أى فالظلوم شأنه في الدنيا ذلك حتى إذا خرج من الدنيا ولم تصبه العقوبة فهي معدة له في الآخرة — ورفض في آخر عمره عبادة الأصنام ووحد الله سبحانه وتعالى ، وتوثر عنه سنن جاء القرآن بأكثرها وجاءت السنة بها ، منها الوفاء بالنذر ، والنعم من نكاح المحارم ، وقطع يد السارق ، والنهي عن قتل المودعة ، وتحريم الخمر والزنا وأن لا يطوف بالبيت عريان . ومنهم :



أبو طالب بن هاشم بن عبد مناف

وهو عم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وناصره ولد قبل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بخمس وثلاثين سنة ، ولما مات عبد المطلب وصى بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم إليه فكفله وأحسن تربيته ، وسافر به إلى الشام وهو شاب . ولما بعث صلى الله تعالى عليه وسلم قام بنصرته وذب عنه من عاداه ومدحه عدة مدائح واسمه عبد مناف على المشهور واشتهر بكنتيته ، وقيل اسمه عمران ، وقيل شيبة . وكان من حكام قريش وساداتها ومرجعها في الملأ . قال الواقدي : وتوفي أبو طالب في النصف من شوال في السنة العاشرة من النبوة وهو ابن بضع وثمانين سنة واختلف في إسلامه . قال ابن حجر : رأيت لعل بن حمزة البصري جزءاً جمع فيه شعر أبي طالب ، وزعم أنه كان مسلماً ومات على الإسلام وإن الحشوية تزعم أنه مات كافراً ، واستدل لدعواه بما لا دلالة فيه انتهى . ومن شعره قوله

ودعوتني وزعمت أنك صادق ولقد صدقت وكنت قبلُ أميناً
ولقد علمت بأن دينَ محمدٍ من خيرِ أديانِ البريةِ ديناً
ومن شعره الذي قاله وهو في الشعب :

ألا أبلغنا عنى على ذاتِ بيننا لؤياً وخصاً من لؤى بنى كعب
ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً نبياً كوسى خطّ في أول الكتب
وأن عليه في العباد مودةً ولا خير ممن خصه الله بالحب

وهي قصيدة جيدة على هذا الأسلوب ، وله قصيدة لامية طويلة تزيد على
مائة بيت وهي من جيد شعره عاذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها وتودد فيها إلى
أشراف قومه ، وأخبر قريشاً أنه غير مسلم محمداً رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
لأحد حتى يهلك دونه ومدحه فيها أيضاً ، وقالها في الشعب لما اعتزل مع بني هاشم
وبني عبد المطلب قريشاً . وسبب دخوله الشعب أن كفار قريش اتفق رأيهم على
قتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقالوا : قد أفسد أبنائنا ونساءنا ، فقالوا
لقومه : خذوا منا ديةً مضاعفة وبقته رجل من غير قريش وتربحونا وتربحون
أنفسكم فأبى بنو هاشم من ذلك ، وظاهرهم بنو عبد المطلب فاجتمع المشركون
من قريش على منا بنتهم وإخراجهم من مكة إلى الشعب ، فدخلوا الشعب أمر
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من كان بمكة من المؤمنين أن يخرجوا إلى
أرض الحبشة وكانت متجراً لقريش ، وكان يثنى على النجاشي بأنه لا يظلم عنده
أحد ، فانطلق عامة من آمن بالله ورسوله إلى الحبشة ودخل بنو هاشم وبنو عبد المطلب
الشعب مؤمنهم وكافهم فالؤمن ديناً والكافر حية ، فلما عرفت قريش أن رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قد منعه قومه أجمعوا على أن لا يبايعوه ولا يدخلوا إليه
شيئاً من الرفق وقطعوا عنهم الأسواق ولم يتركوا طعاماً ولا إداماً إلا بادروا إليه
واشتروه ولا يناكحهم ولا يقبلوا منهم مسلحاً أبداً ولا تأخذهم بهم رافة حتى
يسلموا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم للقتل وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها

في الكعبة ، وتعادوا على العمل بما فيها من ذلك ثلاث سنين فاشتد البلاء على بنى هاشم ومن معهم فاجمعوا على تقض ما تعاهدوا عليه من النذر والبراءة ، وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لأبي طالب : يا عم إن ربى قد سلط الأرضة على صحيفة قريش فلحسبها إلا ما كان اسماً لله فأبقتة . قال : أربك أخبر بهذا ؟ قال : نعم . قال : فوالله ما يدخل عليك أحد ثم خرج إلى قريش . فقال : يا معشر قريش إن ابن أخى أخبرنى ولم يكذبنى أن هذه الصحيفة التى فى أيديكم قد بعث الله عليها دابة فلحست ما فيها فإن كان كما يقول فأفيقوا فلا والله لا نسله حتى نموت ، وإن كان يقول باطلاً دفنناه إليكم . فقالوا : قد رسينا ففتحوها الصحيفة فوجدوها كما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم وقالوا : هذا سحر ابن أخيك وزادهم ذلك بنياً وعدواناً ، فقال أبو طالب : يا معشر قريش علام نحصر ونحبس وقد بان الأمر وتبين أنكم أهل الظلم والقسمة ؟ ثم دخل هو وأصحابه بين أستار الكعبة وقال : اللهم انصرنا على من ظلمنا وقطع أرحامنا واستحل ما يحرم عليه منا ، ثم انصرف إلى الشعب وقال هذه القصيدة . قال ابن كثير : هى قصيدة بليغة جداً لا يستطيع أن يقولها إلا من نسبت إليه ، وهى أغل من الملقات السبع وأبلغ فى تأدية المعنى .

منها قوله :

خليلى ما أذن لأول عاذل بصفواء فى حق ولا عند باطل^(١)
خليلى إن رأى ليس بشركة ولا نهنيه عند الأمور البابل^(٢)

(١) بصفواء خبر ما النافية وهى حجازية ولذا زبدت الباء ، والصفو الميل واصفيت الى فلان اذا ملت بسمعك نحوه والاول عاذل متعلق بصفواء وفى الحق متعلق بعاذل أى لا اميل بأذى الاول عاذل فى الحق وإنما قيد العاذل بالاول لانه اذا لم يقبل عدل العاذل الاول فمن باب اولى ان لا يقبل عدل العاذل الثانى فان النفس اذا كانت خالية الدهن ففى الغالب ان يستقر فيها اول ما يرد عليها . ١٢١ أراد ان الراى الجيد يكون بمشاركة العقلاء فان لم يتشاركوا بان كانوا متباغضين لم ينتج شيئاً والراى ما لم يتخمر فى العقول كان فطيراً ، والتهنة بنونين وهاءين كجعفر : المضى والنثر الشفاف الذى يظهر الاشياء على جلبتها وأصله الثوب الرقيق النسيج ومن شأنه ان لا يمنع النظر الى ما وراءه وهو معطوف على شركة ، والبابل اما جمع ببللة بفتسح الباءين او جمع ببلال بفتحهما وهما بمعنى الهم وسواس الصدف كزلازل جمع زلزلة وزلازل بالفتح وهو اما على حذف مضاف أى ذات البابل او انها بشار من الامور .

ولما رأيتُ القومَ لا ودَّ عندهم وقد قطعوا كلَّ العِرا والوسائل^(١)
 وقد صارحونا بالعداوة والأذى وقد طأقوا أمرَ العدوِّ الزلايل^(٢)
 وقد حالفوا قوماً علينا أظنةً بمعضون غيظاً خلفنا بالأفائل^(٣)
 صبرتُ لهم نفسى بسمراء سمجة وأبيض عصبٍ من تراث القاول^(٤)
 وأحضرتُ عند البيت رهطاً وإخوت وأمسكتُ من أثوابه بالوسائل^(٥)
 قياماً معاً مستقبلين رتاجه لدى حيث يقضى خافه كلُّ نافل^(٦)
 أعوذُ ربَّ الناس من كل طاعن علينا بسوء أو ملحٍ بباطل^(٧)
 ومن كاشحٍ يَسئى لنا بمعية ومن ملحقٍ في الدين مالم نحاول^(٨)

وكلها على هذا للنوال وهي مذكورة مع شرحها في كتاب لب لباب لسان العرب . وعن هشام بن محمد بن السائب الكلبي أنه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جمع إليه وجوه قريش فأوصاهم فقال : يا معشر قريش أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب ، فيسكن السيد الطاع ، وفيكم المقدم الشجاع ، الواسع الباع ، واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيباً إلا أحرزتموه ، ولا شرفاً إلا أدركتموه ، فلكم بذلك على الناس الفضيلة ولهم به إليكم الوسيلة ، والناس لكم حرب وعلى حربكم إلب^(٩) ، وإنى أوصيكم بتعظيم هذه البينة (يعنى الكعبة) فإن فيها

(١) أراد بالقوم كفار قريش ، والعرا جمع عروة وهي معروفة وأراد هنا ما يتمسك به من المهود مجازاً مرسلًا ، والوسائل جمع وسيلة وهي ما يتقرب به . (٢) صارحونا أى كاشفونا بالعداوة وصريحاً والصرحة وان كانت لازمة لكنها لما نقلت الى باب المفاعلة تعدت ، والمزايل اسم فاعل من زايله مزايلة وزلايل فارقه وبابنه وانما يكون العدو مفارقاً اذا صرح بالعداوة فلا تمكن العشرة . (٣) حالفوا قوماً مثل صارحونا في انه كان لازماً وتعدي الى المفعول بنقله الى باب المفاعلة والتحالف التعاهد والتعاقد على ان يكون الامر واحداً في النصرة والحماية وعلينا متعلق بحالفوا ، والاظنة جمع ظنين وهو الرجل المتهم والظنة بالكسر التهمة والجمع الظن . (٤) الصبر والحبس ، والسمراء : القنات ، والسمحة اللدنة اللينة بالهز والانعطاف ، والابيض : السيف ، والعصب : القاطع ، والقاول جمع مقول بكسر الميم الرئيس وهو دون الملك . (٥) الوسائل ثياب مخططة بمانية كان البيت بكى بها . (٦) الرتاج : الباب العظيم وهو مفعول مستقبلين ، والنافل فاعل من النافلة وهو التطوع . (٧) قوله ملح اسم فاعل من الملح على التثنية اذا انبل عليه مواظباً . (٨) العيبة العيبة والتقبصة ، ونحاول : نريد ، والكاشح مضمحل العداوة . (٩) واحد مجتمعون عليه بالظلم والعداوة .

مرضاة للرب وقواماً للمعاش ، وثباتاً للوطاة ، سلوا أرحامكم فإن في صلة الرحم منسأة (أى فسحة) في الأجل ، وزيادة في العدد ، أتركوا البنى والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم ، أجيئوا الداعي ، وأعطوا السائل فإن فيهما شرف الحياة والمات ، وعليكم بصدق الحديث ، وأداء الأمانة فإن فيهما محبة في الخالص ومكرمة في العام ، وإنى أوصيكم بمحمد خيراً ، فإنه الأمين في قريش ، والصدق في العرب ، وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به وقد جاءنا بأمر قبله الجنان^(١) ، وأنكره اللسان ، مخافة الشنآن وأيم الله كأنى أنظر إلى سمالك العرب وأهل الأطراف والمستضعفين من الناس ، قد أجابوا دعوته ، وصدقوا كلمته ، وعظموا أمره ، ففاض بهم غمرات الموت وصارت رؤساء قريش وسناديدها أذناً ، ودورها خراباً ، وضعاؤها أرباباً ، وإنذا أعظمهم عليه ، أحوجهم إليه ، وأبدى منه أخطام عنده ، قد محضته العرب ودادها ، وأصفت له بلادها ، وأعطته قيادها ، يامشر قريش كونوا له ولأه ، ولحزبه حماة ، والله لا يسلك أحد سبيله إلا رشد ، ولا يأخذ بهديه أحد إلا سمد ، ولو كان لنفسى مدة ، وفي أجل تأخير ، لكففت عنه الهزاهز ولدافعت عنه الدواهي ، ثم هلك ، ومنهم :

العاص بن وائل الفرسي

عنه صاحب القاموس من حكام قريش وكذلك الميداني فإنه قال في كتاب جمع الأمثال : العاص بن وائل من حكام قريش . وقد ذكر نسبه الزبيدي في شرحه على القاموس فقال : العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سهم بن عمرو ابن حصيص بن كعب بن لؤي انتهى وهو والد عمرو بن العاص الصحابي المشهور وكان له قدر في الجاهلية ولم يوفق للإسلام . قال ابن الكلبي : كان من حكام قريش ، وأجار عمر رضي الله تعالى عنه حين أسلم . وقد أخرج الزبير بن بكار

هذه القصة مطولة وفيها : أنَّ العاص بن وائل قال رجل اختار لنفسه أمراً فالحكم وله فردٌ للشركين عنه . وكان موته بمكة قبل الهجرة ، ولم أقف على كمال خبره فيما بين يدي من كتب الأدب سوى ما ذكرت وهو كاف في المقصود . ومنهم :

العمرو بن حارثة القرشي

وهو على ما في القاموس أيضاً من حكام قريش ، واسم جده نضلة بن عبد العزى بن رياح وكان عند قريش بمكان مكين من علو المنزلة ونفوذ الحكم وسعة الاطلاع بأحوال العرب وأنسابهم وأحسابهم . ومنهم :

ربيعة بن حزار الأسدي

كان حكاماً من بني أسد وإليه مرجعهم في كل ما بين لهم من الحوادث وإليه نافر خالد بن مالك بن تميم النهشلي القمقاع بن معبد التميمي كما ذكرناه سابقاً عند ذكر النافرات وكان ما أوردناه من رواية اليداني في كتاب مجمع الأنثال . ورأيت القصة في كتاب أسد النابة عند ترجمة خالد هذا بلفظ آخر وكلاهما أبسط وأشمل فأحببت ذكرها هنا تكميلاً للفائدة وهي : إن خالداً هو الذي نافر القمقاع إلى ربيعة بن حزار الأسدي فقال هاتيا مكارمكما . فقال خالد : أعطيت من سأل ، وأطعمت من أكل ، ونصبت قدوري حين وضعت السباك ذيوها ، وطعمت يوم (شواخط) فارساً فجعلت فخذيه بفرسه . فقال : يا قمقاع ما عندك ؟ فأخرج قوس حاجب فقال : هذا قوس عمي رهنا عن العرب وهاتان نملتا جدي قسم فيها أربعين مرباعاً وهذه زريبة^(١) زرارة لم ير ناره خائف إلا أمن ولم يمكسك بطنك فسطاطه^(٢) أسير إلا فك . فنأى ربيعة بن حزار إن السباحة واللهي^(٣) والمزباع والشرف الأسبغ للقمقاع إلا أني نفرت من كان أبوه مبعداً ومعه حاجباً وجده زرارة . قال أبو أحمد السكري : ثم أدرك القمقاع بن معبد وخالفه بن مالك النهشلي

(١) البساط أو كل ما بسط وانكس عليه . ١٢١٠ يضم الفاء وكسرهما بيت من الشعر والجمع فساطيط . (١٣) العطايا .

الإسلام فوفدا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال أبو بكر : أمر هذا^(١) .
وقال عمر : أمر هذا^(٢) . فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لولا أنكما اختلفتما
لويلتهما وأخذت برأيكما ، وهذه المقالة من أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما قد
ذكرت في ترجمة القعقاع بن معبد من كتاب أسد الغابة ، وكان الثاني الأقرع بن
حابس التيمي ، وهو الأكثر . وقد نسب خالد المذكور ابن الكلبي فقال خالد
ابن مالك بن ربي بن مسلم بن جندل بن نهشل بن دارم بن مالك بن حفظة بن مالك
ابن زيد مناة بن تميم . وقال كان شريفاً ولم يذكر له محبة إلا أبو أحمد المسكري .
والله أعلم . ومنهم :

بهر الشراخ الكنانى^(٣)

وهو يثمر بن عوف بن كعب ولقب بالشداخ لأنه شَدَخَ دماء خرازة وكان حكا
من حكام كنانة ، وكان عالم العرب في وقته خبيراً بأنسابهم وأحسابهم . ومنهم :

صفوانه بن أمية

كان أيضاً من حكام كنانة وإليه مرجعهم فيما ينويهم من المهمات وكان فصيح
اللسان مشهور البيان ، وأخباره كثيرة تدل على رفعة شأنه وعلو مكانه بين
العرب . ومنهم :

سلمى بن نوفل الكنانى

كان أيضاً من حكام كنانة وعرفها حيث كان في الفهم والفطنة بمنزلة أذعن له بها
العرب غير أنهم كانوا يفضلون عليه عامر بن الظرب المدائني . ومنهم :

(١) هو القعقاع بن معبد بن زرارة . (٢) هو علي ما في الإصابة الأقرع
ابن حابس التيمي . (٣) قال في القاموس ويحمر الشداخ كطوال وطياب
وقد ففتح : أحد حكامهم حكم بين قضاة وقضى في أمر الكعبة وكثر القتل
فشدخ دماء قضاة تحت قدمه وأبطلها فقضى بالبيت لقصى وهذا — الذي
ذهب إليه صاحب القاموس — تبعاً لبعض المؤرخين وقيل يوجد في بعض
النسخ بين خرازة .

مالك بن حنبل العامري

كان من حكام العرب وحكامها المشهورين بجودة الفهم وغزارة العقل وسعة الاطلاع . ومن كلامه الذي ضرب به المثل : (على الخبير سقطت) والخبير العالم والخبر العلم ، وسقطت أى عثرت عبر عن العثر بالسقوط . لأن عادة العاثر أن يسقط على ما يثر عليه . وقد تمثل الفرزدق بهذا المثل للحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما حين أقبل يريد العراق فلقبه وهو يريد الحجاز فقال له الحسين : ما وراءك ؟ قال : (على الخبير سقطت) قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية والأمر ينزل من السماء . فقال الحسين رضي الله تعالى عنه : صدقتي . ومنهم :

عمرو بن محمد الروسى

وحمة بضم الهملة وفتح الميم الخفيفة بعدها مثلها . ذكر أبو بكر بن ديد أنه وفد على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والذي ذكره غيره أنه مات في الجاهلية وكان مسموماً . وهو الذي يقول :

أخبرٌ أخبارَ القرون التي مضت ولا بُدَّ يوماً أن تطار لمصرعى
أنشده له ابن الكلبي . وقال المزياني : كان أحد حكام العرب في الجاهلية وأحد المعمرين . يقال إنه عاش ثلاثمائة وتسعين سنة . وأنشده البيت المذكور وقبله :

كبرت وطال العمر منى كائنى سليم أفاعر ليله تغير مودع

وبعد

وما السقم أبلانى ولكن تتابعت
على سنون من مصيفٍ وترنيع
ثلاث مئين من سنين كوامل
وها أنا هنا أرتجى مرّ أربيع
فأصبحت بين الفتح والشئ نادياً
إذا رام تطياراً يقال له : قع^(١)

(١) الفتح : آلة يصاد بها .

أخبر أخبار القرون البيت . قال : ويقال إنه الذي كان يقال له ذو الحلم وضربت به العرب المثل في قرع المصا لأنه بعد أن كبر صار يذهل فاتهمذوا له من يوقظه فيقرع المصا ، فيرجع إليه فهمه وإليه أشار الحارث بن وعلة :

وزعمتم أن لا حلم لنا إن المصا قرعت لدى الحلم

وقال الفرزدق :

* كأن المصا كانت لدى الحلم تفرع *

وقال الآخر :

لدى الحلم قبل اليوم ما تفرع المصا وما علم الإنسان إلا ليمعنا
قال ابن دريد بسنده إلى الشعبي قال : كنا عند ابن عباس وهو في ضفة زمزم
يفنى إذ قام إليه أعرابي فقال : أفتيتهم فافتنا . قال : هات قال : مامني قول
الشاعر لدى الحلم قبل اليوم ، وأنشد البيت السابق ؟ فقال له ابن عباس : ذلك
عمرو بن حمزة اللومى قضى بين العرب ثلاث مائة سنة فكبر فألزموه السابع
أو التاسع من ولده ، فكان إذا غفل قرع له المصا ، فلما حضره الموت اجتمع إليه
قومه فأوصاه وصية حسنة فيها حلم ، وهذا كله منقول من الإصابة لابن حجر .
وقد حقق الميدنى أن أول من فرعت له المصا عامر بن الظرب ، والقول بأنه عمرو
ابن حمزة هو قول أهل اليمن ، والأبيات السابقة نسبها إلى عامر أيضاً وجعل بدل
قوله « كبرت وقد طال » تقول ابنتي لما رأنتني كأنني . روى أبو علي القتالي في
أماليه ^(١) قال حدثنا أبو بكر بن دريد قال حدثني عمي أبيه عن ابن السكبي
عن أبي مسكين وعن الشرقى بن قطامي قال : لما مات عمرو بن حمزة اللومى
وكان أحد من تتحاكم إليه العرب مر بقبوره ثلاثة نفر من أهل يثرب قادمين
من الشام ألهدم بن امرئ القيس بن الحارث زيد بن كلثوم (أبو كلثوم بن
الهدم الذي نزل عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وعتيك بن قيس بن هيشة

ابن أمية بن معاوية ، وحاطب بن قيس بن هيشة الذي كان بسية حرب حاطب فمقروا رؤا لهم على قبره وقام الهدم قال :

لقد ضمت الأثره منك مرزاً عظيم رماد النار مُشترك القدر
حلياً إذا ما الحلم كان حزامه وقوراً إذا كان الوقوف على الجمر
إذا قلت لم تترك مقالاً لقائل وإن صلت كنت الليث يحى على الأجر
ليبيك من كانت حياتك عره فأنسج لما بنت يُنفى على الشجر
سقى الأرض ذات الطول والعرض منجم أحمر الرحي وأهى الثرى دائم القطر^(١)
وما بي شقيا الأرض لكن تربة أضلك فى أحشائها ملحد القبر
الرحى وسط النيم ومعظمه ووسط الحرب ومعظمها . وقام عتيك قال :

يرغم الملا والجود والجندى طواك الردى يا خير حاف وناعل
لقد قال صرف الدهر منك مرزاً فهوذا بأعباء الأمور الأثقال
يقيم العفة الطارقين فناءه كما ضم أم الرأس شمب القبال
ويسرو دجى الهيجا مضاه عريه كما كشف الصبح أطراق الفياطل^(٢)
ويستهزم الجيش الترمم باسمه وإن كان جرأراً كثير الصواهل
وينقاد ذو البأى الأبي لشكه فيرتد قسراً وهو جم الدغاويل^(٣)
وينفى إذا ما الحرب مدت روافها على الرّوع وأرفضت صدور العواهل
فأما نصينا الحادثات بنكية رمتك بها إحدى الدواهل
فلا تبعدن إن الختوف موارد وكل فتى من صرّفاً غير وأل
الصايل الضواهى واحدها ضئيل . وقام حاطب بن قيس قال :

سلام على القبر الذى ضم أعظماً تحوم المالى حوله قسّام

(١) اتجم المطر إذا دام وانجمت السماء أسرع مطرها ثم أقلعت وقبل
انجمت السماء دام مطرها كنجمت فحما . (٢) الفيطة : الظلمة والفيطة
اختلاط الأصوات قال أبو النجم : مستأسدا ذبابة فى غيطل (وهو جمع
غيطة والفيطة البقرة الوحشية والفيطة الشجر الكثف ، قال ابن الاعراب :
الفيطة التفاف الناس واجتماعهم والفيطة غلبة النعاس .
(٣) الدغاويل : الدواهى .

سلام عليه كلما ذرَّ شارِقٌ وما امتدَّ قِطْعٌ من دُجَى الليل مُظْلِمٍ
فيا قبرَ عمرو جادَ أرضاً تَمَطَّطَتْ عليك مُلْكٌ دائمٌ القَطْرِ مُرْزُمٍ
تَضَمَّنَتْ جِسمًا طابَ حَيًّا وَمَيِّتًا فَأَنْتَ بِمَا ضَمَّنْتَ فِي الْأَرْضِ مُعَلِّمٌ
فلو نطقت أرضٌ لقالَ رَأيها إلى قبرِ عمرو الأزدرَ حَلَّ التَّكْرُمِ
إلى مَرَمَسٍ قد حلَّ بينَ رَأيها وأحجاره بدَّزَ وَأَضْبَطَ ضَمِيمِ
فلو وَالَّتِ من سَطْوَةِ المَوْتِ مُهْجَةٌ لَكُنْتُ وَلَكِنْ الرَّدَى لَا يُثَمِّمُ^(١)
وَلَا يُبَعِّدُكَ اللهُ حَيًّا وَمَيِّتًا قَدْ كُنْتَ نَوْرَ الخُطْبِ وَالخُطْبُ مُظْلِمٌ
وقد كُنْتَ تُضَيِّ الحَكَمَ غَيْرَ مُهْلَلٍ إِذَا غَالٍ فِي القَوْلِ الْأَبْلُ النُّشْمُشِمُ^(٢)
لَعَمْرُؤُ الَّذِي حَطَّتْ إِلَيْهِ عَلَى الوَنَى حَدَايِيرُ هَوَجٍ نِيهَا مُهْمِمْ^(٣)
لَقَدْ هَدَّ مُلَمَّيَاءَ مَوْتِكَ جَانِبًا وَكَانَ قَدِيمًا رَكْنَهَا لَا يَهْدِمُ
ومنهـم :

الحارث بن عباد السريعي

قال أبو رياش في شرح الحاسة : كان الحارث بن عباد بن ضبيعة بن قيس ابن ثعلبة من حكام ربيعة وفرسانها المدودين ، وكان اعتزل حرب بني وائل وتنحى بأهله وولده وولد إخوته وأقاربه وحل وتر قوسه وزرع سنان رجمه ولم يزل معتزلاً حتى إذا كان في آخر وقائعهم خرج ابن أخيه بجبر بن عمرو بن عباد في أثر إبل له نَدَّتْ^(١) يطلبها ففرض له مهمل في جماعة يطلبون غِرَّةَ (أى غفلة) بكر بن وائل فقال للمهمل امرؤ القيس بن أبان بن كعب بن زهير بن جشم (وكان من أشرف بني تلب) . وكان على مقدمتهم زماناً طويلاً : لا تفعل فوالله لئن قتلته ليقطن به منكم كيش لا يستل عن خاله من هو وإياك أن تحقر البنى فإن عاقبتهم وخيمة ، وقد اعتزلنا عمه وأبوه وأهل بيته وقومه فأبى مهمل إلا قتله فظلمته

(١) والته . نجت ، ويثمم : يبطئ ويثمم بحرك ويدفع .
(٢) المهمل: المتوقف ويقال حمل عليه فما هلل، والأبل: الظلوم، والنشمشم: الذي يركب براسه لا يثنيه شيء مما يجب ويهوى . (٣) الحدايير جمع حدابر وهى المنحنية الظهر . والنششم : الدأشب ، وقوله ملعياء أى من الملياء . (٤) أى شردت ونفرت .

بالرمح وقتله وقال بوء بشسع نمل كليب . يقال أبأت فلاناً بفلان فباء به إذا قتله به ولا يكاد يستعمل هذا إلا والثاني كفاء للأول ، وسيأتي باقي القصة عند ترجمته في مبحث الفرسان . ومنهم :

القلمس الكنفاني^(١)

كان أحد حكام العرب في الجاهلية ، وكان أيضاً من نساء الشهور كان يقف عند جرة العقبة ، ويقول : اللهم إني ناسي الشهور وواضعها مواضعها ولا أعاب ولا أجاب ، اللهم إني قد أخللت أحد الصفرين وحرمت صفر المؤخر ، وكذلك في الرجبين يعني رجبا وشعبان ، انفرأ على اسم الله تعالى . وذلك قوله تعالى (إنما النسيء زيادة في الكفر) وسيأتي له ذكر إن شاء الله تعالى في ترجمة ابنة الخنس ، ومنهم :

ذو الأصبع العمرواني

كان أحد حكام العرب في الجاهلية وشعرائهم الممرين ، قال أبو حاتم في كتاب الممرين : عاش ذو الإصبع وهو حرثان بن محرث من عدوان بن عمرو بن قيس عيلان ثلثائة سنة وقال :

أصبحت شيخاً أرى الشخصين أربعة والشخص شخصين لما سنى الكبير
لا أسمع الصوت حتى استدبر له ليلاً وإن هو ناغاني به القمر
وإنما قال ليلاً لأن الأصوات هادئة ، فإذا لم يسمع بالليل والأصوات ما كنة كان من أن يسمع بالنهار مع ضجة الناس ولظهم أبعد . وإنما قيل له ذو الإصبع لأنه كانت له في رجله أصبع زائدة . وقال ابن قتيبة في كتاب الشعراء : ذو الإصبع حرثان بن عمرو بن عدوان بن عمرو بن قيس عيلان ، وكان جاهلياً وسمى ذو الإصبع لأن حية نهشت إصبعه فقطعها انتهى . وقال ابن الأنباري في شرح الفضليات .

نسبه أحد بن عبيد وغيره ، قالوا : هو حراث بن الحارث والأصمى يقول :
ابن السموءل بن عرث بن شبابة بن ربيعة بن هيرة بن ثعلبة بن الظرب
ابن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان وهو الحرث بن عمرو بن سعد بن قيس
ابن عيلان بن مضر بن نزار ، وإنما سمي ذا الإصبع لأن أفعى نهشت إبهام رجله
فقطعها ، ويقال إنه كانت له إصبع زائدة انتهى . وقال السيد المرتضى في أماليه غرر
الفوائد ودرر القلائد : ومن المعمرين ذو الإصبع المدوانى واسمه حراث بن عرث
ابن الحارث بن ربيعة بن وهب بن ثعلبة بن ظرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر
ابن عدوان وهو الحرث بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر وإنما سمي الحرث
عدوان لأنه عدا على أخيه فهم قتلته وقيل بل فقا عينه ، وقيل إن اسم ذى الإصبع
عرث بن حراث ، وقيل حراث بن حويرث ، وقيل حراث بن حارثة ويكنى
أبا عدوان ، وسبب لقبه بذى الإصبع أن حية نهشته على إصبعه فشتت فسمى بذلك ،
ويقال إنه عاش مائة وسبعين سنة . وقال أبو حاتم : إنه عاش ثلاثمائة سنة وهو أحد
حكام العرب في الجاهلية ، ثم أورد السيد جملا من أحواله إلى أن أورد هذه الحكاية
وأوردها الزجاجي أيضا في أماليه الصغرى بسندها إلى سعيد بن خالد الجديلى أنه قال :
لما قدم عبد الملك بن مروان الكوفة بعد قتل مصعب بن الزبير دعا الناس إلى
فرائضهم فأتيناه فقال : ممن التوم ؟ قلنا : من جديلة . فقال جديلة عدوان ؟ قلنا :
نعم . فتمثل عبد الملك .

عَدِيرَ الْحَيِّ مِنْ عَدَوَانِ كَانُوا حَيَّةَ الْأَرْضِ (١)
بَنَى بِمُضَمٍّ بَعْضًا ظَمَّ يَرْعُوا عَلَى بَعْضٍ (٢)

(١) اختلف في المصدر فمنهم من جملة بمعنى عاذر كعليم وعالم والمعنى عنده بات عذر
سببوه ومنهم من جملة بمعنى أن يجعله بمعنى العذر لأن فعلا لا يبنى على المصدر
وأحضر عاذرك وامتنع أن يجعله بمعنى العذر لأن فعلا لا يبنى على المصدر
الا في الأصوات نحو السهيل والتهيق والتبيح والأولى مذهب سببوه لأن
المصدر يطرده وضعه موضع الفعل بدلا منه لأنه اسمه ولا يطرده ذلك في اسم
الفاعل وقد جاء فعيل في غير الصوت كقولهم وجب القلب وجبنا إذا اضطرب،
وقوله كانوا حية الأرض أي كانوا يتقى منهم لكثرتهم وعزتهم كما يتقى من
الحية المنكرة . (٢) الإرعاء الإبقاء على أخيك .

ومنهم كانت السادات والوفون بالقرض

ثم أقبل على رجل كنا قلعناه أمامنا جسيم وسيم ، فقال : أيكم يقول هذا الشعر ؟
فقال : لا أدري . فقلت من خلفه : يقوله ذو الإصبع فركني وأقبل على ذلك الجسيم .
فقال : وما كان اسم ذي الإصبع ؟ فقال لا أدري . فقلت أنا من خلفه : اسمه حرثان ،
فأقبل عليه وركني ، فقال : لم سمى ذا الإصبع ؟ فقال : لا أدري ، فقلت أنا من
خافه : نهشته حية على إصبه . فأقبل عليه وركني . فقال : من أيكم كان ؟ فقال :
لا أدري . فقلت أنا من خلفه : من بنى ناج ، فأقبل على الجسيم فقال : كم عطاؤك ؟
فقال : سبعمائة درهم . ثم أقبل على فقال : كم عطاؤك ؟ قلت : أربعمائة درهم فقال
لكتابه : حظ من عطاء هذا ثلاثمائة وزدها في عطاء هذا فرحط وعطاني سبعمائة
وعطاؤه أربعمائة انتهى . وأورد له من شعره قوله :

أكثر كالظن البين منهم وأضحك حتى يبدو الناب أجع
وأهدنه بالقول هداً ولو يرى سريرة ما أخفى لبات يفزع
ومنى أهدنه أسكنه . ومن شعره أيضاً قوله :

إذا ما الدهر جرّ على أناس شرائره أناخ بأخرينا
قل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا
ومنه قوله أيضاً :

ذهب الذين إذا رأوني مقبلاً هشواً إلى ورجبوا بالقبول
وهم الذين إذا حملت حمالة ولقيتهم فكأنني لم أحل
والحمالة بالفتح تحمل دية القتل عن القاتل ومعنى الشراشر في البيت السابق
الثقل ومنه قوله :

ولي ابن عمّ على ما كان من خلق مختلفان فأقلية ويقليني
أزرى بنا أننا شالت نعامتنا فخالني دونه بل خلته دوني^(١)

(١) يقال أزرى به إذا قصر وزرى عليه إذا عابه ، وقوله شالت نعامتنا أي
تفرق أمرنا واختلف والمعنى تنافرنا فصرت لا أطمئن إليه ولا يطمئن إلى .
(٢٢ - أول)

لا إِبْنَ عَمِكَ لَا أَفْضَلْتَ فِي حَسَبِ عِي وَلَا أَنْتَ دِيَّانِي فَتَخْزُونِي^(١)
إِنِّي لَمَعْرُكُ مَا بَابِي بَذَى غَلَقَ عَنِ الضِّيُوفِ وَلَا خَيْرِي بِمَعْمُونٍ
وَلَا لِسَانِي عَلَى الْأَدْنَى بِمَنْطِقٍ بِالْفَاحِشَاتِ وَلَا أَغْضَى عَلَى الْهَوْنِ
مَاذَا عَلَيَّ وَإِنْ كُنْتُمْ ذَوِي رَحْمِي أَنْ لَا أَحْبَبَكُمْ إِنْ لَمْ تَحْبِبُونِي
يَا عَمْرُو إِنْ لَمْ تَدَعْ شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي أَضْرَبُكَ حَتَّى تَقُولَ الْهَامَةَ اسْقُونِي^(٢)
كُلَّ امْرِئٍ صَارَ يَوْمًا لَشَيْمَتِهِ وَإِنْ تَخَلَّقَ أَخْلَاقًا إِلَى حِينٍ
لَا يَخْرُجُ الْقَسْرَمَنِي غَيْرَ مُنْضَبَةِ وَلَا أَلَيْنَ لِمَنْ لَا يَبْتَغِي لِينِي^(٣)

وهي قصيدة طويلة مذكورة في شرح الشواهد للبيهي^(١) وكان لدى الإصمعي
بنات أربع فرض عليهن أن يزوجهن فأبين وقلن خدمتك وقربك أحب إلينا ثم
أشرف عليهن يوماً من حيث لا يرينه قتلن . لتقتل كل واحدة ما في نفسها . فقالت
كل منهن شعراً تمرّض به إلى حب الازدواج ، وسيأتى إن شاء الله تعالى تفصيل
القصة عند ذكر منا كح العرب وانه زوَّجهن .

ملكميات العرب

كان في نساء العرب أيام الجاهلية ذواتُ كَل ، ووفور معرفة ، ومزهد فطنة
وذكاء ، وحدة نظر ، حتى تَريَتْ بذكر ما كُتِرَ هنَّ صحف التواريخ ، وقد دونت

(١) قوله لاه ابن عمك قال قوم أراد الله ابن عمك وقال ابن دريد : اقسام
بالله ابن عمك ، وقوله عني أي على ، والديان القيم بالامر المجازي به وتخزوني :
تسوسني سياسة وتخزوني بالخاء والزاي المعجمتين مضارع خزاه خزوا
بافتح ساسه وقهره وملكه وأما الخزي بالكسر وهو الهوان والذل فالفعل
منه كرضى . (٢) قوله اضربك حتى تقول الهامة اسقوني ، قال الأصمعي
العلشن في الهامة وأراد اضربك في ذلك الموضع أي على الهامة حتى تعطش .
وقال آخرون : أن العرب تقول ان الرجل إذا قتل خرجت من رأسه هامة
تدور حول قبره وتقول اسقوني اسقوني فلا تزال كذلك حتى يؤخذ بشاره
وهذا من مذاهب العرب في الجاهلية — راجع الجزء الثاني من هذا الكتاب .

(٣) القسر : القهر أي أن أخذت قسراً لم أزد إلا آباء .
(٤) وذكرها القالي في أماليه أيضاً انظر ج ١ ص ٢٥٩

كتب^١ ودواوين مشهورة في شعرهن وفصاحة كلامهن ، وكانت منهن جملة اشتهرن بإصابة الحكم وفصل الخصومات وحسن الرأى فى الحكومة . منهن :

ابنة الخنس

وهى هند بنت الخنس الأيادية جاهلية قديمة ، وقد أدركت القلمس أحد حكام العرب وقد سبق ذكره . تحاكت هى وأختها جمعة إليه ومدحته بأبيات منها :

إذا الله جازى منعماً بوفائيه فجازاك عني يا قلمس بالكرم

وبعض الرواة يزعم أنها ماتت فى زمن النعمان عند هند ابنته ويستشهد على ذلك بقول الفرزدق :

وفيت بهمد كان منك تكرماً كما لابنة الخنس الأيادى وقت هند
وليس الأمر كذلك ، وإنما مراد الفرزدق أن هنداً وقت لأختها جمعة ابنة الخنس لا أنها عند ابنة النعمان ، وقد ترجمها الشريف المرتضى فى أماليه وذكر طرفاً من أمورها ، ولها أسجاع كثيرة وشعر قليل ، وكانت تحاجى^(١) الرجال إلى أن مر بها رجل فسأله الحاجة فقال لها : كاد . فقالت : كاد . العروس يكون أميراً . فقال : كاد . فقالت : كاد المتامل يكون راكباً . فقال : كاد . فقالت : كاد البخیل يكون كلباً . وانصرف ، فقالت له : أحاجيك . فقال قولى . فقالت : عجبت . فقال : عجبت للسبخة لا يحف ثراها ولا يثبت مراها . فقالت : عجبت . فقال : عجبت للحجارة لا يكبر صغيرها ولا يهرم كبيرها . فقالت : عجبت . فقال : عجبت للحفرة بين فخذيك لا يمل حفرها ، ولا يدرك قعرها . فخرجت وتركت الحاجة . وقد روى الحررى هذه القصة فى كتابه درة الفواص ونسبها لامرأة من الجن والصواب ما ذكرناه . ومن أسجاعها : قيل لها أى الخليل أحب إليك ؟ قالت : ذو الليمة^(٢) الصنيع ، السليط التليع^(٣) ، الأيد

١) يقال تحاجيته حاجة وحجاء فحجوته فاطننه فطنته .
٢) يقال ماغ الشيء يبيع جبرى على وجه الأرض منبسطا فى هينة
والفرس جرى . ٣) السليط : الشدد . والتليع : الرافع رأسه فى متبته .

الضليح^(١) ، الملعب^(٢) السريع . قيل لها : أى النيوث أحب إليك ؟ قالت : ذو الهيدب^(٣) ، المنبعق^(٤) ، الأنمخ الموثلق^(٥) ، الصخب المنبق^(٦) ، وروى الشريف المرتضى فى أماليه عن ابن الأعرابي أنه قيل لابنة الخس : ما مائة من اللز . قالت : مويل يشف من ورائه مال الضميف وحرقة الماجز . قيل : فاما مائة من الضان ؟ قالت : قرية لا حى لها . قيل : فاما مائة من الإبل ؟ قالت : بخ جمال ومال ، ومنى الرجال . قيل : فاما مائة من الخيل ؟ قالت : طنى من كانت له ولا يوجد . قيل : فاما مائة من الحر ؟ قالت : عازبة الليل ، وخزى المجلس ، لا لبن فيحلب ولا سوف فيجز ، إن ربط عيرها أدلى ، وإن ترك ولى . وقيل لها : من أعظم الناس فى عينك ؟ قالت : من كانت لى إليه حاجة . وعن ابن الأعرابي أيضاً قيل لابنة الخس : ما أحسن شئ . ؟ قالت غادية فى إثر سارية فى بنحاء قاوية . قال : بنحاء أرض مرتفعة لأن الثبات فى موضع مشرف أحسن . وفى أمالى أبى على القالى شئ من أسجاعها . وشعرها جيد ، ومنه قولها :

أَتَمَّ كَنْصَلِ السِّيفِ جَدَّ مَرَجَلٍ شَمَفْتُ بِهِ لَوْ كَانَ شَيْءٌ مَدَانِيَا
وَأَقْسَمَ لَوْ خَيْرَتِ بَيْنَ لِقَائِهِ وَبَيْنَ أَبِي لَاخَرْتُ أَنْ لَا أَبَالِيَا

والخس بضم الخاء المعجمة وتشديد السين المهملة ابن حابس رجل من إياد قال فى القاموس : وهو أبو هند بنت الخس أو هى من العالقي والأيدية مجمة بنت حابس كتأها من الفصاح انتهى . وأغرب الجوالقي قتال : قال الأحمى سمعت ناساً يتحدثون أن ابنة الخس كانت قاعدة فى جوار فر بهسا قطا وارد فى مضيق من الجبل . فقالت : يا ليت ذا القطا لنا * ومثل نصفه منه * إلى قطاة أهلنا * إذا لنا قطا مائة * فأتبمت القطا فعدت على الماء فإذا هى ست وستون

(١) الأيد : القوى ، والضليح : التام الخلق المجفر والفليظ الألواح والكثير العصب . (٢) هو الذى يجتهد فى عدوه حتى يثير الغبار . (٣) الهيدب : السحاب ما تهدب منه إذا أراد الودق كأنه خيوط ، والمنبعق : السحاب المنصبب بشدة . (٤) التلق البرق : لمع واضاء . (٥) الصخب ذو الصباح والجلبة ، والمنبقق : المنفجر .

انتهى^(١) والصواب أن صاحبة القطا هي زرقاء اليمامة . وإلى هذه القصة أشار النابغة
الذياني بقوله من أبيات يخاطب بها النعمان بن النذر وباتيه ويمتدح إليه مما
أثهم به عنده :

فاحكم حكم فتاة الحى إذ نظرت^٢ إلى حمام شرار وارد الفمد
يحفه جانباً نيق وتبعه مثل الزجاجة لم تسجل من الرمد^٣
قالت ألا ليها هذا الحمام لنا إلى حمامتنا أو نصفه فقد^٤
حسبوه فألفوه كما ذكرت تسمأ وتسمين لم تنقص ولم ترد^(٥)
فكملت مائة فيها حمامتها وأسرت حسبة في ذلك العبد

قال من شرح هذه القصيدة قوله فاحكم حكم أى كن حكماً كهذه الفتاة أى
أسب في أمرى كما صابها في حذسها بالنظر . وأراد بفتاة الحى زرقاء اليمامة . قال
الزخشري : أبصر من الزرقاء من مستقصى الأمثال هي من بنات لقمان بن عاد ملكة
اليمامة ، واليمامة اسمها فسميت البلدة باسمها وقيل اسمها عز وهي إحدى الزرق الثلاث
أعنيها والزباء والبسوس . وكانت جديسية ، وحين قتل جديس طسما استعجاش قبيلة
طسح حسان بن تبع إلى اليمامة فلما صاروا من جو على مسيرة ثلاث ليال صعدت
الأطم^(٦) الذى يقال له (الكلب) فنظرت إليهم وقد استتر كل بشجرة تليسا
عليها فارتجرت بقولها :

(١) أقول ان هذه القصة قد تداولها الناس في كتبهم وتلقوها بالقبول ،
وانى لا ارى من المستحيل ان يتفق هذا لاحد مع التساهل في تجويز الرواية
وسرعها على ان احصاء هذا العدد والحمام والقطا في طيرانه كيف بتهيا
وبعضه يتقدم وبعضه يتأخر وبعضه يتسفل وبعضه يستعل . والأغرب
ما ذكره النابغة في بيته :

يحضه جانباً نيق وتبعه مثل الزجاجة لم تسجل من الرمد
يرد بجانبى النيق : حافى الجبل وإذا كان الحمام بين جبلين
ضاق المكان عليه وركب بعضه بعضاً متراكماً فيكون أبعد لاحتواء عدده
بخلاف ما اذا كان منبسطة في الجو ، والأغرب أيضاً ما يذكرونه من ان زرقاء
اليمامة كانت تنتظر الفارس من مسيرة ثلاثة أيام وقد ذكر فخر الدين الرازى
في (السر المكتوم) ما هو أسخف من هذه السخافات والأمر لله .

(٢) قوله فحسبوه بفهمهم يشدد السين ثلثا تنوال اربع متحركات
وبعضهم يخففها ويقول بجواز ذلك في بحر البسيط ، والفوه : وجدوه .

(٣) القصر وكل حصن مبنى بحجارة وكل بيت مربع مسطح .

أقسم بالله لقد دبَّ الشَّجَرُ أو حجر قد أخذت شيئاً نجر
فكذبها قوماً فقالت : والله لقد أرى رجلاً ينهس كتفاً أو يخرص نملًا ،
فما تأهبوا حتى أصبحهم الجيش ولما ظفروا بها حسان قال : ما كان طمامك ؟ قالت :
درمكة^(١) في كل يوم يبخ . قال فبم كنت تكتحلين ؟ قالت : بالإمِّد وشق عينيها
فرأى مروقاً سوداً من الإمِّد وهي أول من اكتحل بالإمِّد من العرب انتهى
المقصود منه . ومنهن :

جمعة بنت عباس الوباري

وكانت من حكيّات العرب ذات فصاحة ومنطق عذب لاتباري ببيانها وسلطنة
لسانها ، وقد سبق أنها أخت هند بنت الحس وأنهما تحاكما إلى القلّكس في كلام
لها ، وذكرها صاحب القاموس والميداني في جملة حكيّات العرب وسبق القول أن جمعة
ليست أخت هند . والأول أشهر . ومنهن :

صحر بنت لقمان

كانت من نساء العرب المشهورات بالعقل والكمال والفصاحة ، وكانت العرب
تتعاكم عندها فيما ينوبهم من المشاجرات في الأنساب وغيرها . وصُحِّر بالصاد
والحاء المهملتين وكون أبيها لقمان هو الأصح ، وبمضمهم يقول : هي أخت لقمان لابنته
والله أعلم . ومنهن :

خضيلة بنت عامر بن الطرب العدواني

كانت خضيلة من حكيّات العرب كما في القاموس وجمع الأمثال ، ولما هي
التي كان أبوها عامر يقول لها (مَسِّي سَخِيلُ يَمْدُها أو مَسَّبَحِي) بناء على أنها
كانت تسمى سخيلاً أيضاً . قال الميداني عند شرحه لهذا المثل : سخيلى جارية

(١) الدرّمك كجعفر : دقيق الحوارى .

كانت لعاصم بن الظرب المدونى وكان عاصم حَكَمَ العرب . وكانت سَخِيلَ تَرعى عليه غنمه ، فكان عاصم يماثها فى رعيتهما إذا سرحت قال : أصبحتِ يا سَخِيلَ ، وإذا أراحت قال : أمسيت يا سَخِيلَ وكان عاصم عى فى فتوى قوم اختلفوا إليه فى خنقى يحكم فيه وسهر فى جوابهم ليالى قحالت الجارية . أتبعه الببال فبأيهما بال فهو هو ففرَّج عنه وحكم به . وقال مَسى سَخِيلَ بمدى أى بمد جواب هذه المسئلة أى لاسبيل لأحد عليك بعد ما أخرجتنى من هذه الورطة ، يضرب لمن يباشر أمراً لا اعتراض لأحد عليه فيه . ومنهن :

هذام بنت الريان

وهى القائلة (لو تُرِكَ القطا ليلاً لنا) قال المفضل الضبى : أول من قال ذلك حذام بنت الريان ، وذلك أن عاطس بن خلّاج سار إلى أبيها فى حير وخشم وجعق وهمدان ولقيهم الريان فى أربعة عشرَ حياً من أحياء اليمن فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم تماجزوا وأن الريان خرج تحت ليلته وأصحابه هراباً فساروا يومهم وليتهم ، ثم عسكروا وأصبح عاطس فندا لقتالهم فإذا الأرض منهم بلاقع فجرد خيله فانهوا إلى عسكر الريان ليلاً فلما كانوا قريباً منه أثاروا القطا ، فرت على أصحاب الريان ففرجت حذام بنت الريان إلى قومها فقالت :

ألا يا قومنا ارتحلوا وسيروا فلو تُرِكَ القطا ليلاً لنا
أى أن القطا لو ترك لنا طار هذه الساعة وقد أتاكم القوم ، فلم يلتفتوا إلى قولها وأخذوا إلى المضاجع لما نالهم من الكلال فقام ديسم بن طارق فقال بصوت عال :

إذا قالت حذام فصدّقوها فإن القول ما قالت حذام
فثار القوم فلجأوا إلى واد كان قريباً منهم فاعتصموا به حتى أسبحوا وامتنعوا منهم . قال اليدانى : قلت وفى رواية أبى عبيد أن البيت للجيح بن صعب فى أمراته

حدام ، وقد ذكرته في باب القاف . قال : وهذا مثل يضرب لمن حمل على مكروه من غير إرادته . هذا ما وقفت عليه من هذا الباب ، وعليك بالكتب المؤلفة فيه إن أردت الاستيعاب ، وما ذكرته كاف في المقصود ، ونسأله تعالى التسهيل إنه ذو البكرم والجود .

الكلام على أعياد العرب في الجاهلية وأفراسهم

اعلم أن العيد اسم لما يمود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائداً ما تعود السنة أو يمود الأسبوع أو الشهر أو نحو ذلك فالعيد يجمع أموراً منها يوم عائد كيوم الفطر ويوم الجمعة ، ومنها اجتماع فيه ، ومنها أعمال تتبع ذلك من المبادات والمعادات ، وقد يختص العيد بمكان يمينه وقد يكون مطلقاً وكل من هذه الأمور قد تسمى عيداً ، فإزمان كقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (إن هذا يوم جملة الله للسلمين عيداً) يعنى يوم الجمعة . والاجتماع والأعمال كقول ابن عباس (شهدت العيد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان ، فكلمهم كانوا يصلون قبل الخطبة) والكان ، كقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (لا تتخذوا قبري عيداً) وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم للذي نذر أن ينحر بُبُوَانَهُ^(١) (أيها وثن من أوثان الشركين أو عيد من أعيادهم ؟ قالوا : لا . قال : فأوفى بنذرك . وقد يكون لفظ العيد اسماً لمجموع اليوم والعمل فيه وهو الغالب كقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من جملة حديث (دعهما يا أبا بكر فإن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا) إذا عرفت ذلك فاعلم أن العرب كانوا في الجاهلية شيئاً متفرقين وفرقاً مختلفين . قال ابن قتيبة في أديان العرب : إنَّ النصرانية كانت في ربيعة وغان وبعض قضاة ، وكانت اليهودية في حمير وبني كنانة وبني الحارث بن كعب وكندة ، وكانت المجوسية في تميم منهم زُرارة بن عدس التميمي وابنه حاجب ابن زُرارة وكان تزوج ابنته ثم ندم ، ومنهم الأقرع بن حابس فقد كان مجوسياً ،

(١) بوانة كشماعة : هضبة وراء ينبع وماء لبنى جشم وماء لبنى عقيل .

وأبو الأسود جد وكيع بن حسان فقد كان مجوسياً أيضاً ، وكانت الزندقة في قريش أخذوها من الحيرة والمراد بالزندقة هنا عدم الإيمان بالآخرة وبالربوبية ولها غير هذا المعنى وكان بنو حنيفة اتخذوها في الجاهلية إلهاً من حنيس^(١) فعبدوه دهرأ طويلاً ثم أسابتهم بمجاعة فأكلوه فقال رجل من تميم :

أكلت ربها حنيفة من جو عر فديم بها ومن إعواز
وقال آخر :

أكلت حنيفة ربها زمن التثخم والمجاعة
لم يحدروا من ربهم سوء المواقب والتباعد

والتثخم القحط والحنيس الخلط وتمر يخلط بسمن وأقبط فيمجن شديداً ثم يندر^(٢) منه نواه وربما جعل فيه سويق ، وسيأتي إن شاء الله تعالى تفصيل الكلام في ذلك كله . والقصود أن العرب لم يكونوا متفقين المذهب ، ولا متحدين المسلك والمشرع ، ولا شك أن الأعياد من الديانات ، ولو أحق المبادات ، وإلى ذلك ذهب المفسرون في قوله تعالى : (ولكل أمة جعلنا منسكاً ما ناسكوه) فقد فسروا المنسك بالمعيد فلم يكن العرب يومئذ متفقين في الأعياد ، كما لم يتفقوا في الدين والاعتقاد ، فلزم أن نبين ما لكل فرقة منهم من الأعياد والمواسم على وجه الإجمال ، ولو ذكرنا ما كان لكل قبيلة من ذلك على وجه التفصيل لطال المقال ، ومن الله نستمد التوفيق وعليه الانتهاء .

أعياد المشركين من عبدة الأصنام

كان لعباد الأصنام من العرب في الجاهلية أعياد كثيرة منها مكانية ومنها زمانية أما « المكانية » فكثيرة ، وهي مواضع أصنامهم وأوثانهم وأمكنة طواغيتهم وكانت الطواغيت الكبار التي كانت تشد إليها الرحال وتتخذ عيداً ثلاثة : اللات

(١) سيألى تفسيره . (٢) نادر الشيء ندورا من باب قد سقط أو خرج من غيره ومنه نادر الجبل وهو ما يخرج منه ويبرز وندر فلان من قومه .

والمُرِّي ومِنَاة الثالثة الأخرى كما ذكر الله تعالى ذلك في كتابه حيث قال : (أفرأيتم اللاتَ والمُرِّي ومِنَاة الثالثة الأخرى أَلَكُم الذِّكْرُ وَلَهُ الْأُنْثَى تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى)^(١) وكل واحد من هذه الثلاثة لمصر من أمصار العرب ، والأمصار التي كانت من ناحية الحرم ومواقيت الحج ثلاثة : مكة والمدينة والطائف ، فكانت اللات لأهل الطائف . ذكروا أنه كان في الأصل رجلاً صالحاً يَلْتُ^(٢) السوق للحجاج فلما مات عكفوا على قبره مدة ثم اتخذوا تمثاله ثم بنوا عليه بنية سموها بيت الربة . وأما المُرِّي فقد كانت لأهل مكة قريباً من عرفات ، وكانت هناك شجرة يذبحون عندها ويدعون ، فبعث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خالد بن الوليد عقب فتح مكة فأزالها وقسم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مالها وخرجت منها شيطانة ناشرة شرها فيئست المُرِّي أن تمهد . وأما مِنَاة فكانت لأهل المدينة يهلون لها شركاء بالله تعالى ، وكانت حذو قديد الجبل الذي بين مكة والمدينة من ناحية الساحل . وكانت لهم مواسم من السنة بمخصوصة للاجتماع في هذه الثلاثة ، وكانت العرب تقيدها من كل فَنَج وتُعظمها كتعظيم الكعبة ، وكان لها سدة^(٣) وخُجَاب ، وكانوا يهلون إليها كما يهلون للكعبة يطوفون بها وينحرون عندها مع اعترافهم بفضل الكعبة عليها لعلمهم أنها بيت أبيهم إبراهيم الخليل عليه السلام ومسجده ، وكان ذو الخلصة يبتأ باليمن لخشم وبجيلة فيه نصب يمدونها ولهم فيه من السنة موسم وعيد ، وفي الحديث : (كان بيت في الجاهلية يقال له ذو الخلصة والكعبة البمانية والكعبة الشامية ، قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لجرير ألا تريحنى من ذى الخلصة ؟ قال جرير : فنفرت في مائة وخمسين راكباً فكسرناه وفعلنا من وجدنا عنده فأتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبرته ففدا لنا

(١) أى ناقصة ويقال جائرة ويقال أضاره حقه إذا نقصه وضار في الحكم إذا جار فيه وضيزى وزنه فعلى وكسرت الضاد البياء وليس في النعوت فعلى .
(٢) لت الرجل السوق لنا من باب قتل بله بئىء من الماء وهو اخف من البس .
(٣) يقال سدنت الكعبة سدنا من باب قتل نخدعتها فالواحد سادنا والجمع سدة والسدانة باكسر الخدمة .

ولأخس) وفي رواية أخرى قال رسول جرير: والذي بمنك بالحق ما جئتكم حتى تركتها كأنها جمل أجرب، قال فبارك في خيل أحمس ورجلها خمس مرات، وهذا غير ذي الخلصة الذي نصبه عمرو بن لُحَيٍّ أسفل مكة. وكانوا يلبسونه القلائد ويحملون عليه بيض النعام ويذبحون عنده.

وكان أهل نجران يمدون نخلة طويلة بين أظهرهم لها عيد وموسم في كل سنة إذا كان ذلك للمعيد عاقوا عليها كل ثوب حسن وحلى النساء ثم خرجوا إليها وعكفوا عليها يوماً فابتاع فيمون — وكان مؤمناً بعيسى عليه السلام — رجل من أشرف أهل نجران وابتاع سالماً آخر، فكان فيمون إذا قام من الليل يتهجد في بيت له أسكنه إياه سيده فإذا صلى أضاء له البيت نوراً حتى يصبح، فأحس بذلك سيده فأعجبه ما يرى منه فسأله عن دينه فأخبره به فقال له فيمون: إنما أنتم في باطل إن هذه النخلة لا تنضر ولا تنفع ولو دعوت عليها إلى الذي أعبد أهلكها وهو الله وحده لا شريك له فقال سيده فافعل فإنك إن فأت دخلنا في دينك وتركنا ما نحن عليه، فقام فيمون فتطهر وصلى ركعتين ثم دعا الله تعالى عليها فأرسل الله عليها ريحاً فجعلتها أي قلعتها من أصلها فألقها فاتبعه عند ذلك أهل نجران على دينه فعملهم على الشريعة من دين عيسى بن مريم عليه السلام ثم دخلت عليهم الأحداث التي دخلت على أهل دينهم بكل أرض فمن هنالك كانت النصرانية بنجران في أرض العرب.

وأما «الزمانية» فهي أيام مسراتهم وأفراحهم لظفرهم على عدوهم ونصرتهم على خصومهم ومحاربتهم، وذلك إنما يكون بحسب قوم دون قوم وقليلة دون أخرى فيتفق في يوم هو عيد لقوم وسرور وهو لآخرين حزن وبؤس. وكان لأهل المدينة يومان يلعبون فيهما^(١) فلما قدم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة قال لهم (قد أبدلكم الله تعالى بهما خيراً منهما يوم الفطر والأضحي) ويوم (السبع) عيد من أعياد قبيلة من قبائل العرب في الجاهلية يشتملون فيه باللهو

(١) ذكر بعض شراح الحديث انهما التبريز والمهرجان وكانهم اخذوهما من الفرس.

واللب ، وكذلك يوم (السباسب) كأن عيداً لقوم من العرب في الجاهلية ، قال النابغة .

رَقَّاقُ النِّمَالِ طَيِّبُ حُجْرَاتِهِمْ يُبَحِّثُونَ بِالرِّيحَانِ يَوْمَ السَّبَاسِبِ^(١)
يقول : هم أعفَاء الفروج لا يحلون إزارهم لرية ، وكانوا إذا حيوا يقدمون مع التحية الريحان لا أنهم يحيون بنفس الريحان . وذلك في هذا الموسم خاصة وبعض الأدباء عَمَّ .

أعياد الجورس وهم الفرس وشرذمة من العرب وغيرهم

وهي كثيرة جداً حتى إن علي بن حمزة الأصبهاني عمل فيها كتاباً ذكر فيه سبب اتخاذهم لها وستن ملوكهم فيها فكرهت أن أقتنى أثره في ذلك خوف التطويل فاقصرت منها على المشهور الذي أولع الشعراء بذكره ، واعتنى الأشراف بأمره ، وهو (النبروز) و(المرجان) و(السدق) فأما «النبروز» فهو تربب نوروز وهو أعظم أعيادهم يقال : إن أول من اتخذ (جشاد) أحد ملوك الطبقة الأولى من الفرس وهذا الاسم في الأصل مركب من جيم وهو القمر وشاد وهو الشماع والضياء وسبب اتخاذهم لهذا اليوم عيداً إن (طمهورة) لما هلك ملك بمده جشاد فسمى اليوم الذي ملك فيه نوروزاً أي اليوم الجديد ، ونقل عن بعض الجامع إن جشاد ملك الأقاليم السبعة والجن والإنس ، وأنه لما مضى من ملكه ثلثائة وستة عشر سنة أقبل على عجلة من زجاج عملتها له الشياطين سار بها إلى (دنياوند) إلى (بابل) في يوم واحد ، وجعل يسير بها في الهواء حيث شاء ، وأن اليوم الذي ركبها فيه كان أول من شهر (أنوريزماه) وكان مدة ملكه لا يريهم وجهه فلما ركبها أبرز لهم وجهه ، وكان له حظ وافر من الجمال فعملوا يوم رؤيتهم له عيداً وسموه نوروزاً والله تعالى أعلم بصحة ذلك . والفرس يصفون جشاد بما وصف

(١) الحجة . بالضم مقعد الإزار ومن السراويل موشع التكة .

به سليمان بن داود عليهما السلام ، وأنه كان مجاب الدعوة ، وأنه سأل ربه أن يرفع من رعيته الموت والسقم فكثر الخلق حتى ضاقت بهم الأرض فسأل ربه أن يوسعها عليهم فأمره أن يأتي جبل (البرز) وهو جبل (قاف) المحيط بالأرض فيأمره أن يتسع ثلاثمائة فرسخ في أحوار الأرض فأتسع ، ثم بعد ذلك طلى وتجبر فذهب بهاؤه وشعاعه وهرب يجول في الأرض مائة سنة ثم طفر به الضحاك فنشره بالنيشار . ومن الفرس من يزعم أن النيروز هو اليوم الذي خلق الله تعالى فيه النور ، وأنه كان معظماً قبل جهشاد . وبعضهم يزعم أنه أول الزمان الذي ابتدأ الفلك فيه بال دوران ، ومدته عندهم ستة أيام أولها اليوم الأول من شهر (أفروديزماه) الذي هو أول شهور سنتهم ويسمون اليوم السادس النيروز الكبير لأن ، الأكاسرة كانوا يقضون في الأيام الخمسة حوائج الناس على اختلاف طبقاتهم ، ثم ينتقلون إلى مجالس أنسهم مع خواصهم .

وحكى ابن المقفع : أنه كان بين عاداتهم فيه أن يأتي الملك رجل من الليل قد أرسد لسا يفعله حسن الاسم والوجه فيقف على الباب حتى يُصيح ، فإذا أصبح دخل على الملك من غير استئذان ووقف حيث يراه ، فيقول له الملك : من أنت ومن أين أقبلت وأين تريد وما اسمك ولأى شيء وردت وما معك ؟ فيقول : أنا للنصور واسمى المبارك ومن قبل الله أقبلت والملك السعيد أردت وبالحنا والسلامة وردت ومضى السنة الجديدة ، ثم يجلس ويدخل بعده رجل معه طبق من فضة وعليه حنطة وشعير وجلبان وحمص وسمسم وأرز ، من كل جنس سبع سنابل وسبع حبات وقطعة سكر ودينار ودرهم جديان فيضع الطبق بين يدي الملك ، ثم تدخل عليه الهدايا ويكون أول من يدخل عليه وزره ثم صاحب الخراج ثم صاحب الثروة ثم الناس على مراتبهم ، ثم يقدم للملك رغيف كبير مصنوع من تلك الحبوب موضوع في سلة فيأكل منه ويطلع من حضره ، ثم يقول : هذا يوم جديد من شهر جديد من عام جديد من زمان جديد يحتاج

إلى أن نجد فيه ما أخاق الزمان ، وأحق الناس بالفضل والإحسان الرأس لفضله على سائر الأعضاء . ثم يخلع على وجوه مملكته ويصليهم ويفرق فيه ما حمل إليه من الهدايا . وأما عوام الفرس فكانت عادتهم إيقاد النار في ليلته ورش الماء في صباحه ، وزعموا أن إيقاد النار فيه لتحليل المغونات التي أبقاها الشتاء في الهواء وقيل : إنما فعلوا ذلك تنويعاً بذكره وإشهاراً لأمره . وقيل في رش الماء إنما هو بمنزلة النثر^(١) لتطهير الأبدان مما انضاف إليها من دخان النار الموقدة في ليلته . وقال آخرون : إن سبب رش الماء أن فيروز بن زدرج لما استتم بناء سور (جى)^(٢) وأصبهان القديمة لم يقع الطرس سبع سنين من ملكه ، ثم مطرت في هذا اليوم فخرج الناس بالطر فصبوا من مائه على أبدانهم من شدة فرحهم به فصار ذلك سنة عندهم في ذلك اليوم من كل عام^(٣) . وكثيراً ما نحا الناس هذا النحو لمواقاة أيام بالكندر بدلاً عن الصفو ، وعند القبط بمصر عيد يسمونه (النبروز) أيضاً ويتخذونه في رأس سنتهم ويسميه نصارى الشام (القلنداس) وهم يظهرون فيه من الفرح والسرور وإيقاد الفيران وصب المياه ضف ما يفعلهُ الفرس ويشاركهم في ذلك العوام من المسلمين إلا أن أهل مصر يزيدون فيه التصانع بالنطاع ، وربما حملهم ترك الاحتشاد على أن يجترؤا على الرجل المطاع ، ولولا أن ولاية الأمر يدعونهم ويمنعونهم من ذلك لمنعوا الطريق من السالك وهم مع هذا من ظفروا به لا يتركونه إلا بما يرضيهم من الفداء ، كما يفعل بمن حصل في أيدي الأعداء ، ويقال إن أول من عمل نبروز القبط أثود بن قبطم ابن مريم أحد ملوك القبط الأول ، وأول من رسم هدايا النبروز والمهرجان في الإسلام الحجاج بن يوسف الثقفي ، وأول من رفع ذلك عمر بن عبد العزيز ،

(١) بالضم رقية يمالج بها المجنون والمريض (٢١) بالفتح لقب أصبهان قدماً

(٢) وما أحلى قول بعضهم يخاطب من بهواه ويذكر مايعتمد في النبروز

من شب التبران وصب الافواه :

وكسل مافية يحكيكى واحكيه

وتارة كتوالى عبرتى فيسه

فكيف تهدى الى من انت تهديه

كيف انتهاجك بالنبروز باسكنى

فتارة كلهيب النار في كبدى

اسلمتني فيه يا سؤلى الى وجب

واستمر ذلك إلى أن فتح الهدية فيه (أحمد بن يوسف الكاتب) فانه أهدى فيه للأموّن
سقط ذهب فيه قطعة عود هندی في طوله وعرضه وكتب معه هذا يوم جرت فيه
المادة ، بألطف العبيد للسادة ، وقد قلت :

على العبد حقّ وهو لا شك فاعله وإن عظم المولى وجَلَّتْ فواضِلُهُ^(١)

وكتب سعيد بن حميد إلى صديق له يوم نيروز : هذا يوم سهلت فيه السنة
للعبيد الإهداء للملوك وتملقت كل طائفة من البر بحسب القدرة والهمة ولم أجد فيما
أملك ما في بحقك ، ووجدت تفريطك أبلغ من أداء ما يجب لك ومن لم يؤت
في هدية إلا من جهة قدرته ، فلا طمن عليه في همته . ولم يزل الناس على سنن
الفرس في استجباء الخراج عند دخول النيروز حتى دخل عليهم الخلل في دور
السنين فحاولوا أن يؤخروه وذلك في زمن هشام بن عبد الملك ، وبنوا لخالد
ابن عبد الله القسري مائة ألف دينار على ذلك فكتب فيه إلى هشام ، فكتب
إليه هشام : أخاف أن يكون هذا بين النساء الذي قال الله تعالى فيه : إنما النساء
زيادة في الكفر . فامتنع خالد من ذلك ثم سئل يحيى بن خالد بن برمك في أيام
الرشيد أن يؤخر النيروز إلى شهرين فزم على ذلك فيلذه أن قوماً قالوا أراد أن
ينصر المجوسية فامتنع من ذلك إلى أن رأى التوكل وقد ركب للصيد يوم النيروز
والزرع لم يسبل بعد وقال : قد استؤذنت في فتح الخراج والزرع لم يسبل بعد
فعرّفه إبراهيم بن عباس الصولي أن الأكامرة كانت تسقط في كل عشرين ومائة
سنة شهراً ، وإن الروم طرحت بعد موت الإسكندر من كل أربع سنين يوماً
وربع يوم ، وإنما فعلوا ذلك لأن الشمس تقطع الغلّك في كل ثلثائة وستين يوماً
وربع يوم فيجمع من هذا الأربع يوم في كل أربع سنين فيطرح وتسمى هذه السنة

(١) ويروي بعده :

الم ترنا نهدي إلى الله ما له
فلو كان يهدي للجليل بقدره
ولكننا نهدي إلى من نجس له
وان كان منه ذا غنى فهو قابله
لقصر عنه البحر يوماً وساحله
وان لم يكن في وسعنا ما نساكله

كبيسة فلما جاء الإسلام عملوا على رسم دواوين المعجم من غير أن يطرحوا هذا اليوم ، فأمر التوكل الحُصَّابُ أن يحسبوا ما طرحوه فحسبوا الذى مضى من السنين التى لم تكسب فيها بمد ذهاب الفرس فوجدوه مائتين وخمسين سنة فحملوا لكل مائة وعشرين سنة شهراً ، فوافق المابع عشر من حزيران ، وأمر أن يجعل النيروز فى هذا اليوم ، وأن لا يفتح الخراج إلا فيه ، وكان هذا فى أواخر سنة اثنتين وأربعين ومائتين . ثم قدم فى أيام المتضد إلى الحادى عشر من حزيران تحريراً للحساب الأول ، وقلت فى أيام الطبع لله سنة خمسين وثلاثمائة الخراجية إلى سنة إحدى وخمسين . وأما « المهرجان » فوقوعه فى السادس والعشرين من تشرين الأول من شهور السريان ، ومن شهور القرس فى السادس عشر من مهرماء وهذا الأوان وسط زمن الخريف ولهذا قال الشاعر :

أَجِبُّ المهرجانَ لأنَّ فيه سروراً للفلوك ذوى السناء
وباباً للصير إلى أوانٍ تفتح فيه أبواب السماء

وهو ستة أيام ويسمى اليوم الثالث للمهرجان الأكبر . قال السعوى وسبب تسميتهم لهذا اليوم بهذا الاسم أنهم كانوا يسمون شهورهم بأسماء ملوكهم ، وكان لهم ملك يسمى مهراً يسير فيهم بالعنف والفسف فأت فى نصف الشهر الذى يسمونه مهرماء ، ومعنى ماه القمر فسمى ذلك اليوم مهرجان وتفسيره : نفس مهر ذهبت لأن المعجم يقدمون المضاف إليه على المضاف بخلاف العرب ، وهذه اللمة لمة الفرس الأولى وتسمى النهلوية ويقال مهر وفاء وجان سلطان وكان معناه سلطان الوفاء . وزعم آخرون أن مهر بالفارسية حفاظ وجان الإروح^(١) . ويقال : إنما ظهر فى عهد إفريدون الملك ، ومعنى هذا الاسم أدراك النار بعده عن دين المجوسية

^(١) وفى ذلك يقول عبيد الله ابن عبد الله بن طاهر :

إذا ما تحسقت بالمهرجاء ن من ليس يعرف معناه غافلاً
ومعناه ان غلب الفرس فيه فسموه للزروح فيه حفاظاً

وسبب اتخاذهم له أن بيوراسب وهو الضحاك^(١) . ويقال له الإزدهاق ذو الجنتين

(١) قال ابن الأثير في الكامل ذكر بيوراسب وهو الإزدهاق الذي يسميه العرب الضحاك قال وأهل اليمن يدعون أن الضحاك منهم وأنه أول أفرعنة وكان ملك مصر لما قدمها إبراهيم الخليل .

والفرس تذكر أنه منهم وتنسب اليهم وأنه بيوراسب بن اردناسب ابن رينكال بن ونديشتك بن ياربن بن فروال بن سسيماك بن ميشي بن جيومرت ومنهم من ينسب هذه النسبة .

وزعم أهل الأخبار أنه ملك الأقاليم السبعة وأنه كان ساحرا فاجرا ، قال هشام ابن الكلبي ملك الضحاك بعد جهم فيما يزعمون والله أعلم ألف سنة ونزل السواد في قرية يقال لها برس في ناحية طريق اكوفة وملك الأرض كلها وسار بالفجور والصف وبسط يده في القتل وكان أول من سن الصلب والقطع وأول من وضع العشور وضرب الدراهم وأول من تفنى وغنى له ، قال وبلغنا أن الضحاك هو عمروذ وأن إبراهيم عليه السلام ولد في زمانه وأنه صاحبه الذي أراد إحراقه .

وتزعم الفرس أن الملك لم يكن إلا البطن الذي منه أوشهينج وجم وطهمورت وأن الضحاك كان غاصبا وأنه غصب أهل الأرض بسحره وخبثه وهول عليهم بالحيثين اللتين كانتا على منكبيه وقال كثير من أهل الكتب أن الذي كان على منكبيه كان لحيثين طويلتين كل واحدة منهما كراس التبان وكان يسترهما بالثياب ويذكر على طريق التهويل أنهما حينان يقضسيانه الطعام وكانتا تتجرعان تحت ثوبه إذا جاعا . ولقى الناس منه جهدا شديدا وذبح الصبيان لأن اللحيثين اللتين كانتا على منكبيه كانتا تضربانه فإذا طلأهما بدماغ إنسان سكنتا فكانا يلدبح في كل يوم رجلين فلم يزل الناس كذلك حتى إذا أراد الله هلاكه وثب رجل من العامة من أهل أصبهان يقال له كابي بسبب ابنين له أخداهما أصحاب بيوراسب بسبب اللحيثين اللتين كانتا على منكبيه، وأخذ كابي عصا كانت بيده فعلق بطرفها جرابا كان معه ثم نصب ذلك كالهلم ودعا الناس إلى مجاهدة بيوراسب ومحاربتة فاسرع إلى أجابته خلق كثير لما كانوا فيه من البلاء وفنون الجور فلما غلب كابي نفاءل الناس بذلك العلم فمعهظوه وزادوا فيه حتى صار عند ملوك العجم علمهم الأكبر الذي يتبركون به وسموه درفش كايان فكانوا لا يسرونه إلا في الأمور الكبار المعظام ولا يرفع إلا لاولاد الملوك إذا وجهوا في الأمور الكبار ، وكان من خبر كابي أنه من أهل أصبهان فثار بمن اتبعه فالتفت الخلائق إليه فلما أشرف على الضحاك قذف في قلب الضحاك منه الرعب فهرب عن منازل وخلق مكانه فاجتمع الأعوام إلى كابي فاعلمهم أنه لا يتعرض للملك لأنه ليس من أهله وأمرهم أن يملكوا بعض ولد جهم لأنه ابن الملك أوشهينج الأكبر ابن فروال الذي رسم الملك وسبق في القيام ، وكان أفريدون بن أنفيان مستخفيا من الضحاك فوافى كابي ومن معه فاستبشروا بموافاته فملكوه وصار كابي والوجود لأفريدون أعوانا على أمره فلما ملك وأحكم ما احتاج إليه من أمر الملك واحتوى على منازل الضحاك وسار في أثره فأمره بدنياوند في جبالها .

وبعض المجوس تزعم أنه وكل به قوما من الجن وبعضهم يقول أنه أقي سليمان بن داود وحبسه سليمان في جبل دنباوند وكان ذلك الزمان بالشام فلما برح بيوراسب بحبسه يجره حتى حمله إلى خراسان فلما عرف سليمان

والأفواه الثلاثة والأعين الستة الداهية الخبيث المتعبد لما قتل جهشاد وملاك .
جاء إبليس في صورة خادم قبيل منكبيه فهدت فيهما حيتان وكانت تؤله فوصف
له أدمغة الناس فقتل كل يوم غلامين لذلك فأجصف قتل الولدان بالرعية فخرج
رجل بأصبهان يقال له (كابي) وعقد لواء من سنبك جدى ، وقيل من جلد أسد
ودعا الناس إلى عمارية الضحاك فاجتمع له خلق كثير ، وشخص إلى الضحاك
فهاجمهم وهرب منهم فاجتمع الفرس إلى (كابي) ليلكوه عليهم ، فقال : ما أنا من
أهله وذكر لم أن معه صبياً من ولد جهشاد يسمى أفريدون ، فقال : أرى أن
تملكوه وتميدوا الملك إلى أهله . فلكوه فخرج أفريدون في طلب الضحاك فوجده
فأخذه وشده وحسه في جبل دنباوند ، وجعل ذلك اليوم عيداً وسماه المهرجان .
وقال إن ذلك اللواء لم يزل عند الفرس منشى بالديباج للذهب المرصع بضروب
الجواهر ، وكان يسمى (درفس كابي) ومعنى درفس قائم ، وكانت ملوك الفرس
لا تخرجه إلا في يوم حرب تبركابه ، ولا يحمل إلا على رأس ملك أو ولي عهد ،
ولم يزل عندهم إلى أن جاء الإسلام فحمل على رأس رسم في وقعة القادسية ، فلما
هزمت الفرس وقتل رسم صارت هذه النائم إلى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى
عنه فتوالت بألوي ألف ومائتي ألف وثلاثين ألف درهم . وقيل : كان أخذها يوم
فتح المدائن . وقيل : يوم فتح نهاوند . وزعم بعض الفرس أن الضحاك هو
نرود ، وأفريدون هو إبراهيم عايه السلام . ويقال : إن المهرجان هو اليوم الذى

ذلك امر الجن فاقتره حتى لا يزول وعملوا عليه طلسماً كرجلين يدقان باب
الغار الذى حبس فيه أبداً لئلا يخرج فانه عندهم لا يموت . وهذا أيضاً من
أكاذيب الفرس الباردة ولهم فيه أكاذيب أعجب من هذا تركنا ذكرها .
وبعض الفرس يزعم أن أفريدون قتله يوم النيروز فقال العجم عند قتله امر
وزنوروز أى استقبلنا الدهر بيوم جديد فاتخذوه عيداً وكان اسمه يوم
المهرجان فقتل العجم امه مهرجان فتقتل من كان يذبح وزعموا أنهم لم
يسمعوا في أمور الضحاك بشيء يستحسن غير شيء واحد وهو أن يلبثه لما
أشتدت ودام جوره ترأسل الوجوه في أمره فاجمعوا على المصير إلى بابه
فوافاه الوجوه فاتفقوا على أن يدخل عليه كابي الا صبهاتى فدخل عليه
ولم يسلم فقال أيها الملك أى السلام عليك سلام من يملك الاقاليم كلها
أم سلام من يملك هذا الاقليم ، فقال بل سلام من يملك الاقاليم كلها لاني
ملك الأرض .

هذا ما اردنا ذكره توضيحاً لما أجمل في الاصل ليس الا .

عقد فيه التاج على رأس أزدشير بن بابك أول ملوك الفرس الساسانية وقال عبيد الله ابن عبد الله بن طاهر يفضل المهرجان على النيروز :

أخا الفرس إن الفرس تعلم أنه لأطيب من نيروزها مهرجانها
لإدبار أيام ينم هواؤها وإقبال أيام يسر زمانها

وكان مذهب الفرس فيه أن تدهن ملوكهم بدهن البان تبركا وكذلك هوامهم وأن يلبس المعصب والوشى وأن يتتوج بتاج عليه صورة الشمس وحجلتها الدائرة عليها ، ويكون أول من يدخل عليها التوبذان يطبق فيه آرجة وقطعة مسكر ونبق وسفرجل وعتاب وتفتح وعنفود عنب أبيض وسبع طاقات آس قد زمزم عليها ، ثم تدخل الناس على تفاوت طبقاتهم بمثل ذلك . وكان أزدشير وأنوشيروان يأمران بإخراج مافي خزائهم في المهرجان والنيروز من أنواع اللباس والفرش فيفرق كلهما في الناس على مراتبهم ويقولان . إن الملوك تستغنى عن كسوة الصيف في الشتاء وعن كسوة الشتاء في الصيف ، وليس من أخلاقهم أن تجبي كسوتهم في خزائهم وتساوى العامة في فعلها . وزعم أصحاب التاريخ أن النيروز حملته الفرس قبل المهرجان بألثي سنة وخمسة سنة . وكانوا يهدون في النيروز والمهرجان المسك والمنبر والمود الهندي ويعرضون في النيروز من الزعفران الكافور . وأما « السدق » ويعمل في ليلة الحادى عشر من شهر آيارماه ويسمى هذا اليوم عند الفرس روزبان لأن لكل يوم من أيام الشهر عندهم أسماء ويقال في سبب اتخاذهم له : إن فراسياب لما تملك سار إلى بلاد بابك فأكثر فيها الفتنة وخرب ما كان عامراً منها فخرج عليه زفرب بن طهماز شب فطرده عن مملكة فارس إلى بلاد الترك . وكان ذلك في يوم روزبان فاتخذ الفرس هذا اليوم عيداً وجعلوه ثالثاً لميذى النيروز والمهرجان ، ولما تملك وضع عن الناس خراج سبع سنين فعمرت البلاد . ويقال أيضاً في سبب اتخاذهم لهذا العيد : إن الأب الأول وهو عندهم كيومرت لما كمل له من بنيه مائة ولد زوج الذكور بالإناث وصنع لهم

عرساً أكثر فيه من إيقاد النيران، وقد وافق هذا تلك الليلة المذكورة فاستنت ذلك الفرس بدمه وهم يوقدون النيران بسائر الأدهان ويزيدم الولوع بها حتى أنهم يلقون فيه سائر الحيوانات .

وللفرس أعياد دون ما ذكرناه . منها عيد يسمى « نيركان » زعموا أنه لما وقعت المصالحة بين منوهر و فراسياب التركي على أن يعطى فراسياب منوهر من المملكة قدر مية سهم فأنبروا رجلاً يقال له آيس ، وكان مؤيداً في الرمي ففرز سهماً في قوسه ورى وامتد السهم من جبال طبرستان إلى أعالي طخريستان ، وهذا يكون في الثالث عشر من تيرماه . وإيام « الفيروزجان » وهي خمسة أيام أولها السادس والعشرون من أبان ماه ومعناه تربية الروح لأنهم كانوا يصنعون فيها أطعمة وأشربة لأرواح موتاهم ، ويزعمون أنها تأتي وتفتدى بها « وركوب الكوسج »^(١) يعمل في أول يوم من آذرماه . وسنتهم فيه أن يركب في كل بلد من بلادهم رجل كوسج قد أعد لها يصنع به يأكل الأطعمة الحارّة ويشرب الشراب الصرف أياماً قبل حلول الشهر ، فإذا حل لبس غلالة صبوردة وركب بقرة وأخذ على يده غراباً ، ويتبعه الناس يصبون عليه للماء ويضربون وجهه بالثلج ويروّحون عليه بالمرّاح وهو يصيح بالفارسية كرم كرم . ومعناه : الحرّ الحرّ ، يفعل ذلك سبعة أيام ومعه أوباش الناس يهبون ما يجدون من الأمتعة في الحوانيت ، وللسلطان عليهم مال فإذا وجدوا بعد عصر اليوم السابغ ضربوا وحسوا . ويقال : إن هذا الفعل كان يتداوله أهل بيت كل منهم كوسج . وحكي الزغشري في كتاب (ربيع الأبرار) في سببه : أن كوسجاً كان يشرب في هذه الأيام ويطلّي بدنه فيها فعملته الفرس . وفي ركوبه يقول الشاعر :

قد ركب الكوسجُ يا صاحراً فالتدُّ بالزهر والراح
وأنهم بأزرماء عيشاً وخذ من لثة العيش بمفتاح

(١) الكوسج معرب كوسه بمعنى ناقص الشعر وقيل ناقص الاسنان والاول هو المعروف واشتقوا منه فعلاً فقالوا من طالت لحيه تكوسج عقله ، ويقال كوسق وهو اسم سمكة وهو معرب ايضاً .

و « عيد بهمنته » يتخلونه في يوم بهمن في شهر بهمن ماه يؤكل فيه بهمن الأبيض باللبن الخالص على أنه ينفع الحفظ ، ورؤساء خراسان كانوا يملون فيه الدعوات على طبيخ فيه كل حب مأكول ولحم كل حيوان يؤكل ويحضر ما يوجد في ذلك الوقت من بقل أو نبات .

أعياد القبط والنصارى

قال الشيخ شهاب الدين الحموى في كتابه (عجائب المخلوقات) : للقطب أربعة عشر عيداً سبعة يسمونها كباراً وسبعة يسمونها صغاراً فالكبار :

« البشارة » ويمنون بها بشارة (غبريال) وهو جبريل عليه السلام على زعمهم لريم عليها السلام بميلاد عيسى صلوات الله عليه يعملونه في اليوم التاسع والعشرين من برمات من شهر القبط .

و « الزيتونة » وهو عيد الشمانين وتفسيره التسليح يعملونه في سابع أحد من صومهم وكانت سنتهم فيه أن يخرجوا بسفم النخل من الكنيسة وهو ركب السليح النفوس في القدس وهو معنى الحمار ودخوله صيور وهو راكب والناس يسبحون بين يديه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر

و « الفصح » وهو العيد الكبير عندهم يقولون إن المسيح قام فيه بعد الصلبوت بثلاثة أيام وخلص آدم من الجحيم وأقام في الأرض أربعين يوماً آخرها يوم الخميس ثم صعد إلى السماء ، وكان يوافق فصح اليهود قبل زمان تسليطين . ولما نصر قسطنطين وابن واجتمع الأساقفة حينئذ على وضع الأمانة وهي العقيدة التي يدين بها جميع فرق النصارى فاتفقوا أيضاً على مخالفة اليهود في الفصح فأخروه عنه وجعلوه يوم الأحد .

و « خميس الأربعين » ويسميه الشاميون (السلاق) وهو الثاني والأربعون من الفطر يزعمون أن المسيح عليه السلام تساق فيه من بين تلاميذه إلى السماء بعد القيام ووعدهم إرسال (الفار قبط) وهو روح القدس .

و « عيد الخسین » وهو المنصرة يعمل بمد خمسين يوماً من عيد القيام يقولون إن روح القدس حلت في التلاميذ وتفرقت عليهم ألسنة الناس فتكلموا بجميع الألسنة وراح كل واحد منهم إلى بلاد لسانه يدعوهم إلى دين المسيح عليه السلام .

و « الميلاد » وهو الذي ولد فيه المسيح عليه السلام . يقولون : إنه وُلد يوم الاثنين ويحملون عشية الأحد ليلة الميلاد وهم يقنون فيها المصاييح بالكنايس ويزينونها ، وُولد صلوات الله عليه ببيت لحم قرية من أعمال فلسطين يعمل في التاسع والعشرين من كيفسكر من شهر القبط . وقال السمودي : يوم الأرباء لست من كانون الثاني ، وكانت مريم عليها السلام يوم ولده بنت ثلاث عشرة سنة .

و « الفطاس » ويعمل في الحادى عشر من طوبة من شهورم ، يقولون إن يوحنا وهو يحيى بن زكريا عليهما السلام غمس بالمعدان ، وفيه غسل عيسى عليه السلام في بحيرة الأردن . ويزعمون أنه لما خرج من الماء اتصل به روح القدس على هيئة حمامة والنصارى يغمسون أولادهم في الماء في هذا اليوم ووقته شديد البرد . ورأيت في بعض الكتب هذه الأعياد ، وذكر فيه يوم ظهور المجرس وأنهم أهدوا له دقيقاً ولباناً وتمرّاً وهو يوم النجم .

وَأما الأعياد الصغار « فالتنان » ويعمل في سادس (مُونة) ويقولون : إن المسيح ختن في هذا اليوم وهو الثامن من الميلاد .

و « الأربعون » عيد دخول الهيكل ، يقولون : إن سمعان الكاهن دخل بمبسى عليه السلام مع أمه وبارك عليه ويعمل في ثامن أُمشير .

و « خميس المهد » ويعمل قبل الفطر بثلاثة أيام وسنتهم فيه أنهم يأخذون إناء ويملاؤنه ماء ويزمزمون عليه ثم يفسل البطريك به أرجل سائر الناس ويزعمون أن المسيح عليه السلام فعل هذا بتلاميذه في هذا اليوم يعلمهم التواضع وأخذ

عليهم المهد أن لا يتفرقوا وأن يتواضع بعضهم لبعض والمامة من النصارى يسمون هذا الخيس (خيس المدس) لأنهم يطبخون فيه المدس على ألوان شتى ويسميه أهل الشام (خيس الرز وكان) ويسميه أهل الأندلس (خيس إبريل) وهو اسم شهر من شهور الروم .

و « سبت النور » وهو قبل الفصح بيوم يقولون : إن النور يظهر على مقبرة المسيح في هذا اليوم فتشتعل منه مصابيح كنيسة القيامة التي بالقدس وما ذلك إلا من التخيالات النيرنجية التي يفعلها القسيسون منهم ليستميلوا بها العقول الضعيفة وذلك أنهم كانوا يملقون القناديل في بيت المذبح ويتحيفون في إيصال النار إليها بأن يمدوا على ساثرها شريطاً من حديد في غاية الدقة مدهونا بدهن البلسان ودهن الزنبق فإذا سلوا وحن وقت الزوال فتحوا المذبح فدخل الناس إليه وقد اشتعلت فيه الشموع ويتوصل به بعض القوم إلى أن يملق بطرف الشريط النار فتسرى عليه فتتقد القناديل واحد بعد واحد إذ من طبيعة دهن البلسان علوق النار فيه سريعاً بأدنى ملامسة له فيظن من حضر من ذوى العقول الناقصة أن النار نزلت من السماء فأوقدت القناديل وكذلك اتخذوا شريطاً دقيقاً من حديد مدهون بهذا الدهن منصوباً من أعلى القبة إلى فتيلة قنديل معلق في وسط القبة فيوقد طرف الشريط فتسرى النار فيه إلى الفتيلة فتشتعل . وقد أراد بعض ملوك الشام من بى أيوب إبطالها قتيلاً له : إنك تحصل بهذا كثيراً من المال في كل سنة فكف عنها وتركها .

و « الأحد الجديد » وهو بعد الفصح بثمانية أيام يعمل أول أحد بعد الفطر لأن الأحاد قبله مشغولة بالصوم وفيه يجددون الآلات والأثاث واللباس ومنه يأخذون في المدد للمعاملات والقبالات والأمور الدنيوية .

و « التجلى » يقولون : إن المسيح عليه السلام تجلى لتلاميذه بعد أن رفع في هذا اليوم وتمنوا عليه أن يحضر لهم إيليا وموسى عليهما السلام فأحضرهما لهم بمسلى

بيت المقدس ثم صعد وصعدوا ويسل في ثالث عشرة مسرى .

و « عيد الصليب » وتزعم النصارى أن قُسطنطين بن هيلانة انتقل من اعتقاد اليونان إلى اعتقاد النصرانية فيه وبني كنيسة قُسطنطينية العظمى وسائر كنائس الشام ، ويزعمون في سبب ذلك أنه كان مجاوراً للرومان فضاق بهم ذرعاً من كثرة غاراتهم على بلاده فهم أن يسانهم ويفرض لهم عليه آتاة في كل عام ليكلفوا عنه فرأى ليلة في المنام أن ملائكة نزلت من السماء ومعهما أعلام عليها صلبان فخاربت الرومان فانهزموا فلما أصبح عمل أعلاماً وصور فيها صلباناً ثم قاتل فيها الزومان فهزمهم . وقيل : إنه رأى في المنام صليباً من بعد في السماء وقائلاً يقول : اعمل مثل هذا على رؤس أعلامك فإنك تنتصر . فلما أصبح أمر بعمل صلبان من ذهب على رؤس أعلامه وقاتل بها ونصر فسأل من كان في بلده من التجار الذين طافوا في بلاد الدنيا فقالوا له هذا دين النصرانية ، وإنه في بلد الخليل من أرض الشام فأمر أهل مملكته بالرجوع عن دينهم إليه وأن يقصوا شعورهم ويحلقوا لحامهم ، وإعافل ذلك بهم لأن رسل عيسى عليه السلام كانوا قد وردوا على اليونان قبل أن يأمرهم بالتمرد بدين النصرانية فأعرضوا عنهم ومثلوا بهم بهذه المثلة نكالا ففعلوا ذلك تأسياً أى اقتداء بهم ولما انتصر قسطنطين خرجت أمه هيلانة إلى الشام ، فبنت فيه الكنائس وسارت إلى بيت المقدس وطلبت الخشبة التي صلب عليها المسيح على ما تزعم النصارى وكانت مدفونة في مريطة عظيمة فأخرجت منها وفيها موضع سبعة مسامير ، وكانت اليهود قد وثبت على يعقوب بن يوسف أخى عيسى في الصليبية على زعم النصارى ببيت المقدس فألقوه من أعلى الشكل (لعله الهيكل) فأت لا متناعه من الرجوع إلى دينهم ومقامه على دين النصرانية وهدموا البيعة وأخذوا خشبة الصليب وخشبي اللصين اللذين صلبا معه على زعمهم فدفنوه في قبر واحد . وهذه الأعياد عندهم يصومونها

وإذا كان أحدهم في موطن أو قرية لا يرَّحل حتى يعيد فلما حملت إليها غافتها بالذهب وحملتها إلى ابنها ، فعمل من المسامير لجاماً لقرسه وعمل صليلاً من ذهب ووضعه على جبينه واتخذت يوم رؤيتها لها عيداً وذلك لأربع عشرة ليلة خلت من أيلول ووافق ذلك سبع عشرة ليلة من توت من شهر القبط . قال السمودي وكان من مولد المسيح إلى اليوم الذي وجدت فيه الخشبة ثلاثمائة وثمان وعشرون سنة .

أعياد اليهود

وهي على ما ذكره الجوى أيضاً خمسة نطقت بها التوراة بزعمهم وهي « عيد رأس السنة » يملأونه عند رأس سنتهم ويسمونه (عيد رأس هيشا) أى عيد رأس الشهر وهو أول يوم من تشرين يتنزل عندهم منزلة عيد الأضحى عندنا ، ويقولون إن الله تعالى أمر إبراهيم بذبح ولده اسحق فيه وفداه بذبح^(١) عظيم .

و « عيد سوماريا » ويسمى (الكبور) وهو عندهم الصوم العظيم الذي فرض عليهم صومه ، ومدة الصوم خمسة وعشرون ساعة يتبدأ فيها قبل غروب الشمس في اليوم التاسع من شهر تشرين وتختتم بمضي ساعة بعد غروبها من اليوم العاشر ، ولهذا ربما يسمى الماشور ويشترطون رؤية ثلاثة كواكب عند الإفطار وهو عندهم تمام الأربعين الثالثة التي صامها موسى عليه السلام . ولا يجوز أن يقع عندهم في يوم الأحد ، ولا في يوم الثلاثاء ، ولا في يوم الجمعة ، ويزعمون أن الله تعالى يفر لهم فيه جميع ذنوبهم ما خلا الزنى بالمُحصنة وظلم الرجل أخاه وجحد له ربوبية الله تعالى .

و « عيد الظال » وهو ثمانية أيام أولها الخامس عشر من تشرين وكلها أعياد ، واليوم الآخر منها يسمى عرايا . تفسيره : شجر الخلاف . وهو أيضاً حج لهم وهم يجلسون في هذه الأيام تحت ظلال من جريد النخل وأغصان الزيثون والخلاف وسائر الشجر الذي لا ينتشر ورقه على الأرض . ويزعمون أن ذلك

(١) اللبح بكسر اللام ما ذبح ، واللبح يضمها المصدر .

تذكر أنهم لإظلال الله تعالى إياهم في التيه بالنام . وكيفية عمل هذه الظلال أن يصنع كل من أمكنه في بيته طارمة من قصب وسقفها من الجريد الأخضر وسعفه ويترك داخلها أسفار التوراة . ومنهم من يوزرها بالديباج ومتى زالت من السقف سعفه حتى تدخل الشمس السكب فسد عليه عيده ، وتكون هذه الظلة في علو الدار تحت السماء ويعمل كل واحد في أول يوم من هذه الأيام الثمانية قبضة مرسين فيها ثلاثة عيدان في كل عود ثلاثة أغصان بعضها أعلى من بعض في كل غصن ثلاثة أوراق وفي وسطها قلب من سف النخل مستقيم طوله ثلاث قبضات ، وعود من الصنصناف وأرجة سائلة من الحدوش صحيحة من التمن من يحمل ذلك إلى البيعة ويودع عند القمص ، وإذا كان قبل يوم من الأيام الثمانية دخلوا البيعة وصلوا وأعطى قيم البيعة إلى كل رجل منهم بيده اليمنى قبضة ، وبيده اليسرى الأرجة فيكون في أيديهم وهم قيام . ويقرأ عليهم منوراً من الزامير ، فإذا فرغ من المزمور سلم عليهم الختران وهو المعلم وقرأ عليهم شيئاً من التوراة فإذا فرغ من القراءة صلى صلاة ثانية قرب الظهر . ومنهم من يرد إلى العصر في بيته ، ومنهم من يعلم القيم وينصرف .

و « عيد الفطير » ويسمونه الفصح فيكون في الخامس عشر من نيسان وهو سبعة أيام أيضاً يأكلون فيها الفطير وينظفون فيها من خبز الخبز لأنها عندهم الأيام التي خلص الله تعالى بني إسرائيل من يد فرعون وأغرقه فخرجوا إلى أرض التيه ، وجعلوا يأكلون اللحم والخبز الفطير وهم بذلك فرحون ، وفي آخر هذه الأيام غرق فرعون واتفق أن كان القمر في ذلك اليوم تام الضوء فأصروا بحفظ ذلك اليوم فصاروا يراعون وقوعه في ذلك الزمن .

و « عيد الأسابيع » وهي الأسابيع التي فرضت فيها الفرائض وكل فيها الدين ، ولهم فيها حساب طويل امتطوا فيه مطي التمسف ، ويسمى (عيد المنصرة) و (عيد الخطاب) . ويكون بعد عيد الفطير بسبعة أسابيع ، ويقولون : إنه اليوم

الذى خاطب الله تعالى فيه بنى إسرائيل من طور سيناء ، وفي جملة هذا الخطاب
الكلمات العشر ، وهى وصايا تضمنت أمراً ونهيّاً وتضمنت التوفيق ، وهو حج
من حجوجهم ، وحجوجهم ثلاثة الأسابيع والفطير والمظال وهم يملطونه ويأكلون
فيه القطايف ويفتنون في عملها ويمولونها بدلاً عن النّ الذى أنزل عليهم في هذا
اليوم على ما يزعمون . واتخاذهم لهذا العيد السادس من سيوان ، ويسمى عشرينا
مشتق من الاجتماع . و « عيد الفوريم » وهو عيد أحدنوه ويسمونه النوريم ، وذكر
في سبب اتخاذهم له أن يختصر لـ أجل من كان بيت القدس من اليهود إلى
عراق العجم أسكنهم (بيجى) وهى إحدى مدينتى أصفهان ، ثم ذهبت أيام
الكلدانيين ، وملكت الفرس الأولى والأخيرة . فلما ملك أزدشير بن بابك
وتسميه اليهود بالبرانية احشورش . وكان له وزير يسمونه بلنتهم هامان ،
ولليهود يومئذ حبر يسمونه بلنتهم مردخاى ، فبلغ أزدشير أن له ابنة عم من
أحسن نساء أهل زمانها وأكلمهن عقلاً ، فطلب تزويجها منه فأجاب لذلك فخطبت
عنده حظوة صار بها مردخاى قريباً منه فأراد هامان إسفاره واحتقاره حسداً
له وعزم على إهلاك طائفة اليهود التى في جميع مملكة أزدشير ، فرتب مع نواب
الملك في سائر الأعمال أن يهلك كل واحد منهم من بعمله من اليهود ، وعين
له يوماً وهو النصف من آذار وإنما خص هذا اليوم دون سائر الأيام لأن اليهود
يزعمون أن موسى ولد فيه وتوفى فيه ، وأراد بذلك البالغة في نكايتهم ليتضاعف
الحزن عليهم بهلاكهم ويموت موسى عليه السلام ، فانضح لمردخاى ذلك من
بطانة هامان فأرسل إلى ابنة عمه يعلمها بما عزم هامان في أمر اليهود وسألها إعلام
الملك بذلك وحضها على أعمال الخيلة في خلاص نفسها وخلاص قومها ، فأعلت
الملك بالحال وذكر له إنما حمله على ذلك الحسد على قربنا منك ونصحنا لك ،
فأمر بقتل هامان وقتل أهله وأن يكتب لليهود بالأمان والبر والإحسان في ذلك
اليوم فاتخذوه عيداً واليهود يصومون قبله ثلاثة أيام . وهذا العيد عندهم عيد

سرور وهو وخلاعة يهدى بعضهم فيه إلى بعض ، ويصورون من الورق صورة هامان ويلائون بطها نخالة وملحاً ويلقونها في النار حتى تحترق يمدحون بذلك صبيانهم .

و « عيد الحنكة » وهو أيضاً مما أحدثوه ، وهو ثمانية أيام أولها ليلة الخامس والعشرين من كسلا ، ويقدون في الليلة الأولى من لياليه على كل باب من أبوابهم سراجاً ، وفي الثانية سراجين وهكذا إلى أن يكون في الثانية ثمانى سرج . وسبب اتخاذهم لهذا العيد أن بعض الجبارة تغلب على بيت المقدس وفك يبنى لإسرائيل واقتض أبكارهم ، فوثب عليه أولاد كاهنهم وكانوا ثمانية فقتله أسنرم ، وطلب اليهود زيتاً لوقيد الهيكل فلم يجدوا إلا يسيراً وزعوه على عدد ما يوقدونه من السرج على أبوابهم في كل ليلة إلى تمام ثمان ليال ، فاتخذوا هذه الأيام عيداً وسموه (الحنكة) وهو بمعنى التنظيف لأنهم نظفوا فيه الهيكل من أقدار شيمة الجبار . وبعضهم يسميه (عيد التبريك) . وقيل : إن عيد التبريك كان فيه استئمان زول التوراة وسلت إلى أئمتهم لتوضع في الهيكل . وهم يخرجون فيه التوراة ويتبركون فيها .

القول في أعياء المسلمين

ولما انجبر الكلام إلى ذكر غالب أعياد الأمم ، وبيان عاداتهم وسننهم في مواسمهم على الوجه الأم ، اقتضى ذلك أن نذكر ما اشتهر من أعياد المسلمين على سبيل الاختصار ، إذ قد بسط الكلام عليها الطاء الأخيار ، فنقول : قد أسلفنا أنه كان لكل قوم من الأمم يوم يتجمعون فيه ويخرجون من بلادهم بزيهم وتلك عادة لا ينفك عنها أحد من طوائف العرب والمجم ، وقد قديم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال ما هذان اليومان ؟ فقالوا : كنا نلعب فيهما في الجاهلية . فقال : قد أبدلكم الله تعالى بهما خيراً منهما يوم الأضحى ويوم الفطر قيل : هما النيروز والمهرجان ، وإنما بدلا لأنه ما من عيد

في الناس إلا وسب وجوده تنويه بشائر دين أو مواقة أئمة مذهب أو شيء مما يضاهي ذلك نفثى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن تركهم وعاداتهم أن يكون هنالك تنويه بشائر الجاهلية أو ترويج لسنة أسلافهم فأبذلها بيومين فيهما تنويه بشعائر الملة الخفيفة ، وضم مع التجميل قيهما ذكر الله وأبواباً من الطاعات لئلا يكون اجتماع المسلمين بمحض اللب ولئلا يخلو اجتماع منهم من إعلاء كلمة الله إحداها : يوم فطر صياهم وأداء نوع من ذكائهم فاجتمع الفرح الطبيعي من قبل تفرغهم عما يشق عليهم وأخذ الفقير الصدقات ، والقلى من قبل الانتهاج مما أنعم الله عليهم من توفيق أداء ما افترض عليهم وأسبل عليهم من إبقاء رموس الأهل والولد إلى سنة أخرى . والثاني : يوم ذبح إبراهيم ولده إسماعيل وإنعام الله عليهما بأن فداء يذبح عظيم . إذ فيه تذكر حال أئمة الملة الخفيفة والاعتبار بهم في بذل الهج والأموال في طاعة الله تعالى وقوة الصبر وفيه تشبه بالحاج وتنويه بهم وشوق لآلهم فيه ولذلك سن التكبير وهو قوله تعالى (ولتكبروا الله على ما هداكم) يعنى شكراً لما وفقكم للصيام ، ولذلك سن الأنحية والجهر بالتكبير أيام منى واستحب ترك الخلق لمن قصد التضحية ومن الصلاة والخطبة لئلا يكون شيء من اجتماعهم بنير ذكر الله وتنويه شعائر الدين وضم معه مقصد آخر من مقاصد الشريعة وهو أن كل ملة لا بد لها من عرسه يجتمع فيها أهلها لتظهر شوكتهم وتعلم كثرتهم ولذلك استحب خروج الجميع الصبيان والنساء وذوات الخدور وَالْحَاشِيَةُ ويعتزلن المصلى ويشهدن دعوة المسلمين ولذلك كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يخالف في الطريق ذهاباً وإياباً ليطالع أهل تلك الطريقين على شركة المسلمين . ولما كان أصل العيد الزينة استحب حسن اللباس والتقليل أى ضرب الدفوف ومخالفة الطريق والخروج إلى المصلى وسنة صلاة العيدين أن يبدأ بالصلاة من غير أذان ولا إقامة يجهر فيها بالقراءة يقرأ عند إرادة التخفيف : « سبح اسم ربك الأعلى » . « هل أتاك » . وعند الإمام « ق » و « اقتربت الساعة » يكبر في الأولى

سبعاً قبل القراءة والثانية خساً قبل القراءة ، وعمل الكوفيين أن يكبر أربماً كتكبير الجنائز في الأولى قبل القراءة وفي الثانية بعدها ، وما سفتان وعمل الحرمين أرجح ثم يخطب بأمر بتقوى الله وتَمِطُ ويذكر . وفي الفطر خاصة أن لا يندو حتى يأكل تمرات ويأكلهن وترأ وحتى يؤدي زكاة الفطر إغناء للفقراء في مثل هذا اليوم ليشهدوا الصلاة فارغى القلب وليستحق مخالفة عادة الصوم عند إرادة التنويه بانقضاء شهر الصيام . وفي الأضحية خاصة أن لا يأكل حتى يرجع فيأكل من أضحيته اعتناء بالأضحية ورغبة فيها وتبركا بها ولا يضحي إلا بعد الصلاة لأن الذبح لا يكون قربة إلا بتشبه الحاج وذلك بالاجتماع للصلاة والأضحية سنة من ممز أو جذع من ضأن في كل أهل بيت وقاسوها على الهدى فأقاموا البقرة عن سبعة والجزور عن سبعة مقامها . ولما كانت الأضحية من باب بذل المال لله تعالى وهو قوله تعالى (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) كان نسميتها واختيار الجيد منها مستحباً لدلالته على صحة رغبته في الله فذلك يتق من الضحايا أربع : المرجاء البين ضلعها ، والموراء البين عورها ، والمرضة البين مرضها ، والمعفاء التي لا تنق ، وينهى عن أعظم القرن والأذن وسُنَّ استشراف العين والأذن وأن لا يضحي بمقابلة ولا مدابرة ولا شرقاء ولا خرقاء . والمقابلة : ما يقطع من قبل أذنها أى مقدما . والمدابرة : التي قطع من مؤخر أذنها والشرقاء : مشقوقة الأذن . والخرقاء : مقطوعة الأذن تقباً مستديراً . ومن الفحل الأقرن الذى ينظر في سواد — أى سواد العينين — ويبرك في سواد — أى سواد البطن والصدر — ويطأ في سواد — أى سواد الأرجل — لأن ذلك تمام شباب المزم ومن أذكار التضحية : إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض الح اللهم منك وإليك ولك من الله والله أكبر . واستيفاء الكلام على الأعياد الزمانية والمكانية والاجتماعية وما حدث منها في الإسلام في كتاب (اقتضاء الصراط المستقيم) لشيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية رحمه الله .

بيان ما ظاهره العرب يصنعونه في أعيادهم ومواسمهم

كانوا في أيامهم ومواسمهم يترقبون بأحسن الثياب والملابس المفتخرة والحلل الثمينة والبرود المعجبة والفرسان منهم يتسابقون على الخيل والأجواد يسرون أى يلعبون باليسر^(١) وصبيانهم يلعبون أنواعا من الملاعب قد استوفاهما صاحب القاموس، ويزمرون بالدفوف والزاهر ونحو ذلك مع التغنى بأراجيز وأبيات من الشعر أنشدوها في أيامهم كيوم يفاث^(٢)، وكان لهم أولا فن الشعر يؤلفون فيه الكلام أجزاء متساوية على تناسب بينها في عدة حروفها المتحركة والساکنة ويفصلون الكلام في تلك الأجزاء تفصيلا يكون كل جزء منها مستقلا بالإفادة لا ينمطف على الآخر ويسمونه البيت فتلائم الطبع بالتجزئة أولا ثم بتناسب الأجزاء في القاطع والمبادئ ثم بتأدية المعنى المقصود وتطبيق الكلام عليها فاهجوا به فامتاز من بين الكلام بحظ من الشرف ليس لغيره لأجل اختصاصه بهذا التناسب وجملوه ديوانا لأخبارهم وحكمهم وشرفهم وعكسا لقرايحهم في إسابة الماني وإجادة الأساليب واستمروا على ذلك . وهذا التناسب الذي من أجل الأجزاء والمتحرك والساکن من الحروف قطرة من بحر من تناسب الأصوات كما هو معروف في كتب الموسيقى إلا أنهم لم يشعروا بما سواه لأنهم حينئذ لم ينتحلوا علما ولا عرفوا صناعة وكانت البداءة أغلب محلهم ، ثم تغنى الحداثة منهم في حداة إبلهم والفتيان في فضاء خلواتهم فرجموا الأصوات وترنموا ولم يزل هذا شأن العرب في بدواتهم وجاهليتهم فلما جاء الإسلام واستولوا على ممالك الدنيا وحازوا سلطان المعجم وغلبهم عليه وكانوا من البداءة والنضاضة على الحال التي عرفت لهم مع غضارة الدين وشدة في ترك أحوال الفراغ وما ليس بنافع في دين

(١) أى القمار .

(٢) بالعين المهملة والفتن المعجمة ويثالث : موضع على ليلتين من المدينة ويومه معلوم .

ولا معاش فهجروا ذلك شيئاً ما ولم يكن للتلوذ عندهم إلا ترجيع القراة والترنم بالشعر الذى هو دينهم ومذهبهم فلما جاءهم الترف وغلب عليهم الرفه بما حصل لهم من غنائم الأمم صاروا إلى قضاة الميث و رقة الحاشية واستحلاء الفراغ .
وافترق المتنون من القرس والروم فوقموا إلى الحجاز وصاروا موالى للعرب وغنوا جيماً بالبيدان والطناير والممازف والمزامير وسمع العرب تاجينهم للأصوات فلعنوا عليها أشعارهم وظهر بالمدينة (نشيط القارسى) و (طويس) و (سائب) و (حائر) مولى عبيد الله بن جعفر قسموا شعر العرب وحنوه وأجادوا فيه وطار لهم ذكر ثم أخذ عنهم (معبد) وطبقته (وابن سريج) وأنظاره وما زالت صناعة النناء تتدرج إلى أن كملت أيام بنى العباس عند إبراهيم بن المهدي وإبراهيم اللوصلى وابنه إسحق وابنه حماد وكان من ذلك فى دولتهم ببغداد ما تبه الحديث بعده به وبمجالسه إلى زمن بعيد وأمعنوا فى اللهو واللعب . واتخذت آلات الرقص فى اللبس والقضبان والأشمار التى يترنم بها عايه وجعل صنفاً وحده واتخذت آلات أخرى للرقص تسمى بالسكركج وهى تماثيل خيل مسرجة من الخشب معاقبة بأطراف أقبية يلبسها التسوان ويحاكين بها امتطاء الخيل فيكرون ويفرون ويثاقفون . وأمثال ذلك من اللعب المدة للولائم والأهراس وأيام الأعياد ومجالس الفراغ واللهو وكثر ذلك فى بغداد وأمصار العراق وانتشر منها إلى غيرها . وكان للموصلين غلام اسمه (زرياب) أخذ عنهم النناء فأجاد فصرفوه إلى المغرب غيرة منه فلحق بالحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل أمير الأندلس فبالغ فى تكريمه وركب لفائه وأثنى له الجوائز والإقطاعات والجرايات وأحلّه من دولته وندمائه بمكان فأورث بالأندلس من صناعة النناء ما تناقلوه إلى أزمان الطوائف وطوى منها بإشبيلية بحر زاخر وتناقل منها بعد ذهاب غضايتها إلى بلاد المدوة بأفريقية والمغرب وانقسم على أمصارها وهذه الصناعة آخر ما يحصل فى الممران من الصنائع لأنها كالية فى غير وظيفة من الوظائف إلا وظيفة الفراغ والفرح وهو أيضاً ما ينقطع من الممران عند اختلاله وتراجعه . كذا فى مقدمة المبر .

ذكر هراء العرب والغناء والتفسير

تفنن بالشعري إن ما كنت قائله إن الغناء لهذا الشعري مضمائر
يقولون فلان يتننى بفلان أو فلانة إذا صنع في أحدهما شعراً قال ذو الرمة :
أحب المسكان القفر من أجل أنى به أتفتى باسمي غير معجم
وكذلك يقولون حدا به إذا حمل فيه شعراً . قال المرار الأسدي :
ولو إني حدوثُ به أرفأنتُ نعمته وأبصر ما يقول^(١)

وغناء العرب على ثلاثة أوجه : النصب ، والسناد ، والمزج . « فأما النصب »
فنقاء الركبان وغناء الفتيان . قال إسحق بن إبراهيم اللوصلي : وهو الذي يقال له
الرائي وهو الغناء الجنابي اشتقه رجل من كلب يقال له جناب بن عبد الله بن هبل
فنسب إليه ، ومنه كان أصل الحداء كله ، وكله يخرج من الطويل في العروض .
« وأما السناد » فالتقيل ذو الترجيع الكثير الثناء والتبرات ، وهو على ست
طرق : التقيل الأول وخفيفه والتقيل الثاني وخفيفه والرمل وخفيفه « وأما
المزج » فالتخفيف الذي يرقص عليه ويمشى بالدف والمزمار فيطرب ويستخف
الحلوم . قال إسحق : هذا كان غناء العرب حتى جاء الله تعالى بالإسلام وفتحت
المراق وجلب الغناء الرقيق من فارس والروم فنشأ الغناء الممزج المؤلف بالفارسية
والرومية وغنوا جميعاً بالميدان والطنابير والمنازف والمزمار . قال الجاحظ :
العرب تقطع الألحان الموزونة والمجم تمطط الأنفاظ فتقبض وتبسط حتى تدخل
في الوزن اللحن فتضع موزوناً على غير موزون : ويقال : إن أول من أخذ من
ترجييم الحداء مضر بن زرار بن ممد بن عدنان سقط عن جبل فأنكسرت يده
فحملوه وهو يقول وايداه وايداه ، وكان أحسن خلق الله تعالى صوتاً وجراً فأصفت

(١) قال المجد : أرفأنا نفر ثم سكن ، والنعمانة الجهل ، قال في
التاج يقال سكنت نعمته ثم قال : قال المرار الفقمسي :
ولو إني حدوث به أرفأنت نعمته وأبغض ما أقول
(٢٤ — أول)

إليه الإبل وجدت في السير فجعلت العرب مثالا لقوله هايدا هايدا يحدون في الإبل ،
حكى ذلك عبد الكريم في كتابه ، وزعم ناس من مضر أن أول من حدار رجل
منهم كان في إبله أيام الربيع فأمر غلاماً له بيمض أمره فاستبطأ فضربه بالمصا فجعل
يشد في الإبل ويقول يا يداه يا يداه قال له : الزم الزم فاستفتح الناس الحداء من ذلك .
وذكر ابن قتيبة : إنهم قالوا ذلك للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم . وحكى الزبير
ابن بكار في حديثه رفقه : أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لقوم من
بنى غفار حين سمع حاديتهم بطريق مكة ليلاً قال إليهم : إن أباكم مضر خرج
إلى بعض رعائه فوجد إبله قد تفرقت فأخذ عصاً فضرب بها كف غلامه فعدا
الغلام في الوادي وهو يصيح وايداه وايداه فسمعت الإبل ذلك فمطقت عليه .
فقال مضر لو اشتق مثل هذا انتفعت به الإبل واجتمعت فاشتق الحداء « وأما
التنكير » فهو تهليل أو ترديد صوت بقراءة أو غيرها حكى ذلك ابن دريد . وحكى
أبراهيم بن الرجاج قال : سألت بعض الرؤساء لم سمى التنكير تنكيراً ؟ قلت : لأنه
وضع على أنه يرغب في النابر أى الباقي أى يرغب في نعيم الجنة وفيما يعمل للآخرة
وقال غيرى : إنما قيل له تنكير لأن ما يخرج من الفم بمنزلة النبار فمرض جوابانا على
أبي العباس ثعلب فاستجاد جوابي ويقال للمراسل في الفناء : المثالي حكاة غلام ثعلب ،
والله تعالى وليّ التوفيق .

* * *

الكلام على عادات عرب الجاهلية في المأكل والمشرب

إعلم أن جميع سكان الأقاليم الصالحة اتفقوا على مراعاة آدابهم في مطعمهم
ومشربهم وملبسهم وقيامهم وقعودهم وغير ذلك من الهيئات والأحوال وكان
ذلك كالأمر الفطور عليه الإنسان عند سلامة مزاجه وظهور مقتضيات نوعه عند
اجتماع أفراد منه ورأى بعضها لبعض وكانت لهم مذاهب في ذلك ، فكان منهم
من يتخذها على قواعد الحكمة الطبيعية فيختار في كل ذلك ما يرجى نفعه ولا

يُنْخِشُ ضرره بحكم الطب والتجربة ، ومنهم من يتخذها على قوانين الإحسان حسبما
 تمنيه ملته ، ومنهم من يريد عاكاة ملوكهم وحكّامهم وربهائهم ، ومنهم من
 يتخذها على غير ذلك ، وكانت عادات العرب في ذلك أوسط العادات ولم يكونوا
 يتكلفون في الطعام والشارب تكلف المجسم ، وكانت لهم في هذا الباب عوائد
 مستحسنة ومألوفات يتلقاها دوو العقول بالقبول ، من ذلك أنهم كانوا يبكرون
 في الغذاء ويرون أن ذلك أقرب إلى راحة البدن وصحته . وسُئِلَ ابن هبيرة عن
 ذلك فقال : إنَّ فيه ثلاث خصال ، الأولى أنه ينشف المرة . والثانية : يطيب
 النكهة^(١) . والثالثة : أنه يمين على المروءة . قيل . وكيف يمين على المروءة ؟ قال
 إذا خرجت من بيتي وقد تنديت لم أطلع على طعام أحد من الناس . وكانوا
 يؤخرون المشاء رغبة في ورود الأضياف واجتماع الأكلة بعد اقتضاء حاجاتهم
 وعودم من مسارحهم وغاراتهم ولأن بلادهم حارة الهواء فكما ذهب منه شدة
 يبرد الليل كان الطعام أسمى ، والشاهية في الأكل أدعى ، والأصل الأسيل في
 ذلك مراعاة الضيوف فقد كان لهم مزيد اعتناء بأمرهم كما تنطقُ بذلك أشعارهم .
 وأخبارهم . قال قائلهم :

إِنِّي إِذَا خَفَيْتُ نَارَ لُرْمَلَةٍ أَلْبِي بِأَرْفَعِ تَلٍّ رَافِعًا نَارِي
 ذَاكَ وَإِنِّي عَلَى جَارِي لَنُوحَدَّبَ أَحْنُو عَلَيْهِ بِمَا يَحْنِي عَلَى الْجَارِ

الرملة : الجماعة التي نفد زادها ورجل مرملة لشيء له مشتق من الرمل كأنه
 لا يملك غيره كما يقال رب الرجل إذا افتقر يقال أرملة الرجل إذا نفد زاده وانفقر
 فهو مرملة وجاء أرملة على غير قياس والجمع أراميل وأرمات المرأة فهي أرملة
 التي لا زوج لها لافتقارها إلى من ينفق عليها . وقال الأزهري لا يقال لها أرملة إلا إذا
 كانت فقيرة فإن كانت موسرة فليست بأرملة والجمع أراميل . والنل ما ارتفع من
 الأرض . وإيقاد النار في الأماكن المالية من أخلاق الكرام حتى يهتدى الضيف

(١) يقال نكه الرجل على فلان ونكه له نكهها من بابي نفع وضرب إذا تنفس
 على أنفه ونكهه نكهها يتعدى بنفسه أيضا إذا فعل ذلك ليتشم ريح فمه ليعلم
 هل شرب أم لا واستنكهه كذلك والنكهة مثل تمرذ اسم منه كذا في المصباح .

إليه في الليل المظلم ويأتى . يقول : إذا خفيت نار غيري بأن لا توقد في أيام الحذب
والقحط فأنا أرقعها في تلك الأيام ثم تدى إلى الضيوف يصف نفسه بشدة الكرم
وبسط الكف للمسترفدين . وقال الأحرص :

عوّدت قوى إذا ما الضيف نهى عقر المشار على عسرى وإيسارى

أراد بقوله نهى طرفى ليلا فنهى . والمقر ضرب قوائم البعير بالسيف ولا
يكون المقر في غير القوائم . وربما قيل عقره إذا نحره ، والمشار جمع عشاء وهى
الناقة التى أتى على حملها عشرة أشهر وهى عند العرب أعز الإبل فذبحها للضيف
يكون غاية في الجود والإكرام . وقوله على عسرى وإيسارى أى أعقرها له على
كل حالة سواء كنت معسراً أو موسراً . وعقر المشار مشتعل على إيقاد النار ودال
عليه فكأنه قال عودت قوى أى أوقد النار للطارق . وقال حريث بن مناب الطائى :

عوى ثم نادى هل أحسّم قلائصاً وسمن على الأفخاذ بالأسم أربما^(١)

غلام قليمى يحف سباله ولحيته طارت شاماً مقزها^(٢)

غلام أضلته النبوح فلم يجد بما بين خبت فالهبائة أجما^(٣)

أناساً سوانا فاستمنا فلم يرى أذا دلج أهدى بليل وأسمما^(٤)

(١) فاعل عوى هو غلام في أول البيت الذى بعده وقوله هل أحسّم يريد
أحسّم قال الجوهري وربما قالوا ما أحسست منهم فقالوا أحد السينين
استقلا وهو من شواذ التخفيف والقلائص جمع قلويس وهى الناقة الشابة،
وجملة وسمن على الأفخاذ صفة قلائص . (٢) قليمى منسوب الى قابج
بضم القاف وفتح اللام وهى قبيلة أو منسوب الى القليعة مضطر قاهة
وهى موضع في طرف الحجاز واسم مواضع آخر ، ويحف بالحاء المهمله يقال
يقال حف الرجل نسابه حلما من باب قتل اذا احفاه أى بالغ في قصه ،
والسبالى بالكسر الشارب ، والشماع بالفتح المتفرق ، والمقزع بالقاف وفتح
الزاي المشددة المقتول يعنى ان لحينه من الهواء والبرد تفرقت وصارت كالفتائل
(٣) النبوح بضم النون والموحدة وحاء مهملة ضجة الحى واصوات كلابهم ،
وخبت بفتح الخاء المعجمة وسكون الواحدة اسم ماء لكلب وقيل لكندة وموضع
آخر ، والهباءة موضع في اطراف الريدة خارج المدينة المنورة وكانت فيه
حرب من حروب داحس لميس على ذبيان . (٤) قوله فاستمنا أى تصيدنا
والمسمى التصيد والمسماة جورب يلبسه الصائد البحر وقوله فلم يرى
هذه الالف نسات من اشباع فتحة الراء وهو بالبناء للمفعول بمعنى يعلم
والضمير فيه للغلام ، والدلج بفتحتين اسم مصدر من ادلج ادلاجاً أى سار
الليل كله فان خرج آخر اقليل فقد ادلج بتشديد الدال كذا في المصباح .

فقلت أجراً ناقة الضيف لأننى جدير بأن تلقى إنائى مترعاً^(١)
 فما برحت سجواء حتى كأنما تفادى بالزواء برساً مقطوعاً^(٢)
 كلا قادمها يفضل الكف نصفه بكلل الجبارى ريشه قد ترلماً^(٣)
 دفعت إليه رسل كوما جلدته وأغضيت عنه الطرف حتى تفضلما^(٤)
 إذا قال قطنى قلت آليت حلقة لتثنى عني ذا إنائك أجمأ^(٥)
 يدافع حيزوميه سخن صريحها وحلقاً تراه للثالة مقنماً^(٦)
 إذا عم خرشاء الثالة أنفسه تقاصر منها للصريح وأقماً^(٧)

وشرح هذه الأبيات يطول وقد أراد الشاعر أن هذا الغلام شردت له قلائص أربع نفرج في طلبها حتى أعظم عليه الليل فضل عن الطريق فعوى حتى سمعت الكلاب صوته فنبخته فاستدل بصوتها علينا فجاء فسأل عن قلائصه .
 والعرب ترعم أن سارى الليل إذا أعظم عليه فلم يستتب محجة ولم بدر أين الحلة

(١) أجر بفتح الهمة وكسر الجيم أمر من اجررنه رسنه اذا تركته يصنع ما يشاء يعنى خلدوا رسنها ودعوها تاكل ما شاءت، وناقة الضيف الناقة التى جاء راكبها عليها وهذا من اخلاق الكرام فان اكرام دابة الضيف غاية الاكرام عند الضيف وإنائى بالذ والإضافة الى الباء والائناء الوعاء ، ومربع من تروعت الاثناء بالتشديد وترعته اى ملأته وهذا كناية من الخصب والكثرة .

(٢) سجواء بالنصب خبر برح وسجواء بالمهملتين والمد اى ساكنته عند الحلب ، وتفادى تترك ، والزواء بكسر الزاى الاولى والمد الموضع الصلب من الارض والبرس بكسر الموحدة وأهمال الراء والسين القطن شبه ما سقط من اللبن به . (٣) الجبارى بضم المهملة بعدها موحدة وبالتصير طائر على شكل الاوزة براسه وبطنه غبرة ولون ظهره وجناحيه كلون السمانى غالباً ، وتزلق تقلع . (٤) الرسل بكسر الراء اللبن ، والكوما بفتح الكاف والمد الناقة العظيمة السننام والجلدة بفتح الجيم وسكون اللام هى ادسم الايل لبنا والجمع السنام بالكر ، والطرف العين ، وتضلع امثلاً ما بين اضلاعه . (٥) قطنى اى حسبى اى قلت قد حلفت ان تشرب جميع ما فى انائك . (٦) قوله حيزوميه هو ما اكتنف حاقومه من جانبى الصدر ، والسخن الحار ، والصريح اللبن الذى ذهب رغوته ، والثالة بضم المثلثة رغوۃ اللبن يريد انه يرفع حلقه لاستيفاء اللبن ومقنع اسم مفعول من اقنع راسه اذا رفعه . (٧) الخرشاء بكسر الخاء جلد الحية وقشرة البيضة العليا بعد ان تكسر ويخرج ما فيها ثم يشبه به كل شىء فيه انتفاخ وتفتق وخروق ، واقمأ يقال اقمعت ما فى السقاء اى شربته كله .

أى القوم النزول وضع وجهه مع الأرض وعوى عواء الكلاب لتسمع ذلك الصوت
الكلاب إن كان الحى قريباً منه فتجيبه فيقصد الأبيات . قال الفرزدق :

وداع بلعن الكلب يدعو ودونه من الليل سجعاً ظلمة وغيومها
دعا وهو يرجو أن ينبه إذ دعا فنى كابن ليل حين غارت نجومها
بمشت له دهاء ليست بالقحمة تدر إذا ما هب نحساً عقيمها
ابن ليل : هو أبو الفرزدق . ومعنى بمشت له دهاء : أى رفعها على أنفاسها .
ويعنى بالدهاء القدر واللحمة الناقة أراد أن قدره تدر إذا هبت الريح عقياً لا مطر
فيها . وما أحسن قول ابن هرمة :

ومستنبح يستكشط الريح ثوبه ليسقط عنه وهو بالثوب مضمم
عوى فى سواد الليل بعد اعتسافه لينبح كلب أو ليفزع نوم
فجأبه مستسمع الصوت للقرى له مع إتيان المبحين مطعم
يكاد إذا ما أبصر الضيف مقبلاً يكلمه من حبه وهو أعجم
يقال فرعت لفلان : إذا أغثته . والمهيون : الموقظون له ولأهله وهم الأضياف .
وانما كان له معهم مطعم لأنه ينحر لهم ما يصيب منه وأراد بقوله يكلمه من حبه الخ
بصيصته وتحريكه ذنبه . ومثله قوله أيضاً :

وإذا أنا طارق متنور نبحت فدلته على كلابي
وفرحن إذ أبصرته بضربته من أنسها بشرار الأذئاب
يقال شرشر الكلب إذا ضرب بذنبه وحركه للأنس . وأما قول الأخطل :
دعاني بصوتى واحد فأجابه مناد بلا صوت وآخر صيت

فمعناه أن صيفاً عوى بالليل والصدى من الجبل يجيبه فذلك معنى قوله بصوتى
واحد . وقوله فأجابه مناد بلا صوت : أى نار رفعها له فرأى سناها فقصدها ،
والصيت الآخر الكلب لأنه أجاب عواءه . والقصود من ذكر هذه الأبيات
بيان ما كان للعرب من مزيد الاعتناء بالضيف حتى أوقدوا النيران فى الليل

وأتخذوا الكلاب ليهتدى إليهم من لم يعرف النازل . ومن عاداتهم المحمودة وأفعالهم الجليلة ، أنهم كانوا إذا ألمَّ بأحدهم ضيف ظهرت البشاشة على وجهه وتلقاه بالترحيب والتكريم ، وأدّوا له آداب الضيافة كلها فإنه حين يستقر بالضيف المقام يسرع إلى أهله ليحييهم بنزلهم بحيث لا يكاد يشعر به أحد ، وهذا من كرم رب المنزل المضيف أنه يذهب باختفاء بحيث لا يشعر به الضيف فيشق عليه فيستحي فلا يشعر به إلاّ وقد جاهد بالطعام بخلاف من يسمع ضيفه ويقول له أولن حفر مكانكم حتى أتيتكم بالطعام ونحو ذلك مما يوجب حياة الضيف وانخسامة ، وقد تأقروا هذه السنن من أبيهم إبراهيم عليه السلام فهو أول من قرى الضيف ، وتأمل ثناء الله سبحانه عليه في إكرام ضيفه حيث يقول سبحانه (هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما ، قال سلام قوم منكرون ، فراخ إلى أهله فجاء بسجل فقرأه عليه قال ألا تأكلون) ففي هذا من الثناء على إبراهيم وجوه متعددة . منها : أنه وصف إكرام ضيفه بأنهم مكرمون أى إن إبراهيم أكرمهم . ومنها : قوله تعالى إذ دخلوا عليه فلم يذكر استئذانهم ، ففي هذا دليل على أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قد عرف بإكرام الضيفان واعتياد قرايم فيق منزل مضيفه مطروقا لمن ورده لا يحتاج إلى استئذان ، بل استئذان السخول دخوله وهذا غاية ما يكون من الكرم . ومنها : قوله لهم سلام بالرفع وهم سلموا عليه بالنصب والسلام بالرفع أكل فإنه يدل على الجلالة الإسمية الدالة على الثبوت والتجدد والنصب يدل على الفعلية الدالة على الحدوث والتجدد ، فأبراهيم عليه الصلاة والسلام حيّاهم بتحية أحسن من تحيتهم فإن قولهم سلاما يدل على سلمنا سلاماً وقوله سلام أى سلام عليكم . ومنها : أنه حذف المبتدأ من قوله قوم منكرون ، فإنه لما أنكرهم ولم يعرفهم احتشم من مواجهتهم بلفظ ينفر الضيف لو قال أنتم قوم منكرون ، فحذف المبتدأ هنا من ألفاظ الكلام . ومنها : أنه راغ إلى أهله ليحييهم بنزلهم والروغان هو الذهاب في اختفاء بحيث لا يكاد يشعر

به وهذا من كرم المضيف على ما سبق . ومنها : أنه ذهب إلى أهله فجاء بالضيافة .
فدل على أن ذلك كان ممداً عندهم مهيئاً للضيافان ولم يحتاج أن يذهب إلى غيرهم
من جيرانه أو غيرهم فيشتريه أو يستقرضه . ومنها : قوله فجاء بمجل سمين دل
على خدمته للمضيف بنفسه ولم يقل فأمر لهم بل هو الذي ذهب وجاء به بنفسه
ولم ييمته مع خادمه وهذا أبلغ في إكرام المضيف . ومنها : أنه جاء بمجل كامل
ولم يأت ببضعة منه وهذا من تمام كرمه . ومنها : أنه سمين لا هزيل . ومعلوم أن
ذلك من أغر أموالهم . ومثله يتخذ للإقتناء والتربية فأثر به ضيفانه . ومنها :
أنه قربه إليهم بنفسه ولم يأمر خادمه بذلك . ومنها أنه قربه إليهم ولم يقرّبهم إليه :
وهذا أبلغ في الكرامة أن تجلس المضيف ثم تقرب الطعام إليه وتحمّله إلى حضرته
ولا تضع الطعام في ناحية ثم تأمر ضيفك بأن يقترب إليه . ومنها : أنه قال لهم
ألا تأكلون ، وهذا عرض وتلطف في القول وهو أحسن من قوله كلوا أو مدّوا
أيديكم ونحوها وهذا مما يعلم الناس بقولهم حسنة ولطفه ، ولهذا يقولون بسم الله
أو ألا تصدق ألا تجبر ونحو ذلك . ومنها : أنه إنما عرض عليهم الأكل لأنه
رآهم لا يأكلون ولم يكن ضيوفه يحتاجون معه إلى الإذن في الأكل بل كان إذا
قدم إليهم الطعام أكلوا وهؤلاء الضيوف لما امتنعوا من الأكل قال لهم : ألا
تأكلون ، ولهذا أوجس منهم خيفة أي أحسها وأضرها في نفسه ولم يدها لهم .
فقد جمعت هذه الآية آداب الضيافة التي هي أشرف الآداب وسأعدها من
التكليفات التي هي تحلف وتكلف إنما هو من أوضاع الناس وعاداتهم وكفى بهذه
الآداب شرفاً ونغراً . ومن تصفح أخبار العرب وأشعارهم وجد من في أمر
الضيافة على تلك الآداب ، وأنهم لم يفتروا شيئاً منها بمقدور الأزمان
والأحقاب . حتى إنهم كانوا يقومون بأمر من يرد إلى مكة من الحاج بالنأ ما بلغ ،
وكان هاشم وهو أحد أجداد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إذا حضر الحج قام
في قريش فقال : يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل بيته وهم ضيف الله وأحق

الضعيف بالكرامة ضيفه فاجمعوا لهم ما تصنعون لهم به طعاماً أيامهم هذه التي لا بد لهم من الإقامة فيها فإنه والله لو كان لي مال يسع لذلك ما كلفتكوه فيخرجون لذلك خرجاً من أموالهم كل امرئ على حسب قدرته ومطاقه فيصنع به للحاج طعاماً حتى يصعدوا وهذه هي الرفادة التي هي من سنن قصي على ما سبق . وهاشم هو الذي هشم الثريد لقومه بمكة وكان اسمه عمرأ كما يشمر به قول الشاعر :

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف
سنت إليه الرحلتان كلاهما سفر الشتاء ورحلة الأسياف

أشار في البيت الثاني إلى رحلة الشتاء والصيف ، وهو أول من سنهما لقريش .

ومن عاداتهم في هذا الباب أنهم يقلون من الأكل ويقولون البطنة تذهب القطنة . أى الذى يعلأ بطنه من الطعام تذهب منه فطنته . وكانوا يعميرون الرجل الأكل الجشع . قال الشنفرى :

إذا مدت الأبدى إلى الراد لم أكن بِأَعْجَلِهِمْ إِذْ أَجْمَعُ الْقَوْمَ أَعْجَلُ^(١)
وقيل للحارث بن كعدة طبيب العرب في الجاهلية : ما أفضل الدواء ؟ قال :
الأزم . يريد قلة الأكل وقد أصاب في ذلك . قال بعض حكمائهم : أى بنى
لأمر ما طالت أعمار المهند ومحت أبدان العرب ، والله در ابن كعدة إذ زعم أن
الدواء هو الأزم فالدواء كله من فضول الطعام فكيف لا ترغب في شيء يجمع لك
صحة البدن وذكاء الذهن وصلاح الدين والدنيا والقرب من عيش الملائكة ،
أى بنى لم صار الضب أطول عمراً لأنه يتلغ التسميم ، أى بنى قد بلغت تسمين طما
ما قصص لى سن ولا اقتشر لى عصب ولا عرفت ذنين أنف^(٢) ولا سنيلا ن عين

(١) الجشع : أشد الحرص والماضى جشع بكسر الشين وتجشع كذلك
ورجل جشع وقوم جشعون وهذا من جنس قول حاتم :

أف يدى من أن تنال أكفهم إذا نحن أهوينا وحاجتنا معا

(٢) الذنين رقيق المخاط أو ماسل من الأنف رقيقاً أو عام فيهما وذنن
كفرح والأذن من يسيل منخراه والذناء للأنثى .

ولا سلس بول ما لتلك علة إلا التخفيف من الزاد فإن كنت تحب الحياة فهذه سبيل الحياة وإن كنت تحب الموت فلا أبعد الله غيرك انتهى . وقال الأصمعي : تقول العرب في الرجل الأكلول : إنه برم قرون . البرم الذي يأكل مع الجماعة ولا يعمل شيئاً . والقرون الذي يأكل تمرتين تمرتين ، ويأكل أصحابه ثمرة تمر . والحاصل أن الشيع مذموم بالمقل والنقل ومضاره كثيرة فإنه يقس القلب بخلاف الجوع فإنه يرققه ويصفيه فيتهيأ به لإدراك لذة النجاة وللتأثر بالذكر فكم من ذكر يجرى على اللسان مع حضور القلب ولكن القلب لا يتأثر به حتى كأن بينه وبينه حجاباً وذلك من قسوة القلب الحاصلة من الشيع ولذلك قال بعض المارفين : القلب إذا جاع أو عطش صفا ورق ، وإذا شبع عى . ومن مضاره أنه يفسد الذهن لأنه يكثر البخار فيورث البلاءة حتى إن الصبي إذا أكل أكثر الأكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطيء الفهم والإدراك . ومنها : أنه يعطل القوى الباطنة عن إدراك الماني الكاملة والعلوم الفاضلة واستجلاء المارف ، واستحلاء الموارد . قال لقمان لابنه : يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن المبادات . ومنها : أنه ينشط الأعضاء على المصيبة لأن منشأ الماصي كلها الشهوات والقوى ومادتهما لا محالة الأظعمة فيبتليها بضعفان وبتكثيرها يقويان . وإذا قويتا تحصل الماصي ، وقد وردت عدة أحاديث في ذم الشيع . منها قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : (المؤمن يأكل في يميني واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء) أى يأكل سبعة أضعاف المؤمن ، أو أن شهوته سبعة أمثال شهوة المؤمن وتكون الأمعاء كناية عن الشهوة لأن الشهوة هي التي تقبل الطعام وتأخذها كما تأخذ الأمعاء وليس المعنى زيادة أمعاء الكافر على أمعاء المؤمن ، حسب ابن آدم لقيت بقعن صلبه إن كان ولا بد من التجاوز عما ذكر فلتكن أثلاثاً ، فقلت للطعام . وثلاث للشراب ، وثلاث للنفس . والله در العرب حيث رعوا في مأكلهم هذه الثلاث والأسرار وهم زمن الجاهلية .

تفصيل الوصف بكثرة الأكل وترتيب عند العرب

لما كان كثرة الأكل عندهم معيياً وليس ذلك بمنزلة واحدة بل هو درجات متفاوتة كما تدل عليه لغتهم فقد قالوا : إذا كان الرجل حريصاً على الأكل فهو **نهم** . وشره . فإذا زاد حرصه وجودة أكله فهو **جشع** . فإذا كان لا يزال قوماً^(١) إلى اللحم وهو مع ذلك أكل هو **جهم** . فإذا كان يتتبع الأطعمة بحرص ونهم فهو **لموس** و**لحوس** . فإذا كان رغيب البطن كثير الأكل فهو **يعصوم** . فإذا كان أكله عظيماً والقم واسع الخنجور فهو **هبلع** . فإذا كان مع شدة أكله غليظ الجسم فهو **جمظري** . فإذا كان يأكل أكل الحوت الملتقم . فهو **هاتام** و**تامامة** و**جراضم** . فإذا كان كثير الأكل من طعام غيره فهو **عجاج** . فإذا كان لا يبق ولا يذر من الطعام فهو **فحطى** . وهو من كلام الحاضرة دون البادية . قال الأزهري أظنه نسب إلى التفحط لكثرة أكله كأنه نجاً من التفحط . فإذا كان يظم اللحم ليسابق في الأكل فهو **مدهبل** . فإذا كان لا يزال جائعاً أو يرى أنه جائع فهو **مستجيع** و**شعذان** و**لهسم** . فإذا كان يتشمم الطعام حرصاً عليه فهو **أرشم** . فإذا كان **شهوأن** شرهاً حريصاً فهو **لمعظ** و**لمعوط** . فإذا دخل على القوم وهم يطعمون ولم يدع فهو **وارش** . فإذا دخل عليهم وهم يشربون ولم يدع فهو **واغل** . فإذا جاء مع الضيف فهو **ضيفن** . وقال الجاحظ في عيوب الأكل الزقاق الذى فى فيه لقمة لم يسفها فيشرب الماء ويسمى زاقاً القرخ أيضاً . والبلم الذى فى فيه لقمة لم يسفها ويبادر خلفها بأخرى . وللحلجل الذى يأخذ سكرجة فيحركها ليجتمع الأبرار فيأكل ويترك ملعاً ساذجاً . والمغربل الذى يحرك طبق الطيب والباقلاء وما أشبه ثم يأكل قفاوته . والمقهب الذى يجمع اللحم بين يديه علم . رغيب كأنه قبة ويدع رفقاءه بغير لحم . والمثل الذى يأخذ لقمة أكبر مما يسع فاه فيضع يده أو كسرة تحتها . والملق الذى فى فيه لقمة وفى يديه أخرى .

(١) القوم محررة شدة شهوة اللحم .

مطاعم العرب الشهيرة

كان مأكلهم في غالب الأزمان لحوم الصيد والسيوق والألبان وربما ابتلع أحدهم الرمح أو مضغ القيصوم^(١) والشيخ أو حَرَشَ البربوع^(٢) والضب أوصاد الظبي والأرنب . وكان الغالب من أهل باديتهم لا يماف شيئاً من المأكَل لقلتها عندهم . ومنهم من كان يماف القنذر ويصنّب عن أكل كل مَادَبٍّ ودرج . وكان أحسن اللحوم عندهم لحوم الإبل ولا يفضلون شيئاً عليها ، وكان منهم من يستعطِبُ أكل الضب .

« يقول قائلهم »

أَكَلْتُ الضَّبَابَ فَا عَفَنَّا وَإِنِّي اشْتَهَيْتُ قَدِيدَ النَّعَمِ^(٣)
ولحم الخُرُوفِ حَتِينًا وَقَدْ أَتَيْتُ بِهِ قَارَأَ فِي الشَّيْبِ
وَأَمَّا الْبَيْضُ وَحِتَانُكُمْ فَأَصْبَحَتْ مِنْهَا كَثِيرُ السَّقَمِ
وَرَكِبْتُ زُبْدًا عَلَى تَمْرَةٍ فَنَمِ الطَّعَامُ وَنَمِ الْأَدَمِ
وَعَدَ نَلْتُ مِنْهَا كَمَا نَلْتُمْ فَلَمْ أَرْفِئْهَا كَضْبٍ هَرَمِ
وَمَا فِي التِّيُوسِ كَبِيضُ الدَّجَاجِ وَبَيْضُ الدَّجَاجِ شِفَاءُ الْقَرَمِ
وَمَسْكَنُ الضَّبَابِ طَعَامُ الْعَرَبِ وَكَاشِيَهُ مِنْهَا رُؤْسُ الْعَجَمِ

قوله الحنيد : أى الشوى . وماء الشبم بفتح الشين المعجمة وفتح الباء الموحدة ماء الأسنان . والهض بكسر الباء الموحدة وفتح الهاء وبالضاد المعجمة الأرز باللبن . والقرم بفتح القاف وكسر الراء الرجل يشهى اللحم . ولكن بفتح اليم وإسكان الكاف والنون في آخره بيض الضب . والكشي كشية بضم الكاف وإسكان الشين المعجمة وهى شحمة بطن الضب أو أصل ذنبه . . وكان الاصطياد

(١) نبت وهو صنغان أنشى وذكر النافع من اطرافه وزهره مر جدا .

(٢) يقال حرس الضب يحرسه حرسا وتحرسا صاده كاحرسه بأن يحرك يده على باب حجره ليظنه حبة فبخرج ذنبه لضربها فآخذه .

(٣) هذه الابيات لأبى الهنسى .

ديدنا لهم وسيرة فاشية حتى كان ذلك أحد الكاسب التي عليها معاشهم ، وكان لهم شغل شاغل عن الاعتناء بأمر المأكل لاخطارهم إلى النقلة في الغالب زعى مواشيهم وتشاغلم بالحروب وغزو بعضهم بعضاً . وأما ما كان يتماطاه فيرم من التأتق في الأطعمة المتنوعة والألوان الشهية فلم تكن العرب تعرفها ولا كانت تمر على أذهانهم ، حتى حكى أن عبد الله بن جُدعان وكان سيداً شريفاً في قريش وفد على كسرى مرة وأكل عنده الفالوذج فتسبب منه وسأل عن حقيقته قليل له هي لباب البر يُلبك مع العسل فابتاع من عنده غلاماً يصنعه وقدم به مكة فصنع بها الفالوذج فوضع موائمه بالأبطح إلى باب المسجد ثم نادى من أراد أن يأكل الفالوذج فليحضر فكان ممن حضر أمية ابن أبي الصلت ، فقال مادحا :

لكل قبيلة رأسٌ وهادى وأنت الرأسُ هدم كلٌ هادى
له داعرٌ بمكة مُشمعلٌ وآخرٌ فوق دارته يُنادى^(١)
إلى رُدحٍ من الشيزى ملاء لباب البر يُلبك بالشهاد^(٢)

وكان للعرب أطلعة شهيرة يتخذونها من لحوم وجبوب وألبان وغير ذلك « فنها السخينة » وهى تتخذ من الدقيق دون المصيدة في الرفوف فوق الحساء وإنما يأكلونها في شدة الدهر وغلاء السعر وعجب المال وهى التى كانت تميز بها قريش . حكى أن معاوية قال للأحنف : ما الشئ الملقف في البجاد ؟ فقال : السخينة ، وإنما أراد معاوية قول القائل :

إذا ما مات ميتٌ من تميم فسرك أن يعيش فجى بزاز^(٣)

(١) اشتمل اشرف والقوم في الطلب بادروا فيه (٢) الردحة سترة تكون في مؤخر البيت او قطعة تزداد فيه والرداح الخفيفة العظيمة ، والشيز والشيزى خشب اسود يتخذ منه القصاع وقوله لباب البراى من لباس البر وروى البيت الثالث هكذا : الى رده من الشيزى عليها الخ (٣) هذا الشعر ليزيد ابن عمرو بن الصق الكلابى وذكر الجاحظ انه لاى المهوس الاسدى ، وقوله اذا ما مات ميت من تميم ، قال ابن السيد فيه رد على ابي حاتم السجستاني ومن ذهب مذهبه لان ابا حاتم كان يقول قول العامة مات الميت خطأ والصواب مات الحى وهذا الذى انكره غير منكر لان الحى قد يجوز أن يسمى ميتا لان

بِجَزْزٍ أَوْ بِتَمْرٍ أَوْ بِسِنٍّ أَوْ الثَّيِّ الْمَلْفِّ فِي الْبَجَادِ^(١)
رَأَاهُ يَطُوفُ فِي الْأَفَاقِ حَرِصًا لِيَأْكُلَ رَأْسَ لَقْمَانَ بْنِ عَادٍ^(٢)
وَكَانَ الْأَحْنَفُ مِنْ تَمِيمٍ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ الْأَحْنَفُ بِالسَّخِينَةِ رَمَى قَوْمِ مَعَاوِيَةَ بِالْبَخْلِ
لَا تَهْمُ كَانُوا يَقْتَصِرُونَ عَلَيْهَا عِنْدَ غَلَاءِ السَّعْرِ حَتَّى صَارَ هَذَا اللَّفْظُ لِقَبًا لِقُرَيْشٍ وَاسْمًا
لَهُمْ ، قَالَ حَسَنٌ :

زَعَمْتَ سَخِينَةً أَنْ سَتَغْلِبُ رَبِّهَا وَلِيُغْلِبَنَّ مَغَالِبُ الْغَالِبِ
وَيُرَوِّى أَنْ كَبَأَ لَيْسَ يَوْمَ أَحَدٌ لَأَمَةً النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتْ
صَفْرَاءُ وَلَيْسَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَامَتَهُ فُجِرَحَ كَبْ أَحَدُ عَشَرَ جَرَحًا وَلَا
قَالَ كَبْ :

جَاءَتْ سَخِينَةً كَى تَغَالِبُ رَبِّهَا فَلِيُغْلِبَنَّ مَغَالِبُ الْغَالِبِ
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَقَدْ شَكَرْتُ اللَّهَ يَا كَبْ عَلَى قَوْلِكَ
أَمْرُهُ يُنَوِّلُ إِلَى الْمَوْتِ كَمَا يَقَالُ لِلزُّرْعِ قَصِيلٌ لِأَنَّهُ يَقْصِلُ أَيْ يَقْطَعُ وَتَقُولُ الْعَرَبُ
بَنَسَ الرَّمِيَّةَ فَيَسْمُونَهَا رَمِيَّةً لِأَنَّهُمَا يَمُرُّ وَيَقَالُ لِلْكَيْشِ الَّذِي يُرَادُ ذَبْحُهُ
ذَبْحَةٌ وَهُوَ لَمْ يَذْبَحْ وَضَحِيَّةٌ وَلَمْ يَضَحْ بِهَا ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : أَنْتَ مَيِّتٌ
وَأَنْتُمْ مَيِّتُونَ ، وَقَالَ : « إِنِّي أَرَانِي أَصْعَرُ خُمْرًا » وَإِنَّمَا يَصْعَرُ الْمَنْبُ . وَهَذَا
النَّوْعُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ كَثِيرٌ وَالْعَجَبُ مِنْ انْتِكَارِ أَبِي حَاتِمٍ أَبَاهُ مَعَ كَثْرَتِهِ وَقَدْ
فُرِقَ قَوْمٌ بَيْنَ الْمَيِّتِ بِالتَّشْدِيدِ وَالْمَيِّتِ بِالتَّخْفِيفِ فَقَالُوا الْمَيِّتِ بِالتَّشْدِيدِ
مَا سَيَمُوتُ وَالْمَيِّتِ بِالتَّخْفِيفِ مَا قَدْ مَاتَ وَهَذَا خَطَأٌ فِي الْقِيَاسِ وَمُخَالَفَةُ السَّمَاعِ
أَمَّا الْقِيَاسُ فَإِنَّ مَيِّتَ الْمُخَفَّفِ إِنَّمَا أَصْلُهُ مَيِّتُ الْمُشْدَدِّ فَخَفَّفَ وَتَخْفِيفُهُ لَمْ
يُحْدِثْ فِيهِ مَعْنَى مُخَالَفَةٍ لِمَعْنَاهُ فِي حَالِ التَّشْدِيدِ كَمَا يَقَالُ هَيِّنْ وَهَيِّنْ وَلَيِّنْ وَلَيِّنْ
فَكَذَا إِنَّ التَّخْفِيفَ فِي هَيِّنْ وَلَيِّنْ لَمْ يَحُلْ مَعْنَاهُمَا فَكَذَلِكَ تَخْفِيفُ مَيِّتٍ . وَأَمَّا
السَّمَاعُ فَأَنَا وَجَدْنَا الْعَرَبَ لَمْ تَجْعَلْ بَيْنَهُمَا فَرْقًا فِي الْإِسْمَاعِ وَمَنْ أَبَيْنَ
مَا جَاءَ فِي ذَلِكَ قَوْلُ النَّسَائِيِّ :

لَيْسَ مِنْ مَاتَ فَاسْتَرَجَحَ بِمَيِّتٍ إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ
قَالَ ابْنُ قَتَعَبَاسٍ الْأَسَدِيُّ :

أَلَا بِالْيَسَنِ وَالْمَسْرِءِ مَيِّتٌ وَمَا يَفْنَى عَنِ الْحَدَثَانِ لَيْتَ .
فَفِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ سَوَى بَيْنَهُمَا وَفِي الْبَيْتِ الثَّانِي جَعَلَ الْمَيِّتَ الْمُخَفَّفَ الْحَيِّ الَّذِي
لَمْ يَمُتْ ، أَلَا تَرَى أَنَّ مَعْنَاهُ سَيَمُوتُ فَجَرَى مَجْرَى التَّمَثَلِ أَنْتَ مَيِّتٌ وَأَنْتُمْ
مَيِّتُونَ فَجَعَلَ الْمَيِّتِ بِالتَّشْدِيدِ مَا قَدْ مَاتَ .

(١) الْبَجَادُ : الْكَسَاءُ فِيهِ خُطُوطُ (٢) قَوْلُهُ لِيَأْكُلَ رَأْسَ لَقْمَانَ الْخِثَامِ إِنَّمَا ذَكَرَ
لَقْمَانَ ابْنَ عَادَ لِجَلَالَتِهِ وَعَظَمَتِهِ بِرُبْدِهِ أَنَّهُ لَسَدَةٌ نَهْمُهُ وَشَرُّهُ إِذَا ظَهَرَ بِأَكْلِهِ
فَكَانَهُ ظَهَرَ بِرَأْسِ لَقْمَانَ لِسُرُورِهِ بِمَا نَالَ وَاعْتِجَابِهِ بِمَا وَصَلَ إِلَيْهِ كَمَا يَقَالُ لَنْ
يُزْهِىَ بِمَا فَعَلَ وَبِفَخْرِهِ بِمَا أَدْرَكَهُ كَأَنَّهُ قَدْ جَاءَ بِرَأْسِ خَاقَانَ .

هذا « ومنها الحريقة » وهي أن يذر الدقيق على ماء أو لبن حليب فيحسى وهي أغلظ من السخينة يبق بها صاحب الميال على عياله إذا عضه الدهر « ومنها الصعيرة » وهي اللبن يغلى ثم يذر عليه الدقيق « ومنها المذيرة » وهي دقيق يحلب عليه لبن ثم يحمى بالرضيف^(١) « ومنها العكيسة » وهي لبن يصب عليه الإهالة وهي الشحم المذاب « ومنها التريقة » وهي حلبة تغم إلى اللبن والتمر وتقدم إلى المريض والثفساء « ومنها الرغيدة » وهي اللبن الحليب يغلى ثم يذر عليه الدقيق حتى يختلط فيلحق « ومنها الأصية » وهي دقيق يمجن بلبن وتمر « ومنها الرهية » وهي برّ يطحن بين حجرين ويصب عليه لبن يقال ارتهى الرجل إذا اتخذ ذلك « ومنها الوليقة » وهي طعام يتخذ من دقيق وسمن ولبن « ومنها اللويقة » وهي مالحين من الطعام وفي حديث عبادة ولا آكل إلا مالوق لي « ومنها الألوقة » وهي أيضاً المالحين منه إلا أن اللويقة اللبن « ومنها الخزيفة » وهي شحمة تذاب ويصب عليها ماء يطرح عليه دقيق فيلَبَكُ به وهي عند الأطباء ثلاث : الخبز والسكر والسمن ، وشتان ما بينهما « ومنها الرغينة » وهي حسو من دقيق وماء وليست في رقة السخينة « والريكة » وهي طعام يتخذ من برّ وتمر وسمن . ومنها المثل « غرثان فاربكوا له ».^(٢) « والتابينة » وهي خُلالة يتخذ من دقيق أو نخالة ويمجّل فيه عسل وإنما سميت تلبينة تشبهاً باللبن لبياضها ورقتها . وفي الحديث : عليكم بالتابينة . وكان إذا اشتكى أحدم في منزله لم تنزل البرمة حتى يأتى أحد طرفيه ومعناه حتى يبرأ من علته أو يموت ، وإنما جعل هذان طرفيه لأنهما منتهى أمر الليل « والوشيقة » وهي أن يغلى اللحم ثم يرفع يقال منه وشقت أشق وشقاً . وقال الحسن بن هانئ :

(١) الرضيف كأمير : اللبن يغلى بالرضفة (٢) يقال دخل ابن لسان الحمرة على أهله وهو جائع عطشان فبشروه بمولود واتوه به فقال : والله ما أدري أكله أم شربه ، فقالت امرأته : غرثان فاربكوا له ، أي اخلطوا له طعاماً ، ويرى فاركبوا له من البكيلة وهي اقظ يلت بسمن فلما طعم وشرب قال كيف الطلا واهم فارسلسها مثلاً ، والطلا ولد الظبية فاستعاره لولده ، يضرب ابن قد ذهب همه وتفرغ لغيره ، وفيل يضرب مثلاً للرجل تكلمه وله شأن يشغله عنك .

حتى رفضنا قدرنا بغيرها والحم بين موزم وموشق
 « والعنينة » اللبن غير معجمة طعام يطبخ ويحمل فيه جراد وهو النفسمة أيضاً
 « والبنيث والفلث » الطعام المختلط بالشمير فإذا كان فيه الزوان فهو الفلوث
 « والعريقة » وهي شيء يعمل من اللبن « والبكيكة » السمن يخلط بالأقط وهي التي
 عنها الراجز بقوله :

لأَكَلَةٍ من أَقْطٍ وَسَمْنٍ أَلْبَنُ مَسَا في حَشَايا البَطْنِ^(١)
 من يَثْرِيَّاتٍ قَذَاذُ خُسْنٍ^(٢)

وقال أبو زيد هي الدقيق يخلط بالسويق ثم يبل بماء أو بسمن أو بزيت . وقال
 الكلاني : هو الأقط المصحون تبكله بالساء كأنك تريد أن تمجنه : وقال ابن
 السكيت : وهي السويق والتمر يبلان بالساء « والعينة » وهي الأقط بالسمن
 والتمر . وقيل هي الأقط الرطب يخلط بالتمر اليابس « والحيس »^(٣) وهو الأقط مع
 السمن والتمر « والجميع » وهو التمر مع اللبن وهو حلواء رسول الله صلى الله تعالى عليه
 وسلم « والبسيصة » وهو كل شيء خلطته بغيره مثل السويق بالأقط ثم تلته بالسمن
 أو بإزيت ومثل الشمير بالنوى للإبل يقال بستته أبسه بساً « والصناب » وهو
 الخردل مع الزبيب . « والبريك » وهو الزبد مع الرطب « والخبيط » وهو اللبن
 الرائب باللبن الحليب « والخليط » وهو السمن بالشحم « والنخيسة » وهو لبن
 الضأن يخلط بلبن اللمز « واللمزة » وهي اللبن الحلو إذا اختلط مع اللبن الحامض
 « والوطيئة » وهي المصيدة الناعمة « النفقة » وهي المصيدة إن ثخنت « والقفية »
 وهي النفقة إذا زادت قليلا فإذا انمقدت وتملكت فهي المصيدة « والخزيرة »

(١) الاقط : قال الازهرى يتخذ من اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى
 يجمد (٢) قال في التاج : الاقط سهم لاريش عليه ، وقيل هو المستوى البري
 بلا زيف فيه ولا ميل ، وقال الحياتي : السهم حين يبرى قبل ان يراش والجمع
 قد وجمع القذ قدان قال الراجز : من يثر ييات قذاذ خسن ، انتهى باختصار
 (٣) هو تمر واقط وسمن وانشد :

التمر والسمن والاقط الحيس الا انه لم يختلط

أن ينصب القدر بلحم يقطع صفاراً على ماء كثير فإذا نضج ذرّ عليه الدقيق فإن لم يكن لحم فهو عصيدة . وأول من عمل الحزيرة سويد بن هري ، ولذلك قال شاعرهم لبني غزوم :

وعلمتُم أكل الحزير وأنتم على عدوّاء الدهر صم صلاب^(١)

ومن تتبع كتب اللغة ونحوها وجد غير ما ذكرنا مما هو على هذا القبيل ولا يسمنّا استيعابه .



ولائم العرب الشهيرة

الولائم جمع وليمة ، وهى كل طعام يصنع لعرس وغيره ويدعى إليه . وقال الإمام الشافى وأصحابه : تقع الوليمة على كل دعوة تتخذ لسرور حادث من نكاح أو ختان وغيرها ، لكن الأشهر استعمالها عند الإطلاق في النكاح وتقيد في غيره ، فيقال وليمة الختان ونحو ذلك . وقال الأزهري الوليمة مأخوذة من الولم وهو الجمع وزناً ومعنى لأن الزوجين يجتمعان . وقال ابن الأعرابي : أصلها من تنميم الشيء واجتماعه . وذهب غالب أهل اللغة إلى أن اسم الوليمة مختص بطعام العرس . وهو المنقول من الخليل بن أحمد وثعلب وغيرهما ، وجزم به الجوهري وابن الأثير . وقال صاحب المحكم : الوليمة طعام العرس والأملاك ، وجزم المارودي ثم القرطبي بأنها لا تطلق في غير طعام العرس إلا بقرينة . وأما الدعوة فهي أعم من الوليمة وهى بفتح الدال على المشهور وضمها قطرب في مثلثاته وغلطوه في ذلك على ما قال النووي . قال : ودعوة النسب بكسر الدال وعكس ذلك بنو تيم الرباب ففتحو دال دعوة النسب وكسروا دال دعوة الطعام انتهى . وما نسبته لبني تيم الرباب

(١) العدواء أرض يابسة صلبة وربما جاءت في البشر إذا حفرت وقد يكون حجراً بحاد عنه في الحفر ، وقيل العدواء المكان الذي لا يطمئن من فعد عليه يقال على مركب ذى عدواء أى ليس ب مطمئن ، وفي المحكم جالس على عدواء أى على غير استقامة .

نسبه صاحب الصحاح والمحکم لبنی عدی الرب فأنه أعلم . . ولولاهم العرب ست
عشرة ولیمة . الأولى « النُرسُ » بضم الناء المعجمة وسكون الراء وهی الطعام
الذی یصنع للنفساء لسلامة المرأة من الطلق . وقیل : هو طعام الولادة . والثانية
« المقیقة » وهی ما یصنع للطفل بعد ولادته وتختص بالیوم السابع . والثالثة
« الأعدار » وهی ما یصنع للختان . والرابعة « ذو الحذاق » وهی ما یصنع لحافظ
القرآن فی ما حدثت بعد الإسلام . وقیل : إنه الطعام الذی یتخذ عند حلق الصبی
ذکره ابن الصباغ فی الشامل . والخامسة « الملاك » وهی ما یصنع للخطبة . ویقال
الأملاك . وطعامه یسمى (الشُنْدُخُ) بضم المعجمة وسكون النون وفتح
الدال المهملة وقد تضم وآخره خاء معجمة مأخوذ من قولهم فرس شندخ أى
یتقدم غیره سمی طعام الأملاك بذلك لأنه یقدم الدخول . والسادسة « ولیمة العرس »
وهی ما یصنع للدخول بالزوجة . والسابعة « الوضیمة » وهی ما یصنع للعیة أى
لأهل المصیبة . والثامنة « الوکیرة » وهی ما یصنع للبناء ببنى للسکن المتجدد
مأخوذ من الوکر وهو المأوی والمستقر . والتاسعة « المقیة » بمن هملة قفاف
وهی ما یصنع لملال رجب . والعاشر « التحفة » وهی ما یصنع للزائر . والحادية
عشرة « الشُنْدُخُ » بالشین المعجمة والدال المهملة المضمومتین آخره خاء معجمة
وهی ما یصنع عند وجود الضالة وقد سبق أنه یطلق أیضاً علی طعام الأملاك والثانية
عشرة « النقیمة » بالقاف ثم الین المهملة وهی ما یصنع للقدوم من السفر وقیل :
النقیمة التی یصنعها القادم والتی تصنع له تسمى التحفة . والثالثة عشرة « القرى »
وهی ما یصنع للضیف . والرابعة عشرة « السأدبة » وهی ما لیس له سبب من
ذلك . والخامسة عشرة « الجَفَلَى » بفتح الجیم والقاء . وهی الی تم دعوتها .
والسادسة عشرة « النَّقَرَى » بفتح النون والقاف وهی الی تحض دعوتها .
قال طرفة :

نحن فی المشتاة ندعو الجَفَلَى لا تَرى الآدِبَ فینا یَنْتَقِرِ

وصف قومه بالجوّد وأنّهم إذا صنعوا مأدبة دعوا إليها عموماً لا خصوصاً
وخص أيام الشتاء لأنّها مَطَيَّةُ قلة الشئ وكثرة احتياج من يدعى ، والآدب
بوزن اسم الفاعل من المأدبة ويتقر مشتق من التقرى .

أواني العرب المميّزة بأسماء مخصوصة

وحيث فرغنا من الإشارة الى ما كانوا عليه من أمر الطعام ناسب أن نذكر
آنيّتهم . وهى الدسيعة بالسين والين المهملتين بوزن كريمة . والجفنة والقصعة
والمكتلة والفيخة بفتح الفاء وإخاء المعجمة وتسمى بالسكرجة أيضاً بضم السين
المهملة والكاف والراء الشددة والجيم إناء صغير لا يشبع الرجل والصحفة تشبع
الرجل . والمكتلة تشبع الرجاين والثلاثة . والقصعة تشبع الأربعة والخمسة . والجفنة
تشبع السبعة إلى العشرة . والدسيعة أكبرها . وقيل أكبرها الجفنة وهى التى
يذكرها الشعراء فى شعرهم فى الثالب كقوله :

لنا الجففات المرّ يلعن بالضحى وأسيفنا يقطرُن من نجدة دما
وقد قدت الخنساء على هذا البيت كما فى المفتاح فقالت أى نفر يكون فى أن
له ولمشيرته وابن ينضوى إليهم من الجفان ما نهايتها فى العدد عشرة وكذا من
السيوف . ألا استعمل جمع الكثرة الجفان والسيوف . وأى نفر فى أن يكون
جفنته وقت الضخوة وهو وقت تناول الطعام غراء لا معة كجفان البائع أما يشبه
أن قد جعل نفسه وعشيرته بأى عدة جفانت ثم أتى يصاح للبلانة فى الترح
بالشجاعة . وقد قال وأسيفنا يقطرن . أما كان يجب أن يتركها الى يسان أو
يفضن أو ما شاكل ذلك .

عادات العرب فى الشرب

اعلم أن عادات العرب فى الشرب وآدابهم فيه قد جاءت الشريعة بكتير
منها وهى مفصلة فى كتبها . منها : الشرب قاعداً قالوا : فإن للشرب قائماً آفات

عديدة ، منها أنه لا يحصل له الرى التام ولا يستقر الماء فى المعدة حتى يقسمه الكبد على الأعضاء وينزل بسرعة وحده إلى المعدة فيخشي منه أن يبرد حرارتها ويشوشها ويسرع النفوذ إلى أسفل البدن بنير تدريج . وكل هذا يضر بالشارب وأما إذا فعله نادراً أو لحاجة لم يضره ولا يمترض بالموائد على هذا فإن الموائد طبايع ثوان ولها أحكام أخرى وهى بمنزلة الخارج من القياس . ومن آدابه أن يقطع عن الشرب ثلاث مرات . فإنه أروى وأمرأ وأبرأ . فأروى أشد ريثاً وأبلنه وأنفعه وأبرأ من البرء وهو الشفاء أى يبرأ من شدة العطش ودائه لتردده على المعدة الملتبهة دفعات فتسكن الدفعة الثانية ما عجزت الأولى من تسكينه والثالثة ما عجزت الثانية عنه . وأيضاً فإنه أسلم لحرارة المعدة وأبقى عليها من أن يهجم عليها البارد وهلة واحدة ونهلة واحدة ، وأيضاً فإنه لا يروى لمصادفته لحرارة العطش لحظة ثم يقلع عنها ولم يكسر سورته وحدتها فان انكسرت لم تبطل بالكلى بخلاف كسرها على التدريج ، وأيضاً فإنه أسلم طاقية وآمن غائلة من تناول جميع ما يروى دفعة واحدة فإنه يخاف منه أن يطفى الحرارة الفرزية بشدة برده وكثرة كميته أو يضعفها فيؤدى ذلك إلى فساد مزاج المعدة والكبد وإلى أمراض رديئة خصوصاً فى سكان البلاد الحارة كالمرق والحجاز واليمن ونحوها وفى الأزمنة الحارة كشدة الصيف ، فإن الشرب وهلة واحدة مخوف عليهم جداً فإن الحار الفرزى ضيف فى بواطن أهلها وفى تلك الأزمنة الحارة . وأما كونه أمرأ فإنه من مرىء الطعام والشراب فى بدنه إذا دخله وخالطه بسهولة ولثة ونفع ومنه فكلوه هنيئاً حريئاً . هنيئاً فى طاقته ، حريئاً فى مذاقه . وقيل معناه أنه أسرع انحداراً عن المرىء لسهولة وخفته عليه بخلاف الكثير فإنه لا يسهل على المرىء انحداره .

ومن آفات الشرب نهلة واحدة أنه يخاف منه الشرق بأن يسد مجرى الشراب لكثرة الوارد عليه فيمنع به فإذا تنفس رويداً ثم يشرب أمن من ذلك

ومن فوائد القطع ثلاثاً . إن الشارب إذا شرب أول مرة تصاعد البخار الدخان الحار الذى كان على القلب والكبد لورود الماء البارد عليه فأخرجته الطبيعة عنها فإذا شرب مرة واحدة اتفق زول الماء البارد وصعود البخار فيتدافق ويتماجان ومن ذلك يحدث الشرى والنصة ولا يهنا الشارب بالماء ولا يمر به ولا يتم ربه . وقد ورد فى الحديث إذا شرب أحدكم فليمص الماء مصاً ولا يعب عباً فإنه من الكبد . والكبد بضم الكاف وتخفيف الباء هو وجع الكبد . وقد علم بالتجربة أن ورود الماء جلة واحدة على الكبد يؤلمها ويضعف حرارتها ، وسبب ذلك المضادة التى بين حرارتها وبين ماورد عليها من كيفية البرود وكيته ولو ورد بالتدريج شيئاً فشيئاً ولم يضادد حرارتها لم يضعفها . وفى الحديث أيضاً لا تشربوا نفساً واحداً كشرب البعير لكن اشربوا مثني وثلاث وسما إذا أنتم شربتم واحداً وإذا أنتم فرغتم . ومن الآداب قطع النفس عند الشرب فإن الشارب إذا تنفس فى القدح فخالط نفسه الماء استقذر وربما سقط من أنفه فى الماء ما يستكره وأحدث فيه داء وربما كان فى فم النافع رائحة كريهة يناف الماء لأجلها إلى غير ذلك من المضار وكانوا يكرهون الشرب من ثلثة الإناء وهذا من الآداب التى يتم بها مصلحة الشارب فإن الشرب من ثلثة القدح فيه عدة مفاسد . أحدها أن ما يكون على وجه الماء من قذى أو غيره يجتمع إلى الثلثة بخلاف الجانب الصحيح الثانى أنه ربما يشوش على الشارب ولم يتمكن من حسن الشرب من الثلثة . الثالث أن الوسخ والزهومة يجتمع فى الثلثة ولا يصل إليها النسل كما يصل إلى الجانب الصحيح . الرابع أن الثلثة محل العيب فى القدح وهى أردأ مكان فيه فينبغى تجنبه وقصد الجانب الصحيح فإن الردىء من كل شيء لا خير فيه . ورأى بعض السلف رجلاً يشترى حاجة رديئة فقال لا تفعل إني الله تعالى نزع البركة من كل ردىء . الخامس أنه ربما كان فى الثلثة شق وتحديد يجرح شفة الشارب . وكانوا يكرهون أيضاً الشرب من فم السقاء ، لأن تردد أنفاس الشارب

فيه يكسبه زهومة ورائحة كريهة يناف لأجلها وربما غلب الداخل إلى جوفه من الماء فتضرر به ، وربما كان فيه حيوان لا يشعر به فيؤذيه ، وربما كان في الماء قذارة أو غيرها لا يراها عبد الشرب فتلج جوفه . وكانوا يحشون على تغطية الإناء لما في انكشافه من الهاذير التي لا تحفى . وفي الحديث : غطوا الإناء ، وأوكروا السقاء .

ما يعتبر به جودة الماء عند العرب

تعتبر جودة الماء من عشرة طرق . أحدها من لونه بأن يكون صافياً الثاني : من رائحته بأن لا يكون له رائحة البتة . الثالث : من طعمه بأن يكون عذب الطعم حلوه كالنيل والفرات ونحوهما . الرابع : من وزنه بأن يكون خفيفاً رقيق القوام . الخامس : من مجراه بأن يكون طيب المجرى والسلك . السادس : من منبمه بأن يكون بعيد النبع . السابع : من بروزه للشمس والريح بأن لا يكون مخفياً تحت الأرض فلا تتمكن الشمس والريح من قصارته . الثامن : من حركته بأن يكون سريع المجرى والحركة . التاسع : من كثرتة بأن يكون له كثرة تدفع المخالطة له . العاشر : من مسببه بأن يكون آخناً من الشمال إلى الجنوب أو من المغرب إلى المشرق . وإذا اعتبرت هذه الأوصاف لم تجدوها بكاملها إلا في النيل والفرات وسيحون وجيحون ونحوها . وتعتبر خفة الماء من ثلاثة أوجه . أحدها سرعة قبوله للحر والبرد . الثاني : بالميزان . الثالث : أن تبل قطنتان متساويتان الوزن بمائتين مختلفين ثم يجففا بالنار ثم توزنا فأيهما كانت أخف فأيها كذلك .

والماء وإن كان في الأصل بارداً رطباً فإن قوته تتنقل وتفسير لأسباب طارئة توجب انتقالها فإن الماء المكشوف للشمال المستور عن الجهات الأخر يكون بارداً وفيه يس مكتسب من ريح الشمال . وكذلك الحكم على سائر الجهات الأخر . والماء الذي ينبع من المادن يكون على طبيعة ذلك المادن ويؤثر في البدن تأثيره

والماء المنب نافع للرضى والأسحاه والبارد منه أنفع وألذ . قالوا : ولا ينبغي شربه على الريق ولا عقب الجماع ولا عند الانتباه من النوم ولا عقب أكل الفاكهة ، وأما على الطعام فلا بأس به إذا اضطر إليه بل يمتنع ولا يكتر منه بل يمتصه مصاً فإنه لا يضره البتة بل يقوى المعدة وينهض الشهوة ويزيل العطش . والماء الفاتر ينفض ويفعل ضد ما ذكرناه وبائته أجود من طريه . قالوا : والبارد ينفع من داخل أكثر من نفعه في الخارج والحار بالمكس ، وينفع البارد من عفونة الدم وصعود الأنجزة من الرأس ويدفع العفونات ويوافق الأمزجة والأسنان والأزمان والأماكن الحادة ويضر كل حالة تحتاج إلى نضج وتحليل كالكلى والأورام ، والشديد البرودة منه يؤذى الأسنان ، والإدمان عليه يحدث انفجار الدم والثرلثات وأوجاع الصدر . والبارد والحار يفرط ضاراً للمصّب ولأكثر الأعضاء لأن أحدهما محلل والآخر مكثف . والماء الحار يسكن لذع الأخلاط الحادة ، ويحلل وينضج ويخرج الفضول ويرطب ويسخن ويفسد الهضم شربه ويطفو بالطعام إلى أعلى المعدة وبرخها ولا يسرع في تسكين العطش ويذبل البدن ويؤدى إلى أمراض رديئة ويضر في أكثر الأمراض ، وعلى أنه صالح للشيوخ وأصحاب الصرع والصداع البارد والرمد وأنفع ما استعمل من خارج والشديد السخونة يذيب شحم الكلى . وعلى كل حال أن الماء البارد أنفع ولا سيما إذا خالطه ما يحليه كالسمل والزبيب والسكر ونحو ذلك فإنه من أنفع ما يدخل البدن وأحفظ عليه صحته . ولهذا كان أحب الشراب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله تعالى عليه وسلم البارد الحلو . ولما كان الماء البائث أنفع من الذى يشرب وقت استقائه قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد دخل إلى حائط أبي الهيثم بن التيهان : هل من ماء بات في شئ ؟ فأتاه به فشرب منه ، فإن الماء البائث بمنزلة المعجن الجدير والذى شرب لوقته بمنزلة الفطير وأيضاً فإن الأجزاء الترابية والأرضية تفارقه إذا بات والماء الذى في القرب والشنان ألذ من الذى يكون في آنية الفخار والأحجار

وغيرها عندهم ولا سبياً أسقية الأدم ، ولهذا التمس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ماءً بات في شنه دون غيرها من الأواني ، وفي الماء إذا وضع في الشنان خاصية لطيفة لما فيها من السام للنفثحة التي يرشح منها الماء ، ولهذا كان الماء في الفخار الذي يرشح ألدّ منه وأبرد في الذي لا يرشح .

المياه المشهورة عند العرب

منها ماء (النيث) وهو لديهم لذيد الاسم على السمع والسمى على الروح والبدن تبهج أسماعهم بذكره ، وقلوبهم بوروده ، وماءه ألطف المياه وأفضلها وأنفعها وأعظمها بركة ، ولا سبياً إذا كان من سحاب راعد واجتمع في مستنقعات الجبال وهو أربط من سائر المياه لأنه لم تطل مدته على الأرض فيكتسب من يوسئها . ولم يخالطه جوهر يابس ولذلك يتغير ويتمغن سريماً للطافته وسرعة انغماله وهل النيث الريمي ألطف من الشتوى أو بالعكس فيه قولان ، قال من رجح النيث الشتوى : حرارة الشمس تكون حينئذ أقل فلا يجتنب من ماء البحر إلا أطفه والجوّ صاف وهو خال من الأبخرة الدخانية والنيار الخاطل للماء ، وكل هذا يوجب لطفه وصفاءه وخلوه من غائط . وقال من رجح الريمي : الحرارة توجب تحلل الأبخرة الغليظة وتوجب رقة الهوى ولطافته فيخف بذلك الماء وتقل أجزاؤه الأرضية وتصادف وقت حياة النبات والأشجار وطيب الهواء .

ومنها ماء (الثلج) و (البرد) و (الجدد) وهذا الماء قليل عندهم لذلبة الحرارة على طهرهم ولكونه ليسهم من أنفع المياه وأقواها . ورد في الحديث : اللهم اغسلني من خطاياي بماء الثلج والبرّد . والثلج له في نفسه كيفية حادة دخانية فاؤه كذلك ، والحكمة في طاب النسل من الخطايا بمائه ما يحتاج إليه القلب من التبريد والتصلب والتقوية ، ويستفاد من هذا الأصل طب الأبدان والقلوب ومعالجة أدوائها بضدها ، وماء البرد ألطف وألدّ من ماء الثلج . وأما ماء الجدد وهو الحليد فيحسب أصله ، والثلج يكتسب كيفية الجبال والأرض التي يسقط عليها

في المودة والرداءة وينبني تجنب شرب الماء المثلوج عقب الاستحمام والجماع والرياضة والطعام الحار ولأصحاب السعال ووجع الصدر وضمف الكبد وأصحاب الأمزجة الباردة .

ومنها ماء (الآبار) و (القناء) و (الميون) وهذه المياه غالب مياه العرب . وقد جمع بعض الأدباء المتقدمين أسماء مياههم في رسالة لطيفة وذكر أصحابها جاهلية وإسلاماً وما ورد فيها من الشعر بما يطول ذكره . ومياه الآبار قليلة اللطافة وماء القناء المدفونة تحت الأرض ثقيل لأن أحدها محتقن ولا يخلو عن تعفن والآخر محجوب عن الهواء . وينبني أن لا يشرب على الفور حتى يصدر للهواء ، وتأتي عليه ليلة . وأردؤه ما كانت مجاريه من رصاص أو كانت بره معطلة ولا سيما إذا كانت تربتها رديئة فهذا الماء دنيء وخيم . وأما ماء بر زمزم فهو عند العرب جاهلية وإسلاماً سيد المياه وأشرفها وأجلها قدراً وأحبها إلى النفوس وأغلاها ثمناً وأنفسها ، وهو هزمة جبريل وسقيا أماعيل عليهما السلام ، وثبت في الصحيح عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال لأبي ذر وقد أقام بين الكعبة وأستارها أربعين ما بين يوم وليلة وليس له طعام غيره : قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إنها طعام طعم ، وشفاء سقم . وفي الحديث : ماء زمزم لما شرب له . وقد جرب كثير من الناس من الاستشفاء بماء زمزم أموراً عجبية ، وقد شوهد من يغذى به الأيام ذوات العدد قريباً من الشهر ولا يجد جوعاً ويطوف مع الناس كأحدهم . وأما مياه الميون فالتألب عليها الثقيل كأكثر مياه الآبار . وللأصمعي رسالة ذكر فيها ما اعتبرته العرب من الأسماء في البئر وأنواعها وآلاتها وهي فريدة في بابها ، وسنذكر إن شاء الله عند الكلام على علومهم ما لهم من اليد الطولى في معرفة استنباط المياه وإجرائها وإن قصاً مهم يقال لهم (النصاتون) يضع أجدهم أذنه على الأرض فيعلم مسافة بئر الماء في تلك الأرض .

أسماء أواني المياه عند العرب

كما أن لأواني الأظمة أسماء مخصوصة كذلك لأواني الشرب أسماء تخص

كلّا منها عن الأخرى ، وقد استوعبها ابن فارس وغيره في كتب فقه اللغة . منها « الثبن » بكسر التاء وفتحها قال في القاموس هو قدح يروى العشرين . ومنها « الصحن » وهو السُّنُّ العظيم . ومنها « الس » وهو القدح العظيم . ويقال : إنه الذي يروى الثلاثة والأربعة . ومنها « القَدَح » بفتح القاف والدال قال في القاموس هو آنية تروى الرجلين ومنها « القَمْب » بفتح القاف وسكون العين قال في القاموس : هو القدح الضخم الجاف أو إلى الصغر يروى الرجل . ومنها « النَمْر » بضم النون المججمة وفتح الميم وهو قدح صغير أو أصغر الأقداح ، ويقال تغمر الرجل إذا شرب به .

تقديم العرب الأيمن في الشرب

إن العادة كانت جارية بين ملوك الجاهلية وروسائهم بتقديم الأيمن في الشرب وكانت عادة العرب عبارة ملوكهم بتقديم الأيمن فالأيمن في أى شرب كان وعلى ذلك قول عمرو بن كلثوم في مملقته وهو :

صددت الكأسَ عنأُمِّ عمرو وكان الكأسُ يجرها اليمين

وقد أقر الشرع هذه العادة ولم يغيرها لفضل اليمين على اليسار . ولهم في شرب الخمر عوائد وآداب مذكورة في كتاب (مساوى الخمر) وكذلك أسماء أوقاته كالصَّبُوح والتَّبُوق ونحو ذلك ، وهكذا لما يشرب من اللبن وذكره يطول .

عادات العرب في سقى إبلهم وأسمائها

اعلم أن للعرب في سقى إبلهم عوائد مختلفة ولكل منها اسم يخصه ، فكانوا إذا أوردوها كل يوم يقولون : سقينها رفها . أى في كل قوم . وإذا أوردوها يوماً وتركوها في المرعى يوماً قالوا : سقينها غيّاً . وإذا أقاموها في المرعى بعد يوم الشرب يومين ثم أوردوها في اليوم الثالث يقولون : سقينها ربّاً . ولا يقولون ثلثاً أبداً لأنهم يحسبون يوم المقام مع يوم الشرب فيعدونها أربعة ويؤيده أنه يقال للحصى التي تأتي يوماً وتقلع يومين ثم تأتي في الثالثة حتى الربع ، وتعلم ظمأ الإبل

في الثالب ثمانية أيام فإذا أوردوها في اليوم التاسع منه وهو المائر من الشرب الأول قالوا : سقينها عشرًا بالكسر فالعشر تسعة أيام أبداً لأن يوم الشرب الأول من الشهر السابق في الواقع لا من هذا الشهر . وإذا زادوا على العشرة قالوا : أوردناها رفها بعد عشر . وحكى عن الليث أنه قال : قلت للخليل زعمت أن عشرين جمع عشر والعشر تسعة أيام . فكان يبنى أن يكون المشرون سبعة وعشرين يوماً لتستكمل ثلاثة أسابيع . قال ثمانية عشر يوماً عشرين ضمعت إليها يومين من الشهر الثالث فجمعتها بذلك الاعتبار . قلت : هل يجوز أن تقول للدرهمين مع الدائنين ثلاثة دراهم ؟ قال : لا أقيس على هذا وإنما أقيس على قول أبي حنيفة رحمه الله تعالى حيث قال : إن من طلق امرأته تطليقتين وعشر تطليقة تقع ثلاث تطليقات فكما جاز له أن يمتد بمشر تطليقة ويجعله تطليقة واحدة كاملة جاز لي أن أعتد بيومين عشر وأعدهما عشرًا كاملاً .

المرغوف في تغذية الماء

اختلف أطباء العرب في الماء هل ينزى البدن أم لا . فأثبت طائفة التغذية بناء على ما يشاهد من النمو والزيادة والقوة في البدن به ولا سيما عند شدة الحاجة إليه قالوا : وبين الحيوان والنبات قدر مشترك من وجوه عديدة . منها النمو والاعتناء والاعتدال . وفي النبات قوة حس وحركة تناسبه ، ولهذا كان غذاء النبات بالماء فإينكر أن يكون للحيوان به نوع غذاء أو أن يكون جزءاً من غذائه التام . قالوا : ونحن لا ننكر أن قوة الغذاء ومعظمه في الطعام وإنما أنكرنا أن لا تكون للماء تغذية البتة . قالوا : وأيضاً الطعام إنما ينزى بما فيه من المائية ولولاها لما حصلت به التغذية . قالوا : ولأن الماء مادة حياة الحيوان والنبات ، ولا ريب أن ما كان أقرب إلى مادة الشيء حصل به التغذية فكيف إذا كانت مادته الأصلية ، فكيف ينكر حصول التغذية بما هو مادة الحياة على الإطلاق ؟ قالوا : وقد رأينا المطشان إذا حصل له الرى بالماء البارد تراجعت إليه قواه ونشاطه

وحركة وسبر عن الطعام وانتفع بالقدر اليسير منه ورأينا المطشان لا ينتفع
 بالقدر الكثير من الطعام ولا يحدته القوة والاعتناء . ونحن لا ننكر أن الماء ينفذ
 الغذاء إلى أجزاء البدن وإلى جميع الأعضاء وأنه لا يتم أمر الغذاء إلا به ، وإنما
 ننكر على من سلب قوة التغذية عنه البتة ، وكاد قوله عندنا يدخل في إنكار
 الأمور الوجدانية . وأنكرت طائفة أخرى حصول التغذية به واحتجت بأمور
 يرجع حاصلها إلى عدم الاكتفاء به وأنه لا يقوم مقام الطعام وأنه لا يزيد في نمو
 الأعضاء ، ولا يخلف عليها بدل ما حلتته الحرارة ونحو ذلك مما لا ينكره أصحاب
 التغذية فإنهم يعملون تغذيته بحسب جوهره ولطافته ورقته وتغذية كل شيء بحسبه
 وقد شوهد الهواء الرطب البارد اللين اللذيذ يغذى بحسبه ، والرائحة الطيبة تغذى
 نوعا من الغذاء ، فضذية الماء أظهر وأظهر .

ما يعالج به ضرر الماء

كان لهم طرق من العلاج لدفع مضرة ماء البحر إذا اضطر أحد منهم إلى
 شربه ، منها أن يجمل في قدر ويجمل فوق القدر قصبات وعليها صوف جديد
 منقوش ويوقد تحت القدر حتى يرتفع بخارها إلى الصوف فإذا كثر عصره من
 عمل ذلك ولا يزال على هذا الفعل حتى يجتمع له ما يريد فيكون في الصوف من
 البخار ما عذب ويبقى في القدر الزقاق ، ومنها أن يحفر على شاطئه حفرة واسعة
 يرشح ماؤه إليها جانبها قريبا منها أخرى ترشح هي إليها ثم تالئة إلى أن يعبث
 الماء . ولهم في تصفية الماء ودفع كدورته حيل وذلك إذا ألجأت أحدهم الضرورة
 إلى شرب الماء الكدر ألقى فيه قطعة من خشب الساج أو جراً ملتهباً يطفى فيه أو
 طينا أرمنيا أو سويق حنطة ، فإن كدورته ترسب إلى أسفل .

تم الجزء الأول ويليهِ الجزء الثاني

ثلاثة فهارس

الفهرس الأول — فى موضوعات الكتاب

الفهرس الثانى — فى أسماء الرجال والنساء

الفهرس الثالث — فى أسماء البلدان والقبائل

فى بجمعها وترتيبها

محمد جمال

صاحب المكتبة الأهلية — بمصر

الفهرس الأول

في مواضيع الكتاب

صفحة	صفحة
٩١	مطاعم الریح
٩٢	أزواد الركب
٩٩	العرب أقرب اللحم من غیرهم
١٠٣	العرب أشجع من غیرهم
١١٨	من ضرب بشجاعة المثل من العرب
١١٨	خالد بن جعفر بن كلاب العامری
١٢٠	بجمع بن هلال بن خالد بن مالك
١٢٢	العرب أوفى من غیرهم
١٢٥	من ضرب بوفائه المثل من العرب
١٢٥	عوف بن علم
١٢٧	حنظلة بن عفراء
١٣٣	الحارث بن ظالم الحمیری
١٣٥	أبو حنبل الطائی
١٣٦	الحارث بن عباد
١٣٦	السموأل بن عادي الغسانی
١٣٩	فكیمة بنت قتادة
١٣٩	أم جمیل
١٤٠	العرب أغیر من غیرهم
١٤٧	مناظرة بین النعمان وكسری
١٥٨	كلام لابن المقفع فی فضل العرب
١٥٩	مذهب الشعوبیة فی العرب
١٦٤	شبه الشعوبیة وأبطالها
١٦٩	رد ابن كتیبة على الشعوبیة
٢	مقدمة — إشارح الكتاب
٥	مقدمة — مؤلف الكتاب
٨	تعریف العرب وبيان أنواعهم
١٠٩	وأقسامهم
١٠٩	الطبقة الأولى، الثانية، الثالثة
١١١	الرابعة
١١٢	تعریف من يطلق علیه لفظ العرب
١١٢	الفرق بین العرب والأعراب
١١٥	فی المعنی
١١٥	معنی الجاهلیة وما تطلق علیه
١١٨	فضل جنس العرب وما امتازوا به
١٣٨	العرب أحفظ من غیرهم
١٤٠	العرب أقدر على البیان من غیرهم
١٤٦	العرب أقرب للسخاء من غیرهم
١٧٢	أجواد العرب : حاتم الطائی
١٨١	كعب بن مامة الإیاضی
١٨٢	أوس بن حارثة بن لام الطائی
١٨٤	هرم بن سنان
١٨٦	عبد الله بن حبیب العنبری
١٨٧	عبد الله بن جندب التیمی
١٩٠	قیس بن سعد
١٩١	عبدة السكیة
١٩١	قتادة بن مسلة الحنفی

صفحة	موضوع	صفحة	موضوع
٢٦٤	أسواق العرب أيام الجاهلية	١٧١	رد الشعوية على ابن قتيبة
٢٧٠	مجموعات العرب في جملتهم	١٧٣	قول الشعوية في مناهج العرب
٢٧٨	مفاخرات العرب ومناقراتهم	١٧٣	الرد عليهم
٢٨٥	حديث ندى الجدين	١٧٥	أجل ما قاله الشعوية في العرب
٢٨٧	مفاخرة يمن ومضر	١٨٤	مساكن العرب في الجاهلية
٢٨٧	مفاخرة الأوس والخزرج	١٨٥	مساحة دوي جزيرة العرب
٢٨٧	المنافرات الشهيرة في الجاهلية	١٨٧	وجه تسمية هذه الجزيرة
٢٨٨	مناقرة حامر بن الطفيل مع علقمة	١٨٧	ما اشتمل عليه الجزيرة من الأقسام
٢٩٧	مناقرة بين فزارة وبني هلال	١٨٨	البلاد والمباني المشهورة: الحجاز
٢٩٨	قصة الفقعي وخمرة	١٩٤	تهامة
٣٠١	مناقرة جرير وغالد	١٩٩	العروض: اليمامة مدينة الرسول
٣٠٦	مناقرة القعقاع وغالد	١٩٨	نجد — وأقوال الشعراء فيها
٣٠٧	مناقرة هاشم وأمية	٢٠٢	اليمن
٣٠٨	حكم العرب في الجاهلية:	٢٠٤	المعادن والقصور التي فيها
٣٠٨	أكثم بن صيفي	٢٠٧	مأرب (سبأ)
٣١١	حاجب بن ذرارة	٢٠٩	تدمر وعجائبها
٣١٥	الأقرع بن حابس	٢١٢	ما بطور العراق من بلاد الجزيرة
٣١٦	ربيعة بن مخاشن	٢١٧	ديار بكر وربيعة ومضر
٣١٦	ضمرة بن ضمرة	٢٢٢	المواضع التي جهزت على السنة
٣١٦	حامر بن الظرب		الشعراء
٣١٩	غيلان بن سلبة	٢٢٧	ما كانت عليه مكة في الجاهلية
٣٢١	هاشم بن عبد مناف	٢٣٠	صفة الكعبة
٣٢٣	عبد المطلب بن هاشم	٢٣٩	فضل مكة وذكر رؤسائها وأشرفها
٣٢٤	أبو طالب بن هاشم	٢٤٩	أشرف قریش في الجاهلية
٣٢٨	العاص بن وائل		والإسلام
٣٢٩	العلاء بن حارثة	٢٥١	أصحاب الفيل في مكة
٣٢٩	ربيعة بن حذار	٢٦٣	سؤال وجواب

صفحة		صفحة	
٣٦٤	أعياد المسلمين	٣٣٠	يعمر الشداخ
٣٦٧	ما كان العرب يصنعونه في أعيادهم	٣٣٠	صفوان بن أمية
٣٦٩	حدااء العرب والقضاء	٣٣٠	سلي بن نوفل
٣٧٠	عادات العرب في المأكل والمشرب	٣٣١	مالك بن جبير
	وصف كثرة الأكل وترتيبه	٣٣١	عمرو بن حمزة
٣٧٩	عند العرب	٣٣٤	الحارث بن عباد
٣٨٠	مطاعم العرب الشهيرة	٣٣٥	القلس الكناني
٣٨٥	ولائم العرب الشهيرة	٣٣٥	ذو الإصبع العدواني
٣٨٧	أواني العرب المميّزة بأسماء مخصوصة	٣٣٨	حكيمات العرب
	عادات العرب في الشراب	٣٣٩	ابنة الخنس
٣٨٧	ما يعتبر به جودة الماء عند العرب	٣٤٢	جمعة بنت حابس الأيادي
٣٩٠	المياه المشهورة عند العرب	٣٤٢	صخر بنت لقمان
٣٩٢	أسماء أواني المياه عند العرب	٣٤٢	خضيلة بنت عامر
٣٩٣	تقديم العرب الأيمن في الشراب	٣٤٣	حذام بنت الريان
٣٩٤	عادات العرب في سقي إبلهم وأسمائها	٣٤٤	أعياد العرب وأفراحهم
٣٩٤	الاختلاف في تغذية الماء	٣٤٥	أعياد المشركين
٣٩٥	ما يعالج به ضرر الماء	٣٤٨	أعياد المجوس
٣٩٦		٣٥٧	أعياد القبط والنصارى
		٣٦١	أعياد اليهود

الفهرس الثاني

في أسماء الرجال والنساء

(١)

ابن هشام ٨٨ و١٩١	ابراهيم (عليه السلام) ١٧ و٨٢ و١٧٥ و٢٢٩
ابو سفيان بن حرب ١٢٩ و٢٢٨ و٢٤٩ و٢٦٩	٢٣. و ٢٣٣ و ٢٤٠ و ٢٣٤ و ٢٤٥ و ٢٤٣ و ٢٦٠
٢٨٨ و ٢٩٢ و ٣٠٨ و ٣٢٠	٢٧. و ٣٢٢ و ٣٤٦ و ٣٥٣ و ٣٥٤ و ٣٦١ و ٣٦٥
ابن القطامي ١٤٧	٣٧٥
ابن سبيرين ١٥٠	ابراهيم النخعي ٢٢٨
ابن غرسية ١٦٠	ابراهيم الاحمدي ١٣٥
ابن هبولة الفسائي ١٦٧	ابراهيم الموصلي ٣٦٨
ابن وكيع ١٧٤	ابراهيم بن المهدي ٣٦٨
ابن الرواسي ١٧٧	ابرهة الاشرم ٢٥١ و ٢٥٢ و ٢٥٣ و ٢٥٤ و ٢٥٥
ابن النخعي ١٧٩ و ٢٧٤ و ٢٧٥	٢٥٧ و ٢٥٩ و ٢٦٠ و ٢٦١ و ٢٦٢
ابن خلكان ١٧٩ و ٢٢٠	ابرهة ذو المنار ٢٠٥
ابن سينا ١٨٢	ابرهة (الملك) ٢٠٥
ابن عيينة ١٨٦	ابرهة بن الصباح ٢٠٥
ابن بكار ٩٢	الابرش الكلبى ٢٨٧
ابن بزي ٩٥ و ١٥٢ و ١٧٩	ابن الامرابي ١٣ و ٢٠ و ٢٥ و ٧٣ و ٩١ و ٩٢
ابن الاثير ٩٥ و ٢٢٠ و ٢٤٠ و ٢٤٣ و ٢٨٥	١٤١ و ١٤٤ و ٢٠٠ و ٢٤٢ و ٢٠١ و ٢٣٢ و ٢٤٠
ابن مالك ١٠٦	٢٨٥
ابن الطويلة ١٢٣ و ٣١٢	ابن خالوية ١٥
ابن الزيات ١٣٣	ابن رشيد ٢٣
ابن قنمات ٣٨٢	ابن دارة ٢٣
ابن السكيت ٣٨٤	ابن سيده ٢٣
ابن كثير ٣٢٦	ابن الزيات ٢٥
ابن الكلبي ٣١٦ و ٢١٧ و ٢٢٨ و ٢٣٠ و ٢٣١ و ٢٣٢	ابن ابي الاصبح ٢٥
٢٣٢	ابن هبيرة ٢٠ و ٣٧١
ابن الزبير ٢٤٤	ابن ديد ٢١ و ٩١ و ١٠٣ و ١٢٧ و ٢٥٦ و ٢٦١
ابن ام مكتوم ٢٤١	٢٣١ و ٢٣٢ و ٢٣٨ و ٢٧٠
ابن السراج ٢٤١	ابن الكرم ٣١
ابن الربيع ٢٥١	ابن الانباري ٤٩ و ٢٣٥
ابن مغرغ ٢٥٨	ابن هرمه ٥٠ و ٢٤٤ و ٢٧٤
ابن نوح (كنان) ٢٦٠	ابن عثقه الغزاري ٥٢ و ٥٣
ابن غنوه ١٩٦	ابن دارة اللطفي ٧٥
ابن احمد ٢٠١	ابن ابي خازم ٨٣
ابن الشجري ٢١٢	ابن قتيبة ٨٦ و ٨٩ و ١٤٢ و ١٦٩ و ١٧١ و ١٧٥
ابن عمر الثقفي ٢٢٠	١٨٧ و ٢٤٠ و ٢٣٥ و ٢٤٤ و ٢٧٠
ابن السدوسي ٢٢٠	ابن الزبير ٨٧ و ٢٥٨
ابن مقبل ٢٢٦	

أبو الصافية ٢١٥	ابن حجر ملك كنده .
أبو الاسود ٢٤٥	ابن خلون ٢١٢
أبو زيد ٢٨٧ و ٢٨٤	ابن القلق ١٥٨ و ٢٤٩
أبو هلال العسكري ٢٢٠	ابن عباس ١٢ و ١٧ و ٢٦ و ١٧٥ و ٢٣٣ و ٢١٩
أبو حنيد العسكري ٢٢١	٢٤٤ و ٢٣٢
أبو احمد العسكري ٢٢٩ و ٢٣٠	ابن حجر ٢٠٢ و ٢٢٤
أبو كشوم بن الهرم ٢٢٢	ابن شاهين ٢١٥
أبو النجم ٢٢٢	ابن مبرق ٢١٨
أبو ريش ٢٢٢	ابنة الخس ٢٣٩ و ٢٤٠
أبو حاتم ١٢٠ و ٢٣٥ و ٢٣٦	ابنة هرم ٨٦
أبو حذيفة بن القيرة ٢٢٢	أبو العباس أبي غدة ١٢
أبو الجهم بن حذيفة ٢٢٢	أبو الهيثم ١٢ و ٢٩١
أبو شريح الخزاعي ٢٢٨	(بو لور ١٥ و ١٧ و ٢٥ و ٩٨ و ٢٩٣
أبو بكر بن عبد مائة ٢٤٦	أبو العالقة ١٨
أبو سيارة ٢٤٧ و ٢٤٨	أبو عبد الله الرزباني ٢٥ و ٢٢٢ و ٢١٩ و ٢٣١
أبو فحشان ٢٤٧	أبو الفرج الاصمغاني ٢٥ و ٢٧ و ٩٦ و ١٣٤
أبو حي بن مضر ٢٤٧	١٢٥ و ٢١٤ و ٢٨٩ و ٢٩٧ و ٢١٩
أبو رغال ٢٥٢ و ٢٥٤	أبو بكر العليمي ٢٥
أبو الطيب مسعود ٢٥٦	أبو عمر بن العلاء ٢٥ و ١٤٥
أبو ليس صبيح ٢٥٨	أبو عثمان الأشعثاني ٢٢
أبو الطيب الكمي ٢٦٤	أبو فهد السندوسي ٢٧
أبو جعفر المنصور ٢٦٩	أبو خالد الكلابي ٢٧ و ٢٨٤
أبو بردة ٢٧٩	أبو اسحق الكندي ٤٢ و ٢١٥
أبو أمية بن القيرة ٩٢ و ٩٣	أبو العلاء ٤٧
أبو طالب عم النبي ٢٢٤ و ٢٢٦ و ٢٢٧	أبو ريش ٥٢
أبو وائل ٩٨	أبو الطمجان (حنظلة) ٥٥
أبو سلمة ٩٨	أبو تمام ٦٩ و ١٢٤ و ١٢٣ و ٢١٤
أبو محمد الأعرابي ١٠٩ و ٢٩٨ و ٢٠٣ و ٢٠٦	أبو زباب الأعرابي ٧٠
أبو الأبيض العيسى ١١٣	أبو هريرة ٧١ و ٩٨ و ٢٢٤ و ٢٣٨
أبو الغول الطهوي ١١٤	أبو عبيدة ٧١ و ٨٧ و ٩١ و ١١٩ و ١٢٥ و ١٤٥
أبو الفتح ١١٥	و ١٦٠ و ١٨٥ و ١٨٧ و ٢٤٧ و ٢٦٨ و ٢٨٠ و ٢٨٨
أبو نؤاس ١٢٤	٢١٦ و
أبو عبد الله العواص ١٢٨	أبو الخبير ١٢ و ٧٥
أبو الحوفزان ١٣٠	أبو محمد الطلي ٧٥
أبو حنبل الطائي ١٣٥ و ١٣٦ و ١٤٤	أبو حنيفة ٨٩ و ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٩٥
أبو زهير الزهراني ١٣٦	أبو لغة الاصمغاني ١٩٩
أبو ذلف المجلي ٢١٤ و ٢١٥	أبو الندى ٩٢ و ٢٠٣
أبو ثوبان الهللي ٢١٢	أبو جهم ١٩٠ و ٢٨٨ و ٢٩٢ و ٣٠٨
أبو سمل النيلي ٢١١	أبو سفيان ١٩٠ و ٢٣٦ و ٢٧١
أبو الحسن الأثرم ٢٩٠	أبو لمعة ١٩٦
	أبو موسى الأشعري ٢٠٠

الترقي ١٨٨ و ٢٦٦	ابو مسكين ٣٢٢
أزال بن الصلتان ٢٠٤	أبو الهندي ٢٨٠
أزدشير بن بابك ٢٥٥ و ٣٦٢	أبو الهوس الأسدي ٢٨١
الأسكندر ١٦٥ و ٢١٩ و ٢٥١	أبو المنهال بقلبة ١٤٢
اسماعيل بن عمار ٢٤	أبو الميناء ١٥٨
اسماعيل (عليه السلام) ٨ و ١٦٦ و ١٧٠ و ١٧١	أبو عبيدة بن نبيشة ١٤٤
١٧٥ و ٢٢١ و ٢٢٢ و ٢٢٣ و ٢٤٠ و ٢٤٥ و ٢٤٦	أبو عبيد البكري ١٦٠ و ١٩٢ و ٢٢٢
٢٤٧ و ٢٩٢	أبو عبيد الثاني ١٦٠
الأسود بن مقصود ٢٥٣ و ٢٥٥	أبو معبد الكرمانى ١٦٤
اسماء زوجة زهير ٢١١	أبو بكر (رضى الله عنه) ١٦٨ و ١٩٦ و ١٩٧
الأسود بن يعقوب ٢١٤	٢٢٤ و ٢٤١ و ٢٤٩ و ٢٩٧ و ٣٢٠ و ٣٤٤
اسحق الموصلى ٣٦٩	أبو القعقاع ١٧٠
الأسود بن شريك ٢٨٤	أبو الغداد ١٨٢
اسيد بن حزيمة ١٢٠	أبو الحسن السلمي ١٨٦
اسماعيل بن هبة الله ١٢٩	أبى بن خلف ٢٧٥
أسود بن النضر ١٢٢	أبى بن كعب ١٩٠ و ٢٨٧
اسحق بن مفلح ١٦٤	أحمد بن تيمية ١٢ و ٣٦٦
اسحق (عليه السلام) ١٧٠	الأحنف ٢٨١ و ٢٨٢ و ٢٨٣
الأنسر بن صرمة ٢٩٠	أحمد بن عبد العزيز ٢٥
أشهل بن أراش ٣٠٦	أحمد بن سعيد ٢٥
الأشعث ٢٢٨ و ٢٨١	الأحوص بن جعفر ٣٧
أنسود بن قبطم ٣٥٩	أحمد بن فارس ٤٥ و ٢٢٢ و ٢٩٤
الاصمعي ٢٥ و ٢٨ و ٣٩ و ٨٢ و ١٥٢ و ١٨٥	أحمد بن حنبل ٧٢ و ١٦٢ و ١٦٤
١٨٧ و ١٩٥ و ٢٠٠ و ٢٢٢ و ٢٢٧ و ٢٢٩ و ٢٣٦	أحمد بن عمار ٩٠
٢٣٨ و ٢٤٠ و ٢٧٨ و ٢٩٢	الأحنف بن قيس ١٠٣
الاصم عمرو بن قيس ٢٨٢	أحيحة بن الجلاح ١٣٦
أصم بن أبى ربيعة ٢٨٤	أحمد بن يوسف الكاتب ٣٥١
الاصم بن عوف ٣٠٣	الأحوص ٢٨٨ و ٢٩١ و ٢٩٢ و ٢٩٣
الاعمش ٢٢٧	الأخطل ٢٤ و ٨٢ و ٩١ و ٣١٤ و ٣٧٤
الاعشى ١٢٧ و ٢٢٢ و ٢٤٣ و ٢٨٩ و ٢٩٦ و ٢٩٧	آدم (عليه السلام) ١٧ و ١٦٦ و ١٧٥ و ٢٧٤
أعشى بن ثعلبة ١٧٧	و ٢٧٥ و ٣٥٧
الافوه (الشاعر) ٢٢٤	أدريس (عليه السلام) ١٧ و ١٧٥
الافريغون (الملك) ٣٥٢ و ٣٥٣ و ٣٥٤	الأدريسى ١٨٢
الأفرع بن حابس ٢٦٧ و ٢٨٠ و ٣٠١ و ٣٠٢ و ٣٠٣	أرطاة بن سهبة ٦١
٣٠٤ و ٣٠٥ و ٣٠٦ و ٣١٥ و ٣١٦ و ٣٢٠ و ٣٤٤	أرسطو ١٨١
الأفرع بن معاذ ٦٨	أربد بن قيس ٢٨٢ و ٢٨٤
أكرم بن صيفى ١٥١ و ١٥٢ و ١٥٣ و ٣٠٦ و ٣٠٨	أراش بن عمرو ٣٠٦
٣١٠ و ٣١١	الأرقم ١٨٩
الأكيدر ٢١١ و ٣٦٥	الأزهري ١٢ و ٣٠ و ٢٢١ و ٢٧١ و ٢٧٩ و ٢٨٤
أمرؤ القيس ٢٧ و ٢٨ و ٣٠ و ٣٥ و ١٢٥ و ١٢٦	و ٣٨٥
١٤ و ١٦١ و ١٧٦ و ٢٢٢	الزواد الركب ٩٢

بلال العيشي ٩ و١٦٨ و٢٤١ و٣٦٦
البلادي ٢٢
بلقيس ٢٠٧ و٢٥١
بنت لبيد العامري ٩٢
بيوراسب ٣٥٣

(ت)

التبريزي ٤٧ و٥٥ و١٠٦
تبع العمري ١٧٨
تبع الاصغر ١٧٩
تبع الزائدة ٢٠٥
تبع ابو كرب ٢١٢
تغمر بنت عمرو الشريد ١١٩

(ث)

الثعلبي ١٢٨ و١٨٦ و٢١٠ و٢٤٦
الثعلبي ١٨
ثعلبية امرأة ابي حنبل ١٣٥
ثعلبة بن عمرو السلمي ٢١٢
ثعلب ٢٤٢ و٢٨٥
ثور بن شعمة ٨٧

(ج)

جابر بن حيان ٦٧
جابر بن دالان ١٩٣
جالينوس ١٨٢
جابر بن عبد الله ٢٢٢ و٢٢٣
جيريل (عليه السلام) ١٩٦ و٢٥٥ و٣٥٧ و٢٩٢
جيلة بن الحارث ٢١٢
جيلة بن الايهم ٢١٢
جيرير ٢١ و٢٢ و٢٣ و٢٤ و٢٦ و٢٧ و٢٨ و٢٩
و٩١ و١٦٦ و٢٢٤ و٢٢٥ و٣١٢ و٢٤٦
جيرير بن عبد الله ٢٠٤ و٢٠٣ و٢٠٢ و٢٠١
جفلية امرأة ابي حنبل ١٢٥
جذيمة الاربرش ١٢٧ و٢١٩
جسلس بن نشبة ١٠٩
جمعة السلمي ١٤٢
جماد بن عبد التيمي ١٧٩
الجمدي ٢٢٤

الامام مالك ٢٣٦
أم حسان ٦٨
أم محمد ٦٨
امية بن الصلت ٨٧ و٢٤٥ و٢٥٩ و٢٨١
أم سيار (أم ربيعة الكهم) ١٤٤
امية بن حوثان ١٢٢
أم جميل ١٢٩
أم اللقياء بنت معاوية ٢٩٠
أم النخيل بنت ربيعة ٢٩٠
امية بن عبد شمس ٢٠٧ و٢٠٨
امية ١٩٠
امرؤ القيس بن النعمان ٢١٤
امية بن خلف ٢٤١
امية بن اسكر ٢٦٩
انو شيرازان ٢٥٥
انمار بن اراش ٢٠٦
انس بن مدركة ٢٩٧ و٢٠٨
اهلب بن عجم العيسى ٢٠١
اوس بن حارثة ٨٢ و٨٣ و٨٤
اوس بن حجر ١٧٨ و٢٤٤
اوس بن عمر التغلبي ٢٢٠
ايوب بن سليمان ٢١٢
(ب)

بثينة ٣٠
بجر ٢٢٤ و١٦٨
بجيلة بنت صعب ٢٠٦
النجاري ١٧
يغتنصر ٢١٢
بديع الزمان الهمداني ١٦٠ و١٦١
بدر الدين بن مشك ١٩٢
بدر الدين الاسود ١٩٣
البيستي ٢١١
بسطام بن قيس ٣٦ و٢٨٠ و٢٨١ و٢٨٢ و٢٨٤
بشاعة بن حزن ١١١ و١١٥
بشر بن ابي حازم ٧٢ و٨٢ و٨٤
بشر بن عبد الله ٢٨٩ و٢٩٢ و٣٠٨
بظليهموس ١٨١
البغدادي (صاحب الخزائن) ٢٥ و٢٦
البغدادي ١١١
بقرابط ٤٥
البكاد بن كعب ٢٢٢

جمال بن محمد ٢٢٨
 جمال بن كلاب ٢٨٩
 جمشاد (الملك) ٢٤٨ و ٢٤٩ و ٢٥٤
 جمعة بنت النضر ٢٢٩ و ٢٤٠ و ٢٤٢
 جميل بثينة ٢٠
 جناب بن عبد الله ٣٦٩
 الجوهري ١٢ و ٢٢ و ٨٨ و ١٢٧ و ٥٠ و ٢٠١ و ٢١٦ و ٢١٧ و ٢٧٢ و ٢٨٥
 حزام بنت الريان ٢٤٢
 الحسن بن أبي الحسين ٢٥
 الحسن بن وهب ٢٥
 حسان بن ثابت ٢٥ و ٣٦ و ١٠٥ و ٢٦٧ و ٢٨٧ و ٢٨٢
 الحسين بن مطهر ٥٥
 الحسين بن علي ٩٥ و ٢٣١
 الحسن بن علي ٩٨ و ١٩٥
 حسان بن نشبة ١٠٩
 الحسن بن هانيء ١٦٨ و ٢٨٣
 حسان بن تبع ١٩٧
 حسان بن حنظلة ١٩٢
 الحسن بن عمر التميمي ٢٢٠
 الحصين بن الحجاج ٦١ و ١٠٥ و ١١٠
 الحصين بن بكر الراسي ١٧٦
 الحصين بن نعيم ٢٢٢
 الحطيئة ٨٢ و ٢٩٤
 حفص بن الأخيف ١٤٥
 حفيد بن رشد ١٨١ و ١٨٢
 الحكم بن عتيبة ١٧
 الحكم بن عتيبة ١٧
 حكيم بن حزام ٢٦٢
 الحكم بن هشام ٣٦٨
 خليل بن أبي جشة ٢٤٦
 حماد الراوية ٤٠
 حماس بن ثعلب ٦٤
 حميد بن لور ٦٨ و ١٤١
 حماد بن زيد ٩٨
 حمير بن سبأ ١٧٨
 حمير (الملك) ٢٠٨
 الحموي (صاحب المعجم) ٢٢٢ و ٢٢٣
 حمزة الأصمهي ٢٩٨
 حماد بن اسحق ٣٦٨
 حنش بن ميمب ٥٤
 حنظل بن الكاهن ١١٩ و ١٢٠
 حنظلة بن غفراء ١٢٧ و ١٢٩ و ١٣٠ و ١٣١ و ١٣٢ و ١٣٣
 حنظلة ١٣٣
 حنظلة الحميري ٢٥٢ و ٢٥٣
 حنظلة بن الراهب ٢٨٧
 حوش الكلبي ١٢٨
 الحوفزان ١٦٧ و ٢٨٠ و ٢٨٤
 الحرير بن نقيذ ٢٣٦

(ح)

حاجب بن زائدة ١٢٣ و ١٢٤ و ١٥١ و ١٥٢
 ٢٨٢ و ٢٨٥ و ٢٨٦ و ٢١١ و ٢١٢ و ٢١٣ و ٢٤٤
 الحارث بن عباد ١٣٦ و ١٥٤ و ٢٢٤
 الحافظ المراقبي ١٦٤
 الحارث بن جبلة ٢١٢
 الحارث بن مفضل ٢٤٦
 الحارث بن عامر ٢٤٩
 الحارث بن قيس ٢٥٠
 حاطب بن عبد العزيز ٣٦٢
 حازم بن أبي حازم ٢٠٤
 الحارث بن ودة ٢٣٢
 حاطب بن قيس ٢٢٢
 حائر (مولى عبيد الله) ٣٦٨
 الحارث بن كلفة ٣٧٧
 حاتم الطائي ٧٢ و ٧٣ و ٧٤ و ٧٥ و ٧٦ و ٨٢
 ٨٢ و ٩٦ و ١٤٤ و ٣٧٧
 حجر بن خالد ٥٨ و ١١٤
 حجر بن حية ٦٢
 الحجاج بن يوسف ٢٢٣ و ٢٢٤ و ٣٦٠ و ٣٦٢ و ٣٦٣ و ٣٦٤
 حذيفة بن عبد فقيم ٢٥١
 الحرث بن ظالم ٦١ و ١٢٣ و ١٢٤ و ١٢٥ و ١٥١ و ١٥٧ و ١٥٨
 حريث بن مناب ١١٨ و ٣٧٢
 الحرث بن عمرو ١١٩ و ١٦٧
 حرب بن أمية ٢٤٢
 حرملة بن الأشعر ٢٩٢ و ٢٠٨
 الحرث بن أراش ٢٠٦
 حرثان بن حارث ٢٣٦
 الحريري ٢٣٩
 حزيمة بنت أراش ٢٠٦

حيان بن ربيعة ١٠٧

(خ)

خالد بن الوليد ٧١ و ١٩٦ و ١٩٧ و ٢٢٠ و ٢٥٠ و ٢٩٧ و ٣٢٦
خالد بن جعفر ١١٨ و ١١٩ و ١٢٣ و ١٥١ و ١٥٥ و ٢٣٤

خالد بن الفضل ١٢٧

خالد بن سلفة ١٦٠

خالد بن سنان ١٧٦

خارجة بن ضرار ١٩٢

خالد بن صفوان ٢٨٧

خالدة بنت جعفر ٢٩٠

خالد بن أرقط ٣٠١ و ٣٠٢ و ٣٠٤

خالد بن مالك ٣٠٦ و ٣٠٧ و ٣٢٩ و ٣٤٠

خالد بن عبد الله ٢٥١

خبينة بنت رياح ١١٩

خديجة بنت أرقط ٣٠٦

خداش بن زهير ٣٦٨ و ٣٦٩

خراز بن عمرو ٦٣

خزيمه بن ثابت ٢٨٧

خصيفة بنت عامر ٢٢٢

الخطابي ٢٤٦

خفاف بن ثعلبة ٢١٢

الخطاجي ٣١ و ٥٥

خلف الأحمر ٣٩

خلف بن خليفة ٩٩

الخليل (عليه السلام) ١٧١

الخليل بن أحمد ٣٨٥ و ٣٩٥

خماعة بنت نوف ١٢٥ و ١٣٦

الخنساء ٢٥ و ٢٧٦ و ٢٨٧

الخوارزمي ١٨٦

خويلد بن وللة ٢٥٤

(د)

داود (عليه السلام) ١٨ و ١٤٢

داود بن عيسى الصبي ٢٧٠

داود الضرير ٢٧٧

الدارقطني ٢٤١

دريد بن الصمة ٢٢٥ و ٢٦٨

دودي (وزير فرنسا) ٣٩ و ١٧٩

دعبل ٦١

دغل التنابذة ١١٨

الدميري ٢٣٧

ديهث - الري ١٣٤

ديسم بن طارق ٢٢٢

(ذ)

ذهل بن نعيم ٢٢

ذهل بن شيبان ١١٨

ذهل بن ثعلبة ١١٨

الذهبي ١٧٥

ذو الرمة ٢١ و ٢٠١ و ٢٦٩

ذو الأصبع ٣٦ و ٢٢٥ و ٢٢٦ و ٢٢٧ و ٢٢٨ و ٢٢٩

ذؤاب بن أسماء ١٢٥ و ١٢٦

ذو القرنين ١٧٨

ذو نحر ٢٥٢ و ٢٥٣

(ر)

الراقب الاصفهاني ١٢

رواية جميل ٣٦ و ٣٠

رواية نصيب ٣٦ و ٢٧

رواية كثير ٢٦

الراعي ٢٢٤

ربيعة المري ١٠٥

ربيعة بن مقروم ١١٥

ربيعة بن مكرم ١٢١ و ١٢٢ و ١٢٣ و ١٢٤

الربيع بن أبي العقيق ١٢٨

الربيع بن ضبيب ١٧٧

ربيعة بن مالك ٢٨٤ و ٢٨٣

ربيعة بن حطار ٣٠٦ و ٣٠٧ و ٣٢٩

ربيعة بن مفاثن ٣١٦

رستم ٢٥٤

الرشيد ١٦٤ و ٢٥١

رغوان مجاشع بن وادم ٢٠

الرقابي بن المنذر ١١٤

رياح بن الاشل ١١٩

الريثي ١٨٥ و ١٨٧

ربطانة أخت عمرو معد يكر ب ١٦٧

(ز)

الزبيدي ٢٢٢ و ٢٢٧ و ١٧٩ و ٢٠١ و ٢١٦ و ٢٢٨ و ٢٢٩

الزبير بن بكار ٢٥ و ٢٢٣ و ٢٢٤ و ٢٢٥ و ٢٢٦ و ٢٢٧ و ٢٢٨ و ٢٢٩

٢٢٨ و ٢٢٩

سعد الجعاني ٢٢٤
 سعيد بن أبي سعيد ٢٢٨
 سعد بن المشيرة ٢٠٦
 سعيد بن خالد ٢٣٦
 سعيد بن حميد ٢٥١
 سفانة بنت حاتم ٧٢
 السكاني ٢٥
 سكينه ٢٦
 سليمان (عليه السلام) ٢١٠ و ٢٠٩ و ٢٠٨ و ٢١١
 سليمان بن عبد الملك ٢٦٠ و ١٣٢ و ٢٠
 السطيف بن سلفة ١٢٩
 السلطان عماد الدين ١٨٥
 السطيف بن سعد ٢١٤
 سلامة بيت أنمار ٢٠٦
 سلم بن جثمل ٢٠٧
 سلمى بن نوفل ٢٢٠
 السمويل ١٠٤ و ١٣٦ و ١٣٧ و ١٩٢ و ٢١١ و ٢١٠
 سمرة بن جندب ١٧٩
 السهموري ١٨٨
 سمنار ٢١٢ و ٢١٤
 سننار بن مفروق ٢٨٤ و ٢٨٢
 السعدي بن يزيد ٢٩٤ و ٢٩٢
 سنيه بنت ارش ٢٠٦
 السهيلي ٢٧٥ و ٢٧٦ و ٢٥٨ و ٢٥٩ و ٢٧٥
 سهيل ١٩٠
 سويد بن الحارث ٩٨
 سويد بن هرمي ٢٨٥
 سودة البريوي ٦٩
 سيار بن حنظلة ٢١٤
 سيويه ٢٥٢ و ٢٥٣ و ٢٢٧ و ٢٣٩
 سيف الدولة ١٧٤
 سيف بن ذي يزن ٢٦١
 سيف بن عمر ٢٩٧
 سمرة بن عمرو ٢٠٠
 السيد المرتضى ٢٣٦ و ٢٣٩ و ٢٤٠
 (ش)
 الشافعي ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٤٠ و ٢٤١
 الشافعي ٢١٦
 شبيب بن البرصاء ٦١
 شبيب بن شبة ١٥٨

الزيفان بن بدر ٢٤٢
 الزجاجي ٢٣٦ و ٢٣٧
 زبارة بن عمنس ٢٤٤
 زدياب ٣٦٨
 الزرقاء ١٦٧
 زرعاء اليمامة ١٩٧ و ٢٤١
 زفر بن طهماسب ٢٥٥
 الزمخشري ٢١ و ٢٩٨ و ٢١٢ و ٢٤١ و ٢٥٦
 زعفة بن الاسود ٩٢
 زليخ بن روح ٢٦١ و ٢٦٢
 الزناني النجم ١٥
 زهير بن أبي سلمى ٨٤ و ٨٥ و ٨٦
 الزهري ٩٨ و ٢٢٨
 زهير بن جديعة ١١٨ و ١١٩ و ١٢٠
 زهير بن جندب ٢١١
 زهير بن شريك ٢١١
 زيد الخيل ٢٢١
 زيد الفوارس ١٢٢
 زياد بن ابيه ١٦٠
 زيد بن اسلم ٢٢٨ و ٢٣٣
 زيد بن ثابت ٢٨٧

(س)

سام بن لوح ٨
 سائب ٣٦٨
 سالم بن قحطان ٥١
 سالم مولى أبي حذيفة ١٦٨
 سارة (أحدى الموالى) ٢٣٦
 سالم بن عوف ١٨٩
 سبأ الأصغر ٢٠٥
 سبأ بن يشجب ٢٠٧
 السجستاني ٢٨١
 السخاوي ٢٢٢
 سعد بن مالك ٢٢٣ و ٢٤٣
 سعد بن زيد مناة ٤٨ و ١٠٨
 سعدى بنت حصين ٨٤
 سعيد بن العاص ٩٤ و ٩٧
 سعد بن معاذ ١٠١ و ٢٨٧
 سعيد بن منصور ١٦٤
 سعد الكامل ١٧٩
 السعدي ١٩٤
 سعد بن أبي وقاص ٢١٢

ضرب بن الخطاب ٢٥٢ و ١٣٩
ضمرة بن ضمرة ٢٩٨ و ٢٩٩ و ٣١٦ و ٣١٧

(ط)

طاهر بن الحسين ١٦٠
طالب بن أبي طالب ٢٥٩
الطبري ٣٦١
الطبراني ٣٦٦
الطرماح ٢٢
طرفة بن العبد ١٧٨ و ٢٢٦ و ٢٨٦
طريف بن تميم ٢٦٧ و ٢٦٨
طريف بن ارش ٣٠٦
الظليل بن ملك ٢٨٢ و ٢٨٤
طهورة (الملك) ٢٤٨
طويس ٣٦٨

(ع)

عائشة (رضي) ١٥٠ و ١٨٩ و ١٧٢ و ٢٢٣ و ٢٤١
عامر بن حارثة ١٧٩
عامر بن صمصمة ٢٣
عامر بن ملك ٢٣٢ و ٢٨٠ و ٢٨٢ و ٢٨٤ و ٢٨٨
٢٩١ و ٢٩٢
عامر بن القرب ٣٦ و ٢١٦ و ٣١٧ و ٣١٨ و ٣٣٠
٢٢٢ و ٢٢٣
عامر بن جهم ١٧٩
عامر بن احيمر ٧٥ و ٧٦
عائكة بنت عبد الملك ٩٢ و ٩٣
عائكة بنت عبد الملك ٩٢ و ٩٣
عائكة بنت عتبة ٩٢
عائكة بنت قيس ٩٢
عامر بن الظليل ١١٧ و ١٢١ و ١٥١ و ١٥٦ و ١٧١
٢٨٠ و ٢٨٢ و ٢٨٨ و ٢٩٠ و ٢٩١ و ٢٩٢ و ٢٩٣
٢٩٤ و ٢٩٦
عامر بن جفرة ١٧٩
عامر بن مضاف ٢٣٠
العامر بن وال ٢٧٥ و ٢٢٨ و ٢٢٩
عاصم بن الاقلع ٢٨٧
عامر بن علقمة ٢٨٧
عائكة بنت الاشتر ٢٩٩
عاطس بن خلاج ٢٤٣
العباس (رضي) ١٦٢ و ٢٤٢ و ٢٧٦
العباس بن مرداس ١١٢ و ٢٧٥ و ٢١٢

شريك النعمي ٢٢

شريح بن الاحوص ٦٦

شريح بن قرواش ١١٢

شريح بن مسهر ١١٢

شريك بن القاطي ١٢٩ و ١٧٩ و ٢٣٢

شريك بن عمرو ١٢٠ و ١٣١ و ١٤٢

شرجيل بن عمرو ٢٠٥

شريك بن الامور ٢٨٤

الشريس ٢٨٩

شرجيل بن حسنة ٢١٥

شظاظ (الص) ٢١٨

شبيب (عليه السلام) ١٧٥

الشعبي ٢٣٦ و ٢٣٨

شقران مولى سلمان ٥٦

شفة بن ضمرة ١٥٧

الشناري ١٠٤ و ٣٧٧

شهاب الدين صاحب العقد ٩٧٤ و ٩٧٥ و ٩٧٦ و ٩٧٧

١٧٣ و ٢١٣

شهلاء بنت ارش ٣٠٦

شهاب الدين العموي ٣٥٧

شيث (عليه السلام) ١٧٥ و ٢٧٤

شيبة ١٩٠

شيبة بن دبيع ٢٤١

(ص)

صالح (عليه السلام) ١٦٦ و ١٧٥

الصاحب بن مباد ١٦٠ و ١٦١ و ١٦٢

الصافاني ٢٠١ و ٢٢٢

صخر بنت لقمان ٢٤٢

صخر بن اعلية ٢٠٤

صمصمة بن معاوية ٣١٨

الصنفى ١٢٤

صفوان بن امية ٢٥٠ و ٢٢٠

الصمة بن عبد الله ١٩٨

صهيب ١٦٨

صهيب بنت ارش ٣٠٦

الصولي ٢٥١ و ٢٥٢

(ض)

ضبة بن اد ١٦٩

الضحاك ٣٥٢ و ٣٥٤

ضراد بن الازود ٧١

عبد الرحمن الداخل ٣٨
عبد الملك بن قريش ٢٥
عتيبة بن يحيى ١٧ و ١٧
عتيبة بن حارث ٢١
عتبة ١٩٠
عتبة بن ربيعة ٢٠٣ و ٢٤١
عتبة بن علال ٢٨٢
عتبة بن سنان ٢٨٤ و ٢٨٣
عتيك بن قيس ٢٣٢ و ٢٣٣
عثمان (رضى الله عنه) ٢٥ و ١٥ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٤
و ٢٤٧ و ٢٤٨ و ٢٤٩
عثمان بن طلحة ٢٤٩
عدي بن حاتم ٢٨٤ و ٢٨٣ و ٢٨٤
عدي بن ربيعة ١٣٦
عدي بن سعد ٢١٤
عروة بن الورد ٦٨٥٠
عروة بن زيد الطيل ٥٦
العرنس ٧١
المصقلاني ١٥
مصام حاجب النعمان ١٧٢
مطيرة السكسكي ١٧٩
عطار بن حاجب ١١٢ و ١١٢ و ١٢٤
عبد الدولة ١٨٦
عقيل بن علفة ١٠٥
عكرمة بن ابي جهل ٢٣٦
عكرمة بن عثمان ٢٥٦ و ٢٣٧
عك بن عثمان ٢٢٧
المكلى ٦٦
على (رضى) ١٧ و ١٧ و ١٧ و ١٧ و ١٧
على بن يحيى ٢٥
علقمة بن علال ١٥١ و ١٥١ و ١٥١ و ١٥١ و ١٥١
و ١٥١ و ١٥١ و ١٥١ و ١٥١ و ١٥١
علقمة بن سيف ٥٤
علقمة بن فراس ٩٢
المولى ١٠٥
على بن هلال ١٧٩
على بن الجهم ١٧٤
على بن حمزة ٢٤٨ و ٢٢٤
الملاح بن حارثة ٢٢٩
عمو (رضى الله عنه) ١٥ و ١٥ و ١٥ و ١٥ و ١٥
و ١٥ و ١٥ و ١٥ و ١٥ و ١٥
و ٢٢ و ٢٢ و ٢٢ و ٢٢ و ٢٢
و ٢٢ و ٢٢ و ٢٢ و ٢٢ و ٢٢

عيسى بن خليل النعري ٢٠١
عبيد بن غاضرة ٢٢
عبيد بن حصين ٢٢
عبد الله بن حبيب ٨٧ و ٨٦
عبد العاصي ٢٤
عبد الملك بن عمر ٢٧
عبيد بن الابريص ١٢٨ و ٧٢
عبد الله بن حبيب ٨٧ و ٨٦
عبد العزيز بن مروان ٨٦
عبد الله بن جندعل ٨٧ و ٨٨ و ٨٩ و ٩٠ و ٩١ و ٩٢
و ٢٢٤ و ٢٨١
ميدة الكلبية ٩١
عبيد الله بن العباس ١٤ و ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ و ٩٩
عبد الله بن جعفر ٩٧ و ٩٨
عبيد الله بن ابي بكر ٩٧
عبد الله بن معمر ٩٧
عبد الله بن نزيير ١٦٤ و ١٩٧ و ٢٢٢ و ٢٢٣ و ٢٢٤
و ٢٦٢
عبد الملك بن مروان ١٧٢ و ٢٢٤ و ٢٣٦
عبد شمس بن وال ١٧٨
عبد الرحمن الاول ١٨٢
عبد الرحمن الثالث ١٨٢
عبد الملك بن الحسن ١٩٢
عبد الله بن النعمانية ١٩٨
عبد القادر الحسيني ٢٢٢
عبيد بن عمر ٢٢٢ و ٢٢٣
عبد الله بن عيسى ٢٢٢
عبد الله بن صفوان ٢٢٢
عبد الله بن خالد ٢٢٥
عبد الله بن خالد ٢٢٥
عبد الله بن سعد ٢٢٦
عبد الله بن غفل ٢٢٦
عبد الدار بن قصى ٢٤٧ و ٢٤٨
عبد مناف ٢٤٨ و ٢٢٤
عبد المطلب بن هاشم ٢٥٣ و ٢٥٤ و ٢٥٦ و ٢٧٢
و ٢٢٢ و ٢٢٢
عبد الله الزمري ٢٥٨
عبد الله بن قيس الرقيات ٣٦٠
عبيد بن اراش ٣٠٦
عبد الله بن علي ٣١٦
عبيد الله بن عبد الله ٢٥٥ و ٢٥٢
عبد الله بن مديكر ١٤٢

الحلى بن زياد ٩٨	٢٩٢
معاوية بن عباد ١١٩	محمد بن سعيد ٢٥
المطر البارقى ١٢٢	محمد بن عباس الرياشى ٢٥
معاوية بن مالك ٢٨٤ و ٢٨٤	محرز مولى أبى هريرة ٧٤
معبد ٣٦٨	الحزم بن سلمة ١٤٣
المعتصم ٣٥٢	محمد بن سلام ١٤٥
معاذ بن جبل ٢٨٧	محمد بن عبد الملك ١٨٨
معبد بن نضلة ٢٠٠ و ٢٩٩	محمد بن على ٢٢٨
معبد بن ذرارة ٣٠٦	محمّد بن جعفر ٢٨٩
معللة بنت سراد ٢٠٦	المختار بن عوف ٢٧٠
المفضل ٢٤٢ و ٢١٧ و ٢١٠	مخلج بن سويد ١٤٤
مغروق بن عمران ٢٨١ و ٢٨٢	مدح بن عامر ٢٢٧
مغروق بن عمر ٢٨٢	الممانى ١٧٩ و ١٨٧ و ٢٩٧ و ٤١٠ و ٢١٥
المنع الكندى ٦٩	مرة بن مهران ٤٨
مقيس بن حبابه ٢٣٦	المرار القيسى ٦٧ و ٢٠٢ و ٣٦٩
مقسم بن بهر ١٧٩	مروان الترقف ١٢٥ و ١٣٦ و ١٢٧
منصور بن الزيرقان ٦٤	مرة بن مرام ١٧٩
النمر بن عام السعاه ١٢٥ و ١٢٧ و ١٢٩	المرار الاسدى ٣٦٩
و ١٤٧ و ٢٤٧	مرد خاى ٣٦٢
النمر (ابنه) ٨٣	مريم (عليها السلام) ٣٥٧ و ٣٥٨
منقل بن الطماح ١٢٥	المرزوقى ٣١٢
منبه ١٩٠	مروان بن سراقه ٢٩٢ و ٢٣٠
ننلر بن امرئ القيس ٢١٣	الساور بن هند ٦٢
النطل البشكرى ٢١٥	مسكين النازمى ٦٦
الننلر بن سارى ٣٦٥	مسافر بن أبى عمرو ٩٢
منوچهر ٣٥٦	مسروق ٩٨
مهر (الملك) ٣٥٢	المسيب بن علس ١٤٢
المهلب بن أبى صفرة ٢٨٧	المسعودى ١٨٢ و ٢٥٢ و ٣٥٨ و ٣٦١
مهلول بن امرئ القيس ٣٣٤	مسلمة الكتائب ١٩٦ و ١٩٧ و ٢١١
موسى (عليه السلام) ١٨٩ و ١٨٩ و ٢٤٠ و ٢٥٩	مسعود بن معتب ٢٥٢
و ٣١١ و ٣٦٣	مسروق بن أبرهة ٢٦١
الموصلى ١٢٩ و ١٣٠	مصعب بن عبد الله ٢٥ و ٢٦ و ٢٨ و ٢٢٨ و ٣٣٦
المويذان ٣٥٥	مفسر بن رضى ٦٢
الميثانى ٧٤ و ٨٦ و ٩٢ و ١٢٠ و ١٢٥ و ١٣٠	مناض الجهمى ٢٤٥
و ١٣٤ و ٢٨٩ و ٣١٦ و ٣١٨ و ٣٢٨ و ٣٢٩ و ٣٣٢	مضر بن نزار ٣٦٩
و ٣٤٣ و ٣٤٢	مطاييم الربع ٩١
(ن)	مطوية ٢٤ و ٥٧ و ٩٥ و ٩٦ و ١٠٦ و ٢٠٢ و ٢٣٧
النابغة البليلى ٢٥ و ٦٥ و ٧١ و ٧٣ و ١٢٠	و ٢٨٢ و ٢٨٥ و ٢٨١
و ١٥٧ و ١٧٢ و ٢٠٩ و ٢١٢ و ٢١٥ و ٢٤١ و ٢٤٨	ممن بن زائدة ٤٩
نابت بن اسمعيل ٢٣٠	معمّر بن الثنى ٨٤
نبيشة بن حبيب ١٤٥	ممن بن اوس ٩٦ و ٩٧

الفهرس الثالث

في أسماء البلدان والقبايل وغيرها

أم القرى ٢٢٢ و ١٩٤	(١) -
أم رجم ٢٢٨	أبام ١٩٤
أمد ٢١٨	الإبطح ٢٨١
أميم ٢٠٨	الإبني الفرد ٢١١ و ٢١٠ و ٢١٢ و ٢١١
الانبار ٢٠٩ و ٢١٢ و ٢١٣ و ٢١٦	أبناء طبر ١٩٥
الانصار ٩٦	أبو العيس ١٩٥
الاندلس ٢٠٩ و ٢٠٩ و ٢٠٩ و ٢٠٩	أبم ١٩٤
أتمار ٢٠٦	أجا وسلمي ١٩٢
أوريا ١٨٠ و ١٨٢	أجيدان ١٩٥
الأوس والخزرج ١٨٩ و ١٨٩ و ١٩٠ و ١٩١ و ٢٨٧	أحد ١٩٥
أباد ٢٠٦	الأحساء ١٩٧
أبله ١٨٤ و ١٨٥	الأحصي ٢٠٢
(ب)	الأخاشب ٢٥٩
بابل ٢٢٢ و ٢٢٢	الزبيجان ١١
بالس ١٨٥ و ١٨٦	الرج ٢١٢
باب المندب ٢٠٦	أرض لمود ٢١٠
البلسه ٢٢٨	أرض حكم ٢٠٢ و ٢٠٢
بجي ٢٦٢	أرض زبيد ٢٠٥
البحرين ٩ و ١٥ و ١٨٥ و ١٨٦ و ١٨٧ و ١٩٧	أرض عيس ٢٠٥
و ٢٦٥	أرض وادعة ٢٠٤
بحر القزم ١٨٤ و ١٨٤ و ١٨٧ و ١٨٧	الأرمز ١٢
البحر المحيط ١٤	أرمينية ١١
بحر الهند ١٨٤ و ١٨٥ و ١٨٧ و ٢٠٦	أربعة ٢٠٢
بحر فارس ١٨٤ و ١٨٥ و ١٨٧ و ١٩٧	أزال ٢٠٥
البحر الأحمر ١٩٥	اسبانيا ١٨٢
بحيرة الأردن ٢٥٨	الاسكندرية ١٨١
بدر ١٨٨ و ١٩٢	اشبيلية ٢٦٨
برج ٢٠٢	اصبهان ٢٣٥ و ٢٣٥ و ٢٦٢
برس ٢٥٢	الغابة ١٩٥
البربر الكوه ١٤	الافرنج ٢١٢
برقة ١٤	الفرنجة ٢١٢ و ٢١٢
البردة ١٩٥	الكراد ١٢
البريني ١٨٢	آل صوفان . وصفوان ٢٤٧
بسل ١٩١	آل جفنة ٢١٥
بسوم ١٩٤	آل النعمان بن المنذر ٢١٢
البشر ١٩٩	

بنو نزار ٢٠٥	بنو ميس ١١٠ و ١٢٥ و ١٢٦ و ٢٧٢ و ٢٧٣
بنو النضير ٢٢٢	بنو عامر ١١٠ و ١٢٢ و ١٩٨ و ٢٣٦ و ٢٦٠ و ٢٧٧ و ٢٨١ و ٢٨٢ و ٢٩٣ و ٢٢١
بنو نمر ٦٤	بنو عوف ٢٤٢ و ١٧٠
بنو نيهان ٨٤	بنو عدوان ٢٤٨ و ٢٤٧
بنو نصر ٢٢١ و ٢٦٩ و ٢٩٩ و ٢٢١	بنو عبد الغار ٢٤٨ و ٢٤٩ و ٢٧٧ و ٢٧٨
بنو نوفل ٢٠٠ و ٢٢٩	بنو عبد الله بن دارم ٢٦٥
بنو نغار ٢٢٧	بنو عقيل ٢٦٧
بنو نهشل ١١٦	بنو عزة ١٩٢
بنو هولان ١٨ و ١٩ و ٢٦ و ٢٦٨ و ٢٦٩ و ٢٧٠	بنو عثمان ٢٧٩ و ٢٠٩
بنو هاشم ٢٤ و ١٤٧ و ١٦٠ و ١٦٣ و ١٧١ و ١٧٦	بنو غطفان ١٠٥ و ٨٥
١٨٤ و ٢٥٠	بنو نغار ١٩٢ و ٢٧٠
بنو هذيل ١٢٢ و ١٩١ و ٢٥٢	بنو غزالة ٢٢٣ و ١٢٥ و ١٢٥ و ٢٤٨ و ٢٨١ و ٢٩٧
بنو هرم ٩٢٦	٢٩٨
بنو هلال ٢٩٨ و ٢٩٧	بنو فهر ١٤٥ و ٢٤٧ و ٢٧٥
بنو وثار ٢٠٠	بنو فقيم ٢٥١
بنو الوعيد ٢٩١	بنو فقمس ٢٠٠ و ٢٩٩
بنو وال ٢٢٤	بنو فليس ١٢ و ١٣ و ١١٥ و ١١٦ و ١٢٤ و ٢٩٦
بنو بربوع ٢٠١	بنو فضايلة ١٠١ و ١٥٠ و ٢٢٠ و ٢٤٤
بيت لهم ٢٥٨	بنو قريظة ١٠١
البويان ١٩٤	بنو لقين ٢٩٩
البيضاء ١٩٥	بنو لمي ٢٢٢ و ٢٤٤ و ٢٧٥ و ٢٢٢ و ٢٢٠
بيضان ٢٠٤ و ٢٠٢	بنو قسر ٢٠٢
بيت الفقيه ٢٠٦	بنو قليبي ٢٧٢
(ت)	بنو كلب ١٠٨ و ١١٠ و ٢١١ و ٢٦٥ و ٢٨٧ و ٢٠٢
التباينة ١٠٥ و ٢١٢	٢٠٤
تبالة ٧١	بنو كلاب ٢٩٧ و ١١٠
تبعة ٩١١	بنو كنانة ١٤٤ و ١٨٠ و ٢٤٢ و ٢٥٢ و ٢٦٨ و ٢٦٩
تجود ١٩٥	٢٢٧ و ٢٣٠ و ٢٤٤
التتر ١٢	بنو كندة ٢٨٢
لحم ٢١٠ و ٢١٢ و ٢١٢	بنو مغارب ٢٤
الترك ١١ و ١٢ و ١٤ و ١٨ و ١٩ و ٢٠ و ٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ و ٣١ و ٣٢ و ٣٣ و ٣٤ و ٣٥ و ٣٦ و ٣٧ و ٣٨ و ٣٩ و ٤٠ و ٤١ و ٤٢ و ٤٣ و ٤٤ و ٤٥ و ٤٦ و ٤٧ و ٤٨ و ٤٩ و ٥٠ و ٥١ و ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ و ٥٦ و ٥٧ و ٥٨ و ٥٩ و ٦٠ و ٦١ و ٦٢ و ٦٣ و ٦٤ و ٦٥ و ٦٦ و ٦٧ و ٦٨ و ٦٩ و ٧٠ و ٧١ و ٧٢ و ٧٣ و ٧٤ و ٧٥ و ٧٦ و ٧٧ و ٧٨ و ٧٩ و ٨٠ و ٨١ و ٨٢ و ٨٣ و ٨٤ و ٨٥ و ٨٦ و ٨٧ و ٨٨ و ٨٩ و ٩٠ و ٩١ و ٩٢ و ٩٣ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ و ٩٩ و ١٠٠	بنو مطر ٤٩
خز ٢٠٥	بنو مازن ١١٥ و ١٢٣ و ١٠١
تهامة ١٤ و ١٨٧ و ١٨٨ و ١٩٤ و ١٩٥ و ١٩٦ و ١٩٧ و ١٩٨ و ١٩٩ و ٢٠٠	بنو مجاشع ١٢١
٢٠٢ و ٢٠٣	بنو مرة ١٢٥ و ١٣٤ و ١٤١ و ٢١٠
توضيح ١٦١	بنو مالك ١٤٣
تيس ٢٠٢	بنو محيد ٢٠٤
تيهه ٢١١ و ٢١٢	بنو منقذ ١٦٧
(ث)	بنو مغزوم ٢٥٠ و ٢٧٧ و ٢٧٨
شيران ١٩٥	بنو المصطلق ٢٦٧
ثيب الاعرج ١٩٥	بنو مطارب ٢٧٧
ثيب ١٩٥ و ٢٥٥	بنو نمير ٢٢٣ و ٢٢٤ و ٢٢٥ و ٢٢٦ و ٢٢٧ و ٢٢٨

الحجاز ١٨٦١ و ١٨٨٠ و ١٩١١ و ١٩٢٢ و ١٩٣٠ و ١٩٤١ و ١٩٤٢
 و ٢٠٠٠ و ٢٠٠٤ و ٢٠٠٩ و ٢١٦٧ و ٢٢١١ و ٢٢١٨ و ٢٢٢٢
 حجر ٢١١١ و ٢١١٢
 الحجون ٢٢٠
 الحديبية ٢٤٠ و ٢٤١
 حديثة الموصل ٢١٦
 الحديثة ٢٢١
 الحراء ١٨٨
 حرة ليلي ١٨٨
 حران ٢١٦
 الحرية ٢٧٠
 حراء ٢٥٥
 حزوي ٢١
 الحزيرة ٢٤٠
 حفر موت ٢٠٨ و ٢٠٩ و ٢٠٩
 حفص ٢٠٢
 حفاش ٢٠٣
 حفر أبي موسى ٢٠١ و ٢٠٢ و ٢٠٣
 حفر بني العنبر ٢٠٠
 الحفر ٢١٢
 حلية ٢١٣
 حلب ٢٠٢
 حلوان ٢١٦
 حمراء غرناطة ١٨٣
 حمص ٢٠٩
 الحمص ٢٤٢
 حنظلة ٢١
 حنين ٣١٥
 حوران ١٨٦ و ٢١٢
 الحويرية ٢٠١
 الحيرة ١٠ و ١٥١ و ١٧٩ و ٢١٢ و ٢١٣ و ٢١٦ و ٢١٧
 و ٢٤٥

(خ)

الخابور ٢١٧ و ٢١٩
 خبت ٢٢٢
 خراسان ٩ و ١١ و ٢١٣ و ٢١٦ و ٢١٧ و ٢١٨ و ٢١٩
 الخرج ٥٧
 الخزر ١٤٨ و ١٥٩
 الخضراء ٢٠٣

(٢٧ - ل)

ليب غيناه ١٩٥
 التليوث ٢٠٢
 لعود ٢٠٨ و ٢١١
 نور ١٩٥ و ١٩٥
 النوية ١٢٧

(ج)

جامع قرطبة ١٨٣
 الجار ١٨٥ و ١٨٦ و ١٩٢
 جبلة الازيمية ٢١٢
 جبال هملای ١٨٣
 جبال قاران ٢٤٠
 جبال الصمان ٢٥٩
 جبل الستار ١٤٢
 جبل طبر ١٧٨
 جبل يثرب ٢٣٩
 جبل حراء ٢٥٥
 جبل القديس ٢٤٦
 جبل البرز ٢٤٩
 جبل قاف ٢٢٩
 الجحفة ١٨٦ و ١٨٧ و ١٩٣ و ٢٠٠
 جنة ١٨٥ و ١٨٦ و ١٩٥ و ٢٢٢ و ٢٢٧
 جديس ٢٠٨
 جديدة قيس ٢٤٣
 الجريب ٢٠٢
 جرم ٢٠٨ و ٢٢٥ و ٢٢٦ و ٢٢٧ و ٢٢٨ و ٢٢٩
 جزيرة العرب ١٨٤ و ١٨٥ و ١٨٦ و ١٨٧ و ١٩٧
 و ٢١٢ و ٢١٣ و ٢١٥ و ٢٢٠ و ٢٢٢
 الجزيرة الفراتية ١٨٥
 جزيرة ابن عمر ٢٢٠
 جعفر ٢٠٢
 الجمرات ٢٣٧
 جلدان ١٩١
 جلي ٢٠٢
 الجلاء ١٩٥
 جناب ١١٠
 الجنبل ٢١١
 جوف حمدان ٢٠٢ و ٢٠٣
 الجوزجان ٢١٦
 جى ٢٥٠
 الحبة ٢٢٥ و ٢٢٦

(ح)

الروم ١٢١١ و ١٢٧ و ١٥٩ و ١٦٦ و ١٩٥ و ٢١٢
و ٢٢٢ و ٢٠٦ و ٢٠٤ و ٣٦٠ و ٣٦٨ و ٣٦٩
ريشة ٩٢

(ن)

نابا ١٤
النياه ٢١١
نبيد ١٨٥ و ٢٠٢ و ٢٠٦
الزحمة ٢٠٩
الزلا ١٩٥
زمر ٣٩٣
زنانه ١٥
الزرداء ٢١٢

(س)

سايبر ٢٤٠
سبا ٢٠٧ و ٢٢١
سبوحة ١٩٤
السراة ١٩١ و ١٩٤ و ١٩٥
سرد ٢٠٢
سردج ٢١٩
سروصميم ٩٢
سفوان ١١٧
السقيا ١١٨
سلج ١٤٢
سلميه ١٨٥ و ١٨٦ و ٢٠٩
السماعة ١٨٥
سجراء ٢٠٠
سجرائند ١٨١
السند ٩
سنتار ١٨١
السودان ٩ و ١٥٩
السوس ١٤
السود ٢١٥ و ٢١٦
سوق حياشة ٢٦٧ و ٢٧٠
سوق حجر ٢٧٠
سوق حشيموت ٢٦٦
سوق ذي الجاز ٢٦٦
سوق صغار ٢٦٦
سوق صغار ٢٦٦
سوق عمان ٢٦٥
سوق عدن ابن ٢٦٦
سوق عكاز ٢٦٧ و ٢٦٩ و ٢٧٠
سوق هجر ٢٦٥

الضبط ١٥

الخنمة ١٩٥

خولان ٢٠٤

خيبر ١٩٢ و ١٩٥ و ٢٤٤ و ٢٧٠

خيبي ١٩٤

(د)

دابة ١٩٤
دارا ٢١٩
دابة لبنت ٢٠٢
دجلة ٢١٧ و ٢١٩ و ٢٢٠
دجلة الطلث ٢١٦
دخ ٢٠٢
دنيانند ٢٥٤
دومة الجنبل ٢١١ و ٢٦٤ و ٢٦٥ و ٢٦٦ و ٢١٥
دومة ٢١١
دومة العراق ٢١١
ديار بكر ٢١٧
ديار ربيعة ٢١٧
ديار مصر ٢١٧
ديار باري ٢٦٧

(ذ)

ذات عرق ١٨٧ و ٢٠٠
ذات انمار ٢١٢
ذباب ١٩٥
الذنوب ٢٢٨
ذو الجبال ١٩١ و ١٩٢ و ٢٦٦ و ٢٧٠

(ر)

الرباب ٢١
الريشة ٢٠٠ و ٢٧٢
رغم ٢٦٨
رغبة مالك بن طوق ٢١٩
ربيعة الفرس ٢١١
ربيعة ٩ و ١٠ و ٢١ و ٣٦ و ١٤٠ و ١٤٩ و ١٨٩
و ٢٠٦ و ٢١٧ و ٢١٩ و ٢٢٠ و ٢٨٠ و ٢٨١ و ٢٠٦
و ٢٢٤ و ٢٤٤
رضوى ١٩٥
الرقعة ٢١٩
رمال الاختلاف ٢٠٦
رهاف ١٨٨

